

# العَلَاقَاتُ الْهِيَاسِيَّةُ

## بَيْنَ الدُّولَةِ الْأُمُوْرِيَّةِ

فِي الأَنْدَلُسِ وَدُولِ الْمَغْرِبِ

أ.د. عبد العزيز فيلاي

أستاذ التاريخ ورئيس جامعة الأمير عبد القادر سابقًا  
ب CONSTANTINE الجزائر

دار الفجو للنشر والتوزيع  
القاهرة

## الإهداء ...

إيمانا مني بأن الأمّ مدرسة ، وأن حظها التجريسي هو البيت ، وأن ميدانها العملي والتربوي هو الأسرة . أهدي باكورة إنتاجي وثمرة جهدي إلى أم أولادي .



رقم الإيداع

98/17109

I.S.B.N.  
الترقيم الدولي.  
977-5499-47-X

حقوق النشر

الطبعة الثانية 1999

جميع الحقوق محفوظة للناشر

### دار الفجر للنشر والتوزيع

5 شارع التبيبي - نهاية شارع الملك فيصل - الهرم - مصر

تلفون & فاكس : 3831972 (00202)

لا يجوز نشر أى جزء من الكتاب أو اقتزان مادته بطريقة  
الاسترجاع أو نقله على أى نحو أو بأى طريقة سواء كانت إلكترونية أو  
ميكانيكية أو بخلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدا .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ  
أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ

الصلوة  
العظيمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

### أ - أهمية الموضوع :

لا شك أن العلاقة بين الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، كانت علاقة قوية ومتينة في أغلب الأحيان ، وبخاصة في عصر الولاية ، لأن الأندلس في ذلك الوقت ، كانت امارة غير مستقلة ، تتبع أمير المغرب من الناحية الادارية والسياسية ، أما في عهد الدولة الأموية في الأندلس ، فقد ظلت هذه العلاقة تتذبذب بين الشدة والفتور ، وبين الحرب الباردة والاصطدام المسلح ، متأثرة بالصراعات السياسية والذهبية في المنطقة ، ومما ساعد على سهولة الاتصال بين العدوبتين ، ضيق المسافة بينهما ، فالساحل المغربي يكاد يتصل اتصالاً مباشراً بالساحل الأندلسي ، عند مضيق جبل طارق (1) ، حتى لقد أصبح تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته ، يكاد يتم ببعضه بعضاً ، لهذا أطلق المؤرخون على كل من المغرب والأندلس اسم « العدوة » ، اعترافاً منهم بهذه العلاقة المتينة .

(1) عرف مضيق جبل طارق عند اليونانيين القديامي ، باسم « أعمدة هرقل » وما جاء الفتح العربي الإسلامي ، إلى هذه المنطقة ، أطلق العرب عليه أسماء عديدة منها : مضيق المجاز أو خليج الزقاق ، أو بحر الزقاق أو مضيق جبل طارق ، وهي التسمية المشهورة بها حالياً ، ويبلغ طوله نحو ثمانين كم ، ويصل عرضه في بعض نواحيه إلى أربعة عشر كم ، وقد أشار الجغرافي الأندلسي المدرري إلى ضيق هذه المسافة بقوله : « والمسافة بين جبل طارق ومدينة سبتة قرية جداً يرى الناس سورها ودورها ، ويزرون ثياب العطارين بها ، وتتحرك السفينة من مرسى الخزيرة المخفراء عند بزوع الشمس ، فلا ترتفع قدر رمحين إلا وقد رست بمدينة سبتة » ، راجع كتاب ترسيخ الأخبار ، ص 118 ، 119 وكذلك كتاب الدكتور أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 24 .

وقد ثبت بمرور الزمن أن هذا المضيق ، لا يشكل عقبة أمام الانتشار الحضاري والبشري والعسكري منذ أقدم العصور ، وهو الأمر الذي دفع بشعوب العدوتين الأندلسية والمغربية ، إلى التنافس والتسابق والتصارع ، من أجل السيطرة والتحكم في هذا المجاز الضيق ، الذي يعتبر مجازا حيويا واستراتيجيا هاما لكلا الجانبيين .

ومما تجدر ملاحظته هو أنه رغم حيوية هذا الموضوع وأهميته ، لم يلق من الباحثين عناية كاملة ، حيث أنني لم أتعثر على دراسة متكاملة ومستقلة ، للعلاقة السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ، وبين الدول المغربية ، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار موضوع بحثي هذا ، محاولة جديدة في هذا المضمار ، وبصورة خاصة تلك الفترة المتعلقة بعصر الامارة ، التي دامت نحو قررين من الزمن ( 138هـ - 928م ) ، فلم يعن بها الباحثون ، وظلت غامضة حتى الآن ، وربما يرجع السبب في عزوفهم عن هذه الفترة بالذات ، إلى قلة ما كتب عنها ، وعدم وفرة المصادر الأصلية التي تتناولها .

ولعل أكثر ما كتب وألف عن العلاقة المغربية الأندلسية ، في عهد بنى أمية ، لا يتعدي معظمها ، مقالات قصيرة مستقلة ، أو مانجده في ثنایا الكتب التاريخية العامة ، وعلى الرغم من قيمة هذه الكتب والمقالات ، وعظيم فائدتها في أනارة الطريق أمام الباحث ، إلا أنها لا تشفي غليله ، لأن معظمها يتحدث عن فترة الصراع الأموي الفاطمي فقط .<sup>(1)</sup>

(1) أول المصنفات كتاب المستشرق الفرنسي ، لفي بروفسال الشامل لتاريخ الأندلس وحضارتها ، في عهد الدولة الأموية .

وطبع طبعة أخرى في بيروت سنة 1960 م .

كما ترجم المؤلف ذاته الجزء الخاص بسياسة عبد الرحمن الأفريقي إلى اللغة الإسبانية ، ونشره بمجلة الأندلس

La politica de Abde Al RAHMAN III Al Andalus VI. XL fas. II 1946

وكذلك مقال الدكتور المرحوم حسن إبراهيم حسن .

relations between the Fatimids in North Africa and Egypt and the Ummayyads in spain during the 4 h century A.H (10 h century A.D) Belltin of the faculty of arts Fouad I University vol X parts II decembre 1948.

ومقال الدكتور أبحمد مختار العادي :

سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ،

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد عام 1957 وكتابه القیان :

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، دار المعارف بمصر 1968 م

- في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ، بدون تاريخ .

والحقيقة أني ترددت كثيرا في بداية الطريق ، وخشيت من مغبة ركوب صعباً هذا الموضوع ، وخوض غماره ، لطوله وتشعبه ، وقلة مصادره ، كما خشيت أيضاً من أن تصرفي قلة المادة عن استيفاء جوانب البحث ، ولماطة اللثام عن جميع أبعاده ومراحله ، ولكنني عقدت العزم قدماً أن أبحث وأجمع كل شاردة وواردة ، حول تاريخ المغرب والأندلس ، من بطون الكتب المختلفة ، وبين ثنايا المصنفات العديدة ، التي وضعها قدامي المؤرخين والأخباريين المغاربة والأندلسيين والشراقة ، التي تم لي الاطلاع عليها ، في المكتبات الخاصة وال العامة في كل من الشقيقة الكبرى مصر ، وكذلك في الجزائر وليبيا وتونس ، وأسعفني الحظ ، عندما عثرت على الجزء المخطوط من كتاب «المقتبس» لابن حيان القرطبي (ت 469 هـ / 1076 م) - عمدة مؤرخي الأندلس - الخاصة بعهد عبد الرحمن الناصر ، مصورة «ميكروفيلم» ، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة عند ذلك ظفرت بيغتي ، ووجدت فيها طلبي ، بما تحتويه من مادة غزيرة ومعلومات جديدة .

ولا أريد أن أتكلّم عن صعوبة المهمة ، وما صادفني من عناء ومشاكل ذاتية ، لأنها تصادف كل باحث يقدم على ارتياح هذا الميدان ، وإنما أود هنا أن أعرض لمشكلة واجهتني كما تواجه كل باحث في التاريخ الإسلامي عموماً ، وتاريخ الغرب الإسلامي بصورة خاصة ، وهي فقدان المصنفات التاريخية المغاربة والأندلسية الأصلية ، المعاصرة لموضوع بحثي (1) ، فقد عبثت بها يد الزمان ، وأصابها التلف والضياع ، ربما من جراء الصراع الداخلي ، الذي عم هذه المنطقة بين القوى السياسية والمذهبية ، التي استولت على زمام الأمور فيها ، أو نتيجة الغزو الأجنبي ، الذي عبث بالتراث المغربي الإسلامي وأطاح به ، ولم تصلنا منها ، إلا تلك التحف والشذرات ، المتفرقة هنا وهناك في المصادر العربية المغاربة والأندلسية والشرقية ،

(1) لم تصلنا كثيرة من كتب المؤرخين ، والأخباريين المغاربة والأندلسيين ، المعاصرة لموضوع البحث مثل : كتاب «معاري إفريقية» ، ليعسى بن أبي المهاجر (ت في أواخر القرن الثاني المجري) ، وكتاب عبد الله بن أبي حسان اليحيسي (الموفي في الربع الأول من القرن الثالث المجري) ، وكتاب : الأمير محمد بن زيادة الله بن الأغلب ، الذي دون فيه أخبار أسرته إلى ما قبل وفاته سنة (283 هـ / 896 م) ، وكتاب : العبر لابن أبي الفياض (ت 459 هـ / 1066 م) ، وكتاب يوسف الوراق (ت 363 هـ / 973 م) ، وتاريخ الرقيق القبرواني عمدة مؤرخي المغرب (ت في القرن الخامس المجري) وأحمد ابن محمد الرازي (ت 344 هـ / 955 م) ، وابنه عيسى الرازي (ت 379 هـ / 989 م) ، وكذلك معظم مصنفات أبو التاريخ الأندلسي ابن حيان القرطبي (ت : 469 هـ / 1076 م) .

المتأخرة عن الفترة التي أبحث فيها ، ولا أكون مبالغًا إذا قلت حتى أن هذه المصادر لا يمكن الاطمئنان إلى بعضها – إن لم تكن معظمها – لما يشوبها ، من كتابات ذات اتجاهات سياسية مختلفة ، وأهواء عنصرية ، ونعرات إقليمية ، وولايات مذهبية ، أي المتمثلة في المصادر السنوية ، والخارجية والشيعية والمغربية ، ذات الطابع الإقليمي المحلي – وما تزخر به هذه المصادر من مغالطات وتحريفات ، فضلاً عن كونها تحمل في طياتها روايات ذات طابع أسطوري وخرافي ، وبمبالغات تفوق أحياناً حد المقبول ، هذا بالإضافة إلى أن غموض المعلومات في بعض الأحيان يجعلها تحتاج إلى التأويل والاستنباط ، وهو الأمر الذي يتطلب من الباحث استخدام ما يمكن استخدامه ، من أساليب النهج العلمي ، في صياغة البحث بالتمحیص والتحليل والتعمیش والنقد والمقارنة ، وهذا ما حاولت – على قدر استطاعتي – أن أقوم به ، على النحو الذي يهمي لي أن أثرى به موضوع الرسالة ، حتى لا يكون مجرد صياغة لفظية ولغوية لما ورد وتردد في المدونات والحوالیات التاريخية ، مستعيناً بالمصنفات الحديثة التي سلكت هذا السبيل ، سواء منها المراجع العربية أو الغربية ، وهذا هو الهدف الذي كنت أنشده ، منذ البداية ، حرصاً مني على تقديم خدمة متواضعة ، لتراثنا العربي الإسلامي المجيد ، في منطقة عزيزة على نفسي ، أنتهي إليها ، وتربيطني بها أواصر المحبة والوفاء ، الا وهي منطقة الغرب الإسلامي .

ولا شك أنني أفتئت كثيراً ، من هذه الدراسة ، التي أتاحت لي أن أعيش بين صفحات شرفة ، من ماضينا المغربي البعيد ، كما تعرفت على اقطابه العلماء والمؤرخين القدماء وعلى رواده الباحثين المعاصرین .

ولا أقول بأنني بلغت الكمال فيما كتبته ، وتوصلت إليه ، وإنما يكفي أن أقول ، بأنني أسمحت بنصيب متواضع في إبراز جانب من العلاقة المغربية الأندلسية في هذه الفترة ، وكشفت النقاب عمّا كان غامضاً فيها .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وأبواب ثلاثة ، يشتمل كل باب على فصلين ، وقد ذكرت في مقدمة البحث أهمية الموضوع ، والمنهج الذي سلكته ، وأتبعت ذلك بدراسة تحليلية لأهم مصادر البحث ومراجعه ، وخاتمة وضمائمه .

أما الباب الأول وهو : « سياسة الدولة الأموية في الأندلس نحو المغرب في عصر الإمارة » فقد جعلته في فصلين ، تحدثت في الفصل الأول ، عن طابع

عصر الولاة في المغرب والأندلس ، وعلاقة كل منهما بالآخر ، وذكرت تدفق الهجرات المغربية والعربية من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس ، وحددت أماكن استقرارها ، وتعرضت بشيء من الإيجاز إلى سياسة بني أمية القائمة على محاباة العنصر العربي ، دون غيره من العناصر الأخرى ، التي اعتمدت الإسلام ، وبصورة خاصة إلى سياسة بعض الولاة العرب التعسفية في بلاد المغرب ، وما نتج عنها من تفشي روح العصبية القبلية العربية ، نيل الخلفاء إلى مصرية حيناً ، وإلى اليمنية حيناً آخر. وانتشار المذهب الخارجى بين المغاربة لأنهم يتناسب مع وضعهم الاجتماعي والسياسي ، واضطرب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، التي أدت إلى اندلاع ثورة مغربية شاملة ضد الولاة العرب ، استغل المغاربة على أثرها بالمغاربة الأوسط والأقصى ، عن السلطة المركزية في دمشق ، رغم مابذلته الجيوش الأموية الأفريقية والأندلسية ، من جهود مكثفة في سبيل إعادتها إلى حظيرة الخلافة ، ونطرقت إلى انتشار عدوى هذه الثورة بين مغاربة الأندلس ، الذين لم يتوانوا عن القيام لتأييد مطالب أخوانهم ، في بلاد المغرب ، وعللت ذلك بالتقرب الاجتماعي ، الوثيق بين المغرب والأندلس في ذلك الوقت .

وكذلك تحدثت عن عبور طالعة بلج بن بشر ، إلى العدوة الأندرسية ، لمؤازرة أميرها عبد الملك بن قطن . وكيف حدث بعد ذلك صراع دام بين هذه الطالعة الشامية وبين البلدين الأندلسين ، وتطور هذا الصراع إلى حرب شديدة ، بين الكلبيين والقيسيين ، وما نتج عنه من فوضى سياسية ، واضطربابات اجتماعية ، وتناقضات قبلية ، هزت وحدة المسلمين في الأندلس ، وما جرها هذا الصراع لبلاد الأندلس من مجاعة حادة ، اضطر خلالها الكثير من العرب والمغاربة ، إلى مغادرة البلاد والعودة إلى المغرب . وتحدثت عن فرار عبد الرحمن بن حبيب - أحد أقطاب هذه الحرب الأهلية - إلى العدوة المغربية ، على أثر قدوم الوالي أبي الخطار الحسام إلى قرطبة . وتمكن عبد الرحمن من الاستيلاء على ولاية أفريقية ، وطرد أميرها الشرعي حنظلة بن صفوان . وعن تولية أحد أفراد البيت الفهري وهو يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة إمارة الأندلس ، وكيف أصبح الغرب الإسلامي تتزعمه هذه الأسرة .

وأشارت إلى نضالها في إخماد الفتنة الداخلية ، وختمت الفصل بدخول عبد الرحمن بن معاوية الأموي إلى العدوة الأندرسية والاستيلاء على الإمارة فيها .

**أما الفصل الثاني :** فقد خصصته للعلاقة الأندلسية المغربية في عهد الامارة ، وتحدثت فيه بایغاز ، عن قيام الدولة الأموية في الأندلس ، والجهود التي بذلها عبد الرحمن الداخل في تأسيسها ، وحللت سياسة هذا الأمير في بلاد المغرب ، والتي كانت تقوم على استمالة القبائل المغربية ، واستقطاب ابنائها للخدمة في جيشه ، وتحريضها ضد ولاة بنى العباس في افريقية . ثم انتقلت بعد ذلك الى ذكر الأحداث التي وقعت بالعدوتين ، بعد وفاة عبد الرحمن الداخل ، والمحاولة التي قام بها الأمير الحكم بن هشام في اقامة علاقة ودية ، مع الادارسة لواجهة عدوهم المشترك ، وهم الأغالبة ممثلوا الدولة العباسية في افريقية ، وكيف حدثت الجفوة بينهما ، عندما استقبل ادريس الثاني العائلات الربضية وأنزلهم في عاصمته « فاس » ، وخصصت جزءا من هذا الفصل ، للحديث عن الصلات التجارية ، بين العدوتين في هذه الفترة ، موضحا الدور الذي لعبه الرستميون الجزائريون أصحاب « تاهرت ». في التبادل التجاري كوسطاء في نقل الذهب وريش النعام والجلود والرقيق الأسود من السودان ، ومختلف بضائع ومواشي المغرب الى بلاد الأندلس ، وكيف أصبحت « تاهرت » هي الجسر القوى ، الذي يربط الأندلس ببلاد المغرب .

وكذلك أشرت الى الدور ، الذي لعبته الجاليات الأندلسية المقيمة على طول السواحل المغربية ، في تنشيط الحركة التجارية بين العدوتين ، وشرحت بالتفصيل مظاهر العلاقة الطيبة المبكرة بين حكومة قرطبة وامامة « تاهرت » الرستمية ، والتعاون الصادق بينهما ، في الميدان السياسي والاقتصادي والعسكري ، مبينا مدى استعانة بنى أمية بالخبراء الرستميين ، في ادارة أعمالهم ، وقيادة جيوشهم ، مما أدى الى وجود تحالف قوى بين الدولتين ، لم تثبت أن انضممت اليه دولة بنى مدرار في سجل ماسة ، ودولة بنى صالح في « نكور » ، ودولة برغواطة في « تامسنا ». ولا شك أن الهدف الأساسي من وراء هذا التحالف هو تطويق الادارسة العلوين في فاس غربا ، وعزل الأغالبة في القيروان شرقا . وأشارت إلى أحداث الفتنة الداخلية ، التي وقعت في الأندلس ، في نهاية القرن الثالث الهجري ، ووصلتها باحداث المغرب ، وركبت الكلام فيها بصفة خاصة ، عن صلات الثائر ، عمر بن حفصون بالأدارسة والأغالبة ثم الفواطم . وختمت الفصل بتولية الأمير عبد الرحمن الثالث متعرضا للجهود ، التي بذلها للقضاء على ثورة ابن حفصون وغيرها ، من الثورات الداخلية ، والخطوات التي اتخذها في سبيل توحيد ، بلاده وتقوية جيشه وأساطيله ، وحصونه لواجهة الخطر الفاطمي .

**أما الباب الثاني :** وهو «سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفتين :

عبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر» ، فقد خصصت الفصل الأول منه لسياسة عبد الرحمن الناصر المغربية ، تناولت فيه بالتفصيل ، النشاط الدعائي والجاسوسية ، وال الحرب الباردة بين الخلفتين ، الأموية والفااطمية ، والإجراءات التي اتخذها عبد الرحمن الناصر ، لمجابهة الانتشار الفاطمي ، بحيث أعلن نفسه خليفة المسلمين ، وعمل على اصطناع أمراء المغرب مثل : الأدارسة ، وبني صالح أصحاب نكور ، ورؤساء قبائل زناتة ومصمودة ومكناة وغيرهم من المغاربة ، المتحاشين إلى الدعوة الأموية ، وتحريضهم على قتال الفواطم ، وحلفائهم الصنهاجيين . وقد تجسدت سياسة عبد الرحمن الناصر المغربية . في الوفود الكثيرة التي كانت ترد بلاطه ، مزودة بالهدايا المغربية الجميلة ، وبالوسائل الرسمية العديدة ، التي تتضمن تجديد الولاء والطاعة ، والاعتراف بأحقيته في الخلقة دون الفواطم وبني العباس ، وتشتمل أيضاً على أخبار مستفيضة عن بلاد المغرب وأحواله ، يشرحون فيها سياستهم وأعمالهم إزاء جيرانهم الفواطم ، وعما أحرزوه من انتصارات حاسمة على الجيوش الفاطمية ، وحلفائهم مما أدى إلى تقلص النفوذ الفاطمي ، وانتشار النفوذ الأموي ، وطرقت إلى الوفود العائدة من بلاط قرطبة محملة بالأموال ، والخلع واللطاف الأندرلسية الكثيرة ، وإلى سفراء عبد الرحمن إلى هذه القبائل ، تحثهم على مقاولة الشيعة وقطع دابرهم من بلاد المغرب ، وكذلك استئصال شأفة بني العباس ، حتى يتمكن من توحيد العالم الإسلامي تحت سلطانه ، وبذل في سبيل ترويج تلك الأموال الباهضة ، كما أنه لم يتأخر عن توجيه العساكر والرماة والأساطيل إلى شواطيء العدوة المغربية لتساند حلفائه ، وكذلك الحال بالنسبة للأدارسة ، الذين كانت وفودهم لا تقطع عن قرطبة ، لتقديم الطاعة ، والتّماس العون ، وللنجوء إلى الناصر لحل مشاكلهم وخلافاتهم . وتناولت بالحديث أيضاً قيام عبد الرحمن الناصر باحتلال الثغور الشمالية المغربية مثل : مدينة سبتة ، ومليلة ، وطنجة ، وأخضاع جراوة وأصيلا ، وجزيرة أرشقول ، ولم تلبث هذه الثغور أن صارت قواعد أموية تحمي ظهرهم ، وتخرج منها الأساطيل إلى مختلف الشواطيء المغربية لحماية حلفائهم ، وارهاب عدوهم وانخفاض الخارجين والمناوئين .

وتحدثت أيضاً عن المعونات العسكرية والاقتصادية ، التي كان عبد الرحمن الناصر يرسلها إلى حلفائه في المغرب ، على شكل أساطيل وأموال ، وأطباء ومهندسين

وبنائين لبناء ما أفسدته الحروب ، وانشاء الحصون والمدن والقلاع ، وعندما قام أبو يزيد النكاري (صاحب الحمار) بثورته ضد الدولة الفاطمية ، لم يتردد الخليفة عبد الرحمن الناصر في تأييده ومساعدته .

وأشرت الى الوفود المغربية العديدة ، التي استقبلها الناصر مثل ، وفود أبي يزيد ، والقيروان ، وزناة ، ومكناة ، ووفود مدينة أصيلا وجزائربني مزغنة (مدينة الجزائر الحالية ) ، ووفود الأدارسة وغيرهم ، وعن محاولة اباضية افريقية الاستعانة بالناصر ضد الفواطم . وختمت حديثي عن هذا الصراع بالتصادم البحري ، الذي وقع بين الأساطيل الأموية ، والفاطمية عند السواحل الافريقية والأندلسية . وعن تحالف عبد الرحمن مع أعداء الدولة الفاطمية . من ملوك أوروبا ، مثل ايطاليا ، وأباطرة الدولة البيزنطية ، والأخشيديين أصحاب مصر .

أما الفصل الثاني من هذا الباب : فيتضمن سياسة الحكم المستنصر نحو دول المغرب ، وهي استمرار لسياسة والده ، التي تقوم على محاربة الوفود الفاطمي في المغرب ، وتحصين حدود دولته الجنوبية ، وبذل الأموال في سبيل كسب طاعة أمراء العدوة المغربية ، ثم تطرقت بالحديث عن بنى زيري الصنهاجيين ، بصفتهم حلفاء الفاطميين وموضع ثقفهم ، ووراثتهم في حكم افريقية والمغرب ، بعد انتقال الفاطميين الى مصر ، وأشارت الى أن هذه السياسة التقريرية ، التي اتبعها الفاطميون نحو الزيريين ، فقد أثارت غضب بعض كبار رجال دولتهم ، أمثال جعفر بن علي وأنجيه يحيى وأتباعهما ، حكام الزاب والمسيلة ، وفراهم جميعا ، الى بلاط الخليفة الأندلسي الحكم المستنصر ، الذي رحب بمقدمهما واتخذهم عونا له ضد الفاطميين وحلفائهم الزيريين في المغرب .

وتكلمت بعد ذلك عن الحملة الانتقامية : التي شنّها بلکین بن زيري على المغاربة الأوسط والأقصى ، مبينا أن هذه الحملة ، وان كانت قد فشلت في انتزاع الشغور المغربية ، من أيدي الأمويين ، الا أنها شجعت الأدارسة على القيام بثورة عامة ضد الأمويين ، بقيادة زعيّمهم الحسن بن جنون ، الذي قطع دعوة بنى أمية واستولى على طنجة وتطوان ، والمنطقة الجبلية شمال وادي لكرس ، وتمرّز في قلعة جبلية حصينة تعرف بقلعة السر ، عند ذلك اضطر الحكم المستنصر ، الى تغيير سياساته المغربية ، القائمة على التستر وراء المغاربة ، وتدخله تدخلا عسكريا مباشرا في بلاد المغرب ، للمحافظة على نفوذه ، ووضحت كيف جهز لهذه المهمة ، معظم

جيشه الأندلسية والمغربية ، واساطيله البحرية ، ولها خيرة قواده أمثال : قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس ، والقائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن ، وقائد الثغور يحيى التجيبي ، هذا إلى جانب الشعراء والقضاة والأمناء ، للقيام بمهمة الأعلام والتخابر ، فضلاً عن القبائل المغربية الخليفة التي انضمت إلى الجيوش الأندلسية ، وبهذه القوة الضاربة استطاع الحكم المستنصر أن يهز الأدارسة وأسر زعيمهم « الحسن بن جنون » ، وإن يدعى له على منابر العدوة المغربية .

وتكلمت بعد ذلك عن النعمان الباهظة ، التي تكبدها هذه السياسة الأموية في المغرب ، ومانج عنها من أزمات اقتصادية وتغيرات سياسية ، أدت إلى السماح للأدارسة بمعادرة الأندلس ، تخلصاً من نقماتهم ، ولجوئهم إلى الفاطميين في مصر ، فصاروا عوناً لهم ضد النفوذ الأموي في المغرب فيما بعد .

أما الباب الثالث : « وهوسياسة الأمويين نحو دول المغرب منذ وفاة الحكم حتى سقوط الخلافة الأموية » ، فقد أفردت الفصل الأول فيه ، لسياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر هشام المؤيد بالله ، وبيّنت فيه سياسة الحاجب المنصور بن أبي عامر في المغرب ، بعد أن استبد بحكم الأندلس ، وقضى على منافسيه ، وحجر على الخليفة الطفل هشام المؤيد بالله ، وشرحـت بالتفصيل ، سياسة التقرب والتعدد ، التي سلكها المنصور ، نحو المغاربة ، واستدعاهم للخدمة في جيشه مدققاً عليهم الأموال ، والوظائف القيادية العالية ، حتى كون منهم جيشاً ضخماً ، مكنته من تنفيذ مشاريعه وغزواته ، في إسبانيا المسيحية شمالاً ، وفي بلاد المغرب جنوباً . وأوضحت أن سياسة المنصور المغربية ، كانت تسير على نفس الدرب ، الذي سلكه الناصر لدين الله ، والحكم المستنصر من قبله ، وهو ضرورة الحفاظ على النفوذ الأموي في بلاد المغرب ، لتكون خطأ دفاعياً أمامياً ، ضد الخطر الفاطمي ، وقد نجح المنصور في سياسته المغربية نجاحاً كبيراً ، مكنته في أن يضم مناطق مغاربية جديدة تحت سلطانه ، حيث بلغ نفوذه من السوس الأقصى وسجل ماسة جنوباً ، إلى أقليم تلمسان وتأهرت وشفل والزاب شرقاً ، وعلى الرغم من نجاح هذه السياسة العاميرية المغربية ، إلا أنها تعرضت لقاومات ثورات وحملات ، من قبل الصنهاجية والأدارسة ومغراوة الزناتية ، فقد قام بلـكـين بحملة قوية إلى المغارـبـينـ الأوسطـ والأقصـىـ ، حتى شارف أسوار سبتة قاعدة الأمويين ، ولكنه لم يستطع اقتحامها ، لأن المنصور أعد لها بظاهرها جيشاً أندلسيـاًـ مـغـربـياًـ مشـترـكاًـ ، ردـاًـ بلـكـينـ علىـ أـعـقـابـهـ . أما الهجوم الثاني ،

فقد كان بقيادة زعيم الأدارسة - السابق الذكر - «الحسن بن جنون» ، الذي عاد من مصر ، تدفعه في ذلك رغبته الشديدة في أحياء دولة آبائه وأجداده من جديد ، لكن المنصور كان له بالمرصاد ، فوجه إليه جيشين أحدهما بقيادة ابن عمه «عسقلانة» ، والثاني بقيادة ابنه عبد الملك ، وانتقل هو إلى الجزيرة الخضراء ، مقر عملياته الحربية يدبر منها معاركه ، ويراقب منها تطورات الأمور والأحداث عن كثب ، وانتهت هذه الثورة بالقضاء عليها وقتل صاحبها . وأما الثورة الثالثة فقد كانت بزعامة رئيس زناتة المغراوي ، زيري بن عطية ، الذي أنكر على المنصور استحواذه على السلطة ، وانفراده بالملك ، وحجره على الخليفة الشرعي ، هشام المؤيد ، ويبدو أن هذه المسوغات التي اتخذها زيري ماهي إلا وسيلة للاستقلال ببلاد المغرب ، لكن المنصور ، استطاع أن يطبع بهذه الثورة ، وأن ينزل بالزعيم المغراوي هزيمة نكراء ، وأن يعيد التفود الأموي إلى ربوع المغرب . وختمت الفصل بالإشارة إلى ثورة أبي ركرة الأموي بيرقه ، ضد الفواطم ، وانتشارها حتى وصلت إلى أحواز الجوزة ، وحتى كادت أن تطيح بالفواطم ، لو لا صمود جيوشهم وتمكنها من قتل أبي ركرة الأموي ، والقضاء على ثورته وبهذه الثورة أسدل الستار على الصراع الأموي الفاطمي ، لأن الخلافة الأندلسية ، دخلت مرحلة من أسوأ مراحلها ، وهي مرحلة الضعف والإنهيار .

أما الفصل الثاني : من هذا الباب فقد جعلته لسياسة الأمويين نحو دول المغرب ، في فترة الانتقال ، ما بين هشام المؤيد ، وسقوط الدولة الأموية في الأندلس ، وتحدثت فيه عن سقوط الدولة العامرة بمقتل عبد الرحمن شنجول بن المنصور ، واستلاء «ابن عبد الجبار المهدى الأموي» على الخلافة في قرطبة ، وقيامه باضطهاد المغاربة في الأندلس ، واظهار بغضبه وكراهيته وحقده لهم ، مما سبب في اندلاع الحرب الأهلية بين أهل قرطبة وبين المغاربة وأوضحت بأن هذه الفتنة ، لم تكن فتنة بربرية مغربية كما أطلق عليها الأندلسيون ، وإنما هي فتنة «ابن عبد الجبار المهدى» ، الذي أثارها وأفقد نارها بهذه السياسة . وقد تم خصم عن هذه الفتنة انقسام أهل الأندلس إلى قسمين : - بحيث التفت الأندلسيون حول المهدى ، بينما انتخب المغاربة «سليمان المستعين بالله» ، وكيف لم يتورع الفريقيان في الاستعانة بالنصارى ، وتكلمت عن عبور علي بن حمود الأدريسي ، الذي كان من قواد المستعين إلى مدينة «سبتة» واستيلائه عليها باسم أماته المستعين بالله ، واقامة الدعوة له فيها .

وتعرضت كذلك الى الوفد الذي قدم الى قرطبة من الزناتيين أصحاب طرابلس الغرب ، يلتمس الاعانة من «المهدي» لفك الحصار ، الذي ضربه عليهم نصير الدولة ، صاحب افريقيية الصنهاجي ، وابرزت كيف لم تدم هذه العلاقة طويلا ، بسبب الاوضاع المتدهورة في كل من طرابلس وقرطبة ، وتحدث عن استيلاء «المستعين بالله» ، للمرة الثانية على «قرطبة» ، وتقليله جنوب الأندلس ، وشمال المغرب الأقصى لآل حمود الأدارسة . بحيث عين عليا بن حمود على مدينة سبتة ، وأخاه القاسم على طنجة وبلاد غماره والجزيرة الخضراء ، وبهذا أصبح المجاز في يد الأسرة الحمودية العلوية ، وتطرق الى قيام علي بن حمود على الخليفة «المستعين» ، وعبوره من سبتة بجيشه المغربي الى مالقه ، ومنها الى قرطبة ، واستيلائه على الخلافة بمساعدة صناهجة غرناطة ، وصقالبه المرية ، وكيف انتقلت الخلافة من يد الأمويين ، الى يد الحمويين العلويين الهاشميين ، الذين لم يلبوا أن أنقسموا على أنفسهم ، ودخلوا في صراع على السلطة ، أدى بهم في النهاية الى تقلص سلطانهم الى جنوب الأندلس وشمال المغرب الأقصى ، وعودة الخلافة من جديد الى البيت الأموي ، الى أن أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور انتهاء رسم الخلافة الأموية جملة سنة 422 هـ / 1031 م . وأوضحت أن التفوذ الأموي في بلاد المغرب ، قد زال بزوال الدولة العامرة وقيام الفتنة في الأندلس ، بحيث استقل المغاربة بتوسيعهم وأعمالهم ، في العدوة المغربية ، التي تعرضت هي الأخرى لنفس الحالة التي تعرضت لها بلاد الأندلس . فقد ظهرت بعض الامارات في سلا وفاس ، وغمارة وسجلماسة ، وكذلك الدولة الزيرية الصنهاجية لم تسلم من هذا الانقسام ، فقد قام الفرع الحمادي الصنهاجي ، بتأسيس امارة له في اقليم الزاب ، وجعل عاصيته قلعة بني حماد ، منشقة عن امارة افريقيبة .

اما الخاتمة فقد ضمتها أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث ، وأتبعتها بضمائمه عدة ، تضمنت مراسلات رسمية بين زعماء المغرب ، وعبد الرحمن الناصر للدين عاهل الأندلس .

وفي الختام لا يفوتي بهذه المناسبة أن أتوجه بخالص شكري وامتناني وعرفاني وتقديرني ، الى أستاذى الفاضل الدكتور أحمد مختار العبادى ، رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الاسلامي ، بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الذى فتح لي صدره ومنحنى الكثير من علمه وكتبه ووقته رغم كثرة اشغاله ، وعما اولاني به من

رعاية وعطف ، وعما أسداه إلى من نصح ورشاد ، فجزاه الله عنّي وعن العلم خير جزاء  
ومن الله السداد والتوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

### ب - عرض وتحليل لأهم مصادر البحث :

اعتمدت في بحثي هذا ، على مجموعة كبيرة من المصادر العربية الأصلية ، منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع ، كما استفدت كثيراً من المراجع الحديثة العربية والأجنبية ، التي ترّضت لموضوع البحث ، سواء من قريب أو بعيد ، وسوف أقصر تحليلي على أهم المصادر ، التي اعتمدت عليها في جمع مادة هذه الرسالة ، مراعياً في ذلك ترتيبها الزمني ، واستهلهما بكتب التاريخ :

#### ١ - «أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها» .

مؤلف مجهول ، سجلها صاحبها دون أن يربط الحوادث ، ربطاً منهجياً أو يرتبها حسب السنين (١) ، ابتدأ أحداه بالفتح العربي لبلاد المغرب والأندلس ، في عهد موسى بن نصير ، وانهاء بوفاة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله ، سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، ويعتبر هذا الكتاب مصدراً أساسياً لتاريخ الأندلس في مراحله الأولى ، إذ أنه يحتوي على معلومات دقيقة ومفصلة ، ويتضمن هذا الكتاب ، وقائع وأحداثاً في غاية الأهمية ، لا نجد لها عند غيره ، وأهم فقراته وأورفها مادة لموضوع بحثي ، تلك التي تتعلق بدخول طالعة أهل الشام بقيادة بلج بن بشر إلى الأندلس ، وثورات المغاربة في جليقية ، والصراع بين البلدين والشاميين ، وبين القيسيين والكلبيين ولولية يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة الفهري للأندلس ، ودخول عبد الرحمن الداخل ، واستيلائه على الأندلس ، وانتصاراته على المناوئين . ولهذا فاني استفدت منه كثيراً ، في جمع مادة هذه الفترة الأولى ، المتعلقة بعصر الولاية ، وقيام الامارة الأموية في الأندلس ، لما يحتويه الكتاب من معلومات غزيرة . وعلى الرغم من تونخي هذا المؤلف ، الدقة في الرواية ، إلا أنه لا يخلو من التعلق الشديد للجنس العربي عامه ، والتحيز لبني أمية بصورة خاصة ، مما يدل على أنه

(١) أتّجّل جنثالث بال شيئاً : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ - تعرّيف د . حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ويرى المستشرق ريبيرا أن مصنف هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المؤلفين ، يختلفون طبقة وذوقاً وثقافة وفكراً .

عربي قرشي ، وربما أموي ، وجه اهتمامه وعنايته . لأخبار العرب في الأندلس وحدهم ، وأغفل غيرهم من المسلمين ، وقد اختلف الباحثون في تاريخ تأليف هذا الكتاب ، فبعضهم يرى بأنه كتب في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي والبعض الآخر يرى بأنه صنف في القرن الخامس الهجري الحادى عشر الميلادي ، وقد نشره وترجمه إلى اللغة الإسبانية ، المستشرق الإسباني لافونتي القنطرة .

La Fuente al Kantara  
في سنة 1867 م .

2 - الرقيق القررواني : ( أبو سحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القررواني ) المتوفي في منتصف القرن الخامس الهجري / 111 م .

ولا نعرف شيئاً عن شأنه وحياته غير أنه كان رئيساً لديوان الرسائل مدة تزيد عن ربع قرن في البلاط الصنهاجي بالقرoron . وكتابه « تاريخ إفريقية والمغرب » يقع في عدة مجلدات ، ولا يستبعد أن يكون قد اشتمل على تاريخ إفريقية والمغرب منذ الفتح العربي الإسلامي إلى عصره ، إذ أن ابن عذاري المراكشي ينقل عنه حوادث سنة 415 هـ / 1024 م .

وقد اكتشف الأستاذ محمد المنوني بالمغرب الأقصى قطعة من كتاب الرقيق ، تشتمل على تاريخ قرن وربع قرن من الزمن ، أي منذ حملة عقبة بن نافع الثانية سنة 62 هـ / 681 م حتى عهد أبي العباس عبد الله ، ثاني أمراءبني الأغلب في إفريقية ، أي إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، وتميزت هذه القطعة ، بما تحتويه من أخبار كثيرة وتفصيات مهمة ، اختصرها ابن عذاري في كتابه « البيان » ، فقد أعنى الرقيق بتحديد الأماكن ، وبلغ به التحرير إلى ذكر أسمائها باللهجة المحلية المغربية (البربرية ) ، والدقة في تاريخ الواقع والأحداث ، ولهذا فربما تحل هذه القطعة بعض المشاكل ، التي اعترضت محقق كتاب « البيان » وتلقي الضوء على ما تعذر عليهم فهمه .

ويعتبر الرقيق القررواني عمدة المؤرخين المغاربة ، ويعد عالماً حجة في تاريخ إفريقية والمغرب ، حيث كان المصدر الرئيسي لابن عذاري ( كان حياً سنة 712 هـ / 1312 م ) ، والمصدر المفضل لدى التويري ( ت 733 هـ / 1332 م ) وابن خلدون ( ت 808 / 1405 م ) ، والراحلة التيجاني ( ت 718 هـ / 1318 م ) ،

والحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي ، المعروف بليون الافريقي (ت 939 هـ 1532 ) (1) .

صنف الرقيق كتابه هذا في منتصف القرن الخامس الهجري / 11 م ، واستبقى معلوماته من بعض الاخباريين المشارقة والمغاربة كالزبير بن بكار (259 هـ / 872 م ) ، والملائني (225 هـ / 839 ) ، والواقدي (207 هـ / 822 م ) ، وعبد الله بن أبي حسان البصري القيرواني (ت 227 هـ / 841 م ) ، وغيرهم ، وأحياناً يغفل ذكر المصادر التي اعتمد عليها ، ومؤلفاته كثيرة منها : كتاب « النساء » وكتاب « الراح والارياح » وكتاب « قطب السرور في الأنذنة والخمور (2) » وكتاب « نظم السلوك في مسامرة الملوك » ، ويقع هذا الأخير في أربعة مجلدات .

وقد استفدت من هذه القطعة ، في دراستي لعصر الولاية في بلاد المغرب والأندلس حتى نهاية القرن الثاني الهجري / 8 م ، ومؤرخنا لهذا رغم كونه سنينا ، لكن لا نلمح على كتابته ، أي تعصب في معالجته للأحداث ، بل اتسم أسلوبه بالصدق والدقة وال موضوعية ، والظاهر أنه استفاد من عمله كرئيس لدبیوان الاشلاء ، فترة طويلة من الزمن ، وأناحت له وظيفته أن يقف على كثير من الوثائق والمحبس والمراسلات والتوصيات ، سواء منها المعاصرة له أو المتقدمة ، والتي قلما توافرت لغيره ، هذا وقام الأستاذ المنجي الكببي ، بتحقيق هذه القطعة وقدم لها ونشرها بتونس سنة 1968 م.

3 - ابن حيان القرطبي (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين حيان ، المتوفي سنة 469 هـ / 1076 م .

أجمع الباحثون على أن ابن حيان أعظم مؤرخي الإسلام ، ويعتبر بدون شك حجة مؤرخي إسبانيا الإسلامية والمسيحية في العصور الوسطى ، وعميدهم على الأطلاق ، تلمس ودرس على شيخوخة كبار ، من محدثين ولغوين ونحويين وشعراء ومن أنجبتهم الأندلس في عصره ، فضلاً عن أبيه ، فتفقه ابن حيان واتقن الآداب على هؤلاء العلماء ، ثم انتظم في سلك وظائف الدولة ، حيث عمل صاحب الشرطة أو صاحب المدينة في قرطبة .

(1) الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ، المقدمة ص 8

(2) توجد نسخة فريدة من هذا الكتاب ، بالمكتبة الوطنية بباريس ، وله مختصر يقال ، أنه بين يدي أحد الناشرين في تونس .

ولابن حيان مؤلفات كثيرة تصل الى خمسين مؤلفا ضاع معظمها ، والذي يوجد بين ايدينا حتى الان هو كتاب :

أ - المقتبس في أخبار بلد الأندلس : وهو كتاب يتناول تاريخ العدوة الأندلسية ، من لدن افتتاحها على يد طارق بن زياد المغربي ، الى اواخر القرن الرابع الهجري أي حتى قبيل عصر المؤلف .

اقتبس ابن حيان مادته من مؤلفات المؤرخين الذين سبقوه ، ولاسيما أحمد ابن محمد الرازي (ت 344 هـ / 955 م) وابنه عيسى الرازي (ت 379 هـ / 989 م) ويبدو أن ماجاء في كتابه هذا عن تاريخ المغرب ، قد اقتبسه من كتاب محمود بن يوسف الوراق القير沃اني (ت 363 هـ / 973 م) ، وابن الجزار .

ومعظم مصادر ابن حيان مفقودة ، لهذا فان كتابه ذو أهمية بالغة ، ويعود من المصادر الأصلية لموضوع البحث ، لأنه حفظ لنا مادة تاريخية لمؤلفين معاصرین ل بتاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، ولعله أيضا اجتهد في الاطلاع على الوثائق الرسمية ، المحفوظة في أرشيف الدولة ، بواسطة والده الذي كان من كتاب المنصور ابن أبي عامر ، ومما يدل على ذلك الرسائل الكثيرة ، التي أورد نصوصها في مصنفاته .

ويمتاز أسلوب ابن حيان بالدقة والضبط ، والتحري في الخبر اذ كان يخضع ما يبلغه الى منظار النقد العلمي ، والنظرية التحليلية الصائبة ، وانه لم يكن مجرد ناقل فقط بل كانت له ملامة نقدية بارعة ، يبني رأيه فيما يعرض من أحداث ، وقضايا ويبحث عن أسبابها وعواملها ويقوم بمناقشتها عن علم ودرایة وفهم وذكاء (1) حريصا على التزام التزاهة والموضوعية في كتاباته ، وكأنه سبق نظرية ابن خلدون في التاريخ بثلاثة قرون ، الا أنها نجده في بعض الأحيان لا يخفى نزعته الأموية وكراهيته للعنصر المغربي في الأندلس ، واتهامهم بالهمجية في الحروب والتطاول على أولى الأمر ، كما كان يقترح في نسب الفواطم ، ويوجد من هذا المنصف حتى الوقت الحاضر أربع قطع ، ثلاثة منها محققة والرابعة لا زالت مخطوطة تتطلب التحقيق .

1 - القطعة الأولى : وتناول الفترة الأخيرة من عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ومعظم امارة ابنه محمد ، تبدأ من حيث انتهت القطعة ، التي اختفت أو فقدت

(1) آتى جنالث بالثبا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 211 ترجمة حسين مؤنس .

من مكتبة المستشرق ليفي بروفنسال ، أي من سنة 232 هـ / 846 م إلى سنة 267 هـ / 880 م ، قام بنشرها وتحقيقها الدكتور محمود علي مكي ، في القاهرة سنة 1971 م ، وطبعت مرة أخرى في بيروت سنة 1973 م .

2 - القطعة الثانية : وتناول عصر الأمير عبد الله الأموي ، قام بنشرها الراهب الإسباني الأب ملشور أنطونيا Melchour Antuna بباريس سنة 1937 م .

3 - القطعة الثالثة : وتناول الجزء الأكبر من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ، اكتشفت حديثاً بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 78 ، وتوجد نسخة منها مصورة « ميكروfilm » بمعهد المخطوطات بجامعة الدولة العربية في القاهرة ، تحت رقم 208 ، أولها مبتور تبديء بحوادث سنة 300 هـ / 912 م ، وتنتهي بآخر حوادث سنة 330 هـ / 941 م ، مكتوبة بخط أندلسي واضح ، يرجع تاريخه إلى القرن السادس الهجري : الثاني عشر الميلادي ، وتألف من 186 لوحة بكل واحدة 23 سطراً وبمقاييس 20 × 29 سم .

4 - القطعة الرابعة : وتعالج أحداث خمس سنوات فقط ( 360 - 364 هـ / 970 - 974 م ) ، من خلافة الحكم المستنصر بالله ، قام بتحقيقها ونشرها الدكتور عبد الرحمن حجي ، ببيروت سنة 1965 ، ولابن حيان كتب أخرى مفقودة مثل « المثنين » ، الذي يتناول فيه المؤلف أخبار عصره ، ويكون الكتاب المذكور من ستين مجلداً ضاعت جميعها ، ولم يبق منها إلا شذرات وتناثر في ثنايا مصنفات وتأليف المؤرخين الذين أتوا بعده أمثال : ابن سام ، وأبن بشكوال وأبن الأبار وأبن سعيد ، وأبن عذاري وأبن الخطيب والمقربي وغيرهم (1) ، وله كتاب آخر سماه « أخبار الدولة العامرة » ، وكما هو واضح من العنوان ، فإنه يختص بتاريخ العامريين ، وقد ذكره عبد الواحد المراكشي تحت عنوان « المآثر العامرة » ، وألف كتاباً آخر ذكرته المصادر بعنوان « البطشة الكبرى » ، خصصه ابن حيان للنكبة الجهورية في قرطبة ، وهي الفترة التي استولى فيها المعتمد بن عياد على مدينة قرطبة ، وطرد منها آل جهور ، وهذا الكتاب آخر ما ألفه ابن حيان ، وهو ينتمي إلى 85 سنة من عمره . هذا وقد استفادت كثيراً من هذه القطع الأربع وكان اعتمادى عليها كثيراً في جمع

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 116 تحقيق محمود علي مكي

مادة البحث وبخاصة القطعة المخطوطة التي تضمنت مراسلات رسمية بعث بها زعماء المغرب الى الخليفة عبد الرحمن الناصر تشرح سياستهم وأعمالهم أزاء جيرانهم الفاطميين .

4 - ابن الأثير ( علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ) المتوفي سنة 630 هـ 1232 م .

يعتبر مصنف ابن الأثير المسماً : الكامل في التاريخ « من أهم المصنفات الشرقية ، التي تناولت تاريخ العالم الإسلامي بشقيه المشرقي والمغربي ، منذ الخليقة ، حتى سنة 628 هـ / 1230 م ، أي قبل وفات صاحبه بستين فقط ، وقد جاء كتاب ابن الأثير مستفيضاً ، بأخبار المغرب والأندلس ومرتبًا حسب السنين ، كما يعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر العربية المشرقة ، وأكثراها دقة في تاريخ المغرب الإسلامي ؛ إذ أنه اعتمد في جمع مادته على مصادر مغربية وأندلسية ، التي كانت متوفرة في زمانه ، ووجد نفسه أنه ينبغي عليه أن يتبع منها ، ويفاضل بين روایاتها ، ويرجع إلى أوثقها كلما أمكنه ذلك ، ويمتاز أسلوب ابن الأثير بالبساطة والدقة والوضوح ، لا يجاري أحد من كتبوا قبله وبعده (1) ، هذا وقد قام المستشرق Fagnan بجمع كل ما يتعلّق بتاريخ المغرب والأندلس من كتاب ابن الأثير ونشره بعنوان : Annales du Maghreb et de l'Espagne du Tarikh d'Ibn Al Alhir, Alger, 1901 ونشر الكتاب كله أخيراً عبد الوهاب النجاشي ، في تسعه أجزاء بالقاهرة سنة 1353 هـ 1934 م .

5 - عبد الواحد المراكشي ( محي الدين عبد الواحد المراكشي ) المتوفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، القرن الثاني عشر الميلادي .

ولد بمراكش سنة 581 هـ / 1185 م ، وتلقى العلوم الدينية بمسقط رأسه ، ثم بمدينة فاس على شيوخ عصره ، ثم انتقل إلى الأندلس حيث درس على كبار علمائها ، وعندما حل باشبيلية صار من جلاس الأمير الموحدي ، والى أشبيلية إبراهيم بن أبي يعقوب ، ومنذ ذلك الوقت ، أصبح عبد الواحد على صلات برجال الدولة ، سواء في بلاد المغرب أو في الأندلس ، وفي سنة 613 هـ / 1216 م ، توجه مؤرخنا هذا إلى المشرق ، وتجول في أقطاره ، فزار مصر والحبش والشام والعراق ، وأثناء

(1) د. السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمورخون العرب ، ص 79 دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1967 م .

اقامته في كنف بنى العباس صنف كتابه المشهور ، وهو « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » يعالج تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، ويعود مصدرا أساسيا لتاريخهم ، إذ أنه عاصر أحدهما ونشأ في كنفهم ، ولكنه ضمن كتابه تاريخا عاما للغرب الإسلامي ، منذ الفتح العربي حتى عصره ، فصار الكتاب تاريخا عاما لهذه المنطقة ، لا يخلو من فائدة ، لأنه اعتمد في الفترة الأولى من تاريخه على مؤلفات الحميري ( ت 488 / 1095 ) ، المفقودة (1) . وقد رجعت إليه كثيرة في جميع مراحل البحث ، ولاسيما في مرحلة انحطاط الدولة الأموية .

قام بنشر هذا المؤلف المستشرق الهلندي دوزي سنة 1847 م ، وأعاد طبعه سنة 1881 م ، وترجمه المستشرق الفرنسي فانيان Fagnan إلى اللغة الفرنسية ، ونشرت الترجمة بالجزائر سنة 1893 م ، ونشر هذا الكتاب أيضا « في مصر موتين تحت عنوان » « تاريخ الأندلس » ثم أعاد الأستاذ محمد الفاسي طبعه بمدينة فاس سنة 1938 م ونشرة أخيرا الأستاذان محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي بالقاهرة سنة 1950 ، وطبع مرة أخرى بالقاهرة سنة 1963 م ، بتحقيق محمد سعيد العريان .

6 - ابن عذاري المراكشي ( أبو العباس أحمد بن عذاري ) كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م .

وهو مؤرخ مغربي عاش في عصر الدولة الموحدية . وكتابه « البيان المغرب في أخبار المغرب » ، ذو أهمية خاصة ، لأنه يشتمل على روایات مستقاة من مصادر معاصرة لأحداث زمن البحث ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ الغرب الإسلامي على الاطلاق ، لما يتضمنه من معلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة ، وما يحتويه من فقرات هامة من مصنفات عبشت بها يد الدهر ، ولم تصل إلينا ، مثل كتاب الرقيق القيرواني والوراق ، كما كان اعتماده على البكري ، الذي نقل من كتاب الوراق المفقود ، وكتاب « العبر » لأبي الفياض ، وكتاب صلة الطبرى لعريب ابن سعيد . ولهذا جاء كتابه حافلا بمعلومات تاريخية وجغرافية قيمة ينفرد بها دون

(1) بال شيئا : المرجع السابق ص 249 ، وللمحيري مؤلفات كثيرة ضاعت تتضمن الأمور الدينية والأخلاقية والتاريخ والتراجم والسير وفنون الأدب أنظر : الحميري : جدة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، المقدمة ص ( ح ) الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 م .

غيره من المؤرخين ، والكتاب يتناول تاريخ المغرب والأندلس ، منذ الفتح حتى بداية عصربني مرين . وقد استفادت منه كثيرا في جميع مراحل البحث ، واعتمدت عليه اعتمادا يكاد يكون كاملا ، ويقع المصنف في عدة أجزاء :

**الجزء الأول** : وهو خاص بتاريخ المغرب ، منذ الفتح إلى ظهور المغاربة .

**أما الجزء الثاني** : فيشتمل على تاريخ الأندلس ، منذ الفتح إلى سقوط الدولة الأموية في الأندلس ، وقد قام بنشرهما المستشرق دوزي سنة 1850 م ، ثم أعاد نشرهما ، ليفي بروفسال ، مع اضافة . سنة 1930 م .

ويتضمن **الجزء الثالث** : عصر الطوائف في الأندلس . وقد قام المستشرق الإسباني أوثي ميراندا ، بالاشتراك مع الأستاذين إبراهيم الكhani ومحمد بن تاویت بنشر الجزء الخاص بتاريخ الموحدين ، وببداية عصربني مرين . ونشر أخيرا نفس المستشرق الإسباني **الجزء الخاص بتاريخ المغاربة** Hesperis ، في مجلة هسپيريس سنة 1961 م .

7 - **ابن الخطيب** ( لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب السلماني المتوفي سنة 776 هـ / 1374 م .

ولد ابن الخطيب في لوحة Loja وتعلم في غرناطة العلوم الطبية والفلسفية وقد أكملت مواهبه في الأدب العربي ، منذ نعومه اظفاره ، وأظهر براعة فائقة في قرض الشعر وهو حديث السن ، ولم يلبث أن تقلب في شتى وظائف دولة غرناطة ، حتى وصل الوزارة وملك زمام الادارة بها ، نال حظوة خاصة عند ملوك بنى الأحمر ، وأصبح وزيرهم الأول ، فنبغ في هذا الميدان سياسيا بارعا ودبلوماسيا محنكا ، وإلى جانب نشاطه السياسي والدبلوماسي ، فقد كان دؤوبا على القراءة والمطالعة في مختلف كتب العلوم والفنون والآداب ، حتى صارت له عقلية موسوعية أحاطت بعلوم ذلك العصر ومعارفه (1) .

وهكذا اختلطت حياته العلمية ، بحياته السياسية ، وافتادت كل واحدة منها الأخرى ، فركزه كوزير اتاح له الفرصة للاطلاع على الوثائق والدراسات الرسمية المحفوظة بقصر الحمراء ، واستخدامها في مصنفاته التاريخية ، والاتصال بسفراء الدول

(1) د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 362

المختلفة ومعرفة اخبار اقطارهم وملوکهم ، (1) وكذلك اتاح له وجوده في بلاد المغرب الاطلاع على مؤلفات المغاربة ، والوقوف على معالم بلادهم التاريخية والحضارية ، والاتصال بعلمائه وأدبائه ومؤرخيه ، وقد استفاد من ذلك فائدة كبيرة ، في توايليفه الكثيرة عن بلاد المغرب (2) .

أما فيما يتعلق بمعلومات ابن الخطيب التاريخية التي أوردها فتتميز بالصحة وبالدقة وتحسني أهمية قصبوى لعمقها فقد اعتمد على مصادر مفقودة مثل كتب ابن حيان ، وأما معلوماته عن بنى الأحمر في غرناطة فتعتبر مصادر أصلية لأنه عاصر أحدهما وعاش في كنفهم .

ولابن الخطيب مؤلفات عديدة أخص بالذكر منها ذلك المؤلف الذي يهم بحثي وهو كتاب :

« أعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام »

وكما يبدو من عنوانه أنه كتاب خاص بتاريخ الملوك ، الذين تولوا العرش وهم صغار السن ، الا أن ابن الخطيب لم يتلزم بذلك ، وجعله تاريخا عاما للإسلام ، ويتضمن ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : خاص بتاريخ المشرق الاسلامي من السيرة النبوية ، حتى عصر العمالك ولا يزال مخطوطا يتنتظر النشر والتحقيق .

الجزء الثاني : يتناول تاريخ الأندلس ، من الفتح العربي حتى عصر المؤلف أي القرن الثامن الهجري / 14 م ، ويتضمن أيضا تاريخا مختصرا للممالك المسيحية الإسبانية الشمالية ، مثل : قشتالة ، وأراجون ، والبرتغال ، فهو تاريخ شامل لاسبانيا الاسلامية والمسيحية . قام بنشره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ، بالرباط سنة 1934 م وطبع مرة أخرى بيروت سنة 1956 م :

(1) د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 362 ، راجع نفس المؤلف : مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب ، مجلة هسپيريس Hesperis 3e, 4e trimestres, année 1959

(2) فيما يتعلق بإقامته في المغرب راجع مقال د. أحمد مختار العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، ص 54 ، 65 مجلة البيئة العدد (1) ماي 1962 م .

**الجزء الثالث :** خاص بتاريخ المغرب ، من برقة شرقا الى المحيط الأطلسي غربا ، حتى بداية عصر الموحدين ، ويرى الدكتور أحمد مختار العبادي أنها نهاية غير طبيعية ، بالنسبة لأحداث القسم الأول والثاني ، التي وصلت الى عصر المؤلف ، ويعتقد بأن السبب في ذلك يرجع الى مقتل ابن الخطيب قبل أن يتنهي من هذا الجزء الثالث والأخير من كتابه (1) . وقد قام بتحقيقه ونشره الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، بالدارالبيضاء سنة 1964 م.

وقد استعنت بما كتبه ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث كما أفادتني تعليقات وتحقيقات هذا الجزء الأخير التي أوردها محققاه .

8 - ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ) المتوفى سنة 808 هـ / 1405 م . ولد ابن خلدون بتونس ، وتعلم فيها على أيدي أساتذة أندلسين ، هاجروا اليها أما آجداده فأندلسيون من أشبيلية ، وأصلهم من عرب اليمن ، وحياة ابن خلدون السياسية والدبلوماسية ، مشابهة الى حد كبير بحياة ابن الخطيب السالف الذكر ، فقد تقلب في مناصب كبيرة وخطيرة في دولة الحفصيين بتونس ، حتى عرف بالسياسي العاقل (2) ، وتولى منصب قاضي القضاة في القاهرة ست مرات ، تنقل في بلاد المغرب والأندلس ، وكذلك في الأقطار المشرقية ، وكتابه الذي أشتهر به هو « العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر » ، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألفت في تاريخ العرب والعجم والبربر منذ الخلقة حتى عصره ، والكتاب موسوعة عظيمة يشتمل على سبعة أجزاء ، الجزء الأول منه هو المقدمة المشهورة ، التي عالج فيها موضوعات شتى ونظريات مختلفة في التاريخ ، على أنه فرع من الحكم ، ومن ثم لابد من دراسة طبائع البشر والعمران حتى يستطيع الإنسان فهم الحوادث ونقضها واستقصاء عللها وأسبابها (3) .

(1) ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، القسم الثالث المقدمة ، ص (ب) راجع كتاب د. أحمد مختار العبادي : المراجع السابق ، ص 368 .

(2) انظر ، جثالث بالثيا : المراجع السابق ، ص 260 .

(3) راجع مقال د. أحمد مختار العبادي : من التراث العربي الإسباني ، في مجلة عالم الفكر ، ص 72 . المجلد الثامن - العدد الأول أبريل مايو ويونية 1977 م .

أما الأجزاء الستة الباقية فهي عبارة عن تاريخ عام ، يتناول أخبار العرب وأجيالهم ، وأخبار البربر وأجيالهم ودولهم ، وأهم هذه الأجزاء التي تهم موضوع البحث هما الجزءان السادس والسابع ، حيث يتناول ابن خلدون فيما تارikh الغرب الإسلامي ، ويمتاز بالدقة والعمق في أخباره عن البربر وقبائلهم وهجراتهم ودولهم<sup>(1)</sup> ، وتعد ملاحظاته وآشاراته في هذا الصدد مفيدة جداً . وبالغة الأهمية ، نتيجة للصلة الوثيقة التي كانت تربطه بالعديد من القبائل المغربية ، وانتقامه المباشر من المصادر التاريخية الأصلية المحلية .

وقد ساعده على تأليف هذه الموسوعة التاريخية ، كفاءته العلمية وتجربته السياسية ، فضلاً عن صلاته الوطيدة بعلماء المغرب المعاصرين له ، واتصالاته المباشرة بالقبائل المغربية المختلفة ، واقامته الطويلة بينهم ، وانتقاله بين العدوانين مكتته من أن يصدر حكماً صادقاً على حوادث ذلك العصر .

وكتابه هذا يعد مصدراً رئيسيّاً وهاماً ، لدارس تاريخ الغرب الإسلامي هذا ، وقام البارون دي سلان بنشر الجزأين الخاصين بتاريخ المغرب والأندلس ، في مجلدين فيما بين سنتي 1848 م ، 1851 م في الجزائر تحت عنوان : *Histoire des Berbères, extrait du Kitab Al Ibar Histoire des Berbères* . ثم ترجمه إلى اللغة الفرنسية في ثلاثة أجزاء باسم : ما بين سنتي 1852 ، 1856 م ، وقام دي فرجير بنشر القسم الخاص بتاريخ Africaine والمغرب ، منذ الفتح حتى قيام دولة بني الأغلب في سنة 1841 م ، وطبع الكتاب كاملاً في سبعة أجزاء طبعة بولاق سنة 1867 م . وطبع طبعة تجارية في بيروت سنة 1968 م .

**9 - الأنبياء المطروب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس :**  
اختلف المؤرخون حول صاحب هذا الكتاب ، فالبعض ينسبه إلى أبي العباس أحمد ابن أبي زرع ، والبعض الآخر ينسبه إلى « صالح بن عبد الحليم الغرناطي » ، وكل المؤرخين عاشاً وما تما بال المغرب ، في النصف الأول من القرن الثامن الهجري / 14 م ويزعم الباحث رينيه باسيه أن الأسمين مؤرخ واحد .

(1) راجع مقال : إبراهيم فرات : مصادر تاريخ المغرب القديم ، ص 91 مجلة البيئة العدد ( 5 ) الرباط سبتمبر 1962 م .

والكتاب يتضمن تاريخ المغرب الأقصى ، منذ سنة 145 هـ / 762 م إلى سنة 726 هـ / 1325 م ، أي أنه يتناول تاريخ الأدارسة ودولة زناتة ( مغراوة ،بني يفرن ) والمرابطين والموحدين وبني مرین ، اعتمد صاحب هذا المؤلف فيما كتب على مصادر أغلل ذكر معظمها ، ولعله اعتمد أيضاً على وثائق رسمية خاصة ، وقد أفادني بما كتبه عن الأدارسة والزناتيين والمكناسيين ، وعلى الرغم من اختفاء هذا الكتاب الكثيرة ، فقد اهتم به المستشرقون وترجموه إلى لغات أجنبية مختلفة ، إذ قام العالم السويدي تورنبرغ Tornberg بطبعه مع ترجمة لاتينية في أبسالا ما بين سنتي 1842 – 1846 م . وترجمه الألماني دومباي Dombay إلى اللغة الألمانية سنة 1794 م ، وترجمه إلى البرتغالية الأب مورا Moura بلشبونة سنة 1828 م ، وترجمه إلى الإسبانية المستشرق الإسباني ميراندا سنة 1918 م ، وترجمه المستشرق Beaumier إلى اللغة الفرنسية ونشره بباريس سنة 1860 م ، وطبع الكتاب عدة مرات طبعات حجرية في فاس سنة 1885 م ، وقام أخيراً بنشره الأستاذ محمد الهاشمي الفيلالي ، بالرباط سنة 1936 م .

### كتب الترجم والطبقات

اعتمدت إلى جانب المصادر التاريخية - السالفة الذكر - على كتب الترجم والطبقات ، وهي مصنفات تقدم لنا صورة واضحة وصادقة ، عن حياة الشعوب والمجتمعات بمختلف طبقاتهم وعناصرهم من حكام وقضاة ، وفقهاء وأدباء ، وأطباء وغيرهم من طبقات المجتمع ، لذلك فإن مادة هذه المؤلفات لهافائدة عظيمة في تصوير حياة المجتمع الحقيقة ، وكشف ما قد تزييه الكتب التاريخية الرسمية الخاصة بتاريخ الأمراء والملوك .

1 - ابن الفرضي ( أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي ) المتوفى سنة 403 هـ / 1062 م .

يعتبر ابن الفرضي شيخ أصحاب الترجم الأندلسية ، ومقرر هنا الفن دونما منازع ، له مؤلفات كثيرة صاعت ، ولم يبق منها إلا ذلك المعجم الذي اشتهر به . وهو الموسوم « بتاريخ علماء الأندلس » أقدم معجم للإعلام بين إبدينا حتى الآن .

يتضمن في طياته ترجم لعلماء الأندلس وفقهائهم ورواته (1) ، إلى عصره بلغ فيه ابن الفرضي درجة كبيرة من الاتقان ، فقد كان يتحرى الدقة في الأخبار والتاريخ لدرجة أنه كان يقوم بزيارة المقابر لقراءة شواهد القبور للتأكد بنفسه (2) ، أي أنه كان يعتمد على المقارنة والمشاهدة واللحظة الشخصية ، فضلاً عما اطلع عليه من كتب سابقيه . ويعد كتابه هذا من أوثق ما كتب في الترجم في عهده ، وقد رجعت إليه فيما يتعلق بالترجم الخاصة ، بعض العلماء الذين كانوا يخدمون الدعوة الأموية في بلاد المغرب ، ومقاومة التيار الشيعي . نشره المستشرق الإسباني كوديرا ما بين عامي 1891 م و 1892 م . ونشره السيد عزت العطار بالقاهرة سنة 1954 م .

2 - ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاوي) المتوفي سنة 658 هـ / 1260 م .

بعد ابن الأبار من أكبر مصنفي المعاجم والترجم لرجال الأندلس والمغرب ، كان كتاباً لأمراء الموحدين بالأندلس ، وقد ساعدته هذه الوظيفة على الاطلاع والوقوف على الوثائق الرسمية ، كما ساعدته أيضاً كتابته لأبي زكريا الحفصي في تونس وهيأت له أن ينهل من الرسائل والراسلات الرسمية وأن يجمع منها ما يمكن جمعه من المعلومات التي أعادته في كتابة تواليفه المختلفة ، وهي كثيرة منها : كتاب « اعتاب الكتاب » ، تضمن من شملهم عفو أمرائهم ، بعد الغضب عليهم ، وكانقصد من تأليفه ، هو طلب العفوه من أبي زكريا ، الذي حنق عليه ، وله أيضاً كتاب اسمه « تكميلة الصلة » ، وهو تكميلة لترجم ابن بشكوال ، الخاصة بأسماء الملوك والعلماء الأندلسيين ، مرتبة حسب حروف الهجاء ، نشره المستشرق الإسباني كوديرا بين عامي 1888 م و 1889 م ، وقام الإسبانيان : بالثيا والاركون بنشر ملحق له سنة 1915 م ، ثم نشر الباحث الجزائري محمد بن شنب بالاشتراك مع الفريد بل القسم الناقص من هذا الكتاب ، في المجلة الأفريقية *Revue africaine* سنة 1920 م . وله كتب أخرى مثل : المعجم لأصحاب الصفدي « نشره كوديرا سنة 1884 م .

أما الكتاب الثالث وهو الذي يهمني والذي رجعت إليه فعنوانه « الحلة السيراء » ، ومعناه الثوب المخطط للدلالة على ما يحتويه من تاريخ وأدب وشعر والكتاب عبارة

(1) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، المقدمة ، ص 1 الدار المصرية للتأليف والنشر سنة 1966 م .

(2) انظر جتنا الثالث بالثيا : المرجع السابق ، ص 271 .

عن مجموعة من الترافق ، للأمراء وكبار رجال الدولة في الأندلس والمغرب ، منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري / 13 م .

وكتاب الحلة السيراء ، مقسم إلى قرون مستقلة تبدأ بالقرن الأول الهجري ، الذي تحدث فيه عن ولاة المغرب والأندلس في هذه الفترة ، ثم انتقل إلى القرن الثاني الذي تكلم فيه عن عبد الرحمن الداخل ، وغيره من أمراء العدويين ، واستمر على هذا المنوال ، إلى القرن السابع الهجري أي إلى عصره .

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه كانت تحت يده وثائق ومصادر ، على درجة كبيرة من الأهمية ، فضلاً عما امتاز به ابن الأبار ، من ملامة نقدية ثاقبة وعاطفة جياشة . ولقد استفادت من هذا الكتاب كثيراً ، لأنها ينفرد أحياناً ببعض الأخبار دون غيره ، كما استعنت بحواشيه وتحقيقاته ، التي أوردها ناشره ومحققه الدكتور حسين مؤنس (طبع في جزأين بالقاهرة سنة 1963) .

#### الموسوعات العامة

يتناول هذا النوع من الكتب دراسات مستفيضة ، حول الأدب والتاريخ والجغرافية وقد استفادت من الأجزاء التاريخية التي تضمنتها هذه الموسوعات :

1 - النويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم المعروف بالتنييري) المتوفي سنة 733 هـ / 1333 م .

وموسوعته الكبيرة « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، تتألف من أحدي وثلاثين مجلداً ، طبع منها حتى الآن أحدي وعشرين مجلداً ، ولازال الأجزاء الباقية من الموسوعة مخطوطة ، وبصورة ، تنتظر النور ، حبيسة خزانات دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 539 .

وهذه الأجزاء الباقية للأسف خاصة بالدراسات التاريخية ، والتي يهم بحثي منها الجزأين الثاني والعشرين والثالث والعشرين (1) ، والجزءان يتناولان تاريخ الغرب الإسلامي بأسهاب ، وقد أعتمد النويري على وثائق رسمية في تاريخ أحداث عصره ، تحصل عليها بحكم المنصب الذي كان يشغله ككاتب للإنشاء ، هذا إلى

(1) هذان الجزءان ( 22 ، 23 ) نشرهما المستشرق الإسباني جاسبار ريميرو Gaspar Remiro بمدريد سنة 1917 وما خاصان بالغرب والأندلس .

جانب اعتماده على المصادر المغربية والأندلسية الهامة ، التي كانت متوفرة في زمانه ،  
ولم تصل إلينا مثل كتاب ، الرقيق القبر واني .

وكذلك اعتمد على يوسف الوراق ، ومن هنا تأتي أهميته كمصدر أساسى للباحث  
في تاريخ الجناح الأيسر للعالم الإسلامي ، هذا ورجعت إليه في جمع مادة الفترة  
المتعلقة ، بعصر الولاة وعصر الامارة الأموية في الأندلس ، واستفدت منه كثيراً في  
تأكيد بعض المعلومات في مراحل أخرى من مراحل البحث .

2 - المقرى ( شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى ) المتوفى سنة 1041 هـ / 1632 م .

مؤرخ جزائري من بلدة مقرة بشرق الجزائر ، تنقل في بلاد المغرب ، وزار  
بلاد الشرق ، والقى دروساً في كل من الجامع الأزهر بالقاهرة ، والجامع الأموي  
بدمشق ، والمسجد الأقصى بالقدس ، وكان المقرى معجباً إلى حد كبير بشخصية  
الوزير العالم الغرناطي ، لسان الدين ابن الخطيب ، ولعل اعجابه هذا هو الذي دفع به  
إلى تأليف موسوعة خاصة بحياة هذا الوزير الغرناطي ، عنوانها « نفع الطيب من  
غضن الأندلس الوطيب وذكر روزيرها لسان الدين بن الخطيب » .

وتتضمن هذه الموسوعة تاريخاً لحياة ابن الخطيب ، وأثاره العلمية والأدبية  
الشعرية منها والتاريخية والتاريخية ، لكن المقرى لم يقف عند حد ابن الخطيب فحسب ،  
بل فضل أن يمهد لهذه الموسوعة ، بمقدمة تاريخية شاملة للأندلس ، فصار كتابه  
الضخم هذا موسوعة عظيمة ، تشمل على تاريخ الأندلس ، وعلى تاريخ حياة ابن  
الخطيب ونتاجه الفكري .

غير أن الباحثين يعيرون على المقرى عدم التنظيم ، في سرد معلوماته ، ويبدو أنه  
معدور في ذلك ، لأنه كان في مصر وقت تصنيف كتابه ، بعيداً عن وطنه ومكتبه في  
بلاد المغرب . كما نص على ذلك هو نفسه في مقدمة كتابه .

وتعتبر هذه الموسوعة مصدراً هاماً ، وأساسياً للمشتغلين بتاريخ المغرب والأندلس ،  
وعلى الرغم من كونه مصدراً متأخراً ، إلا أنني استفدت منه كثيراً ورجعت إليه في  
استقاء مادة غزيرة أعاشرني في تأكيد المعلومات في معظم مراحل البحث فضلاً عن  
بعض المعلومات التي انفرد بها عن غيره .

وقد اهتم الباحثون بهذا الكتاب ، فنشر دوزي القسم الخاص بتاريخ الأندلس وألحق به فهارس دقيقة ، كما قام الدبلوماسي المستشرق الإسباني باسكوال دي جاينجوس بترجمة ما يتعلق بتاريخ الأندلس من هذا الكتاب ، إلى اللغة الإنجليزية ، بعد أن رتبها ترتيباً زمنياً ، وعلق عليها تحت عنوان: History of the Mohammadan Dynasties in Spain, 2 vls

ومعناها « تاريخ الدول الإسلامية في إسبانيا » وكذلك نشر الكتاب كله ، في مطبعة بولاق في أربعة أجزاء سنة 1862 م ، وقام الشيخ محى الدين عبد الحميد بن شرطه حديثاً ، في عشر مجلدات سنة 1949 م ، وللمقربي كتاب آخر استعنت به أيضاً عنوانه « أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض » وكعادة المقربي لم يلتزم بتاريخ حياة هذا القاضي (ت 544 هـ / 1149 م) – بل تطرق إلى مواضيع وأحداث هامة في الأندلس ، أغفلها في كتابه الأول ، وقد قام بنشر معظم هذا الكتاب مجموعة من الأساتذة في ثلاثة أجزاء بالقاهرة سنة 1939 م.

### المصادر الجغرافية

وكذلك اعتمدت في بحثي ، على بعض الكتب الجغرافية التي تتضمن أخبار تاريخية لها صلة بالأندلس والمغرب والجغرافيون القدامى ، لا يفصلون بين التاريخ والجغرافية ، بل يعتبرونهما علمين متلازمين يتم كل منهما الآخر ، ولهذا فقد جاءت كتبهم مستفيضة بالأحداث التاريخية ، التي لها فائدة عظيمة ، وفي مقدمة هؤلاء الجغرافيين الذين استعنت بمؤلفاتهم :

1 - العذری : (أحمد بن عمر بن أنس العذری المعروف بابن الدلائی ) المتوفی سنة 476 هـ / 1083 م .

الْفَ العذری كتاباً في الجغرافية عنوانه ، « تصريح الأخبار وتتویع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك في جميع المالک » ويشتمل الكتاب على كور عديدة من بلاد الأندلس ، وبالإضافة إلى المعلومات الجغرافية التي يتضمنها ، فإنه يحتوي على تفاصيل تاريخية خاصة بالكور والمواضيع التي يصفها ، فهو يقف عند كل مكان هام ، ويدرك ويسرد ما يتصل به من معلومات وأحداث تاريخية ، وعلى الرغم من اختصارها في بعض الأحيان ، غير أنها ذات أهمية تاريخية ، ولا سيما إذا ما علمنا بأن العذری كان يستقي مادته من الساقدين ، وبخاصة من أحمد بن

محمد بن موسى الرازى (ت 344 هـ / 955 م) ، وابنه عيسى (ت 371 هـ / 989 م) (1) ، والمعاصرين للدولة الأموية في الأندلس ، وهلذا فإن كتابه يتسم بالأصالة والجدة ، وقد استعنت به في الحديث عن العلاقة التجارية بين المغرب والأندلس وتحقيق بعض الأماكن ، ورجعت إليه لتأكيد بعض المعلومات التي تتعلق ببعض الحملات البحرية ، التي قام بها الأسطول الأندلسي في عهد الناصر لدين الله على الشواطئ المغربية ، والكتاب قام بتحقيقه ونشره الدكتور عبد العزيز الأهوانى بمدريذ سنة 1965 م.

2 - البكري (أبو عبيدة الله بن عبد العزيز القرطبي) المتوفى سنة 487 هـ / 1094 م.

بعد البكري من علماء الأندلس ، ويتميز بثقافته الواسعة ، فهو لغو ومؤرخ وجغرافي وشاعر ، ويعتبر كتابه « المسالك والممالك » من أعظم ما صنفه ، ولكن لم يصل إلينا منه سوى الجزء الخاص بوصف بلاد افريقية والمغرب ، والمعروف بعنوان « المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ». ويتضمن إلى جانب المسالك المؤدية إلى المدن معلومات تاريخية هامة ، اقتبسها من كتاب ابن عبد الله محمد بن يوسف الوراق (ت 363 هـ / 973 م) الملقب بالتاريخي لكثرة انشغاله بهذا العلم ، وترجع أهمية روايات البكري التاريخية ، إلى أنها حفظت لنا ماجأه في كتاب الوراق ، الذي لم يعثر عليه حتى الآن ، ولم يقف عنده فحسب ، بل استمر في رواية الحوادث إلى عصره ، فقد سجل حوادث يعود تاريخها إلى سنة 460 هـ / 1067 م . والبكري دقيق فيما يكتب ، بحيث يحقق الأخبار ويصحصها ، ولا يأخذ بها إلا إذا استوثق من صحتها (2) ، حتى فإن بعض المؤرخين في هذا المجال ، بحسه العلمي المرهف وملكته النقدية البارعة ، هذا وقد اعتمدت عليه فيما ذكره عن « ممالك برغواطة وملوكهم ، وأماراة بنى صالح في نكور ، والأدارسة وحوادث احتلال الناصر لمدينة مليلا لانفراده بهذا الخبر » ، وقام البارون ماك جوكين دي سلان بنشر هذا الكتاب وترجمته إلى اللغة الفرنسية بعنوان :

(1) العذر : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار المقدمة ، ص 7 تحقيق د. عبد العزيز الأهوانى ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريذ سنة 1965 م.

(2) راجع مقال الدكتور حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص 202 صحيفه معهد الدراسات الإسلامية مجلد 7 ، 8 مدريذ 1959 م / 1960 م.

Description de l'Afrique sepentrionale par Abou Obeid el Bakri, Paris, 1875

ثم أعيد نشره للمرة الثانية بالجزائر في سنة 1911  
ونشرت الترجمة الفرنسية له في سنة 1913 م.

كما قام الدكتور عبد الرحمن حجي ، بتحقيق قطعة من كتاب المسالك والممالك  
خاصة بوصف الأندلس في بيروت سنة 1965 م.



## الباب الأول

سياسة الدولة الأموية في الأندلس نحو المغرب في عهد الإمارة  
( 138 هـ - 755/316 م )



## الفصل الأول

### المغرب والأندلس قبل قيام الدولة الأموية في قرطبة

طابع عصر الولاية في المغرب والأندلس :

يطلق عصر الولاية في الغرب الإسلامي ، على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك ( 86 - 96 هـ / 705 - 715 م ) ، لموسى بن نصير ، من بلاد المغرب والأندلس ، سنة 96 هـ / 714 م ، حتى قيام الإمارات المستقلة عن الخلافة في هذه المنطقة ، ويدل هذا الاسم على وضع سياسي وإداري معين ، شهدته بلاد المغرب والأندلس منذ فتحهما العرب .

فقد كان الغرب الإسلامي يتبع السلطة المركزية مباشرة ، في عهد الدولة الأموية في دمشق ، ثم في عهد الدولة العباسية ببغداد ، ويتجلّى مظهر هذه التبعية في الولاية العرب الذين تولوا شؤون المغرب والأندلس ، باسم الخليفة الأموي ، لتنفيذ السياسة التي رسمها في عاصمته .

وكانت هناك صلة قوية ومتينة بين العدويين ، المغربية والأندلسية بعد الفتح العربي ، فقد عبرت مضيق جبل طارق كثيراً من القبائل المغربية والعربية ، في موجات متلاحقة طوال هذا العصر ، واستقرت ببلاد الأندلس ، ووضعت بذلك أساساً وحدة بشرية وإدارية وثيقة الصلة ببلاد المغرب .

فقد اجتاز مضيق جبل طارق ، جيش كثيف من المغاربة سنة 92 هـ / 710 م ، يقدر عدده بسبعة آلاف مقاتل على أقل تقدير (1) ، لفتح الأندلس ، بقيادة طارق

(1) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها ، ص 6 نشره لافتني القنطرة مدريد 1867 م المقرى (أحمد بن محمد) : فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ج 1 ص 238 ، بينما يذكر المقرى في رواية أخرى ( ج 1 ص 216 ) 12 ألفاً و 10 آلاف . راجع أيضاً : د. أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص 59 .

ابن زياد المغربي ، ويسمى هذا الجيش كما يشير ابن خلدون ، إلى أصول أربعة هي : مطغرة أو مدغرة التي كانت تحتل أقليم طنجة . ومديونة ، الضاربة على ساحل البحر من نواحي المغرب الأوسط إلى أحواز سبتة ، وهوارة المنتشرة في أماكن متفرقة ، من حدود مصر شرقاً إلى طرابلس غرباً . ومكناسة النازلة بسهول وادي ملوية . ومعظم هذه القبائل فروع لقبيلة الأم زناتة البتية (1) .

لم يتوقف تدفق الهجرة المغاربية إلى بلاد الأندلس ، بل استمر كل حين ودونما انقطاع بعد أن تم الفتح لها . فانضمت كل من قبيلة « مغيلة » « ملزوزة » و « مصمودة » و « ونفزة » إلى أخوانهم في العدوة الأندلسية . وقد وصف المغربي ذلك وصفاً دقيقاً حيث قال : « وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح ، على طارق وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقسر فلحقوا بطارق » (2) . نزل جُلُّ المغاربة في المناطق الجبلية ، الواقعة في الشمال الغربي ، وكذلك في المرتفعات الواقعة في الجنوب الشرقي لبلاد الأندلس (3) .

بينما عبرت الطالعة العربية الأولى مع موسى بن نصير ، سنة 93 هـ / 712 م ، وكان عددها يقدر بنحو أثني عشر ألف مقاتل ، أغلبهم من العرب اليمنية وقليل من القيسية وموالي بني أمية ، اختار العرب المناطق الخصبة في السهول والوديان ، وأستقروا فيها مثل : وادي الكبير ، وفحص أشبيلية ، وقرطبة ، وأستجة والفحوص الخضراء في وادي شنيل ، ووادي تاجة ووادي أبرا ووادي آش أي أنهم انتشروا على طول السواحل الجنوية ، والجنوبية الغربية والشرقية من بلاد الأندلس (4) . ففي أشبيلية أستقر بنوزهرة وبنو قيس بن عيلان وبنو عياد والباجي واللخميون ، وبنوزهوان بن عكرمة ، والبلويون من قبائله والحضارمة من حضرموت وهوازن ، وجذام ونزل بكورة البيرة وغرناطة وطيء وهمدان وغسان والحضارمة وأسد ، ومرة

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبرير ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج 6 ص 106 طبعة بولاق 1284 هـ / 1870 م .

(2) المغربي : المصدر السابق ، ج 1 ص 163 . د. حسين مؤنس : فتوح الأندلس ص 378 القاهرة 1959 م .

L Provençal Histoire, T. I., p 84, Paris 1950 (3)

(4) د. عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص 121 ، دار المعارف لبنان بيروت 1962 .

ابن دبيان ، ونمير بن مصر . واستقر في كورة رية : نهد وجزيلة وخزرج ، وذورعين ، ونزل بمالقة الحضرميون وخزيمة . وفي شدونة : نزلت كنانة وجزيلة وعمرم وجذام ، واستقر في قرطبة ، بنو حمليس من تغلب ، وبنوسراج من مذحج ، وبنو الأصبع من كهلان وبنو جهور من تغلب ، والحضارمة ، وفي جيان ، نزل بنو منخل وجذام ومرة وعنس ، وربيعة .

وفي طليطلة استقر الوقيشيون الكنائين والأنصار ، وفي سرقسطة نزلت خزرج وعدرة وقضاة وكندة وجذام ، وفي تدمير حط كل من جذام وربيعة وغافق والحضريون رحالم (1) .

وأصبحت هذه القبائل العربية تعرف بالبلدين ، أي أنهم أهل البلد وأصحابه . وتتبغي الاشارة هنا إلى أن القبائل اليمنية كانت أكثر القبائل العربية عدداً ، وأقواها تنظيماً وعصبية ، وبخاصة في غرب الأندلس وفي شرقه .

في الغرب الأندلسي استقرت قبائل كبيرة . كان يرأسها شيخ من أقوى شيوخ اليمنية هو «أبوالصباح» (2) .

أما في الشرق الأندلسي فقد نزلت فيه قضاة اليمنية ، واستقرت بسواحله ، حتى صارت هذه الناحية تعرف «بارش اليمن» أي أعطيتهم من الأرض أو الأقطاع (3) وكانت مدينة بجاية Pechina (4) هي القاعدة الرئيسية لهم في ذلك الوقت ، لما تتميز به من موقع جغرافي حصين ومأمون ، وأرض خصبة عند مصب نهر «أندرش» Andarax المعروف أيضاً بوادي بجاية (5) .

(1) راجع : د . حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 372 ، 373 ، 374 د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص 121 ، 122

(2) ابن القوطة (أبوبكر محمد) : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص 16 ، 17 ، 20 مطبعة الكتب بمصر بدون تاريخ .

(3) د . أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 248 الاسكندرية 1968 م .

(4) بجاية : Pechina حالياً عبارة عن قرية صغيرة تقع شمال مدينة المدية بنحو عشر كيلو مترات وتبعد عن البحر بنفس المسافة .

(5) الحميري (عبد المنعم السنفي الحميري) : الروض المطار في أخبار الأقطار ، ص 37 ، 38 نشره وترجمه لبني بروفنسال القاهرة 1937 م ، العنري (أحمد بن عمر بن أنس) ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، ص 86 ، 87 . تحقيق د . عبد العزيز الأهوني مدريد 1965 م ، د . أحمد مختار العبادي : دراسات . ص 248 ، 249

وبما أن قباعة كانت النواة الأولى للبحرية الإسلامية في المشرق ، فقد أصبحت تمثل الدعامة القوية في تأسيس البحرية الإسلامية الأندلسية وبنائها ، اذا اعتمد عليها بنو أمية بالأندلس أول الأمر ، في حراسة السواحل الشرقية لبلادهم (1).

ولما كان معظم هؤلاء العرب من الفحطانية فمن البديهي أن تكون الرئاسة فيهم وأغلب الولاة منهم ، وفي ذلك يقول المقرى : « انهم الأكثر في الأندلس والملك فيهم أرسخ الا مكان من خلفاءبني أمية » (2).

وكان لأمير أفريقيا والمغرب نفوذ واسع ، وسلطات أكبر على الوالي الأندلسي خلال هذه الفترة ، اذا كانت الأندلس في ذلك الوقت امارة غير مستقلة تتبع ولاية المغرب من الناحية السياسية والادارية ، او بعبارة أدق ، فقد كان أمير القيروان هو الذي يقوم بتعيين أمير قرطبة في أغلب الأحيان (3) .

#### سياسة الدولة الأموية في دمشق نحو المغرب :

ويخيل لي أنه من الأهمية بمكانته ، أن أ تعرض بشيء من الإيجاز للسياسة الأموية وأبعادها في بلاد المغرب ، ومانع عنها من أحداث كان لها صدى قوي في الأندلس نتيجة للروابط الاجتماعية القوية بين العدوتين .

فقد اتسم عصر الولاة في المغرب بعدة مظاهر كبرى اهي : تفشي الروح العصبية والعنصرية بين القبائل العربية ، وانتشار المذهب الخارجي ( الصفرى والأباضي ) بين المغاربة ، واندلاع الثورات المغربية العديدة التي قامت ضد بعض الولاة العرب وسياستهم التعسفية ، والتي انتهت بقطيعة أهل المغرب للدولة الأموية ، وخروج المغاربة الأوسط والأقصى ، عن السلطة المركزية في دمشق ولاتها في إفريقية .

وقد تداخلت هذه المعلم ، وتشابكت أحداثها وتياراتها ، وتفرعت روافدها وشعبها ، حتى أصبح عصر الولاة في المغرب والأندلس من الصعوبة بمكان ، أن

(1) د. أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 248 .

(2) المقرى : المصدر السابق ، ج 1 ص 274 .

(3) د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 85 راجع أيضاً : ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 10 .

يفهم الباحث تطوراته وأن يحصر أحداثه ، لما سادته من فوضى سياسية واضطرابات اجتماعية وتناقضات قبلية .

والظاهر أن السبب في انتشار هذه المظاهر ، وتفاقم الأمور في المغرب الإسلامي ، يرجع إلى السياسة التي سلكتها الدولة الأموية ، مع الرعية وأهل الأمصار المفتوحة ، وهي السياسة القائمة على مبدأ محاكاة العنصر العربي ، وسيادته على العناصر المسلمة الأخرى ، كالقرس والروم ، والقبط والبربر والقوط ، وغيرهم من الشعوب التي دخلت الإسلام ، وأصبحت جنوده ، بل اعتبرهم الأمويون مواليها (1) .

وتربى على هذه السياسة ، أن أصبح المجتمع الإسلامي في عصر الدولة الأموية يتشكل من طبقتين متميزتين : طبقة الإستقراطية العربية الحاكمة ، تتربع على قمة هرم المجتمع الإسلامي . والطبقة المستضعفة المسودة التي تتكون من الموالي وهم أهل الأمصار المفتوحة (2) ، الذين حرموا من المساواة الاجتماعية والسياسية على الرغم من اعتناقهـم الإسلام .

وزاد في تصاعد الأحداث ، وتفاقم الأوضاع في العالم الإسلامي السياسة التي اتخذها خلفاء دمشق ، في التمييز بين القبائل العربية نفسها ، وبخاصة في عهدـي يزيد بن عبد الملك (101 - 105 هـ / 720 - 724 م) وأخيه هشام بن عبد الملك (105 - 125 / 724 - 743 م) .

فقد كان هذان الخليفتان ، أشد الأمويين اغراقا في العصبية القبلية ، إذ كانت سياستهما تقوم على العصبية القبلية ، بحيث يميلان إلى القحطانية اليمنية حينا ، وينحازان إلى العدنانية المصرية أحيانا ، مما أدى إلى اشتداد التنافس ، واحتدام النزاع بين العبيدين ، في سبيل الاستحواذ على السلطة ، وفي عهدهما ظهر التصدع ثم الانقسام في البيت الأموي الحاكم .

ويبدو أن غرض خلفاء دمشق من هذه السياسة ، هو ايجاد نوع من التوازن بين القبيلتين العربيتين ، المصرية والقحطانية ، حتى يكفل لهم البقاء

(1) فيما يتعلـق بالموالي أنظر ما كتبه عنـهم : فلـهـونـزـ بـولـيوـسـ : تـارـيـخـ الدـولـةـ العـرـبـيـةـ مـنـ ظـهـورـ إـسـلـامـ إـلـىـ نـهاـيـةـ الدـولـةـ الأـمـوـيـةـ ، صـ 472ـ وـمـاـ بـعـدـهاـ تـرـجـمـةـ دـ.ـ مـحـمـدـ عـبـدـ الـهـادـيـ أـبـورـيدـةـ الـقـاهـرـةـ 1958ـ مـ .ـ مـحـمـدـ الطـيـبـ النـجـارـ : الـموـالـيـ فـيـ الـعـصـرـ الـأـمـوـيـ ، صـ 10ـ وـمـاـ بـعـدـهاـ الـقـاهـرـةـ 1368ـ /ـ 1949ـ مـ .ـ

(2) دـ.ـ مـحـمـدـ اـسـعـاعـيلـ :ـ الـمـرـجـعـ السـابـقـ ،ـ صـ 130ـ

والاستقرار والاستمرار، وكان كل وال يتولى الامارة في المغرب والأندلس ، ينكل بالفرع الآخر ويبالغ في اهانته ، ولم يكتف بهذا ، بل أصبح الوالي الجديد يتبع الوالي القديم ومعاونيه ، ويزج به في غياب السجون ، ويتصادر أمواله ومتابعته للحصول « عما اكتنـه من الأموال غـدا » (1) ويبحثـ عن « العـيد والـماء والـجوـاري المتـخـيرـة والـخـصـيـان والـخـيل والـدوـاب والـذهب والـفضـة والـآـنـة » (2) .

### مقدمة الثورة المغربية وأسبابها :

لم يقف بعض الولاة العرب ، في بلاد المغرب عند اضطهاد خصومهم من بني جلدتهم فحسب ، بل لم يتورعوا أيضاً في الأساءة إلى أهل المغرب . ولاسيما بعد انتهاء عهد الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز ( 99 - 101 هـ / 718 - 720 م ) ، الذي سلك سياسة اصلاحية وهي اعادة الدين الاسلامي الى أصوله ، وتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية على جميع المسلمين في مختلف أقاليم الدولة دونما تمييز . وال الخليفة عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الاموي الوحيد ، الذي لم يتم الى عصبية ماً ، بل كان يعمل جاداً على تفاديها وعدم إثارتها . وحتى عهد هذا الخليفة التقى كان اسلام المغاربة سطحياً ، فقد بعث الى بلاد المغرب عشرة من الفقهاء التابعين ، من أهل العلم والفضل ، ليعلموا أبناء المغرب شرائع الدين وأصوله ، الى أن عم الاسلام بطاح المغرب .

كما ولـ عليهم ولـها هو : اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر « الذي أشتهر بالقوى والورع ، فكرس جهده في سبيل تطبيق العدالة الاجتماعية ، والمساواة بين المسلمين جميعاً . « فـكان خـيرـاً وـخـيرـاً أمـيرـاً » (3) . والظاهر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، قد اتـخذـ سيـاسـةـ جـديـدةـ معـ أـهـلـ الـمـغـرـبـ ، تـتفـقـ معـ طـبـائـهـ وـنـزـعـاتـهـ . بحيثـ

(1) د . سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ص 245 : دار المعارف بمصر 1965 م .

(2) ابن عبد الحكم : فتوح افريقيـةـ والمـغـرـبـ ، ص 93 ، تحقيق عبد الله أثـيسـ الطـبـاعـ بيـرـوـتـ 1964 م ، د . حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 161 . د . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص 247 ، د . محمود اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 126 .

(3) الرقيق القبرواني (أبواسحاق إبراهيم) تاريخ افريقيـةـ والمـغـرـبـ ، ص 97 تحقيق المنجي الكعبـيـ ، تونـسـ 1968 ، ابن عذـارـيـ (أـبوـالـعـيـاسـ أـحـمـدـ) : الـيـانـ المـغـرـبـ فيـ أـخـبـارـ الـمـغـرـبـ ، جـ1ـ صـ 48ـ نـشـرـهـ لـيـبيـ بـرـوـفـسـالـ وكـولـانـ بـيـرـوـتـ 1967 ، ابن خـلـدونـ : الـعـبـرـ ، جـ 6ـ صـ 220ـ طـبـعـةـ بـيـرـوـتـ 1968ـ مـ ، دـ .ـ حـسـنـ مـؤـنسـ : فـتحـ الـعـربـ لـلـمـغـرـبـ ، صـ 295ـ الـقـاهـرـةـ 1949ـ مـ .

أشركهم في تسيير الادارة العربية في بلادهم ، وترك لهم حرية التصرف في شؤونهم ، يباشرون السلطة ويدبرون أمورهم بأنفسهم ، أو بمعنى أصح منهم الحقوق السياسية والاجتماعية ، فهناك رواية انفرد بها ابن حيان ، ذكرها على لسان الادارسة للناصر للدين الله : « وذلك أن بلد البربر الذي نحن به أعز الله أمير المؤمنين سيدنا ، لقوم ملکوا أنفسهم من زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه » (1).

لكن عهد عمر بن عبد العزيز لم يدم طويلاً ، وبوفاته عادت الادارة الاموية الى سياسة الاستبداد ، بأهل الأمصار المفتوحة ، عن طريق الولاة والعمال والجباة .

وقد ظهرت مساویء الادارة العربية أول الأمر ، في بلاد المغرب على يد يزيد بن أبي مسلم ( 102 - 103 هـ / 720 - 721 م ) ، الذي اتخذ من سياسة أستاذة الحجاج بن يوسف الغنية منهجاً له ، اذ كان يزيد كاتبه وصاحب شرطته ، فحذا حذوه في سوء معاملة الرعية والقسوة عليهم ، وأراد أن يطبق التقليد الرومي الذي كان يميز رجال الحرس عن بقية الناس ، فعزم على وشم اسم الرجل على يده اليمنى ، وصفته كحرس على راحة يده اليسرى ، حتى يتميزوا بها عن بقية الناس ، لكن جند الحرس الذين كانوا من البربر البتر ، اعتبروا هذا الاجراء استخفافاً بهم ، وضرروا من المذلة والخنوع ، فثاروا على يزيد الظلوم الغشوم على حد تعبير ابن عذاري وقتلوه ، سنة 103 هـ / 721 م (2).

وفرضت الجزية على من أسلموا من أهل المغرب ، على يد عبيد الله ابن الحجاج ( 116 - 122 هـ / 734 - 739 م ) ، مثلما فرضها الحجاج بن يوسف

(1) ابن حيان (أبي مروان حيان) : المقتبس في أخبار رجال الأندلس ، ورقة 116 قطعة مصورة « ميكروفيلم » بجامعة الدول العربية تحت رقم 208.

(2) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 89 ، البلاذري (أبوالباس أحمد) : فتح البلدان ، ص 239 / 240 ، الرقيق المصدر السابق ، ص 99 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 48 ، د . حسين مؤنس ثورات البربر ، ص 165 ، فجر الأندلس ، ص 159 ، د . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص 240 ، د . عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ص 294 الدار القومية للطباعة والنشر الاسكندرية 1966 م . ويذكر الطبرى أنه أراد أن يسير في البربر : « سيرة الحجاج في أهل الإسلام الذين سكنتوا الأمصار من كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق من ردهم إلى قraham ورساتيهم ، ووضع الجزية على رقبتهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم ، وهم على كفرهم » ، تاريخ الرسل والملوك ج 7 ص 167 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بالقاهرة 1964 م أنظر أيضاً : ابن الأثير (علي بن محمد بن عبد الكريم) الكامل في التاريخ ، ج 4 ص 182 نشر عبد الوهاب النجار القاهرة 1353/1934 م .

الثقفي على أهل المشرق . اذ لم يلبث ابن الحبّاح أن عين على أعمال طنجة ، عملاً اشتهر بالجهل المطبق بأحوال البلاد ، وطبعه أهله ، وهو عمر ابن عبد الله المرادي « فأساء السيرة وتعدى الصدقات والقسم ، وأراد أن يخمس البربر وزعم أنهم في المسلمين ، وذلك مالم يرتكبه عامل قبله » (١) ، وإنما كان العمال يخمسون من لم يدخل في الإسلام فكان فعله الذميم هذا ، على حد قول ابن عذاري هو السبب في نقض البلاد وقوع الفتنة (٢) .

فقد اشتبط العمال في جمع الأموال ، بشتى الطرق والوسائل لأرضاء الخليفة ، واتبعوا مع أهل المغرب سياسة مالية جائرة ، بحيث أثقلوا كواهليهم بالضرائب والجبابات ، ومن كان يعجز منهم على الدفع يأخذون منه بناته (٣) ، واعتبروا بلاد المغرب « دار حرب » (٤) .

ويبدو أن الخلفاء هم الذين كانوا يدفعون بهؤلاء الولاية إلى هذا التصرف ، ويكرهونهم على امتصاص دم الرعية (٥) . وقد ثبت أن بني أمية كانوا يستحبون الطرائف المغربية ويرغبون فيها ، وكثيراً ما كانوا يبعثون في طلبها وبخاصة منها : « البربريات المسيحيات » ، وجلوذاً لخرفان العسلية (٦) ، ويدرك ابن عذاري ، أن ابن الحبّاح وعد الخلفاء ، ومنهم بالكثير من هذه الطرف وكلف نفسه في جمعها أو كلفوه أكثر مما كان « فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة » (٧) ، ويشير السلاوي

(١) الرقيق : المصدر السابق ، ص 109 ، ابن الأثير : الكامل ، ج 2 ص 222 ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 52 ، التويري (شهاب الدين أحمد) : نهاية الارب في فنون الأدب ، ج 22 ورقة رقم 85 مخطوط بمكتبة كلية آداب الاسكندرية تحت رقم 18668 .

(٢) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 51 .

(٣) البلاذري ، المصدر السابق ، ص 272 ، 273 ويدرك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز نهاهم عن ذلك وكتب إلى ولاية المغرب يقول لهم : إن من كانت عنده لواتية فالخطبها إلى أبيها أو فاليردها راجع أيضاً ، د. محمود إسماعيل : المرجع السابق ، ص 136 .

راجع : L. Provençal Histoire T.I., p. 41

(٤) د. سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص 250 ، د. محمود إسماعيل : المرجع السابق ، ص 132 .

(٥) فلوروزن : المرجع السابق ، ص 331 ، د. محمود إسماعيل : المرجع السابق ، ص 132 .

(٦) راجع أخبار مجموعة ، ص 32 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 52 ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ص 240 ، الطيري المصدر السابق ، ج 4 ص 255 .

(٧) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 52 .

إلى أن الولاية « كانوا يتعالون في جمع ذلك وانتخابه ، فكثربعهم في أموال البربر » (1) ولم يلبث أن فقد الكثير من المغاربة ثقتهم بالحكام العرب ، ولاسيما بعد أن تمتعوا بالعدالة الاجتماعية والحقوق السياسية في ظل حكم عمر بن عبد العزيز ، وقد استغل دعاة المذهب الخارجي ، التذمر العام الذي ساد الرعية في هذه الفترة ، فانتشروا بين مختلف القبائل المغربية دعاة ومعلمين ، يسطرون تعاليم الدين الإسلامي ، حسب ما يتمشى مع مبادئهم الدينية والسياسية ، تحت شعار الاصلاح والدعوة إلى العمل بكتاب الله وبسنة رسوله ، كما وجد المغاربة أن دعوة الخوارج تتلاءم أفكارها وطبيعتها وأهدافها مع طبيعة عقليتهم وزرعاتهم وأمامهم ، في الخلاص من سلطنة الولاية عليهم ، وأدركوا مدى التناقض الصارخ بين سياسة الخلافة الأموية ، ودعوة الإسلام إلى العدالة والمساواة بين الناس - لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى - وليس من الضرورة أن يكون الحاكم من قريش ، بل يمكن أن يكون فاضلا تقيناً صالحًا ، يحكم طبقاً لما جاء به القرآن والسنّة النبوية (2) ، لذا أقبل عليه أهل المغرب وأعتقدوه ، لأنّه يتناسب مع وضعهم السياسي والاجتماعي ، واتخذوه رمزاً للمعارضة القومية ضد السياسة الأموية (3)

وكيما كان الحال فإن سوء المعاملة وكثرة المطالب والمغارم التي أثقلت كواهل المغاربة ، فكل هذه الأسباب مجتمعة حطمت فكرة العدالة الاجتماعية والمساواة السياسية بين العرب ، وغيرهم من المسلمين في بلاد المغرب ، وهذا مدفع المغاربة ، إلى الخروج عن الطاعة ، والثورة على الولاية .

وهكذا تعددت أسباب الثورة ودفافعها ، وتتنوعت عواملها بين سياسية وعنصرية واقتصادية ، والظاهر أن العامل الاقتصادي كان أقواها جميـعاً ، فهو المحرك الفعال والرئيـي ، لاندلاع شرارة الثورة الشاملة في بلاد المغرب ، وإن كان لا يمكن بأية حال من الأحوال ، الفصل بين هذه العوامل والأسباب المتعددة ، فقد تداخلت وتفاعلـت

(1) السلاوي (أحمد بن خالد) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ج 1 ص 48 طبعة القاهرة 1312 ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ص 239/240.

(2) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ، ص 130 ، د. محمود إسماعيل المرجع السابق ، ص 146 .

(3) د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 90 . أقصد بالمغاربة البربر سكان المغرب الكبير بأقسامه الثلاثة الأدنى والأوسط والأقصى .

جميعا ، لتهيء المناخ الملائم للانتفاضة المغربية ، ضد سياسة الخلافة وعمالها (1) .

وفي سنة 122 هـ / 740 م كانت التفوس مهيأة للثورة ، تنتظر الوقت المناسب لامتناع الحسام ضد الوالي ، وقد وجد الثوار ضالتهم المنشودة للثورة حينما خرج معظم جيش الوالي ، عبيد الله بن الحبّاحب في غزوة ، لما وراء البحر إلى جزيرة صقلية ، فقاموا على عامل طنجة ، عمر بن عبد الله المرادي ، يتزعمهم ميسرة المطغربي أو المدغري الزناتي ، الذي اعتنق المذهب الخارجي الصفري ، بمدينة القيروان ، ثم عاد لينشر مبادئه بين قومه في إقليم طنجة ، وكان ميسرة هذا حاقداً على سياسة الولاة ، غير أنه لم يقم بأي عمل عنيف ضدّهم ، الا بعد أن سافر على رأس وفد مغربي كبير ، إلى دمشق للاتصال بال الخليفة هشام بن عبد الملك ، وعرض شكوكاً لهم عليه ، لكنهم لم يتمكنوا من مقابلته ، ولا خاب رجاؤهم ونفذت نفقاتهم ، عادوا إلى بلادهم وهم متذمرون ، بأن العمال لا يعملون إلا وفقاً لرغبات الخليفة ، وبأمر منه ، وعندما عاد ميسرة إلى بلده ، ثار على عامل طنجة فقتله ، ثم توجه إلى السوس الأقصى ، وأستطيع إزاله المزيمة بعامله ، إسماعيل بن عبيد الله بن الحبّاحب وقتله أيضاً ، واستولى بذلك على المغرب الأقصى ، غير أن ميسرة فيها يجدوا ، قد ساءت سيرته فادعى الخلافة ، فقتلته أصحابه طبقاً لمبادئ الخوارج التي تسمح بالتخليص من الإمام ، إذا ما انحرف عن خط الجماعة ، وولوا عليهم أماماً آخر ، لا يقل صبراماً عن ميسرة ، هو خالد بن حميد الزناتي (2) .

(1) فيما يتعلق بأسباب الثورة وعوائلها راجع التفاصيل : د . حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 143 وما يليها ، د . حسن محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، ص 67 ، وما يليها القاهرة 1957 م ، د . سعد زغلول عبد الحميد : المراجع السابق ، ص 251 وما يليها ، د . عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ص 301 وما يليها ، د . محمود إسماعيل ، المراجع السابق ، ص 92 وما يليها . راجع أيضاً الطبراني الذي يحصر عوامل الثورة في الشكوى التي قدمها الوفد المغربي لحاكم هشام « الأبرش » ، بحيث يذكر أن الوالي كان يغزوهم ولا يعطيهم الانفال ، وإذا حاصروا مدينة قدمهم وأخر جنده ، ثم أنه عمد إلى ماشيتهم ، فأخذ يقرها بعثاً عن الخراف العسلية ، ولم يكتف بهذا ، بل راح يأخذ كل جميلة من بناتهم . تاريخ الرسل والملوك ج 4 ص 254 ، 255 .

(2) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 95 . الرقيق : المصدر السابق ، ص 110 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 53 .

أخذ داء هذه الانتفاضة يستشري يوما بعد يوم في بلاد المغرب ، ولم تستطع جيوش ابن الحبحاب أن تحسم الموقف ، وان توقف زحف الثوار ، بل تلقت هزيمة أخرى أكثر عنفا ، بالقرب من طنجة سنة 123 هـ / 741 م ، هلك فيها خيرة رجال العرب وقادتهم وحماتهم ، حتى سميت هذه المعركة « الاشراف » .

ولما كان عبيد الله بن الحبحاب الوالي العام على الغرب الإسلامي ، فقد أصدر أوامره إلى عقبة بن الحجاج السلوقي ، والي الأندلس بمهاجمة طنجة ، فأمده الوالي الأندلسي بقوة عبرت المضيق ، وتقابلت مع الثوار ، لكنها منيت بهزيمة ثقيلة . عند ذلك توجه عقبة بن الحجاج بنفسه على رأس جيش أندلسي كثيف ، والتحم مع الثوار بنواحي طنجة ، ودارت بينهما معركة حاسمة ، انتصر فيها الثوار الخوارج على الجيش الأندلسي ، فعاد عقبة إلى بلده خائبا ، والظاهر أن هذه الهزيمة كانت السبب في عزله من إمارة الأندلس ، فقد ثار عليه أهل قرطبة فعزلوه وولوا مكانه الشيخ عبد الملك بن قطن (1) .

#### طالعة الشاميين ومعركة « بقدورة » :

ولما بلغت أنباء الهزائم ، مسامع الخليفة هشام بن عبد الملك ، غضب غضبة مصرية لفظاً ومعنى ، وقال : « أقتل أولئك الرجال ، الذين كانوا يهدون علينا من الغرب ، أصحاب الغنائم . قيل : نعم يا أمير المؤمنين . قال : والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولأبعن اليهم جيشاً أوله عندهم ، وأآخره عندي ، ثم لا تركت حصن بربري ، إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيس أو تميمي » (2) .

(1) دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج 1 ص 148 ترجمة د حسن حبشي ومراجعة الدكتوران جمال محرز ومحاتر العبادي ، دار المعارف بمصر ، سنة 1963 م .  
L. Provençal : Histoire, T. I., p. 43

د . سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 260 ، د . حسين مؤنس ثورات البربر ، ص 170 وحول عزل عقبة بن الحجاج راجع ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 95 ، الرقيق : المصدر السابق ، ص 111 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 4 ص 223 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 54 ، التویری : المصدر السابق ، ج 22 ورقة 86 .

(2) الرقيق : المصدر السابق ، ص 111 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 4 ص 223 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 54 – التویری : المصدر السابق ، ج 22 ورقة 85 .

وبعث يستدعي ابن الجحباب من المغرب في جمادى الأول ، سنة 123 هـ / 741 م . ثم اختار لولاية المغرب شيئاً ، من أعيان القبائل هو كلثوم بن عياض القشيري ، وعقد له على أثني عشر ألف مقاتل ، من أهل الشام ، وجعل له نائبين هما : ابن أخيه بلج بن بشر القشيري ، وثعلبة بن سلمة العاملبي ، وكتب إلى تغور مصر وبرقة وطرابلس ، أن تمده بالرجال وبالسلاح ، ويعرف هذا الجيش بالطالعة العربية الثانية تميزاً عن الطالعة العربية الأولى ، التي قادها موسى بن نصیر من قبل ، وكان معظمها من أهل الحجاز<sup>(1)</sup> ، الذين هاجروا المدينة ، يسبب اضطهادات بني أمية وأنصارهم الشاميين ، بعد موقعة « المحرّة » ، سنة 63 هـ / 682 م - شرقى المدينة المنورة - وكذلك أيام ثورة الزبير بن العوام سنة 72 هـ / 691 م .

ويبدو أن أحداث معركة المحرّة ، لا زالت عالقة بأذهان الحجاجيين ، فعندما نزل الشاميون بلاد المغرب ، حز في نفوسهم ذلك ، وأثار استياءهم وخشاً من أن يشاركونهم في الأراضي ، التي استقروا فيها منذ زمن بعيد ، وبخاصة بعد أن نادى بلج بن بشر في أهل إفريقية : « يا أهل إفريقية لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم »<sup>(2)</sup> .

ولم يلبث أن تجدد التنازع بين الشاميين والحجاجيين أو البلديين ، عند وادي شلف حينما استهان بلج بن بشر ، بمحبب بن أبي عبيدة الفهري ، فقام إليه عبد الرحمن بن حبيب ، وهو أذاك حدث السن ، وكادت أن تدور رحى حرب بينهما ، أن تدارك الفريقيان خطورة الموقف ، وضرورة دعم الصف ضد الخوارج فسعى بينهما بالصلح<sup>(3)</sup> ، وهو الأمر الذي أحدث تصدعاً في قوات الخلافة الشامية وجيشهما الإفريقي ، مما سبب هلاكهم في الضفة الشمالية لوادي سبو Sebou (نهر مدينة فاس) ، في موضع يقال له « بقدورة » ، سنة 123 هـ / 741 م ، فقد التهم جيش كلثوم بن عياض بمشاركة الجيش الإفريقي ، مع الثوار بقيادة خالد بن حميد الزناتي الصفري في معركة حاسمة ، انتهت بهزيمة الجيش الأموي هزيمة ساحقة ، وقتل القائد الأعلى كلثوم بن عياض ، ومحبب بن أبي عبيدة ومعه الرؤوف

(1) د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 112 ، 113 .

(2) الرقيق : المصدر السابق ، ج 112 - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 54 .

(3) الرقيق : المصدر السابق ، ص 113 .

وهارون القرني ، وسليمان بن أبي المهاجر ، وكثير من القواد ووجوه العرب ، وتراجعت فلول من نجا منهم إلى إفريقيا ، بينما عبر بعضهم إلى العدوة الأندلسية ، ومن بينهم عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، ناجياً بنفسه من سيف الثوار التي أخذت تلاحقهم .

وكان كلثوم بن عياض قد كتب إلى عبد الملك بن قطن الفهري ، وأهل الأندلس يأمرهم بأمداده والخروج إليه (1) ، بصفته الوالي العام على الغرب الإسلامي . ويبدو أن والي الأندلس لم يعجبه لطلبه ، خوفاً من أن يلقي نفس المصير الذي لقيه عقبة بن الحجاج السلوى من قبل ، أو ربما لأنه كان يحتق على الشاميين .

أما بلج بن بشر الذي كان يقود نحو عشرة آلاف فارسٍ من الشاميين ، فقد انهزم بأصحابه نحو الغرب ، حيث قطع عليه الثوار الخوارج خط العودة إلى إفريقيا وأخذ الثوار يلاحقوه ، إلى أن أستطاع بلج بن بشر وأصحابه أن يدخلوا مدينة سبتة المتبعة ، وتحصّنوا بها ، وأقبل الثوار من كل حدب وصوب ، وحاصرتهم مدة حاولوا أثناءها اقتحام أسوار المدينة ، لكن حصانتها ومنعتها وشدة مقاومة فرسان الشام المستمية حالت دون تحقيق ذلك .

ولما ينس الثوار من الاستيلاء عليها ، عمدوا على اتلاف المزارع وحرق الحقول التي حول المدينة بقصد تجويدهم ، ومنع الطعام عنهم ، لكن بلجاً ضل صاماً يقاوم بشدة وراس ، ما يقرب من السنة حتى ساءت حالتهم ، وكادوا يهلكون جوعاً (2)

### انتقال الثورة إلى الأندلس :

حاول بلج بن بشر العبور بقواته إلى العدوة الأندلسية ، وبعث في سبيل ذلك إلى عبد الملك بن قطن ، أمير الأندلس يستغث به ، غير أن أمير الأندلس لم يكترث

(1) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 99

(2) أخبار مجموعة ، ص 37 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 4 ص 250 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 56 ، د . حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 197 ، د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 92 .

لندائه واستغاثاته ، ولم يسمح له وأصحابه بالعبور اليه ، لأن عبد الملك بن قطن من الحجازيين ، الذين عاشوا وقعة الحرة وذاقوا أهواها .

ولهذا رفض السماح لهم ، باجتياز المضيق ، كما رفض أيضاً امدادهم بالطعام والأقوات حتى يموتوا جوعاً .

ويبدو أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، عندما عبر إلى الأندلس بعد معركة « بقدورة » – كما سبقت الاشارة – أخذ يعرض عبد الملك بن قطن ، وهو فهري مثله على بلج بن بشر ، ولا يستبعد أن يكون قد نقل له صورة واضحة عن تصرفات هؤلاء الشاميين ، مع البدارين في إفريقية ، أثناء قدومهم إليها وحذره منه ومن أصحابه (1) .

لم يقف عبد الملك عند عدم امداد بلج وأصحابه ، فحسب بل لم يتورع عن معاقبة الذين أدمواهم بالأقوات وبالمئون ، فقد نكل بأحد العرب اللخميين الأندلسيين ، وهو عبد الرحمن بن زياد أشد التكيل ، لأنه قام بارسال مرتكبين إلى بلج وأصحابه ، لمدينة سبتة محملين بالشعير والآدم (2) .

غير أن الظروف في العدوة الأندلسية ، لم تستمر على التوالي الذي كان يشهده عبد الملك ، بل سرعان ما تغيرت ، وجداً أرموه لم يكن في الحسبان ، غير موقفه ، إذ انتقل صدي الثورة التي قام بها المغاربة الخوارج في بلاد المغرب ، إلى أخوانهم في بلاد الأندلس ، وهذا دليل على أن مصير العدوة الأندلسية ، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصير إفريقية والمغرب ، فلما بلغت أبناء الثورة مسامع المغاربة الأندلسيين ، وكان معظمهم حينذاك يقطنون الشعور الشمالية ، هبوا عن بكرة أبيهم لمؤازرة أخوانهم ، وتأييدهم في مطالبهم ، ولا يستبعد أن يكون قد قدم نفر من دعاة الثورة في الشمال الأفريقي إلى الأندلس ، لحمل المغاربة على محاربة عربها (3) .

والظاهر أن المغاربة ، في الأندلس ، لم يكونوا أحسن حال من أهل المغرب ، وعلى الرغم من أنهم لم يتعرضوا للاضطهاد نفسه ، الذي تعرض له أخوانهم في

(1) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 100 .

(2) أخبار مجموعة ، ص 37 .

(3) دوزي : المرجع السابق ، ص 157/158 ، د . حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 193 .

الشمال الافريقي ، الا أنهم كانوا أيضا يعاملون معاملة قاسية ، فضلا عن احساسهم بأنهم لم يجنوا ثمار جهدهم في فتح الأندلس ، اذ استأثر العرب بالسلطان وبالاراضي الخصبة ، وبالسهول في الأندلس ، بينما استقر المغاربة في المناطق الجبلية وفي الهضاب العليا ، المتعددة في شبه الجزيرة المعروفة « بالجوف » ، وكذلك المناطق المرتفعة الواقعة في جنوب شرق الأندلس (1) - كما سبقت الاشارة - .

والظاهر أن المغاربة الأندلسيين ، وجدوا في هذه الثورة متنفسا لهم وفرصة سانحة للانقضاض على العرب ، الذين نالوا أحسن ما في الغنيمة ألا وهو حكومة الأقليم وأنحصار بقاعه (2) ، فنظموا صفوفهم ووحدوا قيادتهم وخرجوا على العرب المقيمين في جليقية أو غاليسيا ، Galicia وأسترفه والنواحي القاصية من أشترىس وماردة وقرية طلبيرة ، ولم يسلم منهم إلا عرب إقليم سرقسطة ، ويفصل لنا ذلك صاحب كتاب أخبار مجموعة بقوله : « فقضى أن ببر الأندلس لما بلغهم ظهور ببر العدوة ، على عربها وأهل الطاعة ، وثروا في أقطار الأندلس ، فآخر جوا عرب جليقية ، وقتلوهم ، وأنخر جوا عرب استرفه والمداين التي خلف الدروب ، فلم يرع ابن قطن إلا فلهم قد قدم عليهم ، وأنضم عرب الأطراف إلى وسط الأندلس . الا ما كان من عرب سرقسطة وثغرهم ، فإنهم كانوا أكثر من البربر فلم يهجر عليهم البربر ... » (3) ، وعندما انتصر المغاربة في هذه المناطق ، قسموا أنفسهم إلى ثلاثة جيوش رئيسية : يتوجه أولها إلى طليطلة عاصمة الشغر الأدنى ، ويسير الثاني نحو مدينة قرطبة ، أما الجيش الثالث فقد كان اتجاهه إلى الجزيرة الخضراء ، لقتال

R. Dozy : Histoire musulmane d'Espagne, T.I. p 161 éd. L. Provençal 1932.; Recherche sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age, T.I., p 118-119. L. Provençal: Histoire, T.I., p. 84.

(1) دوزي : المرجع السابق ج 1 ص 157 - د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 123/124 ، بينما يرى الدكتور حسين مؤنس أن السبب الرئيسي في قيام المغاربة الأندلسيين ، يرجع إلى سوء المعاملة فقط . أما الرأي القائل بأن العرب استأثروا بالأراضي الخصبة فيرى أنه لا أساس له من الصحة ، لأن المغاربة يوجدون في مناطق مختلفة من بلاد الأندلس . انظر : ثورات البربر ، ص 194 وما يليها ، فجر الأندلس ، ص 128 وما يليها .

(2) دوزي : المرجع السابق ج 1 ص 157 ، لين بول : العرب في إسبانيا ، ص 56 دار المعارف القاهرة 1947

(3) أخبار مجموعة ، ص 39 ، مؤلف مجهول : فتح الأندلس ، نشره خواكين ذي جثالث الجزائر 1889 م ، راجح ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 30 - د. حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 196 .

الشاميين المحاصرين في مدينة سبتة ، والقضاء عليهم ثم الاتصال بأخوانهم في بلاد المغرب . ونقل جماعة منهم إلى الأندلس (1).

### عبور بلج وأصحابه إلى الأندلس :

ولما بلغ عبد الملك بن قطن ، خبر وثبة المغاربة في الشمال ، وتوجههم نحو الجنوب خشى ، أن يلقى جيشه مالقيته الجيوش العربية في بلاد المغرب من هزائم مريرة ، على يد الخوارج الصفرية . عندئذ لم يجد عبد الملك بن قطن بدا من التفاهم مع بلج بن بشر وأصحابه ، في مدينة « سبتة » بالديار المغاربية ، لأنه أصبح في ميسى الحاجة إليهم ، ليستعين بهم في حربه مع البربر المغاربة ، فعرض عليهم العبور إليه شرط أن يشتراكوا معه في اخماد ثورات البربر ، وأن يغادروا بلده بعد سنة واحدة ، وأن يعطوه رهائن يحتفظ بها في جزيرة أم حكيم . فرضوا بذلك واجتازوا المضيق ، في ذي القعدة سنة 123 هـ / 741 م (2) . وزلوا الجزيرة الخضراء وثابهم بالية ممزقة . فكسا ابن قطن خيارهم وأعطاهم الأعطيات ، وأستقبلهم عرب الأندلس ، « وأفضل عليهم الناس حتى لبسوا وشعبوا (3) » .

ولم يكن من بلج وأصحابه أن ينهض بعد ذلك ، لقتال الثوار المغاربة . فقد انضمت قواته إلى قوات عبد الملك بن قطن ، وأنجها جميعاً نحو الجيش الثالث المغربي ، الذي يريد الانتصار بالتأثيرين في طنجة وسبتا ، فالتحقوا معه على مقربة من شدونة . ولم يكن للعرب فيهم إلا نهضة قوية حتى هزموهم وأبادوا منهم الكثير ، وأصابوا أمعتهم ودواهم ، ولا جدال في أن الشاميين كانوا يقاتلون بدافع الانتقام من المغاربة ، الذين أذاقوهم المرتين في المغرب ثم توجهوا للقاء الجيش المغربي الثاني ، الذي يقصد مدينة قرطبة ، فهزموه أيضاً دونما عناء ، وتابعوا سيرهم نحو طليطلة ، حيث يحاصرها جيش التأثيرين الثالث . ولعل هذا الجيش أقوى الجيوش البربرية وأكثرها عدداً ، إذ اجتمعت إليه البربر من مختلف الأقاليم

(1) دوزي : المرجع السابق ، ج 1 ص 158 ، د . حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 196 ، أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 13 .

(2) أشعار مجموعة ، ص 39 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 30/31 المفري : المصدر السابق ج 2 ص 19 .

(3) أشعار مجموعة ، ص 39

الشمالية ، مثل : جليقية ، وأسترقه وماردة وقرية وطلبية ، وحلقوا رؤوسهم بأخوانهم في طنجة ، لكي « لا يخطي أمرهم ولا يختلطوا » (1) .

وعلى نهر سليط بالتجو جنوب طليطلة ، اشتباك الجيشان في معركة شديدة ، انتصر فيها الشاميون انتصارا حاسما على البربر ، ولم ينج منهم الا الشريد ومن خف حمله ، وأخذ الشاميون يطاردونهم حتى « أطفأوا جمرتهم » حسب تعبير صاحب أخبار مجموعة ، وكان ذلك سنة 124 هـ / 741 م (2) .

وقد أدت هذه الهزائم الساحقة بالبربر ، الى التفكير في مغادرة الأراضي الأندلسية والعودة الى بلادهم الأصلية بالشمال الافريقي ، وفعلا فقد هجر معظمهم الأقاليم الشمالية مما ترك أثرا سيئا ، على سلامة الحدود الاسلامية الشمالية ، المتاخمة للمناطق المسيحية ، حيث ظهر عليها الأسبان بقيادة القائد « بلاي » (3) .

ولم يلبث الشاميون بعد اخماد هذه الثورة ، أن تحولوا الى قرطبة ورفضوا العودة الى بلاد المغرب ، واستولوا على زمام الأمور ، وقتلوا عبد الملك بن قطن ، الذي فلت من أيديهم في وقعة الحرة منذ ستين سنة ، وأقاموا بلجأ أميرا على الأندلس ، وهو الأمر الذي أثار حفيظة البلدين ، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي ، حيال تعسف الشاميين واستغراقاتهم ، فنهضوا اليهم مطالبين بدم عبد الملك بن قطن ، وقد اشترك في صفوف البلدين أبناء عبد الملك : أمية ، وقطن ، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري ، وفارس الأندلس ، صاحب أربونة عبد الرحمن بن علقمة . وقد انتهت الحرب بهزيمة البلدين مرة أخرى ، وقتل منهم الكثير ، ويصف ذلك ابن عذاري بقوله : « وقد امتلأت أيدي الشاميين وأنفسهم غنما ونصرًا وسرورا » (4) .

غير أن بلجأ لم يتمتع هو الآخر بنشوة هذا الانتصار ، لأنه مات بعده بأيام قليلة متاثرا بجروحه ، وظل الصراع على أشده بين البلدين والبربر من جانب ، والشاميين

(1) أخبار مجموعة ، ص 40 R Dozy Recherches , T I., p. 116 SOQ

L Provençal, T I., p 85

(2) نفس المصدر ، ص 40

(3) أخبار مجموعة ، ص 28

د . حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 233/234 د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 168 وما يليها .

(4) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 32 ، راجع أيضا : ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 99 ، أخبار مجموعة ، ص 41 .

والأمويين من جانب آخر ، هلك فيه الكثير من الجانبيين ، ولم يستطع أحد أن يضع حدًا لهذا الصراع والقتال ، الا قيام الوالي الجديد من افريقية سنة 125 هـ / 743 م .

بعث أهل الأندلس إلى حنظلة بن صفوان ، أمير إفريقية انفاذ وال عليهم من قبله ، فقلد حنظلة أبي الخطأر الحسام بن ضرار ولاية الأندلس ، وأرسله على جناح السرعة ليضع حداً للفتنة القائمة بين الشاميين والبلديين ، في العدوة الأندلسية ، وقد استطاع أبو الخطأر أن يجمع كلمة الطرفين المتنازعين ، وأن يحظى برضاهما بفضل سياسته الحازمة التي عالج بها الأمور بذكاء ، فقد وكل من أخرج ثعلبة بن سلامة والوقاص بن عبد العزيز الكتاني ، وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي ، مع عشرة من قواد الشام من الأندلس ، إلى بلاد المغرب وقال لهم : « قد ثبت عند أمير المؤمنين ، وعند عاملة حنظلة بن صفوان ، أن فساد الأندلس بكم » (١) .

ثم وزع جند الشام على مختلف الكور والأقاليم الأندلسية ، ليحد من شوكتهم ويخفف الضغط على مدينة طنجة ، وقد حرص أبو الخطار أن ينزل كل قبيلة في إقليم مشابه لإقليمها في بلاد المشرق ، فأنزل أهل دمشق في غرناطة ، وسمّاها دمشق ، وأهل الأردن على مالقه ، وأطلق عليها اسم الأردن ، وأهل حمص على مدينة اشبيلية وسمّاها حمص ، وأهل مصر على تدمير (مرسية) ، وسمّاها مصر ، ونظمهم على شكل اقطاعات عسكرية تجيي كل قبيلة غلة إقليمها وناحيتها ، التي أنزلت بها ، وتأخذ عطاها منها ، وتبعث بالفائض منه إلى بيت المال (2).

ومن الطريف أن تلك التسميات المشرقية ، ظلت مرادفة لأسماء المدن الأندلسية في الشعر الأندلسي (3) . وبقى البلديون والمغاربة على أملاكهم . فاستتب الأمر في الأندلس ، وهدأت أحوال الناس واستقرت نفوس الطرفين واستقامت طاعتهم .

(1) ابن القوطي : المصدر السابق ، ص 16 ، ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 102 .

(2) المقرى : نفع الطيب ، ج 1 ص 155 ، ابن القوطيه : المصدر السابق ، ص 16 ، أخبار مجموعه ، ص 46 ، ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) الحلة السيراء ، ج 1 ص 61 وما يليها ، تحقيق د . حسين مؤنس القاهرة 1963 م ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 33 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 4 ص 260 .

(3) د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 94

ولكن أبا المخطار في الوقت الذي استطاع أن يبعد الهدوء والاستقرار ، إلى ریوع الأندلس ، تسبب من حيث لا يدرى في اسقاط رئيسيه وزعيم عصبيته أمير افريقية حنظلة بن صفوان (124 - 127 هـ / 751 - 754) ، فجيناً قدم أبو المخطار إلى قرطبة ، واتخذ الإجراءات الصارمة في ضبط الأندلس ، خشي عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، على نفسه من الوالي الجديد ، وكان عبد الرحمن هذا قد حاول محاولات كثيرة وجادة ، في أن يجد سبيلاً للوصول إلى السلطة في الأندلس والاستيلاء عليها ، غير أنه لم ينجح في ذلك ، فخرج متستراً من مدينة قرطبة وعبر البحر إلى افريقية ونزل بمدينة تونس ، وهو لا يزال يطمع في السلطة وكان ذلك في جمادي الأول سنة 126 هـ / 744 م (1) ، ومنذ أن وطأت أقدامه أرضي افريقية ، أخذ في جمع الأنصار والمؤيدين ، ويدو أنه كان يتمتع بشعبية كبيرة من البلدين العرب في افريقية ، لأن البيت الفهري من أكبر البيوتات العربية في بلاد المغرب وأعرقها ، لهذا فقد استجابوا لندائه والتغروا حوله لنصرته .

وقد انتهز عبد الرحمن فرصة اضطراب الخلافة في الشام ، بمقتل الوليد ابن يزيد سنة 126 هـ / 744 م ، وخروج ثعلبة بن سلامة ، وبعض القواد الشاميين من القيروان إلى دمشق ، على أثر هذه الأحداث ، فحشد حشوده وأعلن خروجه على أمير افريقية حنظلة بن صفوان ، وعزم على طرده من الولاية .

وأمام حزم عبد الرحمن وأصاروه ، أضطر حنظلة إلى التسليم بالأمر الواقع ، فسلم له الولاية وغادر بلاد المغرب إلى بلاد المشرق ، في جمادي الأخير سنة 127 هـ / 745 م ، ومنذ هذا التاريخ أصبح عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، واليا لافريقية والمغرب ، وبعث إلى الخليفة الجديد مروان بن محمد (127 هـ / 744 - 749) ، هدية ثمينة ، فرد عليها الخليفة دمشق بالقبول وبالرضا ، وأقره على أعماله (2) .

(1) الرقيق : المصدر السابق ، ص 123 ، ابن الأثير : الكامل ، ج 4 ص 278 ابن الآبار : المصدر السابق ج 2 ص 341 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 56 ، التويري : المصدر السابق ، ج 22 ورقة 87 ، السلاوي المصدر السابق ج 1 ص 52 بينما يذكر ابن عبد الحكم بأن أبي المخطار هو الذي أخرجه من الأندلس مع جملة القواد الشاميين ، الذين طردهم من ولاته . انظر : فتوح البلدان ، ص 102 ، الحميدي (أبو عبد الله محمد) جنوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس من 271 الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1966 .

(2) الرقيق : المصدر السابق ، ص 129 ، التويري : نهاية الارب ج 22 ورقة 88 .

## الصراع بين القيسي واليمني :

أما أبو الخطار فقد تمكّن من نشر السلام في الأندلس ، ولكن لفترة قصيرة ، اذ سرعان ما عادت الأحقاد القبلية تنتعش من جديد ، وتطور الصراع من نزاع بين البلدين والشاميين ، إلى صراع بين القيسيين والكلبيين ، ولا غرو أن يتقلّ هذا الداء العascal من المغرب إلى الأندلس ، نتيجة الصلات الإدارية والسياسية والبشرية الوثيقة بين العدوين .

ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى انحراف أبي الخطار إلى يمنيته ، وليس هذا بعيداً أو غريباً من أبي الخطار. فقد عاش فترة حالكة من حياته في بلاد المغرب ، ذاق خلالها المذلة والهوان على يد أمير القيروان القيسي المعصب لقسينته ، عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (1).

ولعل السبب المباشر في اندلاع الحرب الأهلية ، بين القيسي واليمني ، هو نشوب نزاع بين شخصين أحدهما مصري ، والآخر يمني ، واشتد خلافهما فذهبوا إلى أبي الخطار ليحكم بينهما ، ويبدو أنه تحيز للبيمني ، مما أدى بالمضري إلى أن يشتكي إلى زعيم مصرية لينصفه ، وهو الصميل بن حاتم الملقب بذى الجوشن فاتجه هذا الأخير إلى مقر أبي الخطار لتقصي الحقائق ، ولتفهم الأمر ، وعلى ما يبدو فإن الجدال قد طال بينهما ، وتطور إلى نقاش حاد ، تسبّب في إهانة الصميل ، فخرج من المجلس غاضباً ، وعمّاته على رأسه تبدو مائلة ، فقال له أحد الحراس « أصلح عمامتك يا أبا جوشن » فرد عليه قائلاً له : « إن كان لي قوم فسيقسمونها » والعبارة تدل على توعده ونبته في الانتقام (2) .

ودعا الصميل أهل فلسطين ولخم وجذام ، وغيرهم من المصريّة لنصرته فأجابوه وقالوا له : « نحن تبع لك » (3) . ولا وصلت الأنباء إلى أبي الخطار ، خرج إليهم فهزمه وقتلوا بعض أصحابه ، وخلعوا عن الإمارة وولو مكانه سلامـة

(1) ابن الآبار : الحلقة السيراد ، ج 1 ص 66

(2) القرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 222 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 34 ، عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص 162 ، أحمد مختار العابدي : المرجع السابق ، ص 95.

(3) أخبار مجوعة ، ص 56.

الجذامي سنة 128 هـ / 745 م ، فأخذ هذا الوالي الجديد ، بكل يمينية ويستبد بهم . وظل الصراع قائماً بين المضدية واليمنية والغرب سجال بينهما ، إلى أن استطاع يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة الفهري - الذي اختاره أهل الأندلس أميراً عليهم ، سنة 129 هـ / 746 م ، بعد وفاة سلامة الجذامي - بالاشتراك مع وزيره ، وصاحب أمره الصميل بن حاتم ، أن يتصرّف على أبي الخطّار وأصحابه في موقعة « شقّنده » (1) - جنوب قرطبة - سنة 129 هـ / 746 م وأن يقتل أبي الخطّار وعدداً كبيراً من اليمنية ، وصارت الأندلس منذ تلك الواقعة تحت سلطان يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة الفهري في الظاهر وسلطان الصميل بن حاتم في واقع الأمر (2) .

وعندما تم الأمر ليوسف وصاحبه الصميل في الأندلس ، كتب الأندلسيون إلى أمير إفريقية والمغرب ، عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، يطلبون منه الموافقة على اختيارهم ، لقربيه يوسف بن عبد الرحمن واليًا وأميرًا عليهم ، فأجابهم عبد الرحمن بالقبول وبالرضا ، وأنفذ إلى يوسف عهده بولاية العدوة الأندلسية ، بصفته الأمير الشرعي على الغرب الإسلامي كله (3) .

وأصبحت بذلك الأسرة الفهريّة ، هي الحاكمة في بلاد المغرب والأندلس ، وكيفما كان الحال ، فمما تجدر ملاحظته هنا هو أن الصراع العنيف والفتنة الداخلية ، التي حلّت بالمغرب والأندلس ، حالت دون استمرار المجاهد في شمال الأندلس ، وشلت حركته ، بل أثرت حتى على الأوضاع الزراعية والاقتصادية بصفة عامة في الغرب الإسلامي ، ولا سيما في الأندلس . فقد اجتاحتها مجاعة دامت أكثر من خمس سنوات (131 - 136 / 748 - 855 م) ، لأن العرب والبربر على حد

(1) شقّنده Secunda مدينة على الجهة اليسرى من نهر الوادي الكبير ، Guadalquivir من قرطبة وكان يسكنها العمال وأهل الأسواق فهي تمثّل الريف الجنوبي لمدينة قرطبة . انظر : ابن حيان : المقنيس ، ص 209 حاشية رقم (1) تحقيق د . عبد الرحمن حجي بيروت 1965 - الحميري الروض المطار ص 104 ، ابن الآبار : الحلة السيراء ج 1 ص 44 حاشية رقم (1) .

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 37

(3) نفس المصدر ، ج 1 ص 62 ، د . سعد زغلول عبد العميد ، المرجع السابق ص 292 ، 293 .

سواء هجروا الأرض وتركوها دون فلاحة ، لأنشغالهم بالمنازعات وبالحروب العصبية العقيمة (1) .

وفي سنة 136 هـ / 755 مـ ، ازدادت الحالة الاقتصادية تدهوراً في بلاد الأندلس وساعت حالة الناس فتضاعف عدد المهاجرين من العدوة الأندلسية إلى العدوة المغربية ، فقد عبرت جاليات أندلسية كبيرة مضيق جبل طارق ، واستقرت في كل من مدینتي طنجة وأصيلا ، وفي مناطق مختلفة من الريف المغربي (2) . وكان اختيار هذه الجاليات من وادي شذونة الذي يعرف بوادي برباط (3) Rio Barbate جنوب الأندلس - .

وكانت الخلافة الأموية في هذه الفترة قد سقطت على أثر معركة الزاب الشهيرة في 11 جمادي الآخر 132 هـ / 750 مـ ، ضد الجيوش العباسية ، ونجا الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من المذبحة التي دبرها والي الشام الأمير عبد الله بن علي العبسي للأمويين عند نهر أبي قطروس بين فلسطين والأردن .

وفى عبد الرحمن بن معاوية مع مولاه يدر إلى بلاد المغرب ، ومكث فيه نحو خمس سنوات بين القبائل المغربية (4) يتنقل من برقة شرقاً إلى أطراف طنجة غرباً (5) متسللاً عن عيون العباسين وأعوانهم في المغرب . فقد استجار بقبائل منطقة تاهرت (6) ثم قبيلة مكناسة ، واحتوى بأحواله التفاوين بالقرب من

(1) أخبار مجموعة ، ص 62 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 38 . د . حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 393 .

(2) تطلق كلمة « ريف » في المغرب والأندلس على الأراضي التي تحف بالبحار والمحيط (ريف البحر) وقد عرفت بهذا الإسم المعلقة الواقعة ما بين مدينة طوان غرباً ونهر ملوية شرقاً على طول الساحل المغربي الشمالي .  
رائع : R. Dozy · Supplément du dictionnaire arabe , T. I. , p. 575. Beyrouth , 1968.

(3) د . أحمد مختار العابدي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص 265  
أخبار مجموعة ، ص 62 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 4 ص 361 ، د . حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 234 ، د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ص 165/164 .

L. Provençal : L'Espagne musulmane au 10e siècle - Institutions et vie sociale , p. 15, Paris , 1932 (4)

(5) المقرى : نفح الطيب ، ج 4 ص 28

(6) المقرى : نفح الطيب ، ج 4 ص 28

مدينة « نكور » وأخيرا انتهى به المطاف الى قبيلة « مغيلة » فنزل عند شيخها المكنى بأبي قرة أحد موالي عبد العزيز بن مروان (1).

حاول عبد الرحمن بن معاوية خلال وجوده في المغرب أن يحيي دولة أجداده ، لكنه لم يجد التعصي الكافي من المغاربة لذا يمم وجهه شطر الأندلس (2) ، التي كانت آنذاك تضطرم نارا بالفتن والاضطرابات الداخلية بين المضدية واليمنية ، ورأى عبد الرحمن أن يستغل هذه الظروف لصالحه ، فوجده مولاه بدرًا إلى مواليبني أمية المقيمين بالأندلس (3) ، ليمهدوه له الطريق ويساعدوه على ما كان يصبو إليه وهو الاستيلاء على إمارة الأندلس ، فاستجاب الموالي الأمويون لندائه ورحبوا بالفكرة ، وأخذوا على عاتقهم تنفيذها ، وأول عمل قاموا به في هذا الشأن أن توجهوا إلى المضدية وعرضوا أمر صاحبهم على زعيمها الصميل بن حاتم لأنه مضري مثلهم . لكنه خشي على نفوذه وسلطانه من قدوم هذا الأمير الأموي إلى العدوة الأندلسية ، فرفض مساعدتهم ، بل هددتهم إذا ما عبروا إليهم وقال لهم : « اني رأيت في الأمر فوجدت الفتى الذي دعوتماني إليه من قوم لو باه أحدهم بهذه الجزيرة ، غرقنا نحن وأنتم في بوله . واعلموا أن أول سيف يسل عليه هوسيفي » (4).

ولما يشن بدر وأصحابه من مساندة المضدية لهم ، تحولوا إلى اليمنية الذين كانت صدورهم تتاجج حنقا وحقدا على أعدائهم التقليديين الذين استحوذوا على الملك عن طريق زعيمهم الصميل بن حاتم صاحب الأمر الفعلي في الأندلس ، لذلك نجدتهم قد فرحت قلوبهم وهلت عندما عرض عليهم أمر الشاب الأموي وربما لا شيء وإنما للانتقام من أهل مصر ، والثواب عليهم . فتحمسوا جميعا لنصرته ويصف ذلك المقرى بقوله : « فدب أمره فيهم دبيب النار في الجمر » (5).

(1) راجع المcri : المصدر السابق ، ج 1 ص 312 ، أخبار مجموعة من 74 ، ابن القوطية : افتتاح ، ص 16.

L. Provençal : Histoire, T 1, p. 98.

(3) المcri : المصدر السابق ، ج 4 ص 28 ويتراوح عددهم ما بين 400 و 500 فارس .

(4) أخبار مجموعة ، ص 73 ، ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 18 ، المcri : المصدر السابق ، ج 4 ص 30 ، ويدرك المcri أن مفاتحة الصميل بال موضوع كانت مجرد اختبار له وجس بضميه . أنظر المصدر السابق ج 4 ص 29 .

(5) المcri : المصدر السابق ج 1 ص 29 ويدرك ابن القوطية أنهم اجتمعوا مع أبي الصباح اليحصبي وهو شيخ اليمنية في غرب الأندلس ، ومع غيره من سادات العرب ، ومخاطبوا رؤساء الشاميين في شذونة ثم خاطبوا القحطانيين في البيرة وجيان وأصحاب وادي اش ، والمحسين بن الدجن العقل للتباعد الذي كان بينه وبين الصميل فلم يمل من المضدية غيره : انظر افتتاح ص 17 .

وكان بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية حينما بلغ أرض الأندلس قد استر عند بني وانسوس المغاربة وهم من قبيلة مغيلة ، التي يوجد عبد الرحمن في حمايتها بالغرب وهو الأمر الذي يجعلني لا أستبعد أن يكون زعيم هذه القبيلة « وانسوس » « المكنى بأبي قرة » ظل يساعد عبد الرحمن في بلاد المغرب قبل استيلائه على الأندلس وبعده (1) .

ابناع موالي بني أمية مركبا حمل بدرأ واحد عشر رجلا منهم وتوجهوا إلى الشاطئ المغربي حيث يوجد عبد الرحمن في انتظارهم ، فحملوه وعادوا به إلى العدوة الأندلسية في ربيع الآخر سنة 138 هـ / 756 م (2) .

وعندما انتقلت أخبار مقدمه إلى موالي بني أمية واليمنية ، اثنال عليه الناس اثنالا وأختلفوا إليه من كل مكان ، فقوى أمره مع الساعات فضلا عن الأيام على حد تعبير ابن حيان (3) .

ويذكر ابن الكربابوس أيضا : « انحاش اليه من كان من بني أمية ومن يقول بقولهم ومن كان يوجد على يوسف الفهري موجدة لظلمة جرت عليه أو لقصير قصر به أول عطاء حرمه » (4) .

أرسل عبد الرحمن دعاته إلى مختلف الأقاليم والكور الأندلسية لاغراء زعماء العرب والبربر للانضمام إليه وتحريضهم على يوسف الفهري ، وزيره الصميل (5) . وأخذ بعد العدة وجمع الأنصار والمؤيدين سبعة أشهر تنقل خلاها في كثير من

(1) ابن القوطية : المصدر السابق ص 16

(2) أخبار مجموعة ، ص 75 ، المقري : المصدر السابق ، ج 4 ص 31 ، بينما يذكر ابن الأثير (الكامن ج 4 ص 363) والتوري (نهاية الارب ج 22 ورقة 3 أن دخوله كان في شهر ربيع الأول من نفس السنة) .

(3) المقري : المصدر السابع ، ج 4 ص 31 .

(4) ابن الكربابوس (أبو مروان بن عبد الملك) : الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص 55 وما يليها : تحقيق د . أحمد مختار العبادي مطبعة معهد الدراسات الإسلامية مدريد 1971 .

(5) ومن بين الذين أرسلهم : يوسف بن يحيى إلى جند حمص ، وتمام بن علقة إلى أهل فلسطين ، وجاءه جدارين عمرو والمدحجي من أهل رية ، وبابيه أبو الصباح من اشبيلية ، وحبيبة بن ملامس وهو سيدا العرب في الغرب ووفد إليه عاصم بن سلم التقني ، والعبيدي أبو بكر بن طفيل والأموي كلها ، وانحاز إليه بعض المغاربة من بني خليع موالي يزيد بن عبد الملك بتاكرنا في أربعمائة فارس أنظر أخبار مجموعة ص 76 ، ابن القوطية المصدر السابق ، ص 17 .

الأقاليم الأندلسية الجنوبيّة ، حتى اشتد عضده وقوى ساعده ، فنهض إلى لقاء جيش يوسف والصميل ، وكانت المعركة الفاصلة بين الفريقين « بالمصاراة » في العاشر من ذي الحجة سنة 138 هـ / 755 م (1) . حيث انتصر عبد الرحمن الداخل على يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة الفهري والصميل بن حاتم واستولى على إمارة الأندلس وأصبح يعرف بعد عبد الرحمن الداخل .

وانتهى بذلك عصر الولاية في العدوة الأندلسية الذي دام أكثر من أربعين سنة تولى خلالها عشرون والياً أي بمعدل ستين لكل وال في المتوسط ، وهذا أن دل على شيء فانما يدل على اضطراب الأندلس في تلك الفترة وعدم استقرارها .

---

(1) تقع المصاراة جنوب غرب مدينة قرطبة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير . أما نفط المصاراة فلا يعرف معناها أو أصلها وقد أطلقت على عدة أماكن في الأندلس والمغرب خصوصاً على الفضاء الفسيح المجاور للمدن الكبرى مثل : قرطبة ، غرناطة ، وفاس ، ويقام في هذه الأماكن العاب الفروسية وعرض الجيوش كما يقام فيها الصلاة العامة كصلاة العيدين أو الاستقاء لذا اخلطت الأمر بين كلمة المصلى والمصاراة .  
أنظر ، د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ص 87 .



## الفصل الثاني

### علاقة الأندلس بدوليات المغرب في عصر الإمارة الأموية ( 138 - 316 هـ / 928 م )

#### قيام الإمارة الأموية في الأندلس :

استطاع عبد الرحمن الداخل ، أن يحيي الدولة الأموية في الأندلس بعيداً عن مقر الخلافة العباسية في بغداد ، بعد ست سنوات فقط ، من انفراط دولة آبائه وأجداده في دمشق . وكان ذلك في اليوم العاشر من ذي الحجة ، سنة 138 هـ / 756 م . حيث دخل قرطبة دخول المتصر ، بعد يوم واحد من المعركة (1) .

لقي عبد الرحمن الداخل صعاباً جمة أثناء حكمه الأندلس ، الذي دام أكثر من ثلاثة وثلاثين سنة ، قضى معظمها في اخماد الفتنة والاضطرابات ، ومقارعة المناوئين ، ولا سيما منهم العرب اليمانية .

لا شك أن المساعدة التي قدمها هؤلاء اليمانيون في أول الأمر ، لم تكن عن أخلاص صادق ، ولا ولاء تام ، وإنما كانت بوازع الرغبة في الانتقام من خصومهم المصريين ، فقد كانت بينهم أيام مشهورة خلت في موقعتي « مرج راهط » (2)

(1) أخبار مجموعة ، ص 86 ، المقربي : السابق ، ج 4 ص 31 .

(2) مرج راهط هي موقعة حدثت بالقرب من مدينة دمشق ، عاصمة الخلافة الأموية في بداية عهد مروان ، بن الحكم بالخلافة بين العرب اليمانية أصحاب مروان وبين الفسحاء بن قيس زعم العرب المصرية ، ومؤيد عبد الله الزبير في ثورته على بني أمية . وفيها قتل الفسحاء وعد كثير من المصريين . راجع التفاصيل في دوزي : المرجع السابق ، ج 1 ص 76 وما يليها .

و « شفندة » كان زعيم اليمنية في غرب الأندلس (1) ، أبوالصباح بن يحيى اليحصبي قد عبر عن هذه النوايا المعادية لعبد الرحمن الداخل ، بقوله لشعبة بن عبد الجذامي - أحد قواد جند فلسطين - بعد انتصاره في معركة « المصارة » : « يائعة هل لك رأي في فتحين في فتح ، قال له شعبة : وكيف ذلك ؟ قال أبوالصباح : قد استرخنا من يوسف ، فاسترح بنا من هذا ( يعني عبد الرحمن الداخل ) وتكون الأندلس قحطانية » (2) .

لكن عبد الرحمن تمكّن من التغلب عليهم بفضل حزمه وصرامته وبعد نظره ، كما يرجع الفضل أيضاً في تثبيت ملكه ، وتوطيد سلطانه في الأندلس الى الوزراء ، والمحجّب ، والقواد الذين أحسن اختيارهم من بين مواليه أمثال : عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، ويوسف بن يخت ، وتمام بن علقة فقد ساهم هؤلاء جميعاً ، بكل جدية واحلاص في دخاله الى الأندلس ، ومنحوه كل التأييد ، وتقاعداً في سبيل توطيد أركان دولته . وكذلك ساعده انعدام الاتحاد بين خصومه ، وسهل له مهمة التخلص منهم ، الواحد تلو الآخر ، وهي السياسة التي انتهجهها في ضرب الأعداء منفردين كي يسهل عليه القضاء عليهم الواحد بعد الآخر (3) .

وكان عبد الرحمن الداخل ، قد سلك سياسة التسامح واللين في أول عهده ، مع المتمردين من أفراد رعيته ، بيد أنه سرعان ما تخلّى عن هذه السياسة ، لما وجدها لاتجدى مع هذه الرعية القلقة ، غير المسجمة ، والتي لم يجد منها إلا العناد والتحدي ، لذلك لجأ الى اتخاذ سياسة أخرى تتسم بالعنف ، وبالضراوة تارة ، وبالمكر وبالخداعة تارة أخرى (4) .

وكيفما كان الحال ، فقد استطاع الأمير عبد الرحمن الداخل ، أن يتلون ويتكيّف مع الظروف ، بحيث قهر الخصوم ، وأطفأ نار الفتنة بين اليمنيين والقيسيين ، وحاول أن يوفّق بين الأعراب البلديين والشاميين ، وأن يعزّز موقفه منهم بفتح الأندلس ، أمام طبقات النازحين إليها ، من بلاد المشرق من أفراد عائلته وأقربائه . وأنصاره ومؤيديه من بلاد افريقيا والمغرب ، سواء كانوا عرباً أم بربراً .

(1) ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 17

(2) نفس المصدر ، ص 23

(3) د. أحمد مختار العادي : المرجع السابق ، ص 107

(4) دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ج 1 ص 221

وقد أكثر عبد الرحمن الداخل ، من شراء الموالي والعييد والعمجم ، كما أنه استقدم أعداداً كبيرة من بربرا زناتة من العدوة المغربية ، وأحسن إليهم وأدخلهم في ديوان الجند ، وجمع من هؤلاء وأولئك ، جيشاً كثيفاً بلغ عدده نحو أربعين ألف مقاتل ، كانوا جميعاً رهن أشارته ، ولا يرون طاعة غيره ، ويشير ابن حيان إلى ذلك بقوله : « واستكثر - يعني عبد الرحمن الداخل - منهم - أي من البربر ومن العبيد ، فاتخذ أربعين ألف ؟ رجل ، صار بهم غالباً على أهل الأندلس ، فاستقامت مملكته وتوطدت » (1) .

ولعل عبد الرحمن الداخل أول أمير أندلسي ، وضع أساساً لجيش أندلسي منظم ، معظم أفراده من الموالي والعييد والبربر ، واحتار منهم رؤساء قواته ، وأبعد عنه العناصر العربية التي ارتتاب منها ، لكثره من ثار عليه منهم ، وهو تصرف خرج به عن قاعدة أسلافه المألفة ، الذين كانوا يؤثرون العنصر العربي ، عن غيره من الأجناس المسلمة الأخرى .

كما عمد عبد الرحمن إلى اصلاح شؤون البلاد ، فنظم الادارة وثبت السلطة ، وأعاد لها هييتها ، فارتقت بذلك امارته ، إلى مصاف الدول الكبرى المستقلة (2) .  
ويذكر ابن حيان هذا التطور حيث يقول : « وأخذهم بالأدب - أي عبد الرحمن - فأكسبهم مما قليل المرأة ، وأقامهم على الطريقة ، وببدأ بدون الدواوين ، ورفع الأواني ، وفرض الأعطيية ، وعقد الألوية ، وجند الأجناد ، ورفع العماد ، وأوثق الأوتاد ، فاقام للملك آله ، وأخذ للسلطان عدته ، فاعترف له بذلك أكابر الملوك ، وحضروا جانبه ، وتحاموا حوزته ، ولم يلبث أن دانت الأندلس واستقل له الأمر فيها » (3) .

وأعلن عبد الرحمن بن معاوية استقلاله عن الخلافة العباسية في بغداد ، فقطع الدعاء لهم ، وأمر بعنفهم على المنابر (4) ، وتخالف المصادر في تقدير المدة

(1) المقري : نفح الطيب ج 2 ص 36 ..

(2) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 206 .  
د . د . د . : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج 1 ص 46 بيروت سنة 1971 م .

(3) المقري : نفح الطيب ، ج 1 ص 310

(4) ابن عذاري : البيان المترتب ، ج 2 ص 48

التي دعى فيها للخليفة العباسي الثاني ، أبي جعفر المنصور (136 هـ - 754 م) ، على منابر الأندلس ، في عهد عبد الرحمن بن معاوية . في بينما يشير ابن الآبار إلى أنها قطعت بعد أشهر دون السنة (1) . يحددها المقري بعشرة أشهر (2) .

أما ابن حزم فيذكر أن الخطبة لبني العباس ، استمرت عدة سنوات (3) ، وهناك من المؤرخين من يجعلونها تستمر إلى عهد عبد الرحمن الناصر (300 - 350 هـ / 912 - 961 م) ، أمثال ، ابن الكردبوس (4) وابن أبي دينار (5) .

والظاهر أن الدعاء لبني العباس لم يدم طويلا ، حيث قطع عندما دخل أحد كبار أفراد العائلة الأموية إلى الأندلس ، سنة 140 هـ / 660 م ، وهو عبد الملك بن عمر بن مروان الملقب بالمرؤاني (6) ، الذي أصر على ترك الدعاء لبني العباس أو الانتحار ، فاستجاب له الأمير عبد الرحمن . ولكنه لم يتخذ لقب الخلافة ، وإنما اكتفى بلقب ابن الخلافة ، اعترافا منه بأن الخلافة لا تتجزأ ، وأن صاحبها هو حامي الحرمين الشريفين (7) . وهذا حدث خلفه من بعده ، إلى أن تولى الامارة

(1) ابن الآبار : الحلقة السيراء ، ج 1 ص 35

(2) المقري : نفح الطيب ، ج 4 ص 59

(3) ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) : نقط العروس في أخبار بني أمية بالأندلس ، ص 75 نشره د . شوقي ضيف بمجلة كلية آداب القاهرة ، ديسمبر 1951 م .

(4) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 60 وما يليها .

(5) ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم) : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ص 42 وما يليها الطبعة الأولى تونس 1286 هـ .

(6) بعد أن أستتب للأمير عبد الرحمن بن معاوية في الأندلس ، وفدي عليه عدد كبير من بني أمية سنة 140 هـ / 757 ، وكان من بينهم عبد الملك بن عمر بن مروان ، الملقب بالمرؤاني ، وكان أبوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر . فلما دخلت السودة أرض مصر ، خرج منها يوم الأندلس في عشرة من رجال قومه ، مشهورين بالبس والنجدة ، فقد له على أشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على كورة مورور ، وكان لها دور كبير في ترسية إقام الأمويين في شبه جزيرة الأندلس ، وتشير المصادر إلى أنه الزم الأمير بقطع الدعاء لبني العباس ، وقال له : «اقطعها وإلا قلت نفسي» . انظر : المقري المراجع السابق ، ج 1 ص 308 ، التويري المصدر السابق ، ج 22 ورقة (6) .

(7) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 103

عبد الرحمن بن محمد ، فأعلن نفسه خليفة ، وتسمى بالناصر للدين الله سنة 316 هـ / 928 م ، وسيأتي الحديث عنه .

### محاولات بني العباس لبسط نفوذهم على المغرب والأندلس :

لم يهدأ الخليفة أبي جعفر المنصور بال ، ولم يقر له قرار ، ما لم يتحقق له اعادة الوحدة ، للعالم الإسلامي تحت نفوذه ، ولا سيما المغرب والأندلس ، اللتين انفصلتا عن السلطة المركزية في بغداد منذ مدة ، لم يستطع أبو جعفر المنصور أن يعمل شيئاً تجاه الجناح الأيسر للعالم الإسلامي (المغرب والأندلس) ، لأنه كان مشغولاً بتوسيع أركان دولته ، وتدعم им سلطانه ، الذي اهتز على أثر ثورة عمّه عبد الله بن علي ، مطالباً بالخلافة لنفسه ، كما سخط عليه الفرس وعلى رأسهم ، أبو مسلم الخراساني (مؤسس الدولة العباسية) ، ولم يسكت عليه أيضاً الشيعة العلويون .

وكان أبو جعفر المنصور حازماً صارماً ، فقد تمكّن من قتل عمّه ، وتخلى من القائد الفارسي ، أبي مسلم الخراساني ، وكذلك أثخن جراح الشيعة بقتل محمد النفس الزكية في الحجاز ، والحق به أخيه إبراهيم بن عبد الله في العراق (1) . اجتمعت هذه الأسباب من جهة ، وبعد المسافة بينه وبين المغرب والأندلس ، من جهة أخرى ، لتشغل الخليفة أبي جعفر المنصور عدة سنوات ، عن التدخل في العدويتين المغربية والأندلسية ، وحالت بينه وبين إرسال حملات وبعوث عسكرية ، لاخضاع الثائرين بهما ، وأعادتهما إلى حظيرة الخلافة العباسية .

وكانت إفريقية والمغرب الأوسط قد خرّجتا عن سلطة الخلافة ، باستيلاء عبد الرحمن الفهري عليها ، وحتى بعد انقراض الأسرة الفهيرية على يد قبيلة ورجومة (2) ،

(1) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج 2 ص 29 مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة 1959 م .

(2) قبيلة ورجومة بطن من بطون «نفزة» ، اندلست من مبادئه الخوارج الصفرية مذهبها طا ، وأصبحت من غلاة هذا المذهب في إفريقية والمغرب ، وقيل أن زعيمها عاصم بن جميل كان كاهناً أدعى النبي ، وعند احتلاله لمدينة القبوران ، استحلّ العرمات وسي النساء والأطفال ، وربط الدواب في جامها ، وهذا هو السبب الذي جعل أبا يحيى طرابلس يهربون إلى القبوران ، لإيقادها من غيث ورجومة . وتناظر عاصم بالدعوة لبني العباس ، ولا تولى عمر بن حفص ولاية إفريقية ، أتزل هذه القبيلة بمدينة طيبة قاعدة إقليم الزاب ، سنة 151 هـ / 771 م ، لمساعدته على صد هجمات الخوارج . أنظر : ابن خلدون ج 2 ص 231 ، 232 وعن استيلاء ورجومة للقبوران أنظر : الرقيق القبوراني ، تاريخ إفريقية والمغرب ، ص 141 – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 4 ص 280 ، ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 1 ص 70 .

الصفرية ، التي استولت على مدينة القิروان ، سنة 140 هـ 760 م ، بقيادة زعيمها عاصم بن جمبل ، ثم أخرجهم منها الخوارج الاباطية ، بزعامة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافي (1) ، سنة 141 هـ / 761 م .

عقد أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم ، على ولاية القิروان ، وعاد إلى طرابلس ، بعد العدة لقاء الجيش العباسي ، الذي جاء لاسترداد المغرب إلى نفوذه الخليفة ، بقيادة أبي الأحوص العجمي ، سنة 142 هـ / 662 م وتقابل الجيشان في منطقة « مقداس » على شاطئ البحر ، كانت فيها الدائرة على الجيش العباسي فهزمه وعادت قلوله إلى مصر (2) .

لم يأس أبو جعفر المنصور من هذه الهزيمة ، وأصر على معاودة الكرة مرة أخرى ، فأنفق جيشاً أكثر عدداً وعددًا من الأول ، إذ بلغ أربعين ألف مقاتل ، قُوَّد عليه محمد بن الأشعث — والي مصر آنذاك — وأمره بالخروج إلى إفريقيا . ولأهمية هذه الجولة فقد رمى أبو جعفر المنصور بكل ثقله فيها ، حيث أضاف إلى القائد العام ابن الأشعث ثمانية وعشرين من كبار قواده ، من بينهم ، الأغلب بن سالم التميمي ، والمحارب بن هلال ، والمخارق بن غفار الطائي (3) ، توجهوا جميعاً إلى أبي الخطاب الذي كان معسكراً بجيشه ، المتكون من قبيلتي ، زناتة وهوارة بنواحي « سرت » ، يتظربون قدوة ابن الأشعث (4) ، وقد استطاع هذا الأخير أن يتزل بهم هزيمة نكراء ، بعد أن بعث في صفوفهم الفرقة ، فقتل العديد منهم ، وكان من بينهم أبو الخطاب نفسه .

(1) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافي ، من وجوه العرب الذين تقبلوا المباديء الخارجية على المذهب الأبياضي ، وهو واحد من حملة العلم الخمسة ، الذين أخذوا أصول الأبياضية بالبصرة ، على يد أبي عبد الله المسلم ، وبابته أبياضية طرابلس إماماً عليهم ، سنة 140 هـ / 757 م ، وقد امتد نفوذه من خليج سرت شرقاً إلى قابس غرباً . انظر : د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ص 339 .

(2) ابن عذاري : البيان ج 1 ص 71 — ويدرك كل من ابن خلدون والسلاوي أن المنطقة التي دارت فيها هذه المعركة هي « سرت » . انظر : كتاب العبر ج 4 ص 411 ، والاستقصاء ج 1 ص 57 .

(3) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 72

(4) نفس المصدر والصفحة . ويدرك المؤرخ الأبياضي الدرجيني أن لقاء الجيشين كان بموضع يقال له « بناروغا » تبعد بمراحل من طرابلس على بعد مسيرة (8) أيام ويضيف نفس المؤرخ أن عناصر جيش أبو الخطاب هي قبائل هوارة ونفوسه وزوجها راجع : الدرجيني (أبو العباس) طبقات المشايخ بالمغرب ، ج 1 ص 24 تحقيق إبراهيم طلائي مطبعة البعث ، بقسنطينة 1974 م .

وطن ابن الأشعث ، أنه سوف يجد الطريق مفتوحا أمامه ، إلى عاصمة إفريقية مدينة القيروان ، ولكنه فوجي بظهور قوة أخرى ، تتكون من ستة عشر ألف مقاتل ، يقودها أبو هريرة الزناتي - أحد قواد أبي الخطاب فأشتد القتال بينهما ، إلى أنتمكن ابن الأشعث من تمزيق صفوفهم ، وهزمهم في ربيع الأول ، سنة 144 هـ / 761 م (1) .

وبعد ذلك دخل مدينة القيروان دخول المنتصر ، وأعاد ولاية إفريقية للخلافة العباسية ، أما عبد الرحمن بن رستم ، الذي كان عاملا لأبي الخطاب على القيروان ، منذ سنة 141 هـ / 758 م . فقد أسرع بالفرار ناجيا بأهله وولده ، عندما حلت الهزيمة ب أصحابه أبي الخطاب ، فلجا إلى قبيلة لِمَائِيَة ، لحلف كان بينهم (2) . ثم انتقل إلى المغرب الأوسط حيث شرع في بناء مدينة تاهرت (3) .

بينما ظل المغرب الأقصى منفصلا عن الخلافة ، ولم يعد تابعا لها ، لا من الناحية الإدارية ولا السياسية ، منذ ثورة الخوارج الصفرية بقيادة ميسرة المطغري ، سنة 122 هـ / 739 م .

وكان قد تمخض عن هذه الثورات التي قامت في المغرب ، نشوء بعض الدوليات في المغاربة الأوسط والأقصى ، مستقلة عن الخلافة في بغداد . مثل دولة برغواطة في تامسنا (4) ، ودولة بني واسول في سجلماسة (5) ، كما استقر ببني يفرن ، ومغراوة

(1) ابن عذاري : المصدر الابق ، ج 1 ص 72

(2) ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 6 ص 247 - السلاوي : الاستقصا ص 57

(3) الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، ج 1 ص 35

(4) تامسنا Tamasna : لقطة بربيرية من لحجة زناتة ، ومعناها البسيط الخالي ، وتشتمل على الأراضي المتعددة على ساحل المحيط الأطلسي ، من الرباط إلى ما وراء الدار البيضاء ، حتى مصب وادي أم الربع بمنطقة دكالة . وهي الآن تكسوها المزارع والمعمران ، بينما كانت في الماضي ، أرضا من سدرة وعلق ترعى فيها الأغنام ، وهذه المنطقة هي المكان الذي نشأت فيه دولة برغواطة المارقة على الدين الإسلامي ، وقد دخلت في صراع عنيف مع الأدارسة ، وغيرهم . من حكموا المغرب الأقصى مثل : مغراوة وبني يفرن وبني أمية والرابطين ، ثم الموحدين كما سرر . أنظر : ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، القسم الثالث ص 180 حاشية رقم ( 3 ) تحقيق د . أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب بالدار البيضاء سنة 1964 م . ومقال لنفس المحقق ، الصفحات الأولى من تاريخ الرابطين ص 57 حاشية رقم ( 1 ) مجلة كلية آداب الإسكندرية عدد 21 ، سنة 1967 م .

(5) سجلماسة ( بكسر السين والجيم وسكون اللام ) مدينة مدرسة في أقصى جنوب المغرب بالقرب من مدينة

ومغيلة بتلمسان (١) ، أما الخوارج الاباضية ، فقد انتشروا في مناطق مختلفة في «تاهرت» وجبل نفوسه ، ومدينة طرابلس وضواحيها ، بينما لم يتعذر نفوذ الدولة العباسية حدود افريقية ، التي أصبحت يحيط بها بحر متلاطم من الأعداء ، الخوارج الصفرية والاباضية . يتربصون بها في كل حين .

هذا ما آلت إليه المغرب في الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن الداخل في الأندلس ، منشغلًا بتشييد دولته ، وتوسيعه أركان سلطانه . وربما يمكن القول وبدون حرج ، أن الانفصال البربرية التي عمت المغرب ، وخروجه عن السلطة المركزية في بغداد . كانت من العوامل المساعدة — سواء بطريق مباشر أو غير مباشر — في نجاح عبد الرحمن الداخل ، في بناء ماطمس من معالم الخلافة وأثارها لبني أمية بالشام ، وساعدت على ترسیخ أقدامه بالأندلس .

وكان الانتصار الذي أحرزه الجيش العباسي ، على الخوارج الاباضية في طرابلس وافريقيا قد حقق المرحلة الأولى ، من الخطوة التي رسّمها الخليفة أبو جعفر المنصور ، لإعادة الوحدة للدولة الإسلامية ، وبالتالي أصبح قريباً من سواحل الأندلس ، حتى يسهل عليه مناوشة أعدائه الأمويين .

= الريسياني ، في إقليم تافيلالت ولا زالت أطلالها موجودة ، ويسمى سكان تلك المنطقة بالمدينة المعاصرة ، ويدرك صاحب كتاب الاستبصار أنه يسكنها قوم رحالون ، بنيت سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، وكان موضعها عبارة عن سوق تسوق إليه البربر ، بتلك التواهي ، والذي بناها هو عيسى بن يزيد الأسود ، وقد جذبت كثيراً من التجار ، لأنها تعتبر مركزاً لتجارة الذهب . وانحصر اليهود بهذه التجارة لما فيها من أرباح طائلة كما يشير صاحب الاستبصار (ص ٢٠٢) . انظر : الاستبصار ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ البكري : المغرب ص ١٤٨ وما يليها ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، ص ١٣٨ هامش رقم (٢) القسم الثالث .

(١) تلمسان : مدينة تقع في الغرب الجزائري في منطقة وهران . والكلمة صيغة جمع للفظة البربرية تلمسان ومعناها التدبر أو التبع . والمدينة ، كانت عبارة عن قرية صغيرة كان يطلق عليها « أغاديس » . التي أسس على أنقاضها المدينة الحالية ، المولى إدريس الأول ، وكانت تسكنها حسب ما جاء في كتاب ابن خلدون ، قبائل بني يفرن ، ومغراوة ، ومغيلة زناتية . وعندما ضعفت الدولة الإدريسية استقل بها البربر ، وكانتا يدعون لخلفاء بني أمية في الأندلس ، ولا تفعّلها المرابطون أنسوا بجوارها مسکراً . أطلقوا عليه إسم تاكرارت وهي كلمة بربرية بمعنى المعسكر ، ولم تثبت المدينتان أن اندمجتا في مدينة واحدة « تلمسان » الحالية ، وقد بُنت هذه المدينة في عهد المرابطين والموحدين ، وازدهرت حضارتها عندما أصبحت عاصمة لدولة بني زيان ، أو بني عبد الراد وتقطعت بالحضارة الأندلسية عندما سكتها جاليات أندلسية ، من المهاجرين إليها بعد الاسترداد المسيحي في الأندلس ، فأعطوها طابعاً مميزاً على باقي المدن الجزائرية . ولا تزال تتمتع بهذا الطابع الأندلسي الأصيل إلى اليوم . وتشير مدينة تلمسان الجزائرية في الوقت الحاضر بالمؤشرات الأندلسية . وفستانها التقليدية المطرزة بالذهب . ولا يتصادرون إلا مع أهل المدينة : انظر : أعمال الإعلام ، ص ٦١ هـ . (١) .

وكان أبو جعفر المنصور ، قد غضب غضبا شديدا لنجاح هذا الأموي الشريد ، في تأسيس دولة له بالأندلس ، وحز في نفسه ، أن يكون لبني أمية ملك يقاسم بنى العباس في ممتلكات الخلافة ، فرغب في التخلص منهم ، وعزم على اقلاع جذورهم من الأندلس ، كما عمل أبوالعباس من قبل ، على استئصال شأنفهم من دمشق .

### محاولة العباسين الأولى لاعادة الأندلس الى دار الخلافة :

تعددت الثورات في عهد عبد الرحمن الداخل ، وتشعبت روافدها حتى أصبح من العسير حصرها ، ولعل أهمها تلك التي كانت بابعاز من الخليفة أبي جعفر المنصور ، وبمساعدة ولاة افريقية والمغرب . وبحدر في أن أورد هنا ثورتين خطيرتين على سبيل المثال لا الحصر ، كادتا أن تذهبا بحكم عبد الرحمن الداخل في الأندلس ، وأن كل واحدة منها تلقت الامدادات والمساعدات السياسية والعسكرية من افريقية والمغرب .

اتفق جعفر المنصور مع زعيم عربي ، من سكان مدينة باجة (1) هو « العلاء بن مغيث الجذامي » (2) ، ووعده بامارة الأندلس ان هو تغلب على خصمه ، عبد الرحمن بن معاوية أمير قرطبة ، واعادة الأندلس الى ممتلكات الخلافة ، كما كانت في السابق ، ويعث له باللواء وسجل التعيين ، فتسلمهما العلاء وعبر البحر من افريقية ومن تجمع له من المرتزقة (3) ، الى ناحية من نواحي مدينة باجة Béja سنة 146 هـ / 763 م .

أخذ العلاء يدعو للعباسيين سرّاً ، فاجتمع له عدد كبير من المؤيدين والأنصار ، ولاسيما العرب اليمانية ، الذين التفوا حول هذا الداعي العباسي ، يدفعها في ذلك

(1) تقع مدينة باجة الأندلسية Beja جنوب غرب الأندلس ، وتقع حاليا جنوب البرتغال ،

انظر : 101 . L. Provençal: Histoire T.I. p 101

(2) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 25 - ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 51 - وقد اختلف المصادر في نسبة تارة تسميه الجذامي وأخرى البيهقي وثالثة الحضرمي - انظر : المقري : نفح الطيب ج 1 ص 311 ، ج 1 ص 35 - أخبار جموعة ص 101 ، انظر ابن الأثير : الكامل ج 5 ص 21 ، دوزي : المرجع السابق ج 1 ص 222 هامش رقم (1) .

(3) يذكر المقري ، أن عدد الذين عبروا من افريقية مع العلاء ، كان قليلا إذ يقول : « وكان قد وصل - أي العلاء - من افريقية على أن يظهر الرأبة السوداء بالأندلس ، فقد دخل في ناس قليلين فأرسى بنواحي باجة انظر : نفح الطيب ، ج 4 ص 36 .

حقداها الشديد للأمير الأموي ، الذي حد من نفوذهم وسلطانهم ، بل أبعدهم عنه لما ارتاب منهم ، وما صرامة إلى العرب المصرية أعداء اليمنية التقليديين .

استطاع العلاء بن مغيث أن يستولى على غرب الأندلس (1) ، وكان عبد الرحمن الداخل يومئذ ، قد خرج لاخماد ثورة قامت في مدينة طليطلة (2) ، فلما بلغه خروج العلاء عليه ، عاد لتوه إليه يطوي المراحل ، لكنه لم يجد بدا من التقهقر أمام كثرة أنصار العلاء ، ولجأ إلى حصن « قرمونة » - شرق أشبيلية - فضرب العلاء وجنته عليه حصارا محكما ، دام نحو شهرین ، حتى كاد الأمير الأموي أن يلقي ما بيهه ويستسلم للثوار ، لولا أن أسعفه الحظ ، بتخلخل صف التائرين ويتفرق بعضهم ، وبعوده الكثير منهم إلى كورهم ومنازلهم ، وذلك بسبب طول الحصار ونقص مؤوتهم (3) . فلما رأى عبد الرحمن الداخل مآل إليه أمر هؤلاء الثوار ، أضرم النار بـ أحد أبواب الحصن - بـ بـاب أشبيلية - وأمر بجفون سيفهم فاحترقت وصاحت في أصحابه ، يبعث في نفوسهم النخوة والحمية (4) ، من جديد ، ثم قال لهم : « اخرجوا معي لهذه الجموع خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع » (5) . فاندفع بذلك أصحابه خلفه . وكان عددهم نحو سبعمائة مقاتل ، فاخترقوا صفوف العلاء ، وأنزلوا بهم هزيمة نكراء ، حيث قتل عدد كبير منهم ، وعلى رأسهم قائدتهم العلاء بن مغيث ، الذي اجترأسه ، وطيف به في الشوارع ، ثم استفرغ وجهى بالملح والكافور ، ووضع في سقط ، بعد أن لفوه في لواء المسودة ، ووضعوا معه كتاب التعيين . ثم أرسله عبد الرحمن الداخل ، مع أحد التجار ، إلى مكة المكرمة حيث صادف حجج الخليفة المنصور في تلك السنة ، فوضّعه التاجر أمام سرادق الخليفة ، فلما رأه المنصور فزع من هذا المنظر وقال : « عرضنا هذا المسكين البائس - يعني العلاء - للحتف ما في هذا الشيطان مطعم ، فالحمد لله الذي صير هذا البحرييننا وبينه » (6) .

(1) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 2 ص 52

(2) نفس المصدر والصفحة ، وهي ثورة قام بها هشام بن عبد ربه الفهري . زبما أراد أن يهدى لحملة العلاء - كما يشير ، الأستاذ المرحوم عبد الحميد العبادي - ثار في مدينة طليطلة ودعا لبني العباس ، وكأنه أراد أن يشغل الأمير عبد الرحمن عن ثورة العلاء . انظر : المجمل في تاريخ الأندلس ص 79 . القاهرة 1958 م .

(3) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 25

(4) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 105

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 51

(6) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 25-26 - ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 52 - المقرى : نفح الطيب ، ج 4 ص 36 .

أما باقي القتلى ، من مشاهير أصحاب العلاء القادمين معه من إفريقية . فقد قطعت رؤوسهم أيضا ، وكتب اسم كل واحد منهم ، على بطاقة علقت في أذنه ، وأرسلت هي الأخرى إلى مدينة القيروان ( مقر الولاية العباسيين ) . والقيت في أحدى أسواقها ، ومعها كتاب سجل فيه خبر مقتل العلاء وأصحابه ، فانتشر خبرهم بين الناس (1) .

وقد اعترف الخليفة أبو جعفر المنصور نفسه ، ونوه بشجاعة هذا الأموي الطريد الشريid ، وأطلق عليه لقب « صقر قريش » (2) .

وكانت هذه أول محاولة وآخرها ، في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور . وإذا كان المنصور لم ينجح في القضاء ، على عبد الرحمن الداخل حربيا ، فقد نجح إلى - حدما - سياسيا ، إذ وضع أساسا لهذه السياسة ، التي سار عليها خلفه في معاداة بنى أمية في الأندلس . وكان أبو جعفر المنصور أول من طرق باب الفرنجة في الغرب ، حيث رغب في محالفة الملك « بين » Pépin ( 134 - 151 هـ / 751 - 768 م ) ، ضد خصمه عبد الرحمن ، فأرسل إلى بلاطه . وفدا أقام عنده عدة سنوات ، ثم عاد إلى بغداد وبرفقته سفارة مماثلة من الفرنجة ، استقبلها الخليفة ثم عادت إلى بلدها ، محملا بالهدايا الشرقية الثمينة (3) .

ومما لا شك فيه أن عبد الرحمن الداخل ، لم يبق مكتوف الأيدي حيال هذه المناورات العباسية واستفزازاتها ، التي باتت تهدد أمنه في عقر داره ، إذ قام بالدفاع عن سلطانه ، بكل حزم وشدة ، وأخذ يطارد دعاة المسودة ، ويتعقبهم أينما كانوا وحيثما وجدوا على أرض الأندلس . وبما أن وضعه الداخلي ، لا يسمح له بتوجيه حملات عسكرية انتقامية ضد بنى العباس ، فقد فضل أن يتوجه إلى أصدقائه ، من بربور بلاد المغرب ، الذين يثق بهم ، ولا سيما تلك القبائل التي أجارته ، بعد فراره

(1) أخبار مجموعة ، ص 103 - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 52 - المcri : المصدر السابق ، ج 1 ص 311 .

(2) أنظر : ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 9 ، 10 - تحقيق لبني بروفنسال بيروت 1956 .

(3) د . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج 2 ص 229 .

من المشرق ، مثل أخواله من قبيلة « نفزة » وبني رستم وشيخ مغيلة ، أبو قرة المغيلي الذي نال عنده حظوة كبيرة ، فقدمكث عنده نحو سنتين كاملتين (1).

والظاهر أن اعتماده ، كان كبيرا على الفرق الزناتية ، التي كانت تعبر من المغرب إلى الأندلس بانتظام ، لتغذى جيشه بالمقاتلين الأشداء (2).

وتذهب بعض المصادر ، إلى أن قبيلة زناتة البربرية ، كانت تدين بالولاء لبني أمية منذ عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (23 - 643 هـ / 655 م) وكانتوا يظاهرون المروانية في الأندلس ، رعيا لهذا الولاء (3) ، ولعل هذا هو السر في بقاء بني يفرن وamura (من بطون زناتة) ، محافظين على المذهب السنوي ومتمسكين به (4) . وهو المذهب الرسمي لللامارة الأموية في الأندلس .

وكان أبو قرة المغيلي (اليفري) (5) ، قد سار إلى الأندلس لما أستتب أمر عبد الرحمن بن معاوية بها ، فاستقبله الأمير في قرطبة استقبلاً حافلاً ، ورحب به ، ونال عنده مكانة خاصة ، إذ قربه وأحسن إليه والي زوجته « تكتفات » (6) . وشكر لها شجاعتها وحسن صنيعها عندما قامت بتحبّته تحت ثيابها ، لماً أقبل جند أمير

(1) ابن عذاري : البيان المغرب ج 2 ص 41

H. Fournel Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes qui ont occupé le Maghreb (2) central, T. I., p. 99, Paris, 1881.

(3) ابن حيان : المقنيس مخطوط ورقة رقم 105 مؤلف مجهول : مقابر البربر ، ص 5 ، نشر ليفي بروفنسال الرباط 1934 ويضيف ابن خلدون أن زناتة ، كانت تدين بالولاء لبني أمية ، فقد هاجر أميرهم صولات بن وزمار إلى المدينة ، حيث وفدى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأحسن لقاءه ، وعقد له على قومه ووطنه فانصرف إلى بلده ، متقططاً بالدين الجديد - مظاهراً لبني أمية ، وقيل أنه أحد أميراً لأول الفتح ، فأطلق الخليفة عثمان بن عفان سيله بعد أن أسلم ، وعقد له على قومه وبنته ، فاختص صولات بولاء بني أمية أنظر : كتاب العبر ، ج 7 ص 50 .

(4) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 463 تحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف بالقاهرة 1948 - ابن خلدون : المصدر السابق ج 1 ص 26 .

(5) اختلف المؤرخون في سبب « أبي قرة » فبعضهم ينسبه إلى بني يفرن ، والبعض الآخر إلى قبيلة « مغيلة » ، ويدوأن الرأي الأخير هو الأصح استناداً إلى قول ابن خلدون : « وقدموا على أنفسهم - أي بربر تلمسان - من بني يفرن ويقال ، أنه (أبي أبو قرة) من مغيلة وهو الأصح في شأنه ، لأن هاتين القبيلتين متتاجرتان ومن الصعوبة بمكان ، التمييز بينهما . أنظر : كتاب العبر ، ج 6 ص 225 ج 7 ص 24 - المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 312 - السلاوي : الاستقصاص ص 57 .

(6) المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 312 .

افريقيا آنذاك ، عبد الرحمن بن حبيب الفهري (744 - 138 هـ / 755 - 127) ،  
الى بيته للبحث عنه (1) .

والظاهر أن أبو قرة المغيلي . قد استطاب العيش في الأندلس ، فاستقر بها مدة  
بجوار الأمير عبد الرحمن الداخل ، بعيداً عن الحروب الضاربة في المغرب ،  
ففي هذه الفترة سكتت النصوص التاريخية ، عن ذكر اسمه ، ما يقرب من عشر  
سنوات . غاب أثناءها عن مسرح الأحداث المغربية . ولم يظهر إلا في سنة 148 هـ /  
765 م (2) . حيث قامت بمعايعته برب تلمسان (بني يفرن ومجيلة) ، زعيمها من  
جديد ، وجاءت هذه المبايعة بعد سنة واحدة فقط ، من فشل ثورة العلاء بن مغيث في  
الأندلس . وهذا يجعلني لا أشك في أن عودة هذا الزعيم الجزائري إلى المغرب ، ربما  
تكون باتفاق تم بينه وبين عبد الرحمن بن معاوية ، أو قد تكون بتحريض هذا الأخير  
ومساعدته ، حتى يكون سندياً له ، ضد ولاة العباسيين في افريقيا .

وقد استهل أبو قرة المغيلي عمله ، بعد عودته من الأندلس بمناوشة الوالي  
العباسي الأغلب بن سالم التميمي (148 - 151 هـ / 765 - 768 م) (3) ، ثم  
شن حرباً ضرورياً على والي القiron عمر بن حفص (151 - 154 هـ /  
765 - 770 م) المعروف « بهزار مرد » ، وقد اشتد أوار الحرب بينماً عندما  
استطاع أبو قرة أن يجمع المغاربة بمختلف فرقهم ونحلهم في خلف ضم إثنى عشر  
عسكراً (4) ، يقدر مجموع عددهم بنحو سبعين ألف مقاتل ، تقدم أبو قرة بأكثر من  
نصف هذا العدد ، نحو مدينة « طبنة » ، قاعدة الزاب سنة 154 هـ / 770 م ،  
لمقاتلة عمر بن حفص ، الذي جاء لتحسين هذه المدينة (5) ، ثم تقدمت المجموعة  
الأخرى ، وضرروا عليها حصاراً محكماً ، لكن دهاء الوالي العباسي ، وأقدامه حال

(1) يروي المقري قصة طريفة عن مزح الأمير عبد الرحمن ، مع تكفات أثناء استقباله في قرطبة ، إذ قال  
لها : « لقد عذبني بريء ابطلك ياتكفات على ما كان بي من خوف ، وسطعني بأنتن من ربع الخيف  
فكان جوابها له مسرعة ، بل كان ذلك والله يا سيدى ، منك خرج ولم تشعر به ، من قرط فزعك فاستظرف  
جوابها » . انظر : المقري : المصدر السابق ، ج 1 ص 313 .

(2) ويدرك صاحب مفاخر البربر (ص 48 - 49) أن أبو قرة ثار بتلمسان ، سنة 129 هـ / 746 م ، وبنى  
نحو أربعين سنة يسلم عليه بالخلافة .

(3) ابن عذاري : البيان المغرب ج 1 ص 74 - ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 7 ص 24

(4) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 1 ص 75 - السلاوي الاستقصا ، ج 1 ص 58 .

(5) السلاوي : الاستقصا ج 1 ص 58 .

دون تنفيذ خطة البربر ضدّه ، فقد استطاع أن يحدث تصدعاً ، في هذا الحلف بأغراض أحد قواد المعسكر البربرى ، بمبلغ من المال فانسحب من الحلف بجنده (1) ، ثم تبعته جموع أخرى ، عند ذلك لم يجد أبوقرة بدا ، من الانسحاب والعودة إلى بلده تلمسان ، بدون قتال . ولم يصمد عبد الرحمن بن رستم هو الآخر ، أمام طلائع عمر بن حفص ، التي سيرها إليه فانهزم وعاد إلى تاهرت (2).

أما أبوحاتم بن لبيب المغيلي ، زعيم اباضية طرابلس ، فلم يتوان هو الآخر ، عن المشاركة في هذه الانتفاضة البربرية ضد الوالي عمر بن حفص ، فتقىدم نحو القيروان وحاصرها ، مدة زادت عن ثمانية أشهر ، حتى نفذ زاد أهل المدينة ومؤونتهم فأكلوا سناينهم ودوايهم (3) ، ودخلهاأخيراً بعد أن حرقتها ، وحطّم أبوابها ، وثمّ أسوارها ، وقتل وإليها عمر بن حفص سنة 154 هـ / 770 م (4) .

وكان الخليفة أبو جعفر المنصور ، قد بعث يزيد بن حاتم إلى إفريقية ، لنجددة عمر بن حفص ومساعدته ، ولا وصل إلى نواحي « سرت » تقابل مع أبي حاتم ودارت بينهما حرب طاحنة ، قتل خلالها الزعيم الاباضي وعدد كبير من جنده (5) ، وعادت بذلك إفريقية من جديد ، إلى الخلافة العباسية سنة 155 هـ / 771 م (6) .

ولم يُقدّر لهذه الجهود المغربية الأموية أن تنجح ، في القضاء على التهديد العباسى في المغرب ، بسبب كثرة الخلافات والتراكات التي طلما نشبت بين القبائل المغربية ، تتوجّجها التزعة القبلية ، ولم يقدر أيضاً لهذا الحلف أن يطول أمده ،

(1) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص 143 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 25 ، السلاوي : الاستقماء ج 1 ص 58 - أجمع هؤلاء المؤرخون أن عمر بن حفص ، أرسل إلى أبي قرة ، مبلغاً من المال عن طريق ابنه أبي نور علي ، يقدر بأربعين ألف درهم ، وكسوة مقابل ذلك المحصار عنه ، لكن أبي قرة لم يكثّر إلى طلبه ، ولم يتجه ، فقدم عمر بن حفص إلى ابن أبي قرة مبلغاً أربعة آلاف درهم ، فأجابه وأرتجل في ليته ، فتبعته العساكر الأخرى فاقصر أبوقرة ، إلى الانسحاب ، أما ابن عذاري ، فيذكر أن أخيه هو الذي قبل المبلغ بدلاً من ابنه أنظر : البيان ، ج 1 ص 76 .

(2) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 143 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ص 226 .

(3) نفس المصدر ص 143 - 144 - ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 76 .

(4) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 147 - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 77 .

(5) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 148 .

(6) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 78 - السلاوي : الاستقماء ، ج 1 ص 63 .

وكانت نهاية الفشل الذريع ، رغم مابذله البربر من ضروب الشجاعة النادرة والبطولة الفدفة ، وكادوا أن يزيلوا الوجود العباسي ، عن أرض المغرب وأفريقيا . لولا صلابة يزيد بن حاتم وشجاعته ، وخبرته الطويلة في مواجهة ظروف وأحداث مثل هذه ، فقد أحسن أبو جعفر المنصور الاختيار ، بتعيين يزيد بن حاتم ، فوضع بذلك ، الرجل المناسب في المكان المناسب .

ويعد أحد المؤرخين هذه الثورة البربرية ، بأنها زبدة الثورات التي مخضتها الخوارج في المغرب ، منذ ثورة ميسرة المطغرى سنة 122 هـ / 739 م (1) .

وكيفما كان الحال فإن ما قام به أبو قرة المغيلي ، وغيره من بربر المغرب من ثورات ضد الولاة العباسيين فيAfrique، شغلت هؤلاء الولاة ، وخليفة بغداد عن التطلع إلى الأندلس ، مدة تزيد عن اثنى عشرة سنة ، أي من سنة 147 هـ / 764 م ، إلى سنة 161 هـ / 777 م ..

#### المحاولة الثانية :

/ تولى الخلافة محمد المهدي بعد وفاة أبيه ، أبي جعفر المنصور سنة 158 هـ 775 م ، وكان يرغب رغبة أبيه في توحيد العالم الإسلامي تحت الرأية السوداء ، ولم يتردد في مجازاة السياسة التي رسماها والده من قبل ، وهي معاداة الأمويين في الأندلس ، لكنه على أي حال ، لم يكن بوسعه تجريد الجيوش إلى العدوة الأندلسية ، وبعد الشقة بينهما وصعوبة الطريق . لذلك أقدم على حياكة ديباجة مؤامرة دولية خطيرة ، لم يتجرأ أسلافه القيام بمثلها . وكان الهدف منها ، تقويض عرشبني أمية من الأندلس .

عقد محمد المهدي (158 هـ - 169 / 775 - 786 م) ، تحالفًا سريا ، مع ملك الفرنجة شارلمان Charlemagne (151 / 199 - 768 / 814 م) ، أو «قارلة» كما تسميه النصوص التاريخية العربية عن الأصل اللاتيني Carlos Magnos لغزو الأندلس (2) .

وقد أبدى شارلمان استعداده ، وتحمسه لهذه المؤامرة ، ورأى فيها الطعم الدسمة التي يمكن بواسطتها ، تحقيق ما كان يحلم به ، وهو توسيع رقعة دولته حتى أرض

(1) السلاوي : المصدر السابق ج 1 ص 63 .

(2) ورد خطأ في كتاب أخبار مجموعة من 111 أن هذا الحلف تم بين أبي جعفر المنصور وشارلمان العظيم .

جليقية ، وغيرها من الأراضي الإسبانية المجاورة لحدود مملكته ، والتي يرقد عليها جثمان القديس يعقوب ، أحد الحواريين الذي يدعى عند الانجليز « جيمس » وعند الأسبان سانتياجو دي كومبوستيلا – Santiago de Compo Stela – في العرب « شنت ياقب » ، ويزعم المسيحيون أنه مدفون في « غالسيا » أو « جليقية » ، في شمال غرب إسبانيا ، وقد أقاموا فوق ضريحه كنيسة عظيمة بحث عنها المسيحيون من جميع أنحاء العالم ، ولا تزال مدينة Santiago de Compostela من أشهر المدن الإسبانية الدينية حتى اليوم . وكان الأوروبيون في العصور الوسطى ينظرون إلى سانتياجو على أنه القديس الذي يحجون إليه . أما الأسبان Santiago El Peregrino فينظرون إليه على أنه سانتياجو المحارب . Santiago El Belico قاتل المسلمين Matamoros (1) .

وكان « شرمان » يربد أيضاً أبعاد الخطر الأموي ، الذي يهدد حدود دولته من الجنوب ، كما صادفت هذه الفكرة هو في نفسه ، إذ كان يرغب الاستعانتة بالدولة العباسية ، لاضعاف منافسيه على زعامة العالم المسيحي (2) ، وهو أباطرة بيرنطة ، وكان الوقت مناسباً بالنسبة « لشرمان » ، لأنَّه انتهى من مد سلطانه على « السكسون والمبردين » ، وغيرهم من الشعوب الجرمانية (3) .

تم الاتفاق مع اثنين من الرعماء المحليين في المغرب والأندلس ، وهما : عبد الرحمن بن حبيب المشهور بالصقلي ، والمعروف بمعناته الكثيرة في إفريقية (4)

(1) د. أحمد مختار العبادي : صور لحياة العرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 92 مجلة البيئة السنة الأولى عدد (9) الرباط 1963 ويحكي أن شرمان رأى في منامه القديس جيمس ، الذي أخبره أن جثمانه الذي لا يعرفه المسيحيون والمسلمون ، يرقد في تلك البلاد الثانية ، وأمر شرمان بأن ينهض وبخلص جليقية من يد المسلمين ، وتكررت ظهور هذه الرواية ثلاث مرات حسب ما تذكره الأسطورة .  
راجع د. عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص 201 حاشية رقم (3) راجع أيضاً : دوروش لور : أسبانيا شعبها وأرضها ص 60 ، 61 ، 62 . ترجمة طارق فودة . مراجعة وتقديم د. عز الدين فريد ، القاهرة 1965 م .

(2) محمد محمد مرسي الشيخ : شرمان باعث النهضة الأوروپية ومجدد عهد الأمبراطورية في الغرب ، ص 11 مقال منشور سنة 1975 م .

L. Provençal Histoire, T. I., p. 120 (3)

(4) راجع الترجيبي : المصدر السابق ، ج 1 ص 35 .

والثاني أمير برشلونة اليماني ، سليمان بن يقطان الكلبي الأعرابي ، الحاقد على أمير قرطبة عبد الرحمن الداخل (1) . وكان مصير هذه المحاولة العباسية مصير سابقتها ، إذ منيت بالفشل الذريع نظراً ، لافتقارها إلى التنسيق بين الأطراف المتأمرة من جهة ، وبعد المسافة وصعوبة المواصلات من جهة ثانية .

عبر عبد الرحمن الصقلي البحر من إفريقية ، ونزل بنى أتى معه من المغاربة على شاطئ تدمير (مرسية) سنة 161 هـ / 777 م (2) . وكتب إلى سليمان بن يقطان ، «بسرقة» يعلمه بقدومه ويدعوه إلى التعجل بالتهوض معه ، لكن سليمان هذا تعلل بعدم استطاعته ابراج المكان ، لأنه أنيط به أمر مساعدة الملك «شاريلان» . ريشما يصل الأندلس . وفي خلال ذلك الوقت كان الأمير عبد الرحمن الداخل ، يقف له بالمرصاد ، إذ أحرق سفن الصقلي الراسية بساحل تدمير ، حتى يمنعه من الهروب ، ثم تقدم نحوه ، فهرب الصقلي أمامه وصعد جبراً وعراً بناحية «بلنسية» ، وتحصن به مع من بقي معه (3) .

لتـي الصقلي مصرعه غيلة في هذا المكان ، على يد أحد ثقاته من بربر تلك المنطقة يدعى «مشكار البربر البرنسـي» (4) ، الذي لم يتورع عن قطع رأسه ، وحمله إلى الأمير عبد الرحمن ، نظير مقدار من المال ، قدره ألف دينار . وكان ذلك

(1) أخبار مجموعة ص 11 ، ابن الأثير: الكامل ، ج 5 ص 60 ، التويري : نهاية الأرب ، ج 22 ورقة 7) وبرشلونة عاصمة أقليم كاتالونية ، أسسها الفنزيون وفتحها المسلمون ، سنة 95 هـ / 713 م . راجع : محمد الفاسي ، الاعلام الجغرافية الأندلسية ص 22 / 33 مجلة اليبة العدد الثالث محرم 1312 / يوليه 1962 م .

(2) العنري : توسيع الأخبار ، ص 11 و تدمير » هو الاسم القديم لمدينة Marcia . وقد أختط مدينة مرسية جابر بن مالك بن نبيد ، عامل تدمير سنة 216 هـ / 831 م في أيام عبد الرحمن الأوسط ، ولم يلبث أن أصبحت مرسية عاصمة لكرنة تدمير ، ثم سميت الكورة باسمها : راجع ، العنري : المصدر السابق ص 1 ، الحميري : روض المطار ، ص 181 ، د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 75 .

(3) أخبار مجموعة ص 11 ، العنري : المصدر السابق ، ص 11 ابن الأثير: الكامل ، ج 5 ص 60 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 56 ، التويري نهاية الأرب ، ج 22 ورقة (7) .

(4) أخبار مجموعة ص 111 ، العنري : المصدر السابق ، ج 11 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 5 ص 60 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 5 ص 56 ، التويري : المصدر السابق ، ج 22 ورقة (7) .

سنة 162 هـ / 778 م (1). ولم يلبث الأمير الأموي بعد هذا الانتصار السهل ، أن وجه حملة إلى كل من سليمان بن يقظان ، والحسن بن يحيى الأننصاري « سرقسطة » ، قاعدة الثغر الأعلى ، بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي ، ولكن هذه الحملة انهزمت وأسر قائدها « ثعلبة » ، فبعث به ابن يقظان إلى ملك الفرنجة « شرلأن » (2) ، الذي لم يتأخر عن المسير نحو الأندلس عبر جبال « البرتات » (3) . ولما دخل الأندلس واقترب من مدينة « سرقسطة » ، وجد أبوابها موصدة في وجهه ، والظاهر أن انقلاباً وقع في داخل المدينة ، مصادراً لهذا التحالف ، تزعمه الحسين بن يحيى الأننصاري ، وبتعصيم من حامية المدينة التي أبْت في شعم ، تسليم مدينتها إلى الفرنجة المسيحيين ، أو ربما يكون الحسين هذا قد اضطر إلى نقض الاتفاق مع ابن يقظان ، تحت ضغوط أعيان المدينة وشيوخها ، أو أنه وجد لها فرصة مناسبة لتحقيق أغراضه الشخصية ، وهو الانفراد بحكم الثغر الأعلى .

وكيفما كان الحال فقد حاول شرلأن عيناً ، دخول المدينة بالقوة ، فلم يستطع ، إذ كانت مقاومة سكانها شديدة .

وبينما كان محاصراً لها ، إذ ورته أبناء - من عاصمته « اكس لاشابال » Aix Lachapelle ( مدينة آخر الألمانية الحالية ) عن ثورة القبائل الجرمانية وخروجهما عليه ، ونقض طاعته ، متنهزة في ذلك فرصة غيابه وبعده عن المملكة . ولم تقف عند هذا الحد بل ارتدت أيضاً عن الديانة المسيحية ، التي أرغماها شرلأن على الدخول فيها (4) ، فاسرع يطوي المراحل للعودة إلى بلده سنة 162 هـ /

(1) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 5 ص 60 ، النويري : المصدر السابق ، ج 22 ورقة (7) .

(2) أخبار مجموعة ، ص 113 ، المنري : المصدر السابق ، ص 25 L. Provençal · Histoire , T. I., p. 223

(3) تفصل الجبال المسماة بالبرتات : (البرانس) Pyrénées بلاد الفرنجة عن إسبانيا ، ولا زالت تحفل هذه الجبال ، بعدد من المرات أو الأبواب ، أطلق على كل منها اسم « برت » أشتقاقاً من الأصل اللاتيني Pertus ثم عمموا تلك التسمية على جبال البرانس نفسها ، وصارت تعرف باسم جبال « البرتات » ، وقد أشتهر من بين هذه الأبواب « بورت شيزر » أو كما تسميه العرب « باب الشزار » ، د. إبراهيم العدوبي ، بلاد الجزائر ، ص 218 ، 219 ، محمد القاوي : الأعلام الجغرافية الأندلسية ، ص 22 .

(4) دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج 1 ص 231 - محمد محمد مرسي الشيخ : شارلأن باعث النهضة ص 8 .

778 م ، بعد أن أخذ معه سليمان بن يقطان أسيرا ، لتبسيبه في فشل الحملة (1) .  
وكان شرمان قد سلك طريق الممرات الوعرة في جبال البرتات ، وبينما هو  
يعبر ممر شيزر أو رنسفاله Ronevelles (2) ، تقاطرت عليه قبائل البشكنس  
(الباسك) سكان تلك المنطقة ، من كل حدب وصوب ، ووجهوا إلى مؤخرة جيشه  
ضربة قاسمة أتت على معظم عسكره (3) ، وصفوة من قواه أمثال إجيهارد  
Eggihard ، وانسليم Anselime ورولند Roland ( والى إقليم  
بريتاني ) (4) ، صاحب الأسطورة الشعبية الفرنسية ، وللحمة الشعرية التي تعرف  
بأشودة رولاند Chanson de Roland ، والتي تشيد ببطولة هذا القائد ،  
وأخلاصة لسيده ، ويقال أنها بداية الأدب الشعبي الفرنسي (5) .

ويبدو أنه كان لعبد الرحمن ضلع في هزيمة هذا الجيش الأفرنجي إذ تشير  
بعض المصادر إلى أن الأمير عبد الرحمن ، قد خرج إلى إقليم بنبلونه في ذلك الوقت (6)  
وربما يكون قد عمل على تحريض أبناء سليمان بن يقطان الأسي ، بالاشتراك في  
الهجوم على شرمان ، وزودهم بالمال والسلاح ، فلم يتأنّر هؤلاء الأبناء عن ذلك ،  
وتمكنوا من اطلاق سراح أبيهم ، غير أنه لم يلبث أن لقى حتفه بعد ذلك ، على يد  
الحسين بن يحيى الانصاري حاكم سرقسطة ، ولاشك في أن قته كان بايعاز من  
أمير قرطبة (7) .

وهكذا انتهت هذه المؤامرة بالفشل الذريع ، وخرج منها ابن معاوية منتصرا ،  
بينما عاد منها شرمان ملك الفرنجة ، جاراً وراءه ذيول الخيبة والأسي ، عما لحقه من

(1) دوزي : المرجع السابق ، ج 1 ص 231 - د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 108.

(2) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وإثارهم في الأندلس ، ص 203 - د. أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 108.

(3) دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ، ج 1 ص 231 ، د. أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 108.

(4) دوزي : المرجع السابق ، ج 1 ص 231.

(5) عبد الحميد العبادي : المجمل في تاريخ الأندلس ، ص 83 - د. أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 109.

(6) أخبار ، مجموعة ص 114 - د. عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 203.

(7) العذر : تصريح الأخبار ص 26.

هزيمة نكراء ، لقتته درسا قاسيا ، لم يقم بعدها بأية مغامرة أخرى ضد عبد الرحمن الداخل (1) .

أما بنو العباس رغم قשלهم للمرة الثانية ، فإن فكرة إعادة الأندلس للخلافة العباسية ظلت شغلهم الشاغل . حتى أن المعتصم الذي تولى الخلافة في مطلع القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ( 218 - 227 هـ / 833 - 842 م ) ، ظلت تراوده هذه الفكرة ، فعم على إرسال جيش كبير إلى الأندلس . وقد أشار إلى ذلك السيوطي نقلا عن الصولي ، عن أحمد بن الخطيب حيث قال : قال المعتصم : « انبني أمية ملكوا ، وما لأحد منا ملك ، وملكتنا نحن ، ولهم بالأندلس هذا الأموي ، فقدر ما يحتاج إليه لمحاربته وشرع في ذلك ، فأشتدت عليه علته ومات» (2) .

وكان عبد الرحمن ، قد عزم هو الآخر على الانتقام من العباسين ، ويذهب النويري إلى أنه جهز جيشه ، لإرساله إلى بلاد الشام ، غير أن ثورة الحسين بن بخي الأنصاري ، بمدينة سرقسطة سنة 163 هـ / 779 م (3) ، أضطرته إلى تحويل هذا الجيش نحوه ، وتمكن عبد الرحمن أخيرا ، من قتل الحسين بن بخي وإعادة سلطانه على هذه المدينة سنة 166 هـ / 782 م (4) .

ولاشك أن رواية كل من السيوطي والنويري - أن صحت - لا تعبر إلا عن افعالات شخصين وقتيتين بعيدة كل البعد ، عن الحقيقة الواقعية وهي استحالة كل من الجانبين غزو الآخر بعد المسافة بينهما .

ويبدو أن عبد الرحمن الداخل بعد هذا الانتصار السهل ، على إعدائه ، والذي لم يكلفه عناء كبيرا ، استعادت له هيئته في الداخل والخارج ، عند ذلك أقدم الأمير الأموي على فتح صفحة جديدة في سياساته الخارجية ، وبصورة خاصة

(1) د. أحمد إبراهيم الشعراوي : الأمويون أمراء الأندلس الأول ، ص 105 دار النهضة العربية القاهرة 1969 م .

(2) السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، ص 336 / 337 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1371 هـ / 1952 م .

(3) النويري : نهاية الأرب ، ج 22 ص 7 .

(4) أخبار مجموعة ص 115 .

مع الدولة الكارولنجية ، حيث دعا الملك شرطان إلى السلم والمصاورة ، حتى يتفاوضوا  
شرهما - فأجابه هذا الأخير ، إلى السلم ولم تتم المصاورة بينهما (1) .

وتعهد خلالها ملك الفرنجة ، أن لا يعيد الكرارة مرة أخرى لغزو الأندلس ،  
وبالفعل فقد التزم شرطان بهذه المعاهدة فترة من الزمن ، أي منذ فشله سنة 162 هـ /  
778 م ، إلى سنة 185 هـ / 801 م ، حيث غزا الفرنجة مدينة برشلونة ، وأستولوا  
عليها في عهد الأمير الثالث الحكم بن هشام (180 هـ - 206 / 821 م) (2) . ومنذ ذلك الوقت صارت برشلونة ثغراً إسبانياً *Marca Hispanica* للدولة الكارولنجية (3) .

أما الدولة العباسية ، فقد أدركت هي الأخرى عدم الجدوى في استعمال  
الحملات العسكرية لاعادة الأندلس إلى أملاكها ، فاقتصرت على مناوشة خصومهم  
الأمويين ، معتمدة في ذلك على أسلوب المناورات السياسية والدبلوماسية (4) . التي  
وضع أساسها الخليفة أبو جعفر المنصور ، وهو التحالف مع الفرنجة ضد بني أمية في  
الأندلس ، وقد ردت الأندلس ، على ذلك في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم ،  
بالتحالف مع الدولة البيزنطية المتاخمة لحدود العباسين في المشرق .

وهكذا قضى عبد الرحمن بن معاوية ، معظم وقته في مطاردة المناوئين ،  
والعارضين والمتآمرين . واستطاع أن يقضي على الثورات التي قامت في عهده ، بفضل  
جيشه المنظم وقادته الأكفاء المخلصين ، وبفضل اقدامه ، ونشاطه المتواصل ،  
وكثيراً ما كان يتولى بنفسه قيادة الجيوش ، واستطاع أيضاً أن يجمع حوله طوائف أهل  
الأندلس المختلفة ، من بلديين وشاميين ، وقيسيين وعنبين ، وبربر ومسالمة ،  
ويخبرهم على طاعته والرضى بحكمه .

وعلى هذا يمكن القول ، بأن علاقته بالغرب ظلت معالها غير واضحة ، كل  
الوضوح ، ولعلها بقيت محدودة ، وعلى نطاق ضيق جداً ، حيث كانت اتصالاته

(1) المقري : نفع الطيب ج 1 ص 310 .

(2) راجع كتاب د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص 203 . L. Provençal : Histoire , T. I., p. 121

(3) د . حسين مؤنس : رحلة الأندلس ، ص 23 القاهرة 1963 .

(4) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 109 .

مع بعض القبائل المغربية في سبيل تزويد جيشه بابنائهما المقاتلين ، أو تحريضها على مقاتلة ولاة العباسين في إفريقية والمغرب .

وربما تكون العلاقة قد استمرّت على هذا النحو ، أو حتى بصورة أقل ، في عهد خلفه هشام وابنه الحكم بن هشام ، ومن سوء الطالع أن النصوص التاريخية أحجمت عن ذكرها أو الإشارة إليها ، حتى أصبح الدرس لهذا الموضوع يعتمد أحياناً على الاستنتاج والحدس والتخمين .

كانت العدوة المغربية تعد مقراً رئيسياً ، وأمناً للإجئين السياسيين ، أو التأثيريين المفاسدين إليها من قبل حكومة فرطبة ، وكان التأثرون يفضلون اللجوء إليها لقربها من بلاد الأندلس ، حتى يسهل عليهم تتبع أخبارها وأحوالها من جهة ، والإستعانة بالجنود المرتزقة من المغاربة من جهة أخرى ، إذا ما أرادوا القيام بعمل مناوى ضد العاهل الأندلسي ، وهذا ما حدث عندما تولى الأمير هشام (172 هـ - 691 م) الإمارة ، بعد وفاة أبيه عبد الرحمن الداخل ، إذ ثار عليه أخوه سليمان وعبد الله (1) ، وطالبا بالعرش لكنه تمكّن من اخضاعهما ، ثم اتفق معهما على مغادرة الأندلس ، إلى بلاد المغرب ، ومنح سليمان مبلغاً كبيراً من المال ، قدره ستون ألف دينار ، مقابل تنازله عن مطالبه ، فاستقر سليمان بطنجة (2) ، بينما ظل عبد الله يتقدّم بين المغرب وإفريقية ، زار خلالها إبراهيم بن الأغلب عامل إقليم الزاب آنذاك . ثم انتهى به المطاف إلى بلاط الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171 هـ - 211 م / 826 م) ، صاحب تاهرت حيث استقرّ عنده مدة (3) .

(1) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 62 .

(2) ابن سعيد (أبو الحسن علي) : المغرب في حلّي المغرب ، ج 1 ص 48 تحقيق د. شوقي ضيف - دار المعارف بمصر القاهرة 1964 ، ابن الأثير: الكامل ، ج 5 ص 102 .

(3) ذكر المستشرق ليني بروفنسال L. Provençal أن عبد الله بن عبد الرحمن قد زار إبراهيم بن الأغلب أمير القبروان ، والظاهر أن إبراهيم كان حينذاك عاملًا على مدينة طبنة عاصمة إقليم الزاب ، أما أمير القبروان فلعله هرثمه بن أعين (179 هـ - 181 هـ / 800 م) كما تذكره معظم المصادر ، بينما عبد الله بن عبد الرحمن الأخير تأمّر على القبروان سنة 184 هـ / 800 م ، وليس ابن الأغلب ، لأن هذا عاد إلى بلاد الأندلس سنة 180 أو 181 هـ ، ولهذا فاعتتقد أن تكون زيارة الأمير الأندلسي عبد الله إلى بلاط ابن الأغلب في مدينة طبنة وليس في القبروان راجع : L. Provençal: Histoire, T. I., p. 152 . وعن تولية إبراهيم بن الأغلب للقبروان وعبور عبد الله بن عبد الرحمن إلى الأندلس أنظر : ابن عذاري : البيان ج 1 ص 92 ، ج 2 ص 70 .

ولما توفي هشام بن عبد الرحمن سنة 180 هـ / 796 . وتولى ابنه الحكم الإمارة من بعده ، أسرع عبد الله بالعبور إلى الأندلس ، في نفس السنة التي اعتلى فيها الأمير الجديد ، علّه يسبق أخاه سليمان ، فنزل بمدينة سرقسطة في كف التأثير بهلوان بن مرزوق ، وحاول أن يستميل سكان هذه المدينة لكنهم لم يكترووا لندائه (1) ، فرحل بعد ذلك برفقة ولديه عبيد الله وعبد الملك ، صوب الفرنجة (2) ، حيث نزلوا في عاصمة شرمان مدينة «اكس لاشابال» وقاعدة ملكه وحثوه على غزو الأندلس ثم عادوا سنة 184 هـ / 800 م ، واستولوا على حصن «وشقة» ، إلا أن بهلوان أخرجهم منها ، فاتجهوا إلى بلنسية واستقرّوا بها (3) ، بعهد من الأمير الحكم سنة 186 هـ / 802 م ، بعد صلح تم بينهما ، ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الله يعرف «بالبلنسى» نسبة إلى مدينة «بلنسية» – استقدم الحكم ولديه عبيد الله وعبد الملك ، إلى قرطبة وزوج أحد هما من أخت له (4) .

أما سليمان فقد عبر المضيق من طنجة بن اجتمع له ، من المرتزقة الظنجيين سنة 182 هـ / 798 م ، وشق طريقه نحو قرطبة ، ولكنه لم يستطع اقتحامها ، إذ قابلته جنود الأمير ، وهزمته ، ويقى سليمان ستين حاول أثناءها ، محاولات يائسة للاستيلاء على قرطبة ، فلم يفلح فيها جميعا ، وأخيراً تمكن من أن يتخلص منه الحكم بقتله سنة 184 هـ / 800 م (5) .

وفي خلال هذه الفتنة (فتح سليمان وعبد الله) اغتنم الفرنجة الفرصة واستولوا على برشلونة سنة 185 هـ / 801 م (6) ، أي بعد سنة واحدة من مغادرة عبد الله عاصمة الفرنجة . ولا شك أن المسؤول الأول عن انسلاخ هذه المقاطعة ، وانكماس الحدود الشمالية للأندلس ، هي الأسرة الحاكمة في قرطبة ، ولا يبرر تقاعس الأمير الحكم بن هشام ، أنه كان يقوم بإخماد الثورات والفتنة الداخلية ، إذ أن

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 83 .

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 69 . L Provençal : Histoire , T. I , p. 152.

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 103 .

(4) نفس المصدر ج 2 ص 72 – ويدرك ابن الأثير (ج 5 ص 102) أن الحكم زوج أبناء عميه من إخوته وسكت الفتنة .

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 71 .

(6) ابن الأثير الكامل ، ج 5 ص 102 – المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 317 .

أخطر الثورات هي ثورة الربض ، اندلعت بعد سقوط هذا الثغر بسبعين عشرة سنة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد كانت له جيوش قوية جمع لها الأذناب واستكثر ، من الأجناد والمرتزقة والأسلحة ، واتخذ المماليك ، وكان يسمى بالخرس لعجميتم<sup>(1)</sup> ، وربط بباب قصره ما يربو على ألف فرس ، ولم يستغلها في حماية حدود المسلمين بالأندلس ، وإنما وجهها لحماية نفسه وعرشه ، وترك الحدود الشمالية تعبث بها يد الفرنجة .

على أنه تجدر الاشارة هنا إلى أن الأحداث الداخلية التي جرت في الأندلس في عهد هذا الأمير «الحكم بن هشام» كان لها صدى كبير في الأحداث التي مر بها المغرب الأقصى في ذلك الوقت ، حيث كانت دولة الأدارسة العلوين ما زالت في طور النشأة ، وفي أمس الحاجة إلى تدعيم أركانها ، لهذا رأيت من الضروري أن أقف عند دولة الأدارسة العلوين وفترة قصيرة ، لتوضيح نوع العلاقة التي قامت بين المغرب والأندلس في تلك الآونة .

### علاقة الأمويين بالأدارسة العلوين في فاس

فن المعروف أن مؤسس هذه الدولة ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان قد فرّ من الحجاز على أثر معركة «فح» ، سنة 169 هـ / 785 م ، واستقر بال المغرب الأقصى عند اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعترلي ، زعيم قبيلة «أوريه» مدة ستة أشهر ، ثم بايعته هذه القبيلة سنة 172 هـ / 788 م<sup>(2)</sup> وتبعتها بعض القبائل الأخرى مثل : صنهاجة وهوارة وزناتة وغيرهم<sup>(3)</sup> ، وكان قد اتخذ من مدينة وليلي Volubulus قرب مكناس مقراً له ، وجمع جيشاً من هؤلاء القبائل ، وخرج به غازياً إلى بلاد «تامسنا» ، و«شالة» وببلاد «فازار» ، وغيرها كما توجه إلى تلمسان بال المغرب .

(1) ابن الأثير: الكامل ، ج 5 ص 103 ، المقرئ :فتح الطيب ، ج 1 ص 230 .

(2) ابن أبي زرع (أبو العباس أحمد) : الأنبياء المطروب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ص 7 طبعة فاس الحجرية سنة 1885 م ،الجزنائي (أبو الحسن علي) : زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، ص 9 نشره الفريد بيل ، الجزائر 1922 م ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 191 ، السلاوي : الاستقصاء ، ج 1 ص 68 .

(3) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 7 ، السلاوي : المصدر السابق ج 1 ص 68 .

ودخلها صلحاً سنة 173 هـ / 789 م (1) ، وانضوت تحت نفوذه كل من قبيلتي بني يفرن ومغراوة سكان تلك المنطقة .

وكان ادريس الأول ينوي مد سلطانه على العالم الإسلامي ، بشطريه المغربي والمشرقي وتوحيدته ، وظلت هي أمنيته وأمنية خلفه من بعده (2) لكن المنية حالت دون تحقيق ذلك الحلم ، إذ بعث له الخليفة هارون الرشيد (170 هـ - 193 م / 786 - 809 م) . من دس له سمات سنة 175 هـ / 791 م خوفاً من أن يستفحل أمره ، ويستولي على المغرب وأفريقية (3) .

أخذ أبو خالد بن يزيد البيعة لادريس الثاني ، من القبائل البربرية بعد مقتل راشد سنة 792/186 م (4) . أي بعد احدى عشرة سنة من ولادته ووفاة أبيه . وخاض حروباً كثيرة مع ببر المغرب الأقصى ، واستطاع أن يمد نفوذه وسلطانه إلى بلاد المصامدة ، وأن يستولي على نفيس وأغمات ، سنة 197 هـ / 812 م . وأن ينشر الإسلام بين سكان هذه المناطق ، الذين كانوا يدينون بديانات مختلفة مثل : النصرانية واليهودية (5) .

---

(1) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 1921 - السلاوي : الاستقماء ، ج 1 ص 69 وجاء في روض القرطاس سنة 174 هـ / 780 م ص 8 .

(2) روض القرطاس ، ص 8 - السلاوي : الاستقماء ، ج 1 ص 69 ، وكان الأدارسة يرغبون في مسلطانهم ، على العالم الإسلامي كله وظلت هي أمنيته وتشير بعض النصوص ، إلى أنهم ، كانوا على اتصال وثيق ، بأهل إفريقية ، حتى أن بعض الأغالبة أخذوا يساومون خلفاءبني العباس ، وبهدونهم بالانقسام إلى الأدارسة العلوين ، إنهم أرادوا خدش استقلالهم . كما تشير بعض الوثائق ، إلا أنه كانت هناك صلة بين الأدارسة وبين سكان مصر ، انظر : كتاب ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 17 ، 18 والحادية رقم (2) من نفس الصفحة .

(3) البكري : المغرب ص 121 - الاستبصار ، ص 196 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 194 : وجاء في رواية أخرى ، أن وفاته كانت سنة 177 هـ / 793 م راجع كتاب : روض القرطاس ص 13 - السلاوي المصدر السابق ، 70 وقد أختلفت المصادر ، في سبب وفاته ، انظر المراجع الآتية الذكر .

(4) البكري : المصدر السابق ، ص 122 - ويدرك ابن خلدون أن البربر بايعوا المولى ادريس الثاني حملأ ثم رضيوا ، ثم فصلا ، إلى أن شب ، بايعوه بجامع وللي سنة 188 هـ / 794 م وهو ابن أحد عشرة سنة انظر السلاوي : الاستقماء ، ج 1 ص 70 .

(5) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 191 - الجنائي : المصدر السابق ، ص 9 وانظر الترجمة الفرنسية ص 31 ، السلاوي : الاستقماء ، ج 1 ص 68 .

وفي نهاية القرن الثاني الهجري ، التاسع الميلادي ، خرج ادريس الثاني الى تلمسان وأخضع بني يفرن ومغراوة وقام بتحريضهم ضد «بني رستم» أصحاب «تاهرت». لكن الرستميين تصدوا لهم وأبو بشم ادمج دولتهم مع الأدارسة (1).

وكان الغرض من اقامة ادريس الثاني بهذه المدينة ، لمدة ثلاثة سنوات . تأمين حدود دولته الشرقية ازاء خطر الخوارج الاباضية بالغرب الأوسط . وكانت قبائل «نفزة» ، التي هزمها من أقوى عصبيات امامنة تاهرت (2).

وانتظمت لادريس الثاني ، بعد ذلك طاعة البربر في المغاربة الأوسط والأقصى ، من السوس الأقصى جنوبا الى وادي شلف (3). وقد أطلق ابن الأغلب أمير القิروان (184 - 196 / 800 - 811 م) هذا الإنتشار العلوي السريع ، واستفحال امر ادريس ، فدخل معه في صراع سليفي ، اذ ناوشه في عقر داره ، وقد استطاع بعثائه ودسائسه ، أن يؤليب على المولى ادريس الثاني الأولياء والأقربين ، فأغرى من قتل مولاه راشدا ، ولم يزل كذلك يغرى بهلولا ابن عبد الواحد ، أحد القائمين بأمر المولى ادريس الثاني حتى فارقه ، ودخل في طاعة الأغالبة (4) ، حتى أصبح ادريس الثاني يرتاد من البربر ، قتل اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، زعيم أوربة سنة 192 هـ / 857 م ، للغرض ذاته (5).

وتروي بعض المصادر أن ادريس الثاني لم يطق استفزازات ابن الأغلب ومؤامراته ، فأرسل اليه يستعطفه ويسأله الكف عنه (6) ، ويدركه بقرباته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه أمير القิروان . ومنذ ذلك الوقت ، لم يتم بينهما أي عمل ، من شأنه أن يؤدي الى زيادة التوتر بين الدولتين (7).

---

(1) ابن خلدون : كتاب العبرج 7 ص 52 – ابن تاوير : دولة الرستميين ص 17.

(2) د . سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص 442.

(3) السلاوي : الاستقصاء ، ص 75.

(4) ابن الأثير : الكامل ج 5 ص 104 – التويري : نهاية الأربع ، ج 22 ورقة 106.

(5) د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ص 476.

(6) ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 104 – ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 14 – 15.

(7) التويري : نهاية الأربع ، ج 22 ورقة 106.

أما فيما يخص العلاقة بين قرطبة وفاس ، فيبدو أن الحكم بن هشام أمير قرطبة ، أراد أن يستغل فرصة عداء الأدارسة للدولة العباسية وأمراء القิروان ، لأن كلا من الأمويين في الأندلس ، والأدارسة العلوين في المغرب الأقصى ، يشتراكون في عداء بي العباس ، فرغم الحكم بن هشام في مواصلة المولى ادريس الثاني ، ويعث له بسفارة تهنئة باعتلاء العرش (1) ، وفاتها في موضوع مهم ، وهو أن يكونوا يدا واحدة ضد خصومهم الأغالبة ، الذين بدأوا المعارك تحتدم بينهم وبين الأدارسة ، حتى يتمكنا من افراغ حصيلتهم المائمة من الكراهة تجاه هؤلاء الأغالبة ، الذين باتوا يهددون أنفسهم بتحريض من خلفاء بغداد .

وعلى الرغم مما تميزت به هذه العلاقة ، في البداية من الود والصداقة ، بين العاهلين الأندلسي والعليوي ، والتي جرى توثيقها بواسطة سفارة الحكم إلى « فاس » فإن أمد هذه الصداقة كان قصيرا ، فسرعان ما تلاشت وانقلب إلى كراهية ، بسبب استقبال المولى ادريس الثاني ، لعدد من الفرسان الأندلسيين الفارين من الأندلس إلى المغرب ، سنة 189 هـ / 804 م . وكان هؤلاء الفرسان الساخطون على الأمير الحكم بن هشام ، يمثلون النخبة الأرستقراطية العربية في قرطبة (2) .

وكان مجئهم إلى المغرب يعد مكسباً لأدريس الثاني ، لأنه ظل يشعر بالوحدة والعزلة منذ ولادته في وسط القبائل البربرية ، لذا نجده لم يتأنّر في احتضان هؤلاء العرب ، وتقريرهم إليه ، سواء منهم القادمون من قرطبة ، أو القิروان ، وعهد إليهم بالوظائف العالية ، وجعلهم بطانته الخاصة دون البربر (3) .

(1) ابن تاوت النطاواني : دولة الرستميين أصحاب تاهرت ص 16 ، فصلة من صحيفـة معهد الدراسات الإسلامية بمدريـد 1957 م مجلـد (5) العدد 1-2 . انظر كتاب :

Scott : History of the Moorish Empire in Europe , vol 1 , p. 456.

(2) روض القرطاس ص 14 - ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والأندلس ص 36 ، 3 تعريب د. عبد العزيز سالم ، محمد صالح الدين القاهرة بدون تاريخ .

(3) ليفي بروفنسال : المرجع السابق ص 37 .

وأما الحدث الثاني الهام ، الذي زاد من توتر العلاقات بين الحكم ، والموالي ادريس الثاني ، فهو استقبال هذا الأخير للمنفيين الريبيسين (1) ، من الأندلس سنة 202 هـ / 818 م ، على اثر فشل الثورة التي قاموا بها ضد الحكم بن هشام في قرطبة (2) .

استقرت أول الأمر جالية من هؤلاء الريبيسين ، بين القبائل البربرية في جبال الريف (3) القرية من ساحل البحر المتوسط ، وكان المولى ادريس الثاني يحتاج إلى سكان يعمرون مدینته « العالية » ، التي بناها سنة 193 هـ / 809 م ، والمدينة التي أنشأها أبوه ادريس الأول ، وهي مدینة فاس (4) .

لذا فقد رحب ادريس الثاني ، بقدوم هؤلاء الأندلسيين المنفيين ، وشجعهم على الإقامة في مدينة أبيه ، فاستجابوا له ، وأقاموا بها ، وزادوا في عمارتها ، ببناء مساكن جديدة تحمل الطراز الأندلسي ، وحملوا معهم إلى المغرب مظاهر الحضارة الأندلسية ، إذ كان أغلبهم من أهل الزراعة والحرف التقليدية (5) . فأعطوا بذلك هذه المدينة مظهراً جديداً ، يغلب عليها الطابع الأندلسي الجميل ، سواء في الصناعات المختلفة ، أو في شكل الأبنية ذات اللون الأبيض الناصع . أو في إنشاء الحدائق المترامية الناصرة ، حتى فاقت زميلتها مدینة « العالية » . وأصبحت منذ ذلك الحين ، يطلق عليها مدینة « الأندلسيين » نسبة إليهم .

(1) « الريبي » : كلمة عامة تعني الفاحشة أو العي ، والجمع أرباض وعندما ولد هشام بن عبد الرحمن ، أعاد بناء القنطرة الرابطة بين قرطبة وبين قرطبة وضفة الوادي الكبير الجنوبي ، حيث الأرباض الجنوبي ، ولا تم إعادة بنائها امتد العمران إلى ضفة النهر الأخرى (الجنوبية) فنشأ فيها هي آهل بالسكان عرف بالريبي ، وقد امتد هذا الريبي من ضفة النهر جنوباً حتى بلدة شقندة ، ونظراً لقرب هذا الريبي من الجامع وقصر الامارة من السوق أو الطريق الرئيسي للمدينة ، فقد قفضل أن يسكنها التجار ، والطلبة ، والفقهاء وأصحاب الحرف الأخرى ، ومعظمهم من المولدين ولايزال هذا المكان يطلق عليه اسم Arrabal الى اليوم .  
أنظر : د. أحمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ص 130 .

(2) حول أسباب قيام ثورة الريبي راجع كتاب : د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 130 .

L Provençal Histoire, T. I., p. 196

(3)

(4) حول بناء مدینة فاس راجع كتاب : L'Islam d'Occident L. Provençal : La fondation de Fès وقد ترجم هذا الكتاب د. عبد العزيز سالم ومحمد صلاح في مجموعة الالف كتاب تحت عنوان الاسلام في المغرب والأندلس .

L. Provençal : Histoire, T. I., p. 170

(5)

أما مدينة « العالية » ، فقد جعلها ادريس الثاني مقراً ، للعرب القادمين من القيروان بإفريقية ، وعرفت هي الأخرى بمدينة « القيروانين » ، وقد اشتغل هؤلاء القيروانين ، بالتجارة ، بينما اشتغل معظم الأندلسين بالصناعة والزراعة (1) وصفوة القول أنه لم يدم التقارب الأموي الادريسي طويلاً ، بل تجمدت العلاقة بينهما ، بعد أن استقبل المولى ادريس الثاني ، الثنائرين على الدولة الأموية في عاصمته الجديدة ، وشجعهم على سكناها ، وبهذا العمل دخلت العلاقات بين بنى أمية في الأندلس ، والإدارسة العلوين في المغرب الأقصى ، مرحلة أخرى أكثر بروادة وتوتراً ، فقد أصبح الأمير الحكم عاهم الأندلس ، يخشى امتداد نفوذ الإدارسة إلى بلاده ، وهذا يقال إن هذا الخوف دفع به إلى مصادقة ، « شرمان » ملك الفرنجة ، ليكون عوناً له وسداً لمنع المزيد من الانتشار العسكري والمذهبي العلوي في المغرب ، ومنعهم أيضاً من العبور إلى العددة الاندلسية (2) ، وبهذا عادت الاحقاد العلوية الأموية القديمة ، ويفيدوا أنها استمرت على هذا النحو مع خلفه ، فالعداء بين البيتين قديم ، وله جذور تمت إلى عهد الخليفة على بن أبي طالب ( 35 - 655 / 40 - 660 م ) . ومعاوية بن أبي سفيان ، بل ولد أبعد من هذا التاريخ ، تعود أيامه إلى عصر الجاهلية ، وظهور الإسلام ، فأباو سفيان بن حرب كان من ألد أعداء الرسول (صلعم) ، ومعاوية بن أبي سفيان اغتصب الخلافة ، من الحسن والحسين ، ويزيد بن معاوية قتل الحسين حفيد الرسول ، في حادث كربلاء سنة 61 هـ / 680 م ، هذا الحادث الذي تعتبره الشيعة بمختلف طوائفها وفرقها ، حدثاً مشئوماً في تاريخها ، (3) وعلىهم إزالة آثاره .

وقد أخذ الأمراء الأمويون في الأندلس – باديء ذي بدء – على صبغ الأندلس باللون الأموي ، (4) وتنمية حزبهم بين السكان . وقد سلکوا نفس السياسة ، التي سار عليها أسلافهم من قبل في دمشق ، وهو المحافظة على المذهب السنّي وقويته ،

(1) د. احمد مختار ايوبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 133 .

(2) L. Provençal · Histoire , T 1 , p. 149

(3) د. محمود علي مكي : التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، ص 26 صحيفنة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، فصلقة من المجلد الثاني ، العدد 1 - 2 سنة 1954 م .

(4) د. محمود علي مكي : المرجع السابق ، ص 26 .

دون غيره من المذاهب الأخرى ، وقد ثبت أن الأمويين عارضوا الأحزاب الأخرى بل حاربوا أحيانا . ولا سيما منها الحرب الشيعي ، وخير دليل على ذلك قول المقدسي تناظر الفريقان - أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب مالك - يوماً بين يدي السلطان - هشام بن عبد الرحمن - فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة فقال : وما لك ؟ قالوا من المدينة ، قال : عالم دار الهجرة يكفيتنا . وأمر بالخروج أصحاب أبي حنيفة وقال : لا أحب أن يكون في عملي مذهبان «(1)» . ويضيف المقدسي قائلاً : «فإن ظهروا على حنفي أو شافعى نفوذه ، أما أن عثروا على شيعي ، وأنزعوه ربما قتلوه «(2)» . من هذا النص يتضح أن الأمويين لم يسمحوا للمذاهب الأخرى ، أن تنتشر بين سكان الأندلس ، بل ضربوا بيد من حديد كل من دعا لغير مذهب الدولة الرسمي ، ومثال ذلك ما قام به الأمير عبد الرحمن الداخل ، مع الثائر «شقيا» بن عبد الواحد المكتسي الفاطمي «(3)» ، «الذي ثار في منطقة سنتبريه ، Santaver وكانت أخطر الثورات ، حيث امتدت ما بين ماردة Merida وقرية غربا إلى ثغور وادي الحجارة ، Guadalajara وكانكه Guenca شرقا ، أو بعبارة أخرى امتدت جميع الهضبة ، التي تتوسط شبه جزيرة الأندلس . «(4)» وقد استمرت هذه الثورة ، ما يقرب من عشر سنوات أي من سنة 151 هـ / 768 م إلى سنة 160 هـ / 777 م .

ولعلها أول محاولة لإقامة دولة شيعية في الغرب الإسلامي ، إذ أنها سبقت قيام دولة الادارسة في المغرب الأقصى ، بنحو عشرين سنة . «(5)» وهذه الاجراءات الوقائية - ان صبح التعبير - التي قام بها أمراء بنى أمية الأوائل في الأندلس ، قدر لهذا البلد ، أن يبقى بعيداً عن التشيع ولم يقدر لهذا الحزب أن ينجح فيه .

ومات الحكم الريضي سنة 206 هـ / 821 م ، وتولى بعده ابنه عبد الرحمن الثاني أو الأوسط ، الذي ازدهرت الأندلس في عهده ، وعمها الرخاء لما كفل لها من هدوء واستقرار ، «(6)» حتى عرفت أيامه بأيام العروس .

(1) المقدسي (شمس أبو عبد الله) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص 237 طبعة لبنان 1906 م .

(2) نفس المصدر ، ص 236 .

(3) ابن عذاري البيان ، ج 2 ص 54 - ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 266

(4) د. محمود على مكي : التشيع في الأندلس ، ص 6

(5) نفس المرجع ص 7

(6) المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 325

وقد استطاع عبد الرحمن الأ文创 ، بالإضافة إلى ما قام به من منشآت عمرانية ، وتطوير في الجهاز الإداري ، أن يحافظ على أملاك المسلمين بالأندلس ، وأن يقضي على الفتن الداخلية ، كما أوقف الزحف المسيحي في الشمال ، وأنشاً أسطولاً حمي به سواحل الأندلس من غارات أهل الشمال ، النومانديين أو الموسويين ، وموضع الأهمية هنا ، أنه في عهد هذا العاهل الكبير ، بدأت معالم العلاقة الأندلسية المغربية تتضح وتأخذ شكلاً جديداً ، اتسمت بالصداقة مع بعض الدوليات المغربية ، وبالعداء مع بعضها الآخر.

ولا شك أن النجاح البحري ، الذي أحرزته البحرية الأندلسية في وسط ، وغرب البحر المتوسط عند فتح جزيرة صقلية ، يكون قد لقى ترحيباً وتقديراً ، لدى المسلمين في الأندلس ، ولكنه ربما يكون قد أزعج عبد الرحمن الأ文创 (206 / 238 / 821 - 852 م) في الوقت نفسه لخوفه من احتمال امتداده إلى شواطئ بلاده ، وتهديداته ، لنفوذهم في جزر البليار ، (1) بالسيطرة على وسط البحر المتوسط وغرقه ، بأساطيلهم القوية التي لم تكن تتوفر لدى الأمويين في الأندلس ، بهذه الصخامة والقوة ، إذ كان اسطولهم في ذلك الوقت لا يزال محدوداً تشرف على تسييره جماعة بحرية أندلسية ، مستقلة عن الإمارة ، ولا تخضع هذه الجماعة للإشراف الفعلى لامراء قرطبة ، (3) على أن هذا الوضع لم يلبث أن تغير تماماً ، منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأ文创 ، الذي اهتم بتقوية البحرية الأندلسية ، ولم يلبث الأسطول الأندلسي ، أن راح يجوب البحر نحو جزيرة صقلية سنة 829 / 214 م أي بعد ستين فقط من ظهور الأسطول الأندلسي في البحر المتوسط وكان الأسطول الأندلسي ، الذي أطلق من ميناء طرطوشة ، يتكون من ثلاثة سفنية حربية بقيادة أمير البحر أصبع بن وكيل الهواري المعروف بفرغلوش. (4).

ولما اقترب من صقلية ، وجد المسلمين المجاهدين في ضيق شديد ، فساعدتهم ضد الروم وقام بدور بالغ الأهمية ، في هذه المعركة البحرية ، حيث استطاع أن يستولى

(1) د. محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، ص 105 دار العودة بيروت 1976.

(2) ارشبald Louis : القوى التجارية التجارية في حوض البحر المتوسط ، ص 131 ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، القاهرة 1955.

L. Provençal Histoire, T. I., p. 244 (3)

(4) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 1 ص 104 - ويبدو أن عدد السفن الحربية الأندلسية التي اشتراك في فتح صقلية مبالغ فيها أنظر كتاب : L. Provençal : Histoire, T.I p. 243 Not. (1)

على مدينة بلزم ، وذلك سنة 215 هـ / 830 م ، (1) ومن ثم تمكن الأغالبة من بسط نفوذهم ، على معظم جزيرة صقلية ، غير أن هذه المساعدات الأندلسية لم تدم طويلاً بسبب التقارب الذي تم بين الأمير عبد الرحمن الأوسط ، والأمبراطور البيزنطي ثيوفول سنة 225 هـ / 839 م (2) .

وعلى الرغم من هذه المساعدات البحريّة ، التي قدمها الأمير عبد الرحمن الأوسط للمجاهدين الأغالبة في صقلية ، بحكم الأخوة في الإسلام . إلا أنه حرص في الوقت ذاته ، على أن يتحالف مع الرستميين الخوارج في المغرب الأوسط ، ليكونوا له درعاً واقياً ، يدرأ به أي خطر يلوح من جانب هؤلاء الأغالبة أو الأدارسة العلوين في المغرب.

#### علاقة بنى أمية بالرستميين في تاهرت :

وبحكم موقع بنى رسم الجغرافي ، في المغرب الأوسط ، وظروفها السياسية والمذهبية ، توجهوا إلى بنى أمية في الأندلس وعقدوا معهم تحالفًا ودياً ، (3) لأنهم كانوا يتوسطون فكى كماشة - أن صبح التعبير - العدو الشرقي المتمثل في الأغالبة ، والعدو الغربي المتمثل في الأدارسة وبنى سليمان العلوين .

وكان من الطبيعي والحقيقة هذه ، أن يحدث تقارب ودي ، وربما عسكري وسياسي واقتصادي وحضاري ، بين بنى رسم في تاهرت ، وبين بنى أمية في الأندلس ، تدفعهم في ذلك مصالحهم السياسية ، ودفع العدو المشترك ، إذ أن الخصومة كانت على أشدّها بين العباسين والأغالبة ضدّ بنى أمية في الأندلس من جانب ، وبين العباسين والأغالبة ضدّ الرستميين من جانب آخر ، (4) وكذلك تجمعهما عداوة الأدارسة من جانب ثالث .

(1) L. Provençal : Histoire, T.I., p. 244

(2) د. أحمد مختار العبادي : دراسات ص 257 ، و حول السفارة البيزنطية التي توجهت لقرطبة في عهد عبد الرحمن الأوسط ورده على مطلب البيزنطيين واقتراحاتهم . راجع ما كتبه لبني بروفنسال :

L. Provençal : Un échange d'ambassades entre Cordoue et Byzance au 10ème Siècle reprend en Islam d'occident. Etudes d'histoir medieval. p. 99. Sqq. Paris 1948

الترجمة العربية ، تبادل السفارات بين قرطبة وبيزنطه في القرن (9) م ص 92 وما بعدها .

L. Provençal : Histoire, T I., p. 245. (3)

Ibid. T.I. p. 245. CABRIELL. F. Ommeyyds d'espagne et Abassides XXXL. p. 93 (Studia Islamica) 1970

(4) د. ابراهيم العدوى ، بلاد الجزائر ، ص 220

وقد وجدوا الأمويون فرصة سانحة لتحقيق اهدافهم فلم يترددوا في الإستجابة الى رغبة الامام الرستمی ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم امام تاهرت ، (1) وذلك لأن البناء السياسي للامارة الأموية ، جعلها لاتطمئن لدولة الاغالبة ، الممثلة للخلافة العباسية المعادية للبيت الأموي ، ولدولة الادارسة الممثلة للبيت العلوي ، الحانق على الأمويين .

وصارت السبل بذلك مسدودة أمام هذه الامارة الأموية الوليدة ، من ناحية المغرب الأدنى (افريقية) ، حيث يوجد الاغالبة ، والمغرب الأقصى ، حيث يوجد الادارسة ، ولم يبق أمامها ، ما يربطها بالعالم الإسلامي ، الا ذلك الجسر الذي تعبّر منه إلى المغرب عن طريق ، الدولة الجزائرية الرستمية الاباضية في تاهرت (2) .

وقد اتسمت العلاقة الأموية الرستمية بالطابع الودي ، بعض النظر عن الاختلاف المذهبى بينهما ، فبنو أمية - كما سبقت الاشارة - سنيون متبعون لمذهب أهل السنة أما بنورستم فهم خوارج اباضية ، غير أن هذا المذهب الذي يعتنقونه ، يعتبر أكثر المذاهب الخارجية ، اعتدالا وأقربها إلى مذهب السنة (3) .

لكنها على أية حال علاقة سياسية ، وليس علاقه مذهبية ، أو بعبارة أوضح ، انفتاح سياسي بعيد كل البعد ، عن التيارات المذهبية الدينية . ولا نستطيع أن نحدد تاريخ ابتداء هذه العلاقة بين الدولتين ، الا انه يمكن القول بأنها ترجع إلى عهد عبد الرحمن الداخل ، الذي كان قد اتصال بهذه العائلة الرستمية في الشمال الافريقي ، وهو أمير على الأندلس ، أو لأن أجداد عبد الرحمن بن رستم كانوا مواليا لبني أمية ، ويؤكد ذلك قول ابن حزم في كتابه انساب العرب « ابن رستم الجد الاول المؤسس تاهرت الحديثة ، كان مولى لعمربن يزيد بن عبد الملك بن مروان » (4) .

(1) ابن تاوت : دولة الرستميين ص 12

(2) د . ابراهيم العدوی : المرجع السابق ، ص 212 ، سلفادور عمومت نوسفاليس : الرستميين كحلقة الوصل بين الجزائر والأندلس ، ص 1 ، الملتقى الحادى عشر للفكر الإسلامي بورجلان يناير 1977 م .

(3) Lewiki T. : Al Ibadiyya, encyclopédie de l'Islam, T. 3., p. 669 SQQ, Nouvelle édition, Leiden, Paris, 1971.

راجع ايضا : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الاباضية المجلد الاول ص 130

(4) ابن حزم جمهرة انساب العرب ، ص 474 - 475 ، ابن حيان المقنيس ، ص 267 تحقيق محمود على مكى . وحول اتصال عبد الرحمن الداخل بنى رستم في بلاد المغرب انظر : المقرى : فتح الطيب ج 1 ص 28 ، والمستشارة الاسپانية ماريا خيسوس فيغيرا : محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة ص 19 الملتقى الحادى عشر للفكر الإسلامي بورجلان 1977 م . الميلى في تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 2 ص 16 .

ولم تلبث هذه العلاقة السياسية الطيبة ، أن أخذت طابعا قويا بين البلدين ، وأحيانا مظهرا رسميا ، في كثير من المناسبات ، فقد اشارت بعض النصوص التاريخية (1) إلا أن عبد الرحمن الأوسط أمير قرطبة ، استقبل في بلاطه وفدا رسميا من « تاهرت » يتكون أعضاؤه من أبناء الإمام عبد الوهاب الرستمي ، سنة 207 هـ / 822 م . وهؤلاء الابناء هم : عبد الغني ، دحبيون ، وبهرام ، وكان يوم وصولهم إلى قرطبة يوما مشهودا (2) بحيث بالغ الأمير عبد الرحمن الأوسط ، في حفاوة الاستقبال والترحيب بالوفد الرستمي ، وكان معهم كريما سخيا ، إذ إنفق عليهم حسب ما يذكره ابن سعيد ، ألف ألف دينار ( مليون دينار ) (3) وأغدق عليهم الهدايا الثمينة ، ثم أعادهم إلى بلدتهم . وتضيف الرواية أن السفينة التي أقلت دحبيون وبهرام ، ابتلعتها الأمواج وغرقت بمن عليها أما السفينة التي كانت تقل عبد الغني ، فقد نجت بعد محنّة طويلة في البحر رست على الشاطئ الجزائري ، وعند وصول عبد الغني إلى تاهرت وجد أبواه قد توفي منذ سبعة أشهر ، وتولى أخوه أفلح بن عبد الوهاب الإمامة (4).

ولم تقتصر سياسة التقارب هذه ، بين « تاهرت » وقرطبة على التواهي السياسية ، بل اشتملت أيضا على التواهي الاقتصادية والعسكرية ، ولعل محاصيل تاهرت الزراعية ، كانت تجد طريقها في كثير من المناسبات ، إلى مخازن قرطبة ولا سيما في سنوات المحن ، التي عانت منها الأندلس ، كذلك استفادت حكومة قرطبة بكل ما تحتاجه من المقاتلين الجزائريين ، والمغاربة على وجه العموم ، وخاصة فرسان زناته الذين بنت بهم جيشا ، ولم تتردد حكومة تاهرت في إمداد الأندلس بهؤلاء المحاربين الأشداء بصورة مستمرة ، بل

(1) ابن سعيد المغربي : المغرب في حل المغارب ج 1 ص 48

(2) L. Provençal Histoire, T 1, p. 244

وجاء في كتاب المستشرق الفرنسي G. MARCAIS انه نقل عن مؤرخ مجهول عاش في القرن الثالث المجري / 9 ميلادي بأن الوفد الذي توجه إلى قرطبة كان يتكون من ولدين لعبد الرحمن بن رست أي من أخوة عبد الوهاب وليس من أبناءه . انظر : La berberie musulmane de l'Orient p. 104

(3) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج 1 ص 48 ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه . ربما يكون درهما بدلًا من دينار ، لأن المغربي ، يروي عن ابن سعيد نفسه ، أن الجباية بلغت في عهد عبد الرحمن الأوسط ، ألف ألف دينار ( مليون دينار ) ، وليس من المقبول أن ينفق الأمير الاندلسي عليهم ميراثية الإمارة كلها . انظر

(4) كتاب المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 325 L. Provençal Histoire, T 1, p. 244

ورد في بعض النصوص ، ما يشير إلى تواجد بعض رجال الأسرة الرستمية ، في وظائف عالية في بلاط الامارة الأموية في قرطبة (1) .

ويبدو أن هؤلاء الرستميين ، قد استقروا في الأندلس أثناء سفارة عبد الوهاب بن رستم للامير عبد الرحمن الأوسط - السالفة الذكر - أو قبلها (2) ، ويذكر ابن البار (3) ، أن أول من دخل منهم أرض الأندلس ، هو سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم - حفيد منشىء الدولة - وقد اتصل ابنه محمد بن سعيد بالامير الأموي عبد الرحمن بن الحكم ، عندما كان وليا للعهد ، ونائبا لأبيه الحكم على كورة شدونة ، في جنوب الأندلس ، فاستقر محمد هذا في ناحية من نواحي الجزيرة الخضراء ، بالقرب من شدونة ليكون قريبا منه ، فلما ولى عبد الرحمن الامارة سنة 206 هـ / 821 م . استقدمه إلى قرطبة ، واصطنه عهده له بخطبة الوزارة ، وقيادة الجيش ، وغيرهما من الخطوط (4) ثم عهد إليه في سنة 214 هـ / 829 م ، بولاية الثغر الأدنى ( طليطلة ) حينها نشب ثورة هشام الضراب في هذه المنطقة ، وكان محمد بن سعيد الرستمي دوراً كبيراً في اخمادها (5) وكذلك تشير المصادر إلى بلاء هذا الامير الجزائري بلاء حسنا ، ضد هجوم النورمانديين ، على السواحل الاندلسية ، سنة 230 هـ / 844 م (6) .

يضاف إلى ذلك أن محمداً كان أديباً وحكيماً وشاعراً مفوهاً ولاعباً للشطرنج مما يدل على أن هذه الأسرة كانت تتمتع بمكانة فكرية طيبة (7) ، ومن الطريق أن هذا

(1) L. Provençal : Op. cit., T. I., p. 245

(2) وتعتقد المستشرقة الإسبانية « مارييا » ، أن وصول سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم إلى الأندلس ، كان عقب عودة عبد الله البنسي من تاهرت إلى الأندلس ، على أثر وفاة أخيه هشام وتوليه الحكم بن هشام العرش سنة 180 / 796 م . أنظر مقالها السالف المكتوب (15) .

(3) الحبة السيراء ، ج 1 ص 372 - 373

(4) ابن حيان ، المقتبس ، ص 267 ، 268 ، المعاشرة 109 تحقيق د. محمود على مكى .

(5) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 82

(6) العذري : المصدر السابق ، ص 99 / 100 ، ابن عذاري المصدر السابق ، ج 1 ص 82 - 83

A. Bel : La religion musulmane en berbérie, esquisse d'histoire et sociologie religieuse, T.I., p. 148-149, Paris 1939.

(7)

الأمير ، قد تزوج من احدى بنات المغني والموسيقى وأستاذ الاناقة الأندلسية «زرباب» (1) مما يدل أيضا ، على هوايته للموسيقى وشغفه بها .

وهناك شخصية جزائرية نبيلة أخرى ، لعبت دورا هاما في حكومة قرطبة ، في ذلك الوقت ، وهي شخصية الامير عبد الرحمن بن رستم ، الذي تولى الوزارة والحجابة في عهد عبد الرحمن الأوسط أيضا ، ويرجح أن يكون هذا الامير الجزائري ، ابنا أو أخا لمحمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن رستم السالف الذكر (2) ، وكان ابن رستم يتداول منصب الحجابة ، مع عيسى بن شهيد إلى أن توفي (3)

وكما أستعان الأمويون بالجزائريين ، في ادارة اعمالهم ، وقيادة جيوشهم استعان الرستميون أيضا بالخبرات الأندلسية ، في بلاطهم منذ أيام المؤسس الأول عبد الرحمن بن رستم ، حتى أصبحوا اعضاء بارزين ، في مجلس الشورى الاباضي التاهرى ، وقد اشتهر من بين هؤلاء الوافدين الأندلسين ، اثنان هما : عمران بن مروان الأندلسي ومسعود الأندلسي ، وقد كانوا من بين السبعة اشخاص ، الذين رشحهم الامام عبد الرحمن بن رستم ، لامامة الاباضية في تاهرت قبل وفاته (4)

ولم تقف العلاقة الاموية الرستمية عند حد السياسة فقط ، بل تعدت ذلك إلى الميدان التجاري ، فقد كانت السفن التجارية تتردد بين الموانيء ، المغربية والأندلسية مثل ميناء «فروخ» الجزائري (5) ، ومثل : مرسى الجزيرة الخضراء ، وبجانة وشاطبة ، وغيرها من الموانيء الاندلسية ، المتعددة على الساحل الجنوبي والجنوب الشرقي في ذلك الوقت ، محملة بالمتاجر وبالعلماء والمسافرين (6) . ولا يبالغ الاستاذ على دبوز حينما يعتقد ، أن قيام دولة بنى رستم في المغرب الأوسط ، مكنت اماراة عبد الرحمن الداخل

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 268 حاشية 109

(2) L. Provençal : Histoire, T 1., p. 246

(3) ابن حيان : المقتبس ص 167 – 168 تحقيق د. محمود على مكي .

Masqueray : Chronique d'Abou Zakaria, p. 54-59, Alger, 1879.

(4) الدرجيوني : المصدر السابق ، ج 1 ص 46 ، ايروني : ازمار ، ص 99

(5) مرسى فروخ هو الميناء الوحيد والرئيسي الذي ينفرد به ، بنورستم للبحري ويعيق في منطقة وهران ، عاصمة الغرب الجزائري ما بين مدیان ورازبو ، وتسمى حاليا مرسى الدجاج انظر

L. Provençal : Histoire,

د. حسين مؤنس : اثر ظهور الإسلام في الوضع السياسي ، ص 122 .

T. I., p. 282, not (2).

(6) د. السيد عبد العزيز سالم : المغريب الكبير ، ج 2 ص 569

من الرسوخ في الأندلس ، واتاح لها السبيل إلى الازدهار . كما كانت الدولة الرستمية بمثابة الجسر ، الذي يصل بين الامويين من جهة والمغرب الأوسط ، ومنه إلى المشرق من جهة أخرى (1) ولا سيما بعد أن اغلقت أمامهم ، السبيل إلى كل من أفريقيا والمغرب الأقصى ، بقيام دولة الأغالبة ، ودولة الادارسة كما ذكر ، لذلك توافقت الصلة بين بني أمية وبين رسم ، وتبادلوا الهدايا والوفود ، تدعيمًا لهذه الصدقة والروابط المتينة ، التي تربطهم من أجل دفع العدو المشترك .

كذلك قام البحريون الاندلسيون ، بإنشاء مدن وثغور على طول ساحل المغرب الأوسط ، وقد استقرت في هذه المدن جاليات اندلسية ، وذلك بعد موافقة القبائل البربرية المغربية ، ومن بين هذه الثغور والمدن مدينة تنس Ténès ، التي انشأت سنة 262 هـ / 902 م (2) . وأصبحت محطة تجارية هامة تختلف إليها السفن الاندلسية في فصل الشتاء ، ثم تعود منها في فصل الصيف ، وكان يسكنها فريقان ، من أهل البيرة ، واهل تدمير من الأندلس (3) ، ويدرك صاحب كتاب الاستبصار ، أنها كانت كثيرة الزرع رخيصة الأسعار ، ومنها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد أفريقيا ، والمغرب لكثرة ما لديهم من الزرع (4) .

ومدينة وهران Oran ، التي اقامها اثنان من رجال الدولة الأموية ، هما : محمد بن أبي عون ، و محمد بن عبدون ، وجماعتهما سنة 290 هـ / 902 م وقد استوطنوها بموافقة القبائل المغربية أيضا ، مثل قبيلة « نفزة » وبني مسكن أو مسغن (5) ، لمدة سبع سنوات ، أقاموا خلالها - حسب ما يذكر ابن خلدون - الدعوة لبني أمية في الأندلس حتى ظهرت الفواثم في أفريقيا ، واستولوا على تاهرت .، فضمت مدينة وهران إلى اعمالهم (6) ، وقد سيطرت هذه الجاليات الاندلسية ، على كثير من المدن الساحلية

(1) الاستاذ دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج3 من 350 القاهرة 1963 م .

(2) البكري : المغرب ص 61 - ابن حوقل (ابو القاسم) صورة الأرض ، ص 78 بيروت 1962 م .الاستبصار ص 133 .

(3) البكري : المصدر السابق ص 61

(4) كتاب الاستبصار . ص 133 .

(5) قبيلة مسكن أو مسغن بطن من بطون قبيلة ازداجة ، تسكن منطقة وهران انظر البكري المغرب ص 70 - ابن خلدون العبر ، ج6 ص 294

(6) ابن خلدون : العبر ، ج6 ص 294

الجزائرية مثل : مدينة بونة ( عنابة ) وبجاية ومرسى فروخ (1) واستحوذت على التجارة بها وكانت مختار « عريفا » من بينها يمثلها ، لدى القبائل المغربية ، ينظم أمور التجارة معهم (2).

ويتبين من هذا ، أن الاسطول الاندلسي ، اتخد في نشاطه البحري وجهتين : وجهة سلمية هدفها النقل والتجارة مع بلاد المغرب وافريقيا ، ووجهة أخرى حربية ، هدفها مهاجمة الشواطئ الاوروبية .

وقد كان النشاط في كلتا الوجهتين عظيما ، ومن الثابت أن معظم الملحنين ، كانوا من المؤذن والمتعربين والبربر والعرب (3). دخل المغرب في اواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، مرحلة من الاستقرار والهدوء ، الذي كفل له الازدهار الزراعي ، حيث كست معظم اقاليمه اشجار الزيتون والكروم ، وامتلأت سهوله الوسطى بالحصوب الوفيرة ، ولم يكن ازدهار الصناعة في المغرب ، - في ذلك الوقت - بأقل من الانتعاش الزراعي (4) ، فضلا عن نشاط الحركة التجارية مع البلدان المجاورة للمغرب مثل السنغال : والنيجر وغانا ( بلاد السودان ) التي كان يتتوفر فيها الذهب الخام ، والعاج وريش النعام ، والجلود والرقيق الاسود (5). وقد ضرب الرستميون في التجارة بسهم وافر ، وأصابوا منها ارباحا طائلة . وقد أهل الموقع الجغرافي لمدينة سجلمامسة ، أن تكون همة وصل بين المغرب في الشمال ، وبلاد السودان في الجنوب ، حتى أصبح يطلق عليها « باب الذهب » (6). وكان هؤلاء المدراريين ، تربطهم روابط التحالف والمصاهرة مع أصحاب « تاهرت » (7) وقد أدى هذا الترابط إلى تعميق أواصر الاتصال السياسي والتجاري بين البلدين ، وكانت توجد ثلاثة طرق تجارية صحراوية ، تعبّر منها القوافل

---

(1) حسن مؤنس : اثر ظهور الاسلام في الوضاع السياسية والاقتصادية ، في البحر الأبيض المتوسط ، ص 123 - المجلة التاريخية المصرية ، (م 7) عدد (1) مايو سنة 1951م.

(2) نفس المرجع ص 123

(3) نفس المرجع ص 122 د. عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص 35

(4) ارشيدال ( لويس ) : المرجع السابق ، ص 252

(5) الاستبعار ، ص 217 د. ابراهيم العدوى : بلاد الجزائر ، ص 200

(6) الاستبعار ص 202

(7) ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 6 ص 268

باستمرار ، لتنقل المنتجات المغربية الى بلاد غانا والسودان ، ولتستورد منها الذهب ، وغيره من السلع التي توفر في هذه المنطقة ، (بلاد السودان) وكان الرستميون يهيمنون على هذه الطرق التجارية الثلاثة (1)

- أ - الطريق الأول يربط بين تاهرت ومدينة سجلماسة ، ثم السنغال جنوبا .
- ب - الطريق الثاني ، في الوسط يمر عبر مدينة ورجلان (2) . ومنها الى عنق نهر النيل.
- ج - أما الطريق الثالث ، فيقع الى الشرق ، ويتدفق من الجريدة مارا بمدينة غدامس ثم الى قلب السودان (3) .

فتح الرستميون أبواب مدinetهم تاهرت أمام التجار المغاربة ، والأندلسيين ، والمشاركة ، على حد سواء ، ووفروا لهم سبل الراحة والطمأنينة ، مما زاد في ثراء هذه المدينة ورخائها ، وازدهارها حتى بلغ نفوذها ، من تلمسان غربا الى طرابلس شرقا (4) ، وقد أطلق عليها بحق « عراق المغرب » تشبيها لها بعراق المشرق ، المزدحم بالاجناس والمملل والنحل ، وقد وصفها الرحالة المقدسي بقوله « فانتعش فيها الغريب ، واستطاع بها الليب » (5) ويفضل موقعها الهام الذي يتوسط الجبال ، والسهول الزراعية الخصبة ، وفُرِّت كثيرا من الماشي ولم يفت ذلك ابن حوقل ، اذ وصفها بقوله : « بأنها ( أي تاهرت ) احدى معادن الدواب والماشية ، والغنم والبغال والبرازين ، والفراخة ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات » (6) .

ويطبيعة الحال فان هذا الازدهار لينعكس - لا محالة - على بلاد الاندلس ، مادامت هناك علاقة طيبة ، تجمع بينهما ، لا سيما وان السفن الاندلسية ، ترسو دائما

(1) ارشالد لويس : المرجع السابق ، ص 255

(2) مدينة ورجلان ، هي ورقة الحالية العاصمة الرستمية الثانية تقع جنوب القطر الجزائري وتبعد عن مدينة قسنطينة بنحو ( 500 ) كم جنوبا وعليها ينسب المؤرخ الاياضي ابو زكريا الورجلاني .

(3) ارشالد لويس : المرجع السابق ، ص 255 - مدينة غدامس تقع على الحدود الجزائرية الليبية .

(4) ابن الصغير : اخبار الائمة الرستميين ، ص 17 نشر Motylinski 1907 م أنظر الترجمة الفرنسية ص 73

(5) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص 228

(6) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 86 ، وحول موقع تاهرت رافع كتاب :

على السواحل الجزائرية ، وجالاتها مقيمة هناك ، فقد انتقل إليها الذهب (1) ، ومختلف البضائع والغلال المغربية والسودانية ، فضلاً عن الرقيق الأسود (2) .

ويشير صاحب كتاب الاستبصار ، إلى أهمية المدن الجزائرية الساحلية ، (المغرب الأوسط ) من الناحية الزراعية ، إذ كان يكثر فيها الزرع والغنم والمواشي ومنها « تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب ، وببلاد الأندلس ، لرخصها وطيب لحمها » (3) . كما كانت تشحن من هذه المدن ، الإبل والبقر والأبل ، إلى الموانئ الاندلسية (4) ، وخاصة الميرة وضروب المرافق ، والتجارات المتبادلة بين الموانئ المغربية ، ومدينة بجاية الاندلسية (5) .

وكانت مدينة سبتة ممراً تجارياً بين المغرب الأقصى ، وجنوب الأندلس لاستيراد الأقمشة والخيوط والقطن ، وخشب الصباغة والتواابل ، وغيرها من المواد التي يحتاجها المغاربة ، وتتصدر الجلود والملح والشمع والعسل والفاكهه المجففة والخيول (6) .

وبيال مقابل فإن التجار الاندلسيين ، يصدرون للمغرب وغانا وببلاد السودان (7) ما تتجه بهlad الاندلس من مواد ، زراعية وصناعية وخاصة منها : القمح والارز وقصب السكر ، الذي يزرع بكثرة كبيرة في القسم الادنى ، من حوض الوادي الكبير Guadalquivir على مقربة من اشبيلية ومالقة Malaga (8) . وكذلك كان الكتان والقطن من المحاصيل التي تزرع في أقليم البيرة واشبيلية Sevilla وكان القطن يحمل إلى المغرب ، حيث يباع بأثمان مرتفعة (9)

(1) ارشالد لويس : القوى البحرية ص 260

(2) كتاب الاستبصار ، ص 213 ، 153 ، 217

(3) نفس المصدر ص 179

(4) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 97

(5) الحميري : الرؤوف المطار ، ص 38

(6) ليلى بروفسال : ادب الاندلس وتاريخها ، ص 109

(7) العذری : المصدر السابق ص 19 راجع أيضاً :

Lewicki T.: Traits d'histoire du commerce transsaharien, marchands et missionnaires ibadiques en Soudan occidental et central au cours des VIIe et XIIe siècles, p 291 SOQ

(8) ارشالد لويس : المرجع السابق ، ص 259 ، راجع :

Cardonne : Histoire de l'Afrique et de l'Espagne sous la domination des Arabes T.1. p. 340

(9) ياقوت الحموي (شهاب الدين) معجم بلدان ، ج1 ص 275 ليربيع 1869 العذری : المصدر السابق من 96

أما عن المجال الصناعي فقد بلغ هو الآخر شأناً كبيراً ، وخاصة في عهد عبد الرحمن الأوسط ، إذ عم بلاد الأندلس الهدوء والاستقرار ، وهذا شرط اساسي لازدهار البلاد ، ورخائتها ورفاهيتها ، ومن بين هذه الصناعات التي اشتهر بها الأندلسيون في ذلك الوقت ، صناعة الأقمشة الكتانية والقطنية لكثرة الأغنام ، ووفرتها وصناعة الخزف ، الرقيق ، والتحف الذهبية والفضية والمصنوعات الجلدية والمدروع والخوذ ، وأنواع أخرى من الاسلحة المختلفة<sup>(1)</sup> ، وقد اشتهرت مدينة طليطلة بصناعة السيف<sup>(2)</sup> .

وكانت أكثر الجهات تقدماً في الصناعة والزراعة هي الركن الجنوبي الشرقي ، من العدوة الاندلسية أي الجزء المواجه للبحر ، والمقابل لبلاد المغرب ، وافريقيا<sup>(3)</sup> . وأهمها مدينة المرية ، التي تعتبر من انشط الموانئ الاندلسية ، في الحركة التجارية ، مع العالم الإسلامي بمحاجة الشرق والغرب ، ولا كانت تتمتع به من صناعة متقدمة . في الأقمشة الحريرية ، الثقيلة المنسوجة بالذهب فقد بلغت فيها نحو ثلاثة حرف من نسيج الحرير . ولا شك ان هذه المصنوعات كانت تجد رواجاً في أسواق العالم الإسلامي<sup>(4)</sup> .

وكيفما كان الحال ، فإن معظم الرحالة يشيرون إلى أن سكان المغرب والأندلس ، كانوا يتعاملون تجاريًا ، بحرية وعلى نطاق واسع جداً وبدون قيود ، والظاهر أن التوترات السياسية ، والاختلافات المذهبية . التي كانت سائدة آنذاك في الغرب الإسلامي وشرقه ، لم تكن لها تأثيرات على حركة التجارة بل من الثابت أن التجار المسلمين ، كانوا يجوبون بقوافلهم ، بحرية تامة من المغرب إلى المشرق<sup>(5)</sup> ، ومن المشرق إلى المغرب وببلاد الأندلس ، وإن السفن الأندلسية كثيراً ما كانت ترسو ببصائرها في الموانئ المغربية ولم تقف عند هذا الحد ، بل وصلت إلى ميناء الإسكندرية ، تفرغ ببصائرها الاندلسية ،

(1) Cardonne Op. cit., T 1., p. 340

(2) ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ص 53 / 54 ترجمة دوقان قرقوط بيروت بدون تاريخ +.

(3) ارشبالت : المرجع السابق ، ص 260

(4) ليفي بروفنسال : أدب الأندلس وتاريخها ، ص 104

(5) ابن حوقل : صورة الأرض ص 95

وشحن التوابل والمتاجات الشرقية النادرة ، مثل التحف والكتب الادبية والعلمية الى الاندلس (1) .

أما الرقيق الأبيض أو الخصيان ، المهيأون لحراسة الحريم ، فقد كان التجار اليهود هم الذين يقدمونهم . وكان هؤلاء التجار عملاء وصيادين *Rabbateurs* في جنوب فرنسا وحتى في فرдан (2) . ويذكر الرحالة المقدسي ، أن الصقالبة كانوا يحملون الى مدينة تقع خلف مدينة « بجانة » ، حيث تسكنها جالية كبيرة من اليهود ، متخصصين في عملية خصي الرقيق وبيعهم (3) .

ويشير المؤرخ الامريكي ارشبالت لويس ، الى أن تجار الاندلس ، لم يتعاملوا كثيرا مع الغرب اللاتيني ، وأن التبادل التجارى بينهم كان محدودا ، وعلى نطاق ضيق . اذ تركوا هذه المهمة للتجار اليهود ، الذين كانوا يتربدون على الأسواق الاندلسية ، حاملين معهم الرقيق الأبيض (4) .

ولكن يبدو أن المؤرخ ارشبالت لويس مبالغ في رأيه ، اذ أن هذه العمليات التجارية مع الغرب لم تقتصر على تجار اليهود وحدهم ، بل شارك فيها التجار المسلمين ايضا ، ولا سيما في مناطق الشגור الشمالية ، المتصلة بفرنسا ، ويفيد ذلك قول المقرى : « وقد تعلم النساء قوم من المسلمين هناك ، فصاروا يخضون ويستحلون المثلة » (5) .

(1) الادريسي (الشريف) وصف المغرب والأندلس من كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ص 197 / 198 نشردوizi ودى غوة Dejouy ليدن 1886 م - ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 92 - راجع ليفي بروفنسال حضارة العرب في إسبانيا ، ص 53 / 54 - وكتابه : أدب الاندلس وتاريخها ، ص 104 - ارشبالت : القوى البحرية ص 177-د. احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 139 .

Cardonne . Op. cit. T 1., p. 339.

(2) ليفي بروفنسال : حضارة العرب في إسبانيا ، ص 77

(3) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 242

(4) ارشبالت لويس : المراجع السابق ص 274 انظر أيضا كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ص 153 بيروت Dozy : Histoire des musulmans, T. 2., p. 154. 1954

(5) المقرى : نفع الريب ، ج 1 ص 140 د. احمد مختار العبادي : دولة المماليك الاولى في مصر والشام ص 36 النهضة العربية بيروت 1969 م - راجع أيضا نفس المؤلف : الصقالبة في إسبانيا لحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بالحركة الشعورية ص. المعهد المصري مديري 1953 م د. محمود علي مكي : الرحلات بين المشرق والأندلس ص 42 مجلة البيئة (عدد ثانٍ) يونيو 1962 م .

استمر التمثيل الدبلوماسي ، والتشاور السياسي بين قرطبة وتأهرت ، وغدت هذه المراسلات بينهما ، تقipض باسمى وشائع المودة والتضامن ، ففي عهد الامام افلاع بن عبد الوهاب ( 207 - 822 / 258 - 871 م ) . قام أبو العباس محمد بن الأغلب ( 226 - 840 / 242 - 856 م ) ، ببناء مدينة بجوار مدينة « تاهرت » ، واطلق عليها اسم « العباسية » نسبة اليه ، ونقض بذلك اتفاق الهدنة المبرمة بينهما (1) ، وكان الغرض من بناء هذه المدينة ، تضييق الخناق على مدينة « تاهرت » . لكن الامام افلاع لم يتردد في ثلم أسوارها وحرقها بعد اتمام بنائهما سنة 227 هـ / 841 م . وارسل الى العاشر الاندلسي ، يخبره بذلك ، فرد عليه عبد الرحمن الاوسط ، بمكافأة مالية قدرها ، مائة الف درهم ، تقديرها لهذا العمل الجليل (2) .

ولما نجح قواد الامير عبد الرحمن الاوسط ، وعلى رأسهم القائد الجزائري محمد بن رستم ، في ازالة الهزيمة بالبيورمانديين سنة 230 هـ / 824 م ، أرسل صاحب قرطبة رسولاً الى الامام افلاع ، صاحب تاهرت تخبره بما تم له من انتصار على هؤلاء المجروس (3) وأرسل أيضاً بالخبر نفسه الى حلفائه من سكان طنجة وضواحيها من قبيلة صنهاجة ، وهذا دليل ، على ان الامير عبد الرحمن الاوسط . قد امتد نفوذه الى المغرب الاقصى ، كما سُرِّى بعد قليل ، فابن عذاري يذكر أنه « كتب الى من بطنجة من صنهاجة ، يعلمهم بما كان من صنع الله في المجروس ، وما انزل فيهم ، من النقم والهلكة ، وبعث اليهم برأس أميرهم ، وعائشة رأس من أنجادهم (4) ».

ولما تولى الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط عرش الاندلس سنة 238 هـ / 852 م آثر أن يسير في السياسة التي رسمها والده ، وهي الاستمرار في العلاقة الطيبة والودية ، مع البيت الرستمي ، وغيرهم من امراء المغرب ، فاوْفَدَ الى بلاط « تاهرت » ، سفارة تعبر للامام افلاع بن عبد الوهاب من جديد ، عن احترامه وتقديره له ، كما عبر له عن رغبته ، في استمرار هذه العلاقة الصادقة بين البلدين ، ويعث له بهدية ثمينة وكان ذلك سنة 238 هـ / 853 م (5) .

(1) ابن تاوير التطوانى : دولة الرستميين اصحاب تاهرت ص 14

(2) ابن الاثير الكامل في التاريخ ، ج 6 ص 369 - ابن خلدون : ج 4 ص 429 (طبعة بولاق) .

L. Provençal: Histoire T.I, p 245. (3)

(4) ابن عذار البيان ، ج 2 ص 88

L Provençal : T I , p. 245 (5)

ويصف لنا المؤرخ القرطبي ابن حيان ، التفوذ المتزايد للأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، في الشمال الأفريقي ، وتبعه لأخبار بني العباس في كل من القيروان ، ومصر وبلاد الشام بقوله : « كان الأمير محمد بن عبد الرحمن ، شديد التهمم بخبر الساحل والعدوة ، مراعيا هنالك من أخبار اعدائهم المسودة ، ( العباسين ) متوجسما عن عمامتهم محظولا عنهم ، لكثير من يتعرف عليهم من ملوك البرابر العلقين اليه بالولاية ، لبني مدرار ملوك سجلماسة ، ومحمد بن افلح بن رستم امير تاهرت وغيرهم فلا تزال رسليه وكتبه تتردد الى هذه الطوائف في البحث عن أخبار بني العباس ، بدار مملكتهم ، واخبار ولاتهم وعمالهم ، بالشام ومصر وافريقيا » (1) .

كما يشير ابن عذاري المراكشي ، الى أنه أي الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط « كان مأمولًا محبوها ، في جميع البلدان ، وكان محمد بن افلح صاحب تاهرت ، لا يقوم ولا يؤخر في أمره ومعظله ، الا عن رأيه وأمره ، وكذلك بنو مدرار بسجلماسة (2) .

وظل بنورستم على وفائهم لعهدهم ، في التعاون الصادق مع بني أمية . في الأندلس . فلم يسمحوا للخارجين على الامارة الاندلسية ، أن يقوموا بأي نشاط سياسي معاد لحلفائهم الامويين ، عند وصولهم الى الأراضي ، الواقعة تحت نفوذهم ، وقد روى ابن القوطية ، قصة طريفة تدل على مدى هذا التعاون السياسي ، المتبدل بين الامويين في الاندلس ، والرسمين في المغرب الاوسط ، وذلك عندما تحدث عن حركة التائرة « عمر بن حفصون » (3) ، الذي قام بشورة ضد أمراء قرطبة ، فتشير القصة الى قدوم عمر هذا الى مدينة « تاهرت » ، بالمغرب الاوسط ، حيث اشتغل مساعدًا لاحد الخياطين بالمدينة ، الذين وفدوا على تاهرت من كورة « ربة » الاندلسية ، إن وجدت الجاليات

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 265-266 ، تحقيق محمد بن مكي ، طبعة بيروت 1973 م . راجع مقال ماريا خيسوس : محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة ص 16 .

(2) ابن عذاري المصدر السابق ، ج 2 ص 108 ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 24 .

(3) عمر بن حفصون ، هو صاحب الثورة ، التي امتدت ما يقرب من اربعين سنة جنوب الاندلس ، ضد أمراء بني أمية ، كانت بدايتها في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة 267 هـ / 880 ، واستمرت الى عهد الأمير عبد الرحمن الثالث ، الذي استطاع أن يقضي على فتنته بقتله سنة 305 هـ / 917 م . انظر : ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 117 ، 105 ، 131 وما يليها .

ابن حيان : المقتبس ، ص 120 تحقيق اباب ملشور باريس 1937 م . المقتبس =

الأندلسية العديدة ، القادمة إلى هذا البلد الغني مجالاً خصباً لها ، في متابعة نشاطها التجاري والحرفي .

وبينما عمر بن حفصون يجلس مع الخياط في حانوته ، إذ أتاه شيخ معه ثوب يقطعه ققام إليه الخياط ، ووضح له كرسياً يقعد عليه ، فسمع الشيخ كلام ابن حفصون ، فانكره عند الخياط فقال له : من هذا ؟ فقال : غلام من جيرانى « برية » أتى ليحيط عندي ، فالتفت الشيخ إليه ، وقال : متى عهدك برية ؟ قال : منذ أربعين يوماً ، فقال تعرف جبل بيشر ؟ فقال له : أنا أسكن عند أصله . قال له الشيخ : فيه حركة ؟ قال لا ، قال : قد آن له ذلك ، ثم قال له : هل تعرف فيها يحاوره رجالاً ، يقال له عمر بن حفصون ، فذعر من قوله وأخذ الشيخ ينظر إليه وكان ابن حفصون أفضض الثنية ، فقال له : يا منحوس تحارب الفقر بالابرة ارجع إلى بلدك ، فانت صاحب بنى أمية ، وسيلقون منك غيا ، وستملك ملكاً عظماً ، فقام - عمر بن حفصون - من فوره وذلك خوفاً من أن ينتشر الأمر وأن يتقبض عليه بنو أبي يقظان (أئمة تاهرت) وكانوا مالكين تاهرت ، وولاؤهم لبني أمية ، فأخذ خبزتين من الخباز ، والقاها في كمه وخرج فأتى الأندلس « (1) » .

أردت بهذا النص أن أبين ، مدى الذعر الذي انتاب عمر بن حفصون ، خوفاً من أن يفضح أمره في مدينة « تاهرت ». وأن تقبض عليه السلطات الحاكمة هناك ، قبل خروجه إلى الأندلس ، وهذا يؤيد بصورة واضحة ، مدى التعاون الإيجابي ، بين الرستميين والأمويين ضد أبي حركة عصييان تظهر في هذين البلدين . ولقد استمرت هذه العلاقات الودية ، قائمة بين تاهرت وقرطبة ، إلى أن زالت بزوال دولة بني رسم ، وسقوط تاهرت على يد الداعي ، أبي عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، سنة 296 هـ / 908 م .

حرص الأمويون في الأندلس ، على كسب صداقه الدوليات ، التي نشأت بجوار العلوين الإدارسة ، كما حرصوا على توطيد صلاتهم بها ، وذلك بغية اضعاف جيرانهم ، « الإدارسة » من جهة ، والغالبة من جهة أخرى ، والحد من نفوذهم المتزايد .

= الجزء المخطوط ورقة 105 - د. عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثاره الأندلسى ، ص 248 ، 259 ومايلها - سيمون حابيك : الناصر لدين الله أول خليفة في الأندلس ، ص 42 ومايلها بغداد سنة 1962 م .

(1) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 91-92

## علاقة الامويين ببني صالح اصحاب نكور

ومن بين الدوليات او الامارات ، التي كانت لها علاقة طيبة مع بنى أمية ، امارة بنى صالح أو «نكور» التي أسسها صالح بن منصور الحميري ، المعروف «بالعبد الصالح» ، بمنطقة الريف المغربي (1) وفي عهد حفيده سعيد بن ادريس ، بنيت مدينة «نكور» ، التي أصبحت منذ ذلك العهد ، ميناء هاما في تنشيط حركة التجارة بين المغرب الاقصى وموانئ الاندلس (2) .

وعلى الرغم من المنازعات الداخلية ، التي كانت كثيرة ما تنشب بين افراد الاسرة الحاكمة ، ومالاقته من عناصر كبيرة ، من جراء مقاومة تيار الخوارج والادارسة ، فانها بقيت محافظة على كيانها ، واستقلالها عدة قرون ، وربما يرجع السر في ذلك الى موقف الامويين في الاندلس الى جانبها ، وتدعيمها ماديا وسياسيا ضد أصحاب «فاس» (3) . وخير دليل على هذه المساعدات ما قدمه لها الامير ، محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، عندما قام بافتداء الأميرتين «خننولة» و«آمة الرحمن» من بنت واقف بن المعتصم بن صالح ، اللتين وقعن في يد النورمانديين ، اثناء هجومهم على مدينة نكور سنة 245 هـ / 859 م (4) .

ويشير البكري ، الى أن العلاقة بين هذه الامارة ، وحكومة قرطبة ، كانت ودية وطيبة ، اذ كان بنو صالح في نكور ، يواصلون بنى أمية في الاندلس ويداهنونهم .

والظاهر أن الاسطول الاندلسي ، في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن ، كان يقطأ ويقوم بجهود كبيرة ، لا يغفل عن حراسة شواطئ الاندلس ، وربما كان يراقب بالإضافة الى ذلك شواطئ المغرب ، فقد جاء في رواية ابن عذاري ، انه لما خرجت مراكب المجروس ، للمرة الثانية سنة 245 هـ / 859 م على سواحل المغرب باثنين وستين

(1) حول قيام هذه لامارة انظر كتاب البكري ، المغرب ، ص 90 ومايليها وابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 246 ومايليها وابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ص 171 ومايليها - وابن خلدون : العبر ، ج 1 ص 439 ومايليها ..

(2) الاستیصار ، ص ، 136 .

L. Provençal : Histoire, T. I., p. 247.

L. Provençal, Histoire, T. I., p. 247.

(3) (4) البكري : المغرب ص 92 انظر أيضا :

(5) البكري : المصدر السابق ص 92 .

مركبا ، وجدوا البحر محروسا ، والسفن في حالة تعبثة تجوى من حائط الفرنجة ، إلى حائط جليعية في المغرب الأقصى (1) .

وقد استطاعت البحرية الإسلامية في الاندلس هذه المرة أن تصدى لراكب المجلوس ، وأن تلحق بهم الهزائم الفادحة (2) .

#### علاقة الأمويين بالمدراريين أصحاب سجلماسة :

اما عن علاقة قرطبة ، بدولة بنى مدرار الصفرية بسجلماسة ، ملوك القبلة في أقصى جنوب المغرب (3) ، فغير واضحة ومحاضة قبل عهد الامير الاموي ، محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، لأن المصادر ، لم تقدم لنا معلومات تساعدنا ، على تبع مراحل هذه العلاقة وتطورها .

ويبدو أن الصلات القرطبية السجلماسية ، قد ابتدأت مبكرة لاشتراك المدراريين والأمويين في عداء بنى العباس ، وحلفائهم الغالبة في أفريقيا من جهة ، وعدائهم التقليدي للادارسة العلوين في فاس من جهة أخرى (4) ، فضلا عن كون أصحاب سجلماسة ، تربطهم بيني رسم ، أصدقاء بنى أمية في الأندلس روابط التحالف والمصاهرة ، لذلك التقى الطرفان ، تجمعهما المصلحة السياسية المشتركة ، رغم خلافاتهما المذهبية وبعد المسافة بينهما .

وهناك ما يشير إلى أن المدراريين ، كانت لهم مناقد على ساحل البحر المتوسط

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 96 .

(2) العنري ، ترصيع الاخبار ، ص 118 ، 119 ، ابن عذاري : البيان ج 2 ص 97/96

(3) اجتمع أربعون صفريا ، من رجالات قبيلة مكتناسة ، سنة 140 هـ / 757 م وبایعوا واحداً منهم سوداني الأصل ، اسمه « عيسى بن يزيد الأسود » ، من موالي العرب ، ومن غلة المذهب الخارجي الصفرى ، ثم شرعوا في بناء مدينة سجلماسة ، لتكون كرسيا لحكمهم ، وبعد خمس عشرة سنة من إمامته عيسى عزله أصحابه ، لازد أحذوها عليه ، فقتلوه ، واختاروا أبو القاسم بن سمحور ابن واسول المكتناسى من جديد ، انظر : البكري المغرب ، ص 149 .

(4) د . محمود اسماعيل الخوارج في المغرب الإسلامي ، ص 100 - 202 .

(الاطلتي) . يتصلون منها بموانئ الاندلس كاشبيلية وشاطبة (1) . ويبدو ان هذه الصلات الطيبة والودية ، بين سجلماسة وقرطبة قد تأثرت بقدوم بعض العائلات الريفية المنفية من قرطبة الى سجلماسة وزرولهم بها . لكن - فيما يبدو - ان هذه الجفوة لم تستمر طويلا بحيث عادت العلاقة الى حالتها الاولى ، في عهد عبد الرحمن الاوسط وتويد ذلك ، المساعدات الاقتصادية ، التي قدمها ميمون بن مدرار الملقب بالامير ، الى صديقه عبد الرحمن الاوسط حينها حلت بالأندلس ازمة اقتصادية سنة 232 هـ / 847 م ، اذ قدم له كميات من الحنطة والسكر والتمر (2) .

وقد زادت الصلة الطيبة بين البلدين ، اواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي اي في عهد محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، الذي اتسم عصره بالاستقرار السياسي والاقتصادي ، وتشير بعض المصادر الى أن الامير محمد « خدمته ملوك البلاد المغربية واعترفت بطاعته تاهرت وسجلماسة » (3) . وتضيف رواية أخرى بأن بنى رستم وبنى مدرار « لا يقدمون ولا يؤخرون ، في أمورهم ومعظلامتهم الا عن رأيه وأمره » (4) . وهو الامر ، الذي يدل على مدى قوة سلطان محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، واتساع نفوذه .

### علاقة الأمويين بالبرغواطين اصحاب تامسنا

اما عن طبيعة العلاقات ، بين برغواطة في المغرب الأقصى ، والامارة الأموية في الاندلس ، فيبدو أنها ظهرت منذ وقت مبكر ، بنشوء تحالف ودي بين البلدين ، اي منذ نشأة هذه الدولة ، في النصف الاول من القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي باقليم « تامسنا » بالغرب الأقصى ، في الاراضي الممتدة على طول ريف المحيط الاطلسي ، والواقعة ما بين سلا شمالا ، وآسفى جنوبا ، أوعبارة أخرى ، ما بين مدينة

(1) العميري : روض المطار ، ص 21 L. Provençal · Op. cit., T 1, p. 248  
د. محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص 105 .

Conde : History of the dominion of the arabs in Spain, vol. 1, p. 201.

(2) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة البناء ، ج 5 ص 164 القاهرة 1922 م .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ص 24

(4) ابن عذاري : المرجع السابق ج 2 ص 108 ، ابن حيان : المتبص ، ص 265 - 266 .

الرباط الحالية . وجنوب مصب وادي ام الريبع ( باقليم دكالة ) (1) . وينسب بعض المؤرخين تأسيس هذه الدولة الى رجل اصله من برباط الاندلس نسبة الى وادي برباط جنوب الاندلس (2) ، يهودي الاصل ، يدعى صالح بن طريف بن شمعون البرباطي .

وكان صالح هذا قد رحل الى الشرق حيث تعلم من شيوخه علم الكلام . وفن الجدال ، كما تفرس في علم النجوم ، حتى نبغ فيه (3) ، ولما عاد الى « تامسنا » اظهر الاسلام ، وتنسلك ، فمالت اليه نفوس البربر ، في تلك المنطقة ، وبعد ذلك ادعى النبوة فيهم ، وزعم أن القرآن ، نزل عليه باللسان البربرى ، كما نزل على محمد باللسان العربي ، وشرع لهم ديانة جديدة ، ورثها ابناوه من بعده .

وقد اجتمعت النصوص التاريخية ، على أن صالح بن طريف ، أوصى أبنه الياس بمبايعة بنى أمية في الأندلس ، ومناهضة أمراء المغرب ، قبل رحيله الى المشرق (4) . الا أن هذه العلاقات الطيبة والتحالف الودي بين البلدين ، فيما يبدو لم يستمر طويلا ، اذ سرعان ما فترت وتجددت بسبب اتحاد البرغواطيين الديانة الجديدة واظهارها ، والجهاز بها ، لذلك كرههم المسلمون في المغرب والأندلس ، واستحلوا دماءهم ، وأوجبوا قتالهم وجهادهم ، لأن هؤلاء البرغواطيين ، أصبحوا في نظر المسلمين مجوسا هراطقة مارقين على الدين ، وتجمع المصادر ، على أن ملوك العدوتين من ادارسة وفواطم وأمويين ، لم يتوانوا في محاربتهم ، وكانت لهم معارك مشهورة انزلوا بهم هزائم منكرة (5) ولكنهم لم يستطيعوا استئصال شأفتهم ، بل كان خطرهم يزداد ويشتد ، على المسلمين في المغرب ، وحدودهم تتسع على حساب اراضي المسلمين الى أن ظهرت دولة المرابطين ، الذين أخذوا رياطات في حروبهم ضد هؤلاء البرغواطيين الهرطقة ، وقد قتل عبد الله بن ياسين في احدى هذه الحروب ، سنة 499 هـ / 1057 م (6) .

(1) ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 6 ص 428 – راجع مقال د . أحمد مختار: العبادي الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، ص 57 مقال مجلة كلية آداب الإسكندرية العدد 21 سنة 1967 م .

(2) الإستبصار ، ص 197 .

(3) البكري : المغرب ، ص 138 – ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثالث ، ص 182 .

(4) البكري : المصدر السابق ، ص 137 – الإستبصار ، ص 198 – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 183

(5) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 124 – ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 6 ص 430 .

ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 6 ص 432 .

(6) الإستبصار ، ص 198

وقد ظلت العلاقات بين قرطبة وبرغواطة ، على هذا النحو ، يشوبها الفتور حتى  
النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، حيث جدد ولاء برغواطة للأمويين في  
الأندلس ، أبو منصور عيسى ابن أبي الانصار ، بارسال سفارة يرأسها أبو صالح زمور بن  
موسى ، إلى خليفة الأندلس الحكم المستنصر ، وذلك في شهر شوال سنة 352 هـ /  
963 م <sup>(1)</sup> .

وخلال القول أن أمراء بنى أمية في قرطبة ، قد كثروا صداقه متينة ، واكتسبوا  
ولاء دويلات المغرب المجاورة لاعدائهم ، التقليديين الادارسة العلوين في المغرب  
الاقصى ، والأغالبة في افريقية ، فمدوا ايديهم إلى بنى رستم أصحاب « تاهرت »  
شرقا ، وبنى صالح بنكور شمالا ، وبرغواطة في تامسنا على ساحل المحيط غربا ، وبنى  
مدرار في سجلماسة جنوبا ، وكان القصد من هذا التحالف هو تطويق الادارسة العلوين  
من جميع الجهات ، حتى لا يتسرّب نفوذهم إلى المناطق الأخرى من بلاد المغرب ،  
ويالتى يمنعونهم من التطلع إلى أرض الأندلس .

غير أنه يلاحظ في الوقت ذاته ، وعلى الرغم من استمرار الجيو المشحون بالكراهية  
والعداء السياسي والملذهي ، لفترة طويلة بين عواصم الغرب الإسلامي ؛ الاربعة :  
القيروان في أفريقية وتاهرت في المغرب الأوسط ، وفاس في المغرب الاقصى ، وقرطبة  
في الأندلس ، فإنه من حسن الطالع لم تتعذر هذه الخصومة أكثر من المناورات السياسية  
والاستفزازات الدبلوماسية ، ولا سيما بين الأغالبة والأدارسة ، وبين الأغالبة والأمويين  
اصحاب قرطبة ، ولكن على أية حال لم تقدم حكومات هذه الدول ، على انهاك قواها  
في صراع عقيم فيما بينها ، ولم تتحدث النصوص التاريخية عن وقوع مواجهات عسكرية  
 مباشرة ، أو حروب فعلية ، اذا استثنينا الحروب التي وقعت بين بنى رستم والأغالبة <sup>(2)</sup>  
ولكن ينبغي الاشارة هنا ، إلى أن الأغالبة لم يتورعوا ، عن تحريض حلفائهم  
الفرجية للاستيلاء على الأندلس - بسبب موقف الدولة العباسية من بنى أمية - أو

(1) البكري : المغرب ص 135 - ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 318 - ابن خلدون : المصادر السابق ،  
ج 6 ص 429 .

(2) حلول الصراع السلي الملذهي راجع مقال :

تضليل وتدعم الثوار ضد أمراء قرطبة ، كما حدث مع صاحب أخطر ثورة في الأندلس وأطولها مدة ، وهو عمر بن حفصون ، اذ لم يتردد الأغالبة في مساعدة عمر بن حفصون ، ويؤكد ذلك ابن حيان بقوله : « وتداعي أهل الشريعة ، من أقطار الأندلس ، وطعم في التغلب على جميعها ، وأظهر الميل إلى دعوة المسودة من بنى العباس ، والقيام بها ارهاناً لبني مروان كلها ، فذكر عنه مشيخة من أهل كورنيا اشبيلية ورية انه ، كاتب ابن الأغلب أمير أفريقيا لبني العباس ، في اعلانه يدعوه ويلطفه ، بالهدايا ، وابا ابن الأغلب إلا أن أجابه ، وكفأه عن هديته ، وطعم فيه ، وكان جوابه مشهوراً عندهم ، فامتد أمل الخبيث عن ذلك واستعجل شره » (1) .

ولكن على أية حال لم يكن ابن حفصون صادقاً في ولائه للأغالبة ، والعباسيين إنما كان يتخد هذه مطية لتحقيق أغراض شخصية ، يكاید بها الأمويين في قرطبة متى شاء (2) . ودليل ذلك أنه قام بنفس السلوك مع الأدارسة في المغرب الاقصى . فابن حزم يذكر لنا أنه خطب للقاسم بن إبراهيم الأدرسي ، صاحب البصرة وجرت بينهما مراسلات ومكاتبات بشأن التامر ، على العاهل الأندلسي (3) .

ولهذا يحتمل أن يكون للامير محمد بن الرحمن صاحب قرطبة ضلع في ثورة عبد الرزاق المديوني ، التي قامت ضد الأدارسة في فاس (4) . ولا يظهر الفواطم في الشمال الإفريقي ، سارع عمر بن حفصون إلى مخاطبتهما ، فأرسلوا إليه داعين من أمهر دعاياتهم المخلصين ، ليحصلوا ابن حفصون على التمسك بولاء الشيعة الفاطميين ، والدعوة لهم في الأندلس ، وقد أقام هذان الداعيان عند ابن حفصون ، وحضر حروبه ضد أمير قرطبة ، ثم أعادهما إلى إفريقية ، بعد أن تظاهر بالطاعة والولاء للفواطم ، وارسل معهما إلى الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدى ، هدايا سينية (5) . وتطور أمر ابن حفصون في جنوب الأندلس ، واقتطع إقليم كثيرة من الإمارة الأموية وأسس فيها حكماً

(1) ابن حيان : المقتصى ، ص 93 تحقيق الأب ملشور.

(2) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 9

(3) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص 44 - ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 233 .

Fournel (H) . Les Berbères, étude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, d'après, (4)  
T. 2., p. 21.

(5) ابن الخطيب : أعمال الإعلام القسم الثاني ص 37 .

مستقلاً عن حكومة قرطبة ، جعل عاصمتها حصن « بيشتر » وبخاصة في عهد الامير عبد الله بن محمد ( 275 - 300 / 888 - 912 م ) ، والذي كثرت في أيامه الفتن ، والثورات التي تفرعت وتطورت وتشابكت حتى أصبحت تصعب على الدارس مسلك شعبها ، سواء من حيث المكان أو الزمان أو الموضوع ، فتارة فردية وأخرى جماعية ، اشتراك فيها العرب ضد المولدين ، أو المولدون ضد العرب ، أو البربر ضد الولاة ، وتارة يتحالف بعض التأثيرين ، وتارة أخرى ينفصل عرى التحالف ، وتطاولت على الأمير ، أيدي المعارضين في مختلف الكور الاندلسية ، حتى تجذّلت أمراته إلى أقاليم مستقلة . ولم يبق تحت سلطانه ، الا منطقة قرطبة وضواحيها (1) .

والظاهر أن الظروف الصعبة التي مرت ببني أمية ، خلال هذه الفترة ، شلت حركتهم وابعدتهم عن خلفائهم في المغرب ، فلم يستطعوا تقديم المساعدات إلى أصدقائهم الرستميين أصحاب « تاهرت » الذين بدا عرشهم يتهاوى على يد الداعي الشيعي ، والجيش الفاطمي ، إلى أن زال نهائياً سنة 296 هـ / 909 م (2) .

كانت لابن حفصون اليد الطولى في هذه الفتنة ، اذ أصبح له قوارب وسفن يتصرف فيها في شواطئ الجزيرة الخضراء ، ويستعملها في أغراضه التجارية مع بلاد المغرب وأفريقيا في الجنوب ، والدول المسيحية في الشمال ، ينقل بها البيرة ومختلف الاعانات والمساعدات الاقتصادية والعسكرية التي كانت تقدم له من قبل خصوم الامويين ، ويشير إلى ذلك ابن حيان بقوله : « كان في ساحل ( أي ساحل الجزيرة الخضراء ) لابن حفصون وأصحابه عدة مراكب بحرية يسافر بها لأرض العدة ، في المير والتتجارات ويقضون بها الحاجات فيتسعون بها أعظم التوسيع » (3) .

وقد صادف بخاصة تفكك الوحدة السياسية للإمارة الأموية في الاندلس ، وقيام الدولة الفاطمية في المغرب ، التي كانت تسعى جاهدة ، لمد سلطانها على بلاد الاندلس ، فانتهزت فرصة هذه الاضطرابات ، وحاولت الاستفادة منها .

(1) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 31

(2) حول سقوط دولة الرستميين انظر :

Nègre André: La fin de l'Etat rustimide, p. 10-22. Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, Vol. VII, Alger, 1969

(3) ابن حيان : المقبس ( مخطوط ) ورقة 48

وكان على الأمير عبد الرحمن الثالث ، أن يتخذ سياسة ملائمة في هذه الحالة ، تتسم باللين تارة وبالشدة تارة أخرى ، وقد استهل عمله بانفاذ الكتب والرسائل الى مختلف الكور الاندلسية يدعو فيها العمال ولا سيما الثائرين منهم الى التزام الطاعة والولاء ، ووعدهم بالمال والجاه ، والسلطان ، إذا ما استجابوا له كما هدد في الوقت نفسه كل من لم يستجب لندائه بالحرب والتشريد ومصادرة الأموال (1) .

وكان لهذا النداء وقع حسن في نفوس الرعية ، التي سئمت الحياة المليئة بالحروب وبالفوضى ، لذلك أسرع كثير منهم الى الطاعة ، ويعثروا بولائهم لعبد الرحمن الثالث ، وقد اضطرر هذا الأمير أن يستنزل أهل العصيان منهم أكثر من عشرين سنة ، حتى أخضعهم جميا ، وأعاد الوحدة لريوبان الأندلس ، واستقام له الأمر فيها (2) .

وبالاضافة الى انشغاله في الداخل باخماد الفتنة والثورات ، كان شديد الحذر من الفواطم في المغرب ، وما يقومون به من توسعات على حساب الأراضي المغربية وأول خطوة خططها في هذا الشأن ، هي تطوير الأسطول البحري الاندلسي وجعله قادرا على حماية شواطئه بلده وبخاصة الشواطئ الجنوية المواجهة للشواطئ المغربية ، والتي اصبحت مهددة بالغزو الفاطمي ، وزاد في توسيع دور الصناعة في مختلف الموانئ الاندلسية الجنوية ، منها ، والجنوبية الشرقية ، كما قام بتحصين الشعور والمدن الساحلية ، وشكها بالجند وشحنها بالمؤن وبالعتاد .

وقد توجه عبد الرحمن الثالث بنفسه ، الى الجزيرة الخضراء في شهر ذى القعدة سنة 301 هـ / 913 م . لاخضاع الثوار ، وتنظيم شؤونها (3) ، ويشير الحميري في هذا الصدد ، الى أن العاهم الاندلسي ، بنى فيها – أي الجزيرة الخضراء – دارا لصناعة السفن وأتقن بناءها وعلى سورها ، لأنها كانت أقرب مدن الأندلس مجازا الى العدوة المغربية (4) ، كما قام بتشييد قصر في جزيرة طريف لاتزال آثاره موجودة الى اليوم (5) .

(1) أحمد مختار العيادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 180

(2) المقري : فتح الطيب ، ج 1 ص 331

(3) ابن حيان : المقنيس (مخخطوط) ورقه 48

(4) الحميري : الروض المطارض ص 73 - 74

Terrasse (H) : Histoire du Maroc , T. I., p. 156. (5)

ونظراً لأهمية الموقع الاستراتيجي لهذا الشفر وخطورته ، فقد جعله الامويون من اختصاص أحد أمراء البيت الاموي (1) . وقد خرج عبد الرحمن الثالث متصدلاً على السفن التابعة للثائر ابن حفصون ، فاحتجزها وأحرقها ، وقطع بذلك مرافق البحر على ابن حفصون من حد الجزيرة الخضراء إلى حد تدمير ، ومنذ ذلك الوقت لم تجرأ ابن حفصون سفينته ، وفي هذا الصدد يقول ابن حيان : « فاختر الناصر لدين الله الحشم في طلبها ، (أي سفن ابن حفصون) وأخذها . وقد كان الفسقة (أي الثوار) لجأوا بها في البحر ، فادخل الجندي خلفهم ومضوا في أثرها ، وقبضوا عليها ، فعiedت برمتها إلى ضفة البحار ، وأحرقت جميعها بين يديه ... فأستدعى - أي عبد الرحمن - جملة من المراكب البحرية من مالقه واشبيلية ، وغيرهما من مدن الطاعة ، وركبها من أول الاستقامة فاقامها في باب الجزيرة ، وشحنها بصنوف الاسلحة والعدد ، واعد فيها النقط والآلات حرب البحر ، وأدخل فيها ركاب من البحريين والنوانية ، وسواس البحر ، وأمرهم بالتجول في السواحل كلها ، من حد الجزيرة الخضراء ، إلى حد تدمير ، وقطع مرافق البحر كلها عن ابن حفصون وأصحابه ، والآخر في البحر باركة (2) إلا لأهل الطاعة فقط ، فملك البحر منذ هذا الوقت » (3) وكان الغرض من هذا الاجراء كله قطع المساعدات التي كانت تقدم لعمربن حفصون ، سواء من طرف الفواطم في بر العدوة من الجنوب ، أو المسيحيين في الشمال . ولم يكتف عبد الرحمن الثالث بهذا بل مد يده إلى « ابن قرهب » حاكم جزيرة صقلية ، الثائر على عبيد الله المهدى ، يمدده بالعون ويشجعه ، على محاربة الفاطميين ، وعدم الدخول في طاعتهم ، وتشير بعض المصادر ، إلى أنه ترددت الكتابة بين عاهل الاندلس وحاكم جزيرة صقلية ، وكان هذا الأخير يطلعه على أحوال الجزيرة ، ملتمنسا منه العون والمساعدة فأجابه عبد الرحمن ، شاحدا باركه من الإسبانية Barca بمعنى سفينة .

وكان ذلك سنة 302 / 914 م (4) .

(1) احمد مختار العادي : دراسات ص 72

(2) باركه من الإسبانية Barca بمعنى سفينة .

(3) ابن حيان : المقتبس ورقة 48 ، ابن عذاري : البيان ج 2 ص 166

(4) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 52 - ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 174

ولما احتل قائد الفاطميين في المغرب الأوسط « مصالحة بن حبوس المكناسي » (1) مدينة « نكور » عبر أبناء سعيد بن صالح ، صاحب هذه المدينة إلى الاندلس ، واستقروا بمدينتي « مالقة » و « بجاية » بالعدوة الاندلسية (2). فرحب بهم أمير الاندلس وغمروهم بعطفه ، وصلاته ، وخلقه وخيرهم بين المقام « بمالقة » ، أو القدوم إلى « قرطبة » فاختاروا الأولى لموقعها الجغرافي ، القريب من بلدتهم ، حتى يتسعى لهم العودة إليه حينما تسمح لهم الظروف بذلك (3).

وجاءتهم هذه الفرصة المرتقبة ، بعد ستة أشهر فقط ، من احتلال مدinetهم (4) عندما عاد « مصالحة بن حبوس » القائد الشيعي ، إلى مقر أعماله في « تاهرت » ، وترك على مدينة « نكور » أحد رجاله يدعى « ذلولا » الذي لم يمكن طويلاً وتفرق من حوله معظم المشارقة (5) ، ولم يبق معه إلا القليل منهم ، عند ذلك عزم أبناء سعيد على العبور إلى بلدتهم وتخليصه من « ذلول » وأعوانه ، وقد اتفق الآخوة الثلاثة : ادريس ، المعتصم ، صالح ، على أن يجتازوا البحر في وقت واحد ، ومن يصل منهم قبل غيره إلى بر العدوة ، كانت له الإمارة .

ويروي البكري قصة عبورهم بقوله : « وازعوا - أي أبناء سعيد - الانصراف إلى بلدتهم ، ثقة بمحبة رعيتهم لهم ، وميلهم إليهم ، فاتفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة ، فمن وصل منهم قبل صاحبيه فالولاية له ... فركبوا البحر من ذلك الموضع - أي مدينة مالقة - في ليلة واحدة ووقت واحد ، وريح واحدة ، فوصل أصغرهم سنا

(1) مصالحة بن حبوس بن متازل المكناسي من قبيلة مكتناسة ، أتصل بعيد الله المهدى ، وكان من أعظم قواده وأولياته ، ولاد على مدينة « تاهرت » بالغرب ، وكان مصالحة هذا يترأس مكتناسة بمشاركة قريبه موسى بن أبي العافية ، قبل انضمامه إلى الفواطم ، في أواخر المائة الثالثة / 9 م فعظم سلطانهما وتغلباً على قبائل البربر ، انظر : ابن خلدون : العبر ج 6 ص 265 ، 266 ، 273 ويدرك ابن الخطيب أنه من قبيلة « كنامة » وبدعوه بمصالحة بن حبوس الكتامي . انظر أعمال الاعلام القسم الثالث ، ص 210 .

(2) البكري : المغرب ، ص 96 ويدرك كل من ابن عذاري وابن الخطيب مدينة « مالقة » ، فقط انظر : البيان ج 1 ص 180 ، واعمال الأعمال ، القسم الثالث ص 176 .

(3) البكري : المصدر السابق ، ص 96 ، ابن عذاري المصدر السابق ج 1 ص 180 .

(4) البكري : المصدر السابق ص 96 - ابن عذاري : المصدر السابق ص 180 ، ويدرك ابن الخطيب شهرين فقط انظر المصدر السابق ، ص 176 .

(5) المقصود بالمشاركة الشيعة نسبة إلى الداعي أبي عبد الله الشيعي الشرقي .

صالح بن سعيد ، الى مرسى نكور في ليلته ، وأصبح له بالمرسى المعروف بوادي البير يتمسامان .. (1) .

وعندما وصل صالح بن سعيد الى مرسى « نكور » اسرع البرير لنجدته من بكل صوب وحدب ، وبايده أميرا ولقبوه بالبيتيم ، لصغر سنها ، وزحفوا معه الى ذلول ، فقتلوا وقتلوا من كان معه من المشارقة (2) . ثم كتب صالح الى الامير الأندلسي عبد الرحمن بن محمد ، يخبره بما تم له من نصر على اعدائه الشيعة فقرأ الخبر على منبر المسجد الجامع بقرطبة ، وأرسلت نسخ منه الى كافة اقاليم الاندلس (3) . ففرح عاهل الاندلس لهذا الانتصار ، وأمر بامداد آل صالح أصحاب نكور بما يحتاجون اليه من أخبارية ، وكسى رفيعة وسروج وبنود وطبول وجميع أنواع الأسلحة ، من سيوف ودروع ، وعرضهم بما فتقوا في الحرب (4) ، وهذا دليل على حرص الامير عبد الرحمن الثالث على مقاومة الانتشار الفاطمي في المغرب ، ومحاولة بسط نفوذه على هذه المنطقة وجذب الامراء المغاربة الى جانبه وكسب صداقتهم وولائهم ، كما عمل اسلافه من قبله ، ليجعل منهم حلفاء ضد اطماع الفاطميين ، الذين يهددون بلاده ، ولاسيما وأنهم حققوا مالهم يستطيع العباسيون تحقيقه من قبل في الاستيلاء على المغاربة الأوسط والاقصى ، وأصبح لا يفصلهم عنهم الا ذلك الممر المائي الضيق ، الذي لا يشكل عائقا في وجه الانتشار العسكري .

وهكذا بدأ الصراع يحتدم بين الفاطميين في المغرب ، والأمويين في الاندلس ، وأخذ عبد الله المهدي يعمل جادا ، لاحتلال المغاربة الأوسط والأقصى ، فوجه عدة حملات بقيادة عامله على مدينة « تاهرت » ، مصالة بن حبوس ، وكانت الحملة الثانية الى المغرب الاقصى ، سنة 308 / 920 م ، فقد استطاع أن يخضع مرة اخرى مدينة « نكور » لسلطان المهدي ، ثم توجه نحو مدينة « فاس » وعزل أميرها ادريسى يحيى بن ادريس ، وأقام مكانه ريحان الكتامي ، وكان سبب عزله كما تذكره النصوص

(1) البكري : المصدر السابق ص 96 - 97 .

(2) ابن عذاري : البيان ج 1 ص 180 .

(3) البكري : المغرب ص 97

(4) البكري : المصدر السابق ، ص 97

التاريخية هو سعاية موسى بن أبي العافية المكناسي ، إلى ابن عمه مصالحة بن حبوس ضد يحيى هذا ، وظل موسى كذلك حتى أُوغر صدره عليه (1) فنفاه بعد أن سلب ماله إلى بلاد الريف حيث يوجد أبناء عمومته ، الذين اضطروا أمام الهجمات الفاطمية المتكررة ، إلى الانسحاب شمالا نحو منطقة جبال الريف المغربي ، وانشأوا فيها بعض القلاع وتحصّنوا بها مثل : قلعة حجر النسر ، وأصيلا ، والبصّرة (2) .. أقام يحيى بن ادريس عندهم ثم ارتحل إلى إفريقية وفي طريقه تعرض له موسى بن أبي العافية ، وقبض عليه وسجنه بمدينة « لكاي » (3) عشرين سنة ، ثم أطلق سراحه ، وقيل أنه توفي جائعا في المهديّة أثناء حصارها ، من قبل يزيد بن مخلد النكاري ، سنة 332 هـ / 943 م (4) .

وكانت سجلّماتة هي الأخرى ، قد خرجت من يد عبيد الله المهدي . فتقدّم إليها مصالحة بن حبوس سنة 921/309 م ، ودخلها بعد أن هزم جيشه ، وقتل أميرها أحمد بن مدرار ، وولى عليها أحد أفراد البيت الحاكم ، من الموالين للعبيديين وهو المعتر بن محمد بن مدرار ، وانصرف عائدا إلى المهديّة يخبر مولاه المهدي بما تم له على يده من نصر (5) .

وأخيراً قد مصالحة بن حبوس المكناسي حتفه في معركة عنيفة على يد الزعيم المغراوي الجزائري محمد بن خزر رئيس قبيلة زناته بضواحي « تلمسان » ، بعد أن هزم جيشه وعادت فلوشه إلى مدينة تاهرت سنة 312 هـ / 924 م (6) .

(1) البكري : المغرب ، ص 126 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 53 ، السلاوي : الاستقصاء ، ج 1 ص 80 .

(2) ابن أبي زرع المصدر السابق ، ص 53 ، ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 274 السلاوي : المصدر السابق ج 1 ص 80 .

(3) البكري : المصدر السابق ، ص 126 ، وفي روض القرطاس ، (ص 53) « الكاي » وعند ابن الخطيب القسم الثالث ص 213 ، « الكاي » ويطلق عليها (السلاوي ج 1 ص 80) « آل الكاي » وقد وصفها أحد الرحالة بأنها مدينة أوجيل كغير الخيرات بالقرب من مدينة « فاس » ، انظر : ابن الخطيب أعمال الأعلام القسم الثالث عليه رقم (1) .

(4) ابن أبي زرع المصدر السابق ، ص 53 ، السلاوي : المصدر السابق ج 1 ص 80 : وينظر البكري (المغرب ص 126) أن وفاته كانت سنة 334 هـ / 943 م .

L. Provençal : Op. cit. , p. 93.

185 —

(5) ابن عذاري : البيان ج 1 ص 189

(6) ابن عذاري : المصدر السابق ج 1 ص 189

انحصر الادارسة - كما ذكرت سابقا - من ابناء محمد في الغرب حول مدينة البصرة ، وفي قلعة حجر النسر ، وهو حصن قام ببنائه ابراهيم بن محمد بن القاسم ، على قمة جبل من جبال الريف سنة 317 هـ / 929 م ،<sup>(1)</sup> شمال شرق مدينة القصر الكبير الحالية ، واستقر ابناء عمر في بلاد غمارة ، من تيجيساس الى احواز سبعة وطنجة شمالا<sup>(2)</sup> ، وتركز العلويون من الفرع السليماني ، في تلمسان وأحوازها . واقسموا ثغور هذه المنطقة ، فكانت مدينة تلمسان من نصيب ابن ادريس بن محمد بن سليمان ، ومدينة « ارشقون »<sup>(3)</sup> ، لولد عيسى بن محمد بن سليمان ، ومدينة تنس لابن ابراهيم بن محمد وكانت سائر خواص تلمسان وأعمالها لبني يفرن ومغراوة<sup>(4)</sup> .

أما محمد بن خزر المغراوى ، زعيم زنانة فقد استولى على كثير من المناطق في المغرب الأوسط ، وبخاصة بعد تغلبه على مصالحة بن حبوس قائد المهدى ، سنة 312 هـ / 934 م . فاصبح نفوذه يمتد ما بين وادى شلف شرقا الى خواص تلمسان وعلى الشريط الساحلي شمالا الى مدينة وهران ، كما استولى على شلف وتنس ووهران ، وولى عليها ابنه الخير بن محمد بن خزر<sup>(5)</sup> .

وأما عن موسى بن أبي العافية المكتناسي ، ابن عم « مصالحة بن حبوس » ، فقد كان يترأس قبيلة مكتنasse بالاشتراك مع « مصالحة »<sup>(6)</sup> منذ اواخر القرن الثالث الهجري 9 ميلادى ، وكان سلطانه يمتد على المنطقة التي تسكنها قبيلة مكتنasse بواadi ملوية من بدايته في شمال سجلماسة الى مصبه في البحر شرق مدينة مليلا . بالإضافة الى نواحي « تازة » « تونس » ، وجرسيف ومليلة وما يليها من الجبال والتلول<sup>(6)</sup> ، وكان هذا الزعيم المكتناسي يدعو للفاطميين متقبلا الادارسة العلويين ، الذين كانوا بدورهم يدعون للمهدى .

(1) البكري : المغرب ص 127

L. Provençal : Op. cit., T. I., p. 95.

(2) مدينة ارشقول تقع على الساحل الجزائري بالقرب من مصب نهر تانة وتقابلها جزيرة في البحر تسمى أيضا ارشقول وتدعى حاليا رشجون Rachgnon وقد بني هذه المدينة عبي بن محمد بن سليمان انظر :

د. احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 202  
Fournel : Op. cit., T. 2., p. 9, note (3)

(4) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 52

(5) ابن حيان : المقتبس ، ورقه 105 - ابن خلدون : المصادر السابق ، ج 7 ص 53 - رابع كتاب :  
L. Provençal : Histoire, T. 2., p. 94.

(6) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 265 - 274 .

ويبدو أن الفواطم لما لم يتمكنوا من احتلال مصر ، رغم المحاولات العديدة التي قام بها أبو القاسم بن المهدى ، حولوا وجوههم نحو المغرب ، واهتموا به اهتماما بالغا ، والقوا بكل ثقلهم في سبيل ضمه إلى ممتلكاتهم ، وبالتالي ينفدون منه إلى الأندلس ، وكان عبيد الله يعتبر هذه الحروب والغزوات التي كان يخوضها جيشه جهاداً في سبيل الله ، ودليل ذلك ما قاله المهدى ، عندما أرسل ابنه أبو القاسم على رأس الحملة الكبيرة ، التي قادها إلى المغرب سنة 315 هـ / 927 م . «اللهم أنك تعلم أنني ما أردت بخارجك ، إلى المغرب إلا رضاك ، ونصرة دينك وأذلال أعدائك» (1).

وكان الأمير عبد الرحمن الثالث ، يترقب بكل اهتمام ، ما يدور من أحداث في المغرب ولا سما تحرّكات أعدائه العبيديين في هذه المنطقة ، ولم يبق مكتوف الأيدي حيال هذا التوسيع الفاطمي ، فبادر باحتلال ثغر مليلة الحصين ، سنة 314 هـ 928 م (2) . ليعزز انتصاريات حليفه محمد بن خزر الله على الجيوش الفاطمية في أقليم الزاب ، وتأهرت وهو عمل بحري يعتبر الأول من نوعه في تاريخ الامارة الأموية في الأندلس ، إذ لم يسبق لأسطول أوجيش أندلسي أن دخل بلاد المغرب غازيا من الشمال ، منذ أن فتحها العرب في نهاية القرن الأول الهجري / 7 الميلادي ، ومنذ هذا الإنتصار السهل الذي حققه عاشر الأندلس باحتلال ثغر هام على الساحل المغربي ، بدأ يتدخل تدخلاً مباشراً ، في العدوة المغربية لكسب تأييد أمراء المغرب ورؤساء القبائل وولائهم ، وتحريضهم على الفواطم .

(1) ابن عذاري : البيان ج 1 من 191 وحسن ابراهيم وله شرف : عبيد الله لمهدى أمم الشيعة الإمامية ومؤسس الدولة الفاطمية ، القاهرة 1366هـ / 1947م . راجع أيضاً : كتاب مؤلف مجهول (عاش في القرن السادس هـ) : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، ج 4 القسم الاول من 339 / 340 ، تحقيق نبيلة عبد المنعم دار دار بغداد ، 1972 م .

(2) البكري : المغرب من 89 ، انفرد البكري بهذا الخبر دون غيره من المؤرخين .

راجع : L. Provençal · Histoire, T. 2., p. 94, note (1)



## الباب الثاني

سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفتين  
عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر



الفصل الأول  
في عصر عبد الرحمن الناصر  
( 316 هـ - 929 م )

الصراع بين عبد الرحمن الناصر والفواطم في بلاد المغرب :

لا غرو أن قيام خلفتين متباورتين ، تتنازعهما مبادئ مذهبية مختلفة ، كان من شأنه أن يحدث تنافساً بينهما على السلطة وامتداد النفوذ ، ويؤدي بهما حتماً في النهاية إلى الاصطدام المسلح ، وهذا ما حدث فعلاً ، في العقد الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بين الخلافة الفاطمية الشيعية في المغرب ، والخلافة الأموية السنّية في الأندلس (١) .

فالفواطم منذ تأسيس دولتهم في بلاد المغرب ، أخذوا يفكرون في غزو الأندلس وكان عبيد الله المهيدي ، بالإضافة إلى ما يقوم به من أعمال حربية وتوسيعية في إفريقية والمغرب مشغولاً أيضاً باعداد الدعاة المهرة ، الذين انتقامهم من بين العلماء ، المخلصين لمبادئ الشيعة ، وارسلهم إلى بعض الأقاليم ، في العالم الإسلامي ، ليث دعوة الفواطم ، ونشر مبادئهم ، ولا سيما في أرض الأندلس ، حيث يوجد أعداؤهم التقليديون بنو أمية ، ليمهدوا الطريق أمام الغزو الفاطمي بالدعائية ، ويث الأفكار الشيعية ، في ربوح الأندلس من جهة ، وبالجاسوسية من جهة أخرى ، لمعرفة الأحوال السياسية ، والإقتصادية والدينية للبلد المقصود ، والتركيز على مواطن الضعف والقوة فيه ، وقد كلف بهذه المهمة ، مجموعة من الجواسيس والدعاة ، الذين قام الفاطميون بتجنيدهم لحسابهم الخاص . وكان هؤلاء الجواسيس والدعاة

---

(١) د. أحمد مختار العبادي : دراسات من 65 ..

يخفون أهدافهم الحقيقية ، وراء ستار من المصالح المشروعة ، كالتجارة أو العلم أو السياحة الصوفية (1) .

وقد انتشرت عيون الفواطم ، بشكل ملحوظ في نهاية القرن الثالث ، وبخلال القرن الرابع الهجري ، في جميع الأقطار الإسلامية ، والواقع أن الدعوة الإسماعيلية ، ربما كانت خير دعوة . عرفت كيف تستغل سلاح الجاسوسية بمهارة وأحكام ، وكان الفاطميون في إفريقية والمغرب ، يجسون النبض ويتربّبون الفرصة للهجوم ، أما شرقا نحو مصر أو غربا نحو الأندلس (2) .

ومن بين هؤلاء الدعاة والجوايس ، الذين استخدمتهم الدولة الفاطمية ، في أغراضها الدعائية والتجمسيّة في الأندلس : أبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني المعروف بالرياضي (توفي سنة 298 هـ / 910 م) ، ويدوّأنه أول جاسوس مشرقي ، دخل أرض الأندلس ، وقد كان شاعراً مفوهاً ، ومتغمراً وأديباً محطلاً ، قدم إلى الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وقدم له كتاباً مفتعلاً ، على لسان أهل الشام ، مظهراً فيه الدعوة والولاء لبني أمية ، لكن عبد الرحمن الأوسط ، فطن للعبة بعد أن اطلع على الكتاب المخترق المصنوع (3) . عند ذلك لم يجد «الرياضي» بدا ، من مغادرة الأندلس ، إلى مصر بعد أن انكشف أمره ، وهناك قبض عليه حاكماً مصر أحمد بن طولون (254 هـ - 868 / 270 - 883) (4) ، بعد أن ثبت أنه يعمل لصالح الفاطميين ولم تذكر المصادر كيف ومتى تخلص من سجنه في مصر فقد ظهر الرياضي هذا ، في القيروان يشغل منصب الكاتبة ، في عهد ابراهيم بن أحمد الثاني ، وبعد التئم ابراهيم الثاني ، وزيادة الله الثالث ، آخر أمراء الأغالبة في رقاده . كما تولى أيضاً في أيام هذا الأخير ، شؤون بيت الحكم ، إلى جانب وظيفته الرئيسية وهي الكتابة (5) .

(1) محمود علي مكي : الشيخ في الأندلس ص 19 - د . أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ص 13 .

(2) محمد علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 20

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 162

(4) اخبار مجموعة ، ص 147

(5) المترى : نفح الطيب ، ج 2 ص 131

ولما استولى الفاطميون على المغرب ، استمر أبو اليسر الرياضي في وظيفته كاتباً لعييد الله المهدى ( 297 - 322 هـ / 909 - 933 م ) (1) . ولعلها مكافأة له من الخليفة الفاطمي ، على ما قدمه من خدمات للشيعة ، ويبدو أنه كان مخلصاً في تشييعه ودليل ذلك ، مادحه ابن عذاري من أن أبا عبد الله الشيعي ، فضل أن يصطحبه معه ، عندما توجه إلى مدينة سجلماسة ، لتخليص سيده عييد الله المهدى ، من سجن المداريين (2) .

وإذا كان أبو اليسر الرياضي ، لم يوفق كل التوفيق في مهمته السياسية في الأندلس ، فقد نجح إلى حد ما ، في نقل بعض الثقافة الأدبية الشيعية إليها ، ولا سيما شعر أبي تمام ، و湓يل الخزاعي ، الذي كان يعتبر من أهم السنة الشيعة في المشرق (3) . كما كانت له مؤلفات انتشرت في بلاد الأندلس (4) .

وأما الداعي الثاني فهو أبو جعفر بن أحمد بن هارون البغدادي (عاصر المهدى وأبنته القائم) ، تولى الكتابة لعييد الله المهدى ، بعد وفاة أبي اليسر سنة 298 هـ / 910 م ، وكان ابن هارون هذا ، قد تردد عدة مرات على الأندلس ، متستراً بستار العلم ، والظاهر أن القصد من هذه الزيارات المتكررة ، التجسس لحساب صاحب المهدية (5) . وفيما يبدو أنه نجح فيما لم ينجح فيه ، أبو اليسر الرياضي من قبله ، فقد أفاد الفواطم بمعلومات ، على جانب كبير من الأهمية ، تتعلق بأوضاع الأندلس السياسية والاجتماعية والدينية .

ونظراً لتجربته الطويلة ، وفراسته في فن التجسس ، فقد أسنده إليه عييد الله المهدى خطة البريد ، بالإضافة إلى ما كان يتولاه من الكتابة ، ولم يزل يتولى هذه المناصب إلى أن توفي (6) .

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 163

(2) نفس المصدر ، ج 1 ص 152 - 153

(3) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 21

(4) ابن عذاري : المصادر السابق ، ج 1 ص 163 - المقرى : نفع الطيب ، ج 4 ص 130 .

(5) راجع محمود علي مكي : المرجع السابق ، ص 21

(6) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 169

ويرجع الفضل الى أبي جعفر بن هارون ، في نشر تعاليم الشيعة الفاطميين ، وكذلك افكار المعتزلة في الأندلس ، ويجب أن يلاحظ هنا ما بين الفاطميين والمعزلة من التقارب الوثيق في أصول تفكيرهم ، إذ أن الإعتزال يُعد خطوة ممهدة للدخول ، في المذهب الاسماعيلي (1) .

وكان الداعي أو الجاسوس الثالث ، هو الرحالة ابن حوقل النصيبي ( توفي سنة 367 هـ / 1977 م ) . فقد دخل هذا الرجل الأندلسي ، تحت ستار التجارة ، إذ تسميه بعض النصوص التاريخية بالناجر الموصلي (2) .

ولا شك أنه دخل الى هذا البلد ، جاسوساً لمصلحة الفواطم ، حسبما يشير أحد المستشرقين الغربيين (3) . ودليل ذلك اهتمامه الكبير بمسالك الأندلس وطرقها ، واعتناؤه في تقريره ، الموجه الى الفاطميين ، بباراز خيراتها الزراعية والمعدنية ، ووصف عسکرها بقلة الشجاعة ، كما رمى أهلها بالضعف وعدم القدرة على الدفاع عن وطنهم ، والظاهر أن الغرض من هذا الوصف ، هو حفز همم الفواطم وتشجيعهم لغزو الأندلس ، وقد جاء في تقريره مايلى : « ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة ، بقاوها على من هي في يده ، مع صغر أحلام أهلها ، وضعة نفوسهم ، ونقص عقولهم ، وبعدهم من الأساس ، والشجاعة ، والفروسية ، والبسالة ، ولقاء الرجال ومراسى الانجاد ، والابطال ، وعلم مواليها عليهم السلام بمحلها في نفوسها ومقدار جبارياتها ، وموقع نعمها ، ولذاتها ... وليس بجيوشهم حلقة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية ، وقوائينها ، وأن شجاعت أنفسهم ، ومرنوا بالقتال ، فإن أكثر حروفهم تتصرف على الكيد والحيلة ، ولا رأيت ولا رأى غيري بها انساناً قط جرى على فرس قاره برذون هجين ، ورجلاه في الركابين ولا يستطيعون ذلك ، ولا بلغني عن أحد منهم يخوفهم السقوط ولقاء الرجل في الركاب على قولهم ، وهو يفسرون على الاعراء من الخيل .. » (4) .

(1) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 22

(2) ياقوت الحميري : معجم البلدان ، ج 1 ص 348

Dozy · Histoire des musulmans d'Espagne , T. 2 , p. 125

(3)

ويذكر شبيب أرسلان أنه كان يعمل لصالح العباسين ، انظر : الحلول السنديّة في الأخبار والآثار الأندلسية ص 43 حاشية رقم (2) ط . بيروت بدون تاريخ .

(4) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 104 - 105 - 108

ويبدو أن مشروع ابن حوقل وتقريره ، لم يجد العناية الكافية والتأيد المطلق ، من جانب الدولة الفاطمية ، لأن نجاح دعاتها ، في جذب الانصار والمؤيدين لها في بلاد الأندلس ، كان محدوداً والسبب في ذلك يرجع إلى النفوذ القوى الذي يتمتع به الحزب الاموي في هذا البلد .

ولكن على أية حال فقد أستطاع الفاطميون ، أن يضموا<sup>١</sup> إلى صفوفهم بعض الشخصيات الأندلسية (١) . وتمكنوا منأخذ ولائهم مثل : التاجر ابن حفصين في جنوب الأندلس ، وقد سبق الكلام عنه ، والقائد علي بن حمدون الجذامي المعروف بابن الأندلسي ، الذي كان أبوه حمدون - عميد الأسرة - قد قدم من البيرة بالأندلس ، إلى منطقة بجاية ( بالجزائر ) ، وببلاد كتامة ( منطقة القبائل الصغرى بالجمهورية الجزائرية ) ، حيث انتصر دعاة الشيعة الاسماعيلية ، بجبل ايكيجان ( بنواحي سطيف ) وغيرها (٢) ، ولعله كان يعمل في الأندلس ، على نشر دعوة الشيعة ، ولا يستبعد أن تكون له صلة ، بمراسك الاسماعيلية في المشرق ، ومهما يكن من أمر ، فاذا كان دور « حمدون » يتسم بالغموض فإن دور ابنه « علي » ، يبدو واضحاً جلياً في نشر الدعوة الاسماعيلية ، وتوطيد اركان الدولة الفاطمية ، فقد تزوج من كاتمة ، وصاحب ابا عبد الله الداعي ، الظاهر بالدعوة فاستهواه وغلب على قلبه ، ودخل في مذهبها ، وكان اسمه « ثعلبة » وابو عبد الله الشيعي ، هو الذي سماه « علياً » فاستمر به (٣) .

أما محمد أخيه ، فهو الذي صاحب الداعي الحلوني ، إلى بلاد كتامة ، كما أن علياً قد صاحب عبيد الله المهدى من سجلomasة إلى مدينة رقادة (٤) ، وهو الذي ارسله الخليفة الفاطمي عبيد الله ، إلى المشرق في بعض المهام ، فاحكم انجازها وعاد إلى افريقيا ، فازداد بذلك حضورة عند عبيد الله المهدى (٥) ، وقام بخدمة الدولة الفاطمية

(١) محنونة علي مكي : التشيع في الأندلس ص 23 - د أحمد مختار العيادي : دراسات ، ص 66 .

Fournel : Les Berbères, étude sur la conquête de l'Afrique par les textes arabes (٢)  
imprimés, T. 2 , p 54

(٣) ابن حيان : المقتبس ، ص 34 تحقيق عبد الرحمن على حجي ، - ابن عذاري ، ج 2 ص 242 .

(٤) د . محمد العيلاوي : بلاط بنى حمدون بالمسيلة ص 49 مقال بمجلة الأصالة عدد 24 مايو ابريل قسنطينة 1975 - انظر : مقال الدكتور ابراهيم فخار : توبيثال في المسيلة ، بمجلة الثقافة الجزائرية عدد 20 الجزائر 1974 .

(٥) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 34 .

الناشرة أحسن قيام ، وبخلاص ، إلى أن تم على يديه تأسيس مدينة «المسيلة » سنة 313 هـ / 925 م (1) ، بعد أن عهد له أبوالقاسم بن المهدى (322 هـ - 334 هـ ) ، بهذه المهمة ، فقام باختيار موقع هذه المدينة بين سهول الحضنة جنوباً وجبال المعاضيد في الشمال على الطريق الرابط بين إفريقيا والمغرب ، وسط أراضي بني بزال ، وبني كهلان ، على مقربة من هوارة ، في أقليم الزاب بالمغرب الأوسط (2) ، واطلق عليها اسم «المحمدية » نسبة إلى محمد ابن القاسم بن عبيد الله ، وهذا يدل على أن اسمه كان محمداً ، وليس عبد الرحمن على خلاف ما هو شائع (3) .

والظاهر أن الغرض من إنشاء هذه المدينة ، وفي هذه المنطقة بالذات هو رغبة الخليفة الفاطمي ، في مراقبة تحركات القبائل البربرية ، التي كثر خروجها على السلطة الفاطمية ، وخاصة منهم : مغراوة ، وبني يفرن ، وحتى تكون خطأ دفاعياً أولاً ، ونقطة الانطلاق ، نحو المغاربة الأوسط والأقصى ، يزود منها مؤيديه وانصاره ، بالأمدادات السريعة ، لمحاربة التفود المتزايد للدولة الاموية في هذه المنطقة ، فكانت كما يلاحظ ابن خلدون : « .. ميرة للعساكر عند محاصرة المنصور بن القائم ، لابن يزيد بن مخلد بجيبل كيانة » (4) . وبعد اتمام بناء مدينة المسيلة عقد عبيد الله على بن حمدون عليها ، واضاف له أقليم الزاب ، الذي كان يمتد من الواحات جنوباً ، إلى حدود صنهاجة ، بأشير غرباً ، وإلى جبال أوراس شرقاً (5) .

نشأ وترعرع كل من جعفرويحي ، ابنى على بن حمدون ، في بلاط القائم بن عبيد الله المهدى ، مع أولاده ليتحللاً بآداب الملك ، وينشأ نشأة أبناء كبار رجال الدولة وكان صاحب المنصور الأستاذ جوزر ، يسهر على تربيتهم ، مثلما يسهر على تربية أمراء الأسرة الفاطمية الحاكمة .

ولما قامت ثورة أبي يزيد مخلد - صاحب الحمار - واضطربت الأمور في إفريقيا والمغرب ، كتب الخليفة القائم ، على بن حمدون في المدد ، بالقبائل البربرية المنصورية

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 268 ضيفه صادر بيروت 1950 .

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 190

(3) ابن حماد : أخبار ملك بني عبيد وسيرته ، ص 12 نشره وتترجمه M. Vonderheyden الجزائر 1927 .

(4) ابن خلدون : العبر ، ج 4 ص 175

(5) د. محمد العيلاني : بلاط بني حمدون بالسلة ، ص 49 .

تحت سلطانه فلم يتأخر علي ، وكانت له جولات مشهورة مع أبي زيد صمد فيها على وقاوم جيش أبي يزيد بكل بسالة ، حتى كانت نهايته ، في معركة حامية بينه وبين أبي أيوب بن يزيد ، سنة 334 هـ / 945 م ، قتلى أمر مدينة «الميسيلة» والزاب من بعده ابنه جعفر ، بالاشتراك مع أخيه يحيى بن علي ، وصارت لهما دولة مزدهرة شبه مستقلة شيئاً فيها القصور والمتزهات ، وقصد بلاطهما العلماء والادباء والشعراء (1) . ومن بين هؤلاء الشعراء ، الشاعر الايبيري ابن هانيء الأندلسي (توفي سنة 362 هـ / 972 م ) ، الذي التحق بالمغرب لخدمة المعز الدين الله الفاطمي ، وكان ابوه هانيء ، غريب الاطوار ، انتقل من المهدية الى الاندلس ، فعاش بمدينة اشبيلية ، ثم غادرها الى البيرة - على مقربة من غرناطة الحالية ، ولا يستبعد أن يكون ، هو الآخر داعياً من دعاة الشيعة ، تعلم أساليب الدعاية ومبادئها بالعاصمة الفاطمية «المهدية» أو بمدينة القيروان .

أما ابنه الشاعر محمد بن هانيء ، فقد طرد من الاندلس ، ربما لمحاورته بالتشيع في هذا البلد الشديد الكراهية لمباديء الشيعة ، وعندما عبر الى بلاد المغرب ، اتصل بجعفر بن علي صاحب «الميسيلة» و McKث عنده مدة يمدحه ، ثم انتقل بعد ذلك الى المهدية ، حيث أصبح لسان الدولة الفاطمية بالمغرب ، وشاعرها المفوه بدون منازع ، وقد لقى حظوة خاصة عند الخليفة الفاطمي الرابع المعز الدين الله ، والظاهر أنه كان متسبباً بالمعتقدات الاسماعيلية ، كما تشهد على ذلك قصيده ، في مدح القائد الفاطمي جوهر الصقلي ، وهي أول قصيدة نظمها على أرض المغرب جاء فيها :

أريك به نهج الخلاقة مهيناً بين وآعلام الخلاقة وضعاً (2)

وقد اعترف الشاعر محمد بن هانيء نفسه بتشيعه القديم ، الذي سبب له نكمة الاميين وغضبهم عليه ، في قصيدة طويلة مطلعها :

(1) د. محمد العيلاني : المراجع السابق ، ص 50 وقد بلغ صيت هذه الإمارة حتى المشرق فدح الشاعر الحطبي جعفر بقصيدة مطلعها :

جعفر روحى لك الفدا أباً      أحمد ماكل جعفر جعفر  
ما لزاب الا عدن لأنك في الزاب      معاوه سوى الكوثر  
د. أحمد مختار البادي : سياسة الفاطميين ، ص 14 .

(2) ابن هانيء الأندلس المغربي : تبين المعاني في شرح دوان ابن هانيء ، ص 168 وما يليها تحقيق د. زاهي عل مطبعة العارف ، 1352 هـ .

وما نقموا الا قدیم تشيیعی فجی هزیرا شلة المتدارک (1)  
ويعتبر شعره في مدح الخليفة المعز لدین الله الفاطمی ، وثیقة هامة لمبادیء  
العقيدة الاسماعیلیة مثل قوله :

ما شئت الا مشاعت الاقدار فاحکم فأنت الواحد التھار(2)

لم يقف عبد الرحمن الناصر لدین الله مكتوف الأيدي ، حیال هذه المناورات  
الفاطمیة ، وتوسعتها على حساب أراضی القبائل البربریة ، في المغربین الأوسط  
والأقصی ، فقد استعمل نفس السلاح ، الذي استعملته الدولة الفاطمیة أول الأمر ،  
وهو النشاط الدعائی والثقافی ، وقد تبین في الفصل السابق ، کيف كانت الإمارة  
الأمویة تعمل منذ بداية عهدها ، على محاربة أي دعوة شیعیة ، سواء كانت هذه  
الدعوة في المغرب أو الأندلس ، ولا سما بعد ظهور دولة الأدارسة العلویین ، سنة 172  
788 م ، وقد حرص أسلافه على توطید علاقاً تم ، مع بعض الدولیلات المغربية  
المجاورة للعلویین ، حتى ما كان يخالفها من الناحیة المذهبیة مثل : بني رستم ،  
ويرغواطة وسجلماة .

وبالإضافة إلى العلاقة السياسية . كان للأندلسيین نشاط تجاري واسع النطاق  
في المغرب ، فقد رأينا کيف أسست الكثیر من الجالیات الأندلسیة ، بعض الثغر  
أو المحطات التجارية على طول الساحل المغربي ، في أواخر القرن الثالث المھجری ،  
التاسع المیلادي ، وأصبح الأندلسيون يتذفرون على هذه المراکز ، للتجارة والإستقرار .

ولا شك أن وجود مثل هذه المجموعات الأندلسیة ، على أرض المغرب وافریقیة ،  
تکون قد تركت بصمات فکریة ومذهبیة بين سکانه ، فأهل المغرب والأندلس ؛  
يلتقون في حبیم للسنة ومذهب مالک ، وكما أن سکان الأندلس یتعصبون للمذهب  
المالکی ، فكذلك أهل المغرب ، ودليل ذلك ما رواه المقدسی من أنه ذاکر يوما  
بعض المغاربة في مسألة فقهیة ، وذكر قول الشافعی ، فقالوا له مخاطبینه : « اسکت  
من هو الشافعی ؟ إنما كان بحرین ، أبو حنیفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب »  
(3) . وقد یشتراك معهم الخوارج ، في خصومة الشیعیة ، اذ هم أعداؤهم منذ خروجهم

(1) نفس المصدر ، المقدمة ص 21

(2) نفس المصدر ، المقدمة ص 57 ، أحمد مختار العابدی : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 197 .

(3) المقدسی : أحسن التقاسیم ص 42 عبد العزیز الجنوبي : الصراع المذهبی بافریقیة الى الدولة الزیریة ،  
تونس 1975 . ص 89 .

على علي بن أبي طالب ، وهذا ما حدث بالفعل ، فقد انضم صوت الخوارج إلى صوت أهل السنة . لدفع الخطر الفاطمي ومقاومته ، وصادفهم من جراء ذلك عناء كبير .

وكان عبد الرحمن الناصر ، عيون ووسطاء منبثون في جميع أنحاء المغرب ، (1) يواافقونه بما يهمه من أخبار الدولة الفاطمية في المغرب ، وساعدتهم في مهمتهم الجاسوسية ، وجود الحاليات الأندلسية المقيمة ، في كثير من المدن والشغور الغربية ، والظاهر أن هؤلاء الأندلسيين ، كانوا حريصين على مصلحة البلد الأم ، التي هاجروا منها ، كما كانوا شديدي التمسك بالمذهب السني (2) .

وكان الفقهاء السنّيون ، أكثر الفقهاء معارضه للفاطميين دائماً ، ولا سيما الأندلسيين منهم ، اذ يروي ابن الفرضي ، أن الفقيه القرطي يحيى بن عمر (ت 289 هـ / 901 م ) (3) ، الذي استوطن مدينة القيروان ، كان شديد التعصب لمذهب أهل السنة ، كارها للبدع حاملاً عليها ، وكان يعتذر كل الاعتراض بولائه لبني أمية (4) ، لذا كان فقهاء السنة ، من الحاليات الأندلسية ، أكثر الفقهاء في المغرب عرضه للإضطهاد الفاطمي ، ففي سنة 300 هـ / 912 م ، قبض على أحد أبناء التجار الأندلسيين ، وهو أبو جعفر بن خiron .

وكان خiron هذا من كبار أغنياء القيروان وأثريائها ، اذ هو صاحب المسجد الشّرِيف ، يملك الفنادق المجاورة لسجن القيروان ، قبض عليه ب усили من القاضي الشيعي المروذى (5) .

(1) ابن سعيد المغربي : المغرب ، ج 1 ص 180

(2) محمود على مكي : التشيع في الأندلس ، ص 30

(3) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج 2 ص 181 صحيحه السيد عزت العطار الحسني القاهرة 1954

(4) المالكي (ابو يكر عبد الله أبي عبد الله) رياض النّفوس ، ج 1 ص 398 تحقيق حسين مؤنس القاهرة 1951 بينما كان يجلس في احدى جلساته العلمية ، مع طلابه ، وإذا برسالة جاءته من أبي ذكري يحيى بن زكرياء بن عبد الواحد الأموي ، فوقف عن الدرس وقال : « صاحب هذا الكتاب من جده على جدتي ، بالعقل فأنما مواليه » . أنظر رياض النّفوس ، ص 398 وما يليها .

(5) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 169

وفي سنة 309 هـ / 921 م) أمر عبيد الله المهدى ، بقتل الزاهد محمد الشذونى ، وسبب ذلك تفصيل هذا الأخير ، لبعض الصحابة على الإمام علي بن أبي طالب (1) ، وكان الصراع المذهبى ، في إفريقية والمغرب على أشدّه ، بين أهل السنة والشيعة ، وبلغ تدمير المغاربة تدمراً كبيراً ، بسبب احتلال الفاطميين لبلادهم ، وخیر دلیل على هذا التدمير ، ما قام به بعض القiroانيين من كتابة بيتين شعريين ، وهما يعبران ، عن مدى السخط الذي اتى أهل السنة في إفريقية ، ضد الفواطم ومذهبهم ، فقد تلطّف هؤلاء القiroانيون إلى من وصلّ هذين البيتين ، لعبيد الله المهدى وهي تقول (2) :

الجور قد رضي—— لا الكفر و الحماقة  
يا مدعى الغيوب من كاتب البطاقة

وهناك مثال آخر لهذا الصراع المذهبى ، ما أورده المالكى ، في حديثه عن احتلال عبيد الله المهدى لافريقية اذ يقول : « بأن فقيها مالكيا يدعى جبلة ، ترك رياطه بقصر الطوب (3) ، وأقام في مدينة القiroان ، فقيل له : أصلحك الله كنت بقصر الطوب تحرس المسلمين وترتبط ، فترك الرباط والحرس ، ورجعت إلى هاهنا . فقال : كنا نحرس عدواً بينما وبينه البحر ، فتركناه وأقبلنا نحرس الذي قد حل بساحتنا ، لأنّه أشدّ علينا من الروم » (4) .

وقد أصبح الفقهاء يؤلفون الدعامات القوية ، للحرب ضد الفواطم ، فهم الذين أخذوا يذكون حماس الجماهير ، في الشوارع والمساجد وقت الصلوات ، وهم الذين حملوا الرایات لقيادة الفرق الثائرة ، مثل ماحدث في ثورة إبى يزيد مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) ، ومن بين هؤلاء الفقهاء ، الذين أشعلوا حمية أهل السنة في إفريقية ضد الشيعة ، الفقيه أبو الحسن الخلاف ، الذي قال : « إن قتال الفاطميين أفضل من قتال المشركين ». وانه كان يرى في محاربة الفواطم فرضاً وواجبـاً على كل مسلم (5) .

(1) نفس المصدر، ج 1 ص 187

(2) نفس المصدر، ج 1 ص 160 ب

(3) يقع قصر الطوب جنوب مدينة سوسة بتونس وقريباً منها . ابن عذاري : البيان ج 1 ص 171.

(4) د . أحمد مختار العيادي : دراسات ص 60 - 70 أنظر أيضاً : Dozy : Supplément, T. I., p. 269.

(5) الدياغ (عبد الرحمن الانصاري) : معالم الإيمان في معرفة أهل القiroان ، ج 3 ص 34/35 تونس 1902.

ومنهم : ربيع القطان ، الذى أخذ عهدا على نفسه ، بأن لا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دابر بنى عبيد ، وقال : «كيف لا أخرج (أي لمحاربة الفواطم) وقد سمعت الكفر بأذني » (1).

ويتبين مما تقدم مدى السخط الذى عم الفقهاء ، وسكان إفريقية ، وما وصل إليه الإنقسام المذهبى ، الذى أحدهه الاحتلال الفاطمى للشمال الإفريقي ، وبطبيعة الحال ، فإن مثل هذه الأحداث ، تدعم موقف الخليفة السنى ، عبد الرحمن الناصر لدين الله عاھل الأندرس فى الغرب الإسلامي ، ومهّدت له الطريق للتدخل فى بلاد المغرب تدخلاً مباشرًا . وهذا لم يتوان هذا الخليفة الأندرسي ، بأن يقوم أول الأمر بإجراءات وقائية سريعة ، لمواجهة الفاطميين ، والحد من انتشار نفوذهم .

#### اعلان نفسه خليفة للمسلمين :

فعندما استتب له الأمر في الأندرس ، وانتهى من احمد الفتن ، ودانت له جميع أعمال الجزيرة الأندرسية بالطاعة ، أقدم على عمل خطير ، لم يتجرأ على الإقدام عليه أسلافه ، وهو تلقيب نفسه بال الخليفة أمير المؤمنين ، الناصر لدين الله وأرسل بذلك إلى كافة أقاليم الدولة ، يأمرهم بالدعاء له ، على المنابر باسم أمير المؤمنين الناصر لدين الله (2). وعهد إلى صاحب الصلاة الفقيه القاضي أحمد بن مخلد

(1) الدباغ (المصدر السابق) ج 3 ص 37

(2) نص الكتاب الذى تلقى فيه عبد الرحمن بن محمد بالقاب الخلافة : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَلَّ اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الْكَرِيمِ أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ اسْتُوْنَىٰ سَهْلَهُ ، وَأَجَدَرَ مَنْ اسْتَكْمَلَ حَظَّهُ ، وَلَبِسَ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ مَا لَبَسَهُ ، فَنَحْنُ لِلَّهِ فَضَلَّلَاهُ بِهِ . وَأَظْهَرَ اثْرَتَنَا فِيهِ ، وَرَفَعَ سُلْطَانَنَا إِلَيْهِ ، وَسِرَّ عَلَىٰ أَيْدِينَا دَرَكَهُ ، وَسَهَلَ بِدُولَتَنَا مَرَامَهُ ، وَلِلَّذِي أَشَادَ فِي الْآفَاقِ مِنْ ذَكْرِنَا ، وَأَعْلَى فِي الْبَلَادِ مِنْ أَمْرَنَا ، وَأَعْلَنَ مِنْ رِجَاءِ الْعَالَمِينَ بِنَا ، وَأَعْدَادَ مِنْ اتْحَارَافِهِمُ الْيَنَا ، وَاسْتَبَشَارَهُمُ بِمَا أَظْلَمُمُ مِنْ دُولَتَنَا - انشَاءَ اللَّهَ - فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِلْعَمَلِ الْأَنْتَامِ ، بِمَا أَنْتَمْ بِهِ ، وَأَهْلَ الْفَضْلِ بِمَا تَفَضَّلُ عَلَيْنَا فِيهِ ، وَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ تَكُونُ الدُّعَوةُ لِنَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخُرُوجُ الْكِتَبِ عَنَّا ، وَوُرُودُهَا عَلَيْنَا كَذَلِكَ ، إِذْكُلْ مَدْعُوبَهَا الْإِسْمُ غَيْرُنَا ، مَتَّحِلُّ لَهُ ، وَدَخْلُ فِيهِ ، وَمَتَّسِمُ بِمَا لَا يَسْتَحِقُهُ مِنْهُ ، وَعَلِمْنَا أَنَّ التَّمَادِي عَلَى تَرْكِ الْوَاجِبِ لَنَا ، مِنْ ذَلِكَ حَقُّ لَنَا ، أَصْبَعَاهُ ، وَاسْمُ ثَابَتِ أَسْقَطَنَا ، فَرَخَطَلِيبُ بِمَوْضِعِكُ ، أَنْ يَقُولُ بِهِ ، وَأَجْرَ مَخَاطِبَتِكُ لَنَا عَلَيْهِ أَنْ شَاءَ اللَّهُ . أَنْظُرْ : كِتَابُ أَبْنِ حَيَانِ الْمَقْبِسِ وَرَقَةُ 99 - الْحَلُلُ الْمُوْسِيَّةُ ص 19 - أَبْنِ عَذَارِي : الْبَيَانُ ج 2 ص 198 - L Provençal Y.

Garcia (G) : Una Crónica anónima de Abd al Rahman III Al Nasir, p. 79.

د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين في الأندرس ص 319 .

بن يزيد ، بالدعاء له في خطبة الجمعة . في المسجد الجامع بقرطبة مستهل ذي الحجة سنة 316 هـ / 928 م . وقد استمر هذا اللقب في عهده وعهد خلفه من بعده ، حتى انقرضت دولتهم ، سنة 422 هـ - 1031 م (1) .

وكان الدافع الأساسي ، لهذه الخلافة السنّية الجديدة في الأندلس ، هو تغير الأوضاع السياسية في المشرق ، والغرب الإسلامي ، فقد ضعفت الخلافة العباسية في بغداد ، واستحوذ على السلطة في مدينة السلام ، «الأتراك» دون الخلفاء ، وقد أخذ هؤلاء الأتراك ، لأنفسهم الألقاب السلطانية .

أما في إفريقية والمغرب ، فقد ظهرت الخلافة الفاطمية معادية لبني أمية في الأندلس (2) ، وعلى الصعيد الداخلي ، فقد كان عبد الرحمن الناصر يرغب في رفع منزلته السياسية والدينية ، أمام رعيته ، بعد أن أطاح بالمعارضة ، وتذهب بعض المصايد إلى أنه استجاب لرغبة الرعية في الأندلس ، والتي نادته بهذا اللقب قبل أن يطلقه على نفسه (3) .

فهذه العوامل كلها اجتمعت لتشجّعه ، على الخروج عن الأصل النظري السنّي للخلافة ، والقائل بأن الخلافة لا تتجزأ ، لكن عبد الرحمن ، وضعها موضع الاجتہاد ، وأجاز الفقهاء السنّيون بتعديدها ، ما دام هناك مصلحة عامة للمسلمين ، واعترفوا بشرعية وجود ، أمامين يتوليان حكم المسلمين ، في وقت واحد على شرط ، أن تكون بينهما مسافة كبيرة ، حتى لا يحدث التصادم بينهما .

أما عن نظام الخلافة في الأندلس ، فإنه يقوم على أساس التوريث ، ويستند إلى السياسة أولاً ، ثم الدين ثانياً ، وهو نظام مختلف عن النظام ، الذي اتبّعه الخلفاء الرّاشدون ، إذ كانت خلافة هؤلاء تقوم على الشورى والإنتخاب (4) .

(1) ابن حيان : المقتص رقم 99 - ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 198

(2) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 55 - ابن الأبار : الجلة السيرة ، ج 1 ص 198 - ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص 33 .

(3) مؤلف مجهول : الحل المoshiة في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 18/19 - طبعة تونس سنة 1329.

(4) د. أحمد مختار العبادي : دراسات ص 62 راجع مقال لنفس المؤلف نظام الخلافة في المغرب الإسلامي في المchoror الوسيط فصله من كتاب فلاسفة الإسلام في المغرب العربي ص 152 وما بعدها .

وإذا ما قورن بين نظام الخلافة الأموية في الأندلس ، وبين خلافة الفواطم في المغرب ، والعباسيين في المشرق ، فإنه يتبيّن لنا ، أن الأمويين أكثر ديموقراطية — إن صح التعبير— من الخلافة العباسية والفااطمية ، فال الأولى كانت تقوم على نظرية التفويض الإلهي ، ويستطيع الدارس أن يجد هذا في قول أبي جعفر المنصور : «إنما أنا سلطان الله في أرضه». وهذه النظرية مستمدّة أصولها من النظرية الكسرورية الفارسية في الحكم ، وقد ساد هذا النظام أيضاً ، عند ملوك أوروبا في العصور الحديثة (1).

وكذلك الخليفة الفاطمي ، كان يعتبر نفسه اماماً معصوماً من الاحتطاء ، ولا يسأل عما يقوم بفعله ، لأنّه المعلم الأكبير ، الذي ورث العلوم الدينية ، بما فيها أسرار الكون وخفايا الغيب التي انتقلت اليه من النبي ، عن طريق علي بن أبي طالب وابنائه من بعده (2).

أما الخليفة الأموي فهو انسان عادى قد يخطيء او يصب ، والناس أحرار في نقهـه ، وأن استطاعوا عزله عزلـه ، ومن امثلة ذلك ، ما جرى بين الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقاضي قرطبة المنذري بن سعيد البلوطـي من جفاء ، حينـما قام عبد الرحمن ، ببناء مدينة الزهراء ، وابرـف في الانفاق عليها الاموال الباهـة وبلغ في تزيينـها ، فأخذ القاضـي ، يعرض به في خطبة الجمعة في المسجد الجامـع وانـكر عليه ما بـدره من اموال المسلمين ، في سبيل ذلك ، والخليفة حاضـر ، وقد اثارـهـذا غضـبه ، الا انه لم يعاقـب القاضـي أو خلـعهـمن منصـبه ، وإنـما الذي فعلـهـ هو قوله لابنهـ الحكم : «لقد تعـملـني منـذر بخطـبـتهـ ، وماـعنـيـ بهاـ غيرـيـ . واقتـسـمـ بـأنـ لاـ يـصـلـيـ خـلـفـهـ أـبـداـ» (3).

#### اصطناع الناصر لأمراء المغرب ورؤساء القبائل .

أهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ببلاد المغرب ، و وخاصة بعد أن امتدت يد الفواطم الى المغرب الاقصى ، الذي لا يفصله عن بلاده الا مضيق جبل طارق ، فأخذ سياسة اصطناع رؤساء القبائل المغربية ، وقد وجد صالتـهـ المشـودـةـ في حـلـفاءـ بـنـيـ

(1) د. أحمد مختار العبادي : المراجع السابق ، ص 62

(2) د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 182 / 183.

(3) المقرى : نفح الطيب ، ج 2 ص 102 .

أممية القدماء ، وهم الزناتيون ولا سيما مغراوة ، التي اقبلت على الدعوة الاموية السنية اقبالاً كبيراً ، وأيدت عبد الرحمن الناصر تأييداً مطلقاً ، ولم تتردد في تلبية ندائها عن طيب خاطر. كما حاول أن يكسب بعض أمراء الدوليات القائمة في الشمال الأفريقي أنذاك مثله : الادارسة ، بفروعهم الثلاثة : بنو محمد ، وبنو عمر ، الذين اتخذوا من قلعة النسر والبصرة وأصيلاً مقراً لهم ، وبنو سليمان ، الذين استقروا بتلمسان وسواحلها وأمراء بنى صالح أصحاب نكور ، فارسل اليهم الكتب يدعوهم فيها إلى محالفته ، وموالاته مبيناً لهم اخطاربني عبيد ، الذين يريدون اطفاء نور السنة بعبادتهم الاسماعيلية ، ويبيّنونه بأنه حامي السنة والدين (1). وأنه يحرضهم على الفواطم ، وينبذ لهم الاموال وما يحتاجونه من مؤن وعتاد.

ولم يقتصر عبد الرحمن الناصر ، على محالفته هذه الدول ، بل تعداها إلى ماوراءها حيث توجد قبائل البربر ، ولا سيما منها قبيلة زناتة ، التي بادر زعيمها محمد بن خزر إلى اجابتة ومبaitته ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب مفاخر البربر : « .. وتحظاهم عبد الرحمن إلى من سكن خلفهم ، من زعماء قبائل البربر ، يستألفهم ويحمل أهل الطاعة ، على أهل المعصية منهم ، مما لمن عجز برجاله ، مقوياً لمن ضعف بماله متقدداً بهم فيسائر الحالات بالطافه ، متعهدًا بوجوه رسله ، وخواصه إلى أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه وارتسموا في طاعته » (2).

وكان عبد الرحمن الناصر ، قد وجه إليهم سفيره وخاصته ، القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى سنة 316هـ / 928 م (3) ، محملاً بالهدايا والألطاف والاموال ، إلى رؤساء القبائل البربرية ، وكان محمد بن عبد الله هذا من أصل مغربي (4) ، كما كان دبلوماسياً حكيماً ، عرف كيف يستهوي قلوبهم ، ويستميل نفوسهم ، ويحكم المواصلة بينهم ، وبين خليفة الأندلس ، ويقول في ذلك ابن حيان : « ... فلم يلبث

(1) ابن حيان : المقتصى ورقة 103

(2) مؤلف مجهول : كتاب مفاخر البربر ، ص 4

(3) ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 7 ص 53

L. Provençal : Op. cit., T. 2, p. 96, note (1)

(4) القاضي محمد بن عبيد الله بن أبي عيسى من أصل بربري كما يدل عليه اسمه : محمد بن عبد الله بن

أبي عيسى كبر بن وسلام المصودي أنظر : L. Provençal . Op. cit., T. I. T. 2, p. 96.

أن هو يتاليه افتدة كثيرون منهم ، ومن زعمائهم ، بين مصحح في ولاته ، مستجذب لدعوه ، مفتنم لعطيته ، مستعين بعونه .. » (1).

وكان من نتائج جولة السفير القرطبي ، في أرض المغرب ، أن أخذت الرسائل والوفود ترد على العاشر الاندلسي ، من رؤساء القبائل المغربية وأمرائه يعبرون فيها عن ولائهم ، ويعثون له بأخبارهم ، وأخبار الشيعة الفاطميين ، فقد وردت على عبد الرحمن الناصر للدين الله بقرطبة ، رسالة من محمد بن خزر زعيم زناتة وكبير المتحاشين إليه سنة 317 هـ / 929 م ، ينوه فيها بأعمال أخيه الخير ، وأخويه مسعود وعبد الله أبنى الخزر ، ويخبره فيها بما حزروه من انتصارات باهرة ، على أعدائه أعوان الفواطم ، فقد تم لعبد الله بن خزر ، الاستيلاء على مدينة « المسيلة » ، بعد أن فر منها صاحبها ، على بن حمدون ، ولجأ إلى الجبال المجاورة لها ، واستطاع عبد الله أن يخضع لطاعته ، قبائل تلك الناحية وعلى رأسها بنى برزال ، التي بعثت بولائهما وبيعتها للناصر للدين الله ، وأخذ عبد الله رهائنها وارسلهم إلى أخيه محمد بن خزر ، كما استطاع جيش زناتة ، أن يتم حكم في الطريق الواسع بين إفريقية والمغرب ، وأن يقطع الإمدادات والمؤن ، التي كانت تأتي مدينة « تاهرت » من عبيد الله المهدى ، وخلص له بذلك معظم إقليم الزاب ، ويشير ابن حيان في هذا الصدد بقوله « وانضم إليه من القبائل بالطاعة ، فأخذ دعاتهم واقام جيشه معاوراً لأهل مدينة « تاهرت » ، قاعدة الشيعة وتغاثهم ، قاطعاً للسميرة (عليها) حاجزاً بين إفريقية وبينهم .. » (2).

كما وصلت إلى قرطبة رسالة أخرى ، من الخير بن محمد بن خزر يطلعه فيها على أحوال أعماله في منطقة وهران ، وكان قد نهض اليهم أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي ، الذي استطاع أن يهدم لهم بعض الحصون ، والقلاع بالساحل الوهرياني ، وبنى ب أحجارها وخشبها ، حصننا منها بالقرب من مقرهم ، حتى يأخذ بمخنقوهم ، وشحنه بالعدة ، والآقوات والرجال ، وأخذ يغير منه على أملاك زناتة ، لكن الخير لم يتردد في التقدم نحوه ، وأقتحم حصنه ، وقتل معظم من فيه ، وسي ذراريهم ونساءهم ،

(1) ابن حيان : المقبس ورقة رقم 105 .

(2) ابن حيان : المقبس ، ورقة 105 – ابن عذاري ؛ البيان ، ج 1 ص 194 .

وعاد الى مقره بوهران ، ولم يعد بعد ذلك للعيديين مكان في الساحل ، ولا منبسط بارض المغرب ماعدا مدينة « تاهرت » (1) .

وابعها الخير برسالة أخرى ، في نفس السنة أي في سنة 317 هـ / 929 م يخبر الناصر ب Mageed لديه ، من فتوحات بعض أراضي القبائل الموالية للعيديين فقد استولى على مدینتي شلف (2) وسيبو ، وتم له ذلك في يس ودونما عناء ، وقد اسرع سكان هاتين المدينتين بتقديم الطاعة والولاء ، لعبد الرحمن الناصر ، وأقاموا له الدعاء على متابرهم وعاد الى مقره بعد أن أخذ رهائهما ، وبعث بهم الى أبيه محمد بن خزر (3) .

ثم ورد كتاب آخر الى قرطبة من الزعيم الجزائري محمد بن خزر مجددا ، للناصر البيعة في آخر سنة 317 هـ - 929 م ، وتضمنت هذه الرسالة اعترافه بحق الناصر لدين الله ، واحقيته بالخلافة دون غيره وعلى الرغم من الاغراءات التي كانت تبذل له من قبل الفواطم وبني العباس ، فقد أتاه كتاب من صاحب مصر « تكين » التركي يغريه بالانضمام الى صفدهم ، ولا سيما وأن أخيه المقيم بمصر استدعاه عدة مرات الى التشتت بحال المسودة من بني العباس ، لكن محمد بن خزر أبى ذلك بششم ، وحوال وجهه شطر الاندلس ، ولأهمية هذه الرسالة نقتطف منها ما يلى على سبيل المثال لا الحصر : والله يا أمير المؤمنين ، ما أعلم على وجه الارض أحدا ، اعرف بما أوجب الله لك مني ، لأنني مقتنع بدعوك الا تقربا الى الله ، تعالى وتوصلا الى قتال كفار المشارقة .. وقد حاولوا أن يبطلوا نور الإسلام كان به أهله ، فاستخرت الله في جهادهم ، وقمت أدعوك في جوف الليل في التوفيق ، والتسلية ... وفكرت في أيام اعتاق ( حله ) وأكون على بينة من أمرى ، في الدعاء اليه ، وقد تشتت ( يقصد أخاه ) في حال المسودة من بني العباس واستدعاي أخي المقيم عندهم بمصر ، وأتنى كتب « تكين » التركي صاحبهم بمصر في أول الامر ... واستجلابي نحويه ، فعصمني الله من ذلك باتباع الحق ... حتى علمت بأمر أمير المؤمنين ، إنك أحق الناس بالخلافة ، إنها بيده ميراث لا ينزعك فيها إلا من دفع الحق وعصى الله ورسوله ... وأن يصرف الله عشر زناته بهذه

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 105

(2) مدينة مطلة على فحص وادي شلف بها سوق عامرة تعرف بشلف بني واطيل لزواحة - راجع البكري : المغرب ص 69 .

(3) ابن حيان : المصادر السابق ورقة 105 ، ابن خلدون : كتاب العبرج 7 من 53 .

الدعوة ، الحق المنصورة ترفعنا على جميع الناس ، فيكون أولياء وأنصار دولتك فائزك يا أمير المؤمنين مولى كل ببرى على الأرض . اذ بنى أمية هداهم الله للإسلام وعساكرهم مني .. والاجماع من الناس على انك اولى بالخلافة من كل متاح اسمها معك كذلك يتسلك كل من تقدم علينا المشرق من نواحي افريقيا فكلهم يشكرونك بأن الحق معك .. حتى ان صاحب مصر قد رضيه وسره وما ساعده .. «(1)» وارفق محمد بن خزر مع هذا الكتاب الطويل ، هدية قيمة كان لها وقع حسن في نفس الخليفة الناصر للدين الله وكانت هذه الهدية عبارة عن عشرة نجف مخصوصية عجيبة للخلق ، مجهزة بسروجها معلق عليها عشر دراقات من نفائس الطرق ، وعشرين ناقة حامل ، راعيها عبد اسود ماهر يرعى الابل بصيرا بأدواتها ، وثمانية عشر فرسا ، من جياد الخيل العربية ، وقرنها باسدين ضاربين مع سباع اخرى واربع نعامات ، ففرح بها الخليفة فرحا عظيا ، وكافأه عنها مكافأة جزيلة ، وأرسل له هدية مماثلة من الملابس الشمينة والحلبي ، والطرائف العجيبة . واحتسبه الناصر للدين الله ، بمنزلة خاصة فأهدى له ملابس مطرزة عليها اسمه ، وأن دل هذا ، فاما يدل على ارتفاع مكانة هذا الزعيم الجزائري المغراوى الزناتي عند الخليفة ، وكانت هذه الملابس ، لاتهدى الا للامراء والملوك ، ولم يسبق للناصر للدين الله ، أن اهدى مثلها لغيره من أوليائه ، وقد أرفق مع هذه الهدية كتاب يشكرونه فيما جاء في رسالته الآنفة الذكر (2) .

ولم يقف الخليفة الاموى عند الدعم ، السياسي والمادى لاصدقائه في المغرب ، بل عمد الى جلب فرسان زناتة الى الأندلس ، ليستعين بهم في حربه ضد المائين والخارجين عليه ، وقد تمكّن من مقارعة خصوصه ، في الداخل بفضل سواعد هؤلاء الفرسان فمتنت بذلك - كما لاحظ ابن حيان «أسباب ملكه ، وجل مقداره وبعد صيته» (3) .

وفي سنة 320 هـ / 932 م ، كتب محمد بن خزر الى الناصر للدين الله ، يطلب منه الموافقة على تغيير مكان مقره ، من الداخل الى الساحل ، وقد اختار مكانا استراتيجيا هاما يسمى «سلفا» - موضع يقع غرب مدينة «تاهرت» وعزم ان يأخذ معه أهله وأصحابه

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 106 - 107

(2) ابن حيان : القتبس ، ورقة 108

(3) نفس المصدر ، ورقة 105

وحشمه وعيده ومواليه وأهل ولايته ، وصنوف الرعية من الخاصة وال العامة ، ويؤكد له الطاعة من جديد ، وبين له الهدف من هذا الانتقال حسب ما ذكره الزعم الزناتي للناصر ، هورغبة في الدنو من الاندلس ليسهل له الاتصال بأمير المؤمنين ، والعبور إليه متى شاء ، وتلقى الامدادات في عجل ، عند الحاجة إليها ، اذ انه سبق وهو في الدواخل فلم يتتمكن من استقبال هذه الامدادات ، لأن صاحب « تاهرت » تعرض لها واستولى عليها (1) .

وتصمنت رسالة بن خزر ، للناصر لدين الله ، خطة لحصار مدينة « تاهرت » ونظراً لصعوبة تنفيذ هذه الخطة لقلة امكانياته ، فقد طلب من الناصر أن يمدء بخبراء مهرة في فن حصار المدن ، من ذوى الخبرة والتجربة في هذا الميدان ، وتزويدهم بمتخصصين من اصحاب الاسلحة والنشاب وأهل الاقتدار ، على التشييد والبناء ، لذا فإنه يلتمس من الخليفة ، أن لا يدخل عليه بما يحتاج إليه ، من عتاد ورجال وقواد ورماة ، حتى يستعين بهم ، مع مالديه من عدة وعدد ، في استئصال شوكة الشيعة من هذه المدينة ، وبالتالي يفتح الطريق أمامه نحو افريقيا قلب الدولة الفاطمية (2) .

وحملت نفس الرسالة إلى الناصر لدين الله ، خبر لجوء فلفل بن خزر إلى عبيد الله المهدي ، ونقض طاعته ، وسبب ذلك حسد أخيه محمد ، وقد تظاهر أول الأمر ، انه يريد الخروج إلى المراعي الخصبة يرعى ما شنته ، فابعد بذلك النجعة ، ولم يرابط في السبابب ، بل قصد حواضر الشيعي ، فنزل عنده هو وأبناؤه ، وقليلًا من أصحابه الذين تبعوه فتلقاهم عبيد الله بكل ترحيب ، واغدق عليهم العطايا والأموال ، وارتئن عنده ابنائه حتى يؤكد طاعته ، ويحكم صلته وخرج بهم الشيعي إلى بعض المغراويين ، المتجمعين لاطراف الزاب ، فهرب منهم الكثير بأموالهم وأولادهم ، ولكن محمد ابن خزر ، تصدى لاصحاب الشيعي ، ونهض اليهم يطوى المراحل ، وأعادهم على اعقابهم خائبين (3) .

وكان عبيد الله الشيعي ، قد أرسل إلى محمد بن خزر كتاباً ، يدعوه فيه إلى مواليه مغتنماً فرصه وجود أخيه فلفل عنده يرغبه في طاعته ، مستعملاً في ذلك كل وسائل الاغراء

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 120.

(2) المصدر السابق ورقة 121.

(3) ابن حيان المصدر السابق ، ورقة 121

والترغيب ، وهو لا يريده منه ذهبا ولا فضة ، وإنما يريده منه افتتاح الخطبة باسمه على منابرهم ، وضرب السكة باسمه ، ويذكره برسال أحد ابنائه أو بعض أخوته ، ليشيع في وسط الناس أن محمدا بن خزر ، قد دخل في طاعته وصار من رجاله ، لكن زعيم زناه لم يحصل ، ولم يكتثر بكتابه ، بل اجراه بانه على عهده للناصر الدين الله (1) .

أما الأدارسة العلويون ، فقد تأخروا عن غيرهم ، من أمراء المغرب في تحقيق الطاعة لبني أمية في الأندلس ، وربما يرجع السبب في ذلك ، إلى الأحقاد القديمة ، بين البيت الهاشمي ، والبيت الاموي ، رغم كونهم يقطنون منطقة تعتبر من أقرب مناطق المغرب إلى الساحل الأندلسي ، إذ كانوا يسكنون بعض القلاع في جبال الريف شمال المغرب الأقصى . وكانت تخضع لنفوذهم ، بعض الشعور البحرية مثل : طنجة وبسبتة . وكان هؤلاء الأدارسة من بني محمد ، وبني عمريؤدون الطاعة لعبد الله الفاطمي ، منذ حملاته الأولى للمغرب الأقصى ، ويدرك ابن حيان أن سبب ذلك هو : نصرة العصبية وأغماضا على الدينية وابعاداً للأدوية وانحرافاً لموادة بني أمية للأحقاد القديمة (2)

ولكن ابن عمهم ادريس بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان ، صاحب مدينة « ارشقول » في ذلك الوقت ناقض سلوك بقية العلويين ، مع بني أمية في الأندلس ، وابتداً بمكتبة الناصر الدين الله سنة 928/316 م (3) ، يخطب وده ، ويتوخى رضاه ، منحرفاً بذلك عن طاعة عبد الله المهدي ، وأوفد ادريس إلى قرطبة وفداً يحمل معه هدية جميلة ، للخليفة الناصر فيها كثير من الأبل ، والخيل ، وبعض الحيوانات الأفريقية ففرح بها الناصر ، وتقبلها وكرم الوفد ، ثم ضاعف مكافأته (4) .

ولا سمع بنعم ادريس بن ابراهيم بولائه لبني أمية في الأندلس ، تعرض منهم إلى هجوم عنيف ، فقد ثاروا عليه ، وقاطعوه ، ونبذوه ، واخفروه من ذمته فكتب ادريس بن ابراهيم سنة 317 هـ / 929 م ، إلى الحاجب موسى بن محمد بن حذير ، يشتكي مما أصابه من أبناء عمومته بقوله : « ... فلما ان نجاني الله من صلابته ، وعصمني

(1) ابن حيان ، ورقة 122.

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 106

(3) نفس المصدر ، ورقة 106 ابن خلدون : كنز العبر ، ج 7 ص 53 .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 106

بولاية أمير المؤمنين سيدى ، وحبايى لمحبته ، سمع بذلك بنو عمي ، وبلغهم ما صنعته ، في ذاته أيده الله ... وتمالأوا على ، ودمونى عن قوس واحد ، وقالوا ليس هذا الرجل منا اذ فارق دعوته الى ضرها ، وخرج على علي بن ابي طالب ، الى غواصها عادى أهل بيته واستحاش عليها بصاحب جزيرة الاندلس ، شأنينا وذلك شيء لم يرض قط أحد من أهل بيته ، ولا فعله جده ولا أبوه فصاروا لي حزنا وأذونى ... وكان الباعث لهم على ذلك ، والمتوكل بتاليهم على ، محمد بن ادريس وابن أخيه المحسن بن عيسى ، المعروف بابن أبي العيش الا دريسان .. حمية جاهلية وعصبية مردية ... (1).

ويتبين من هذا النص ، أن الاحداث الهاشمية العلوية للأمويين ، لازالت متصلة في نفوس الادارسة ثم حدا حذوه ادريس بن ابراهيم ابن عمه القاسم بن ابراهيم بن محمد ، أمير مدينة « تنس » في الان\_hiash الى الناصر للدين الله والاعتصام بولايته ، فخاطبه ولاطفه وكان ذلك سنة 317هـ ثم توالت طاعة العلويين له الواحد تلو الآخر (2).

الا أنه فيما يبدو أن ولاءهم هذا لم يكن عن اخلاص وصدق للأمويين ، لأننا نجد هم تارة ينضوون تحت نفوذ خليفة قرطبة ، وتارة أخرى تحت لواء خليفة المهدية باغريقية ، والظاهر انهم كانوا مضطربين تحت عامل الترغيب والترهيب ، من قبل عبد الرحمن الناصر ، وبعض القبائل البربرية ، التي كانت تشن عليهم الحروب وعلى رأسهم زعم مكناة ، موسى بن أبي العافية فقد اذاقهم هذا الزعيم المكناسي المرتين ، اذ ظل يطاردهم ويتعقبهم في كل مكان ، فأخرجهم من مدينة فاس ، واجلاهم عن أصيلا ، وطنجة والبصرة ، حتى انحصروا في قلعة حجر النسر منهزمين ، ثم امتدت يده الىبني محمد بن سليمان بن عبد الله ، في جراوة وتلمسان وجزيرة ارشقول (3) ، ومدينة نكور حيث استولى عليها ، وقتل اميرها المؤيد بن عبد البديع وسي أهلها ، وكان ذلك سنة 319هـ / 931م .

وهيئنا أمتد نفوذ موسى بن أبي العافية من تلمسان وسواحلها في المغرب الأوسط الى أقصى الشمال الغربي للمغرب الأقصى ، وجنوبا حتى السوس الأقصى (4)

(1) ابن حيان : المقنيس ورقة 107

(2) نفس المصدر والورقة

(3) ابن عذاري : البيان ج 1 ص 194

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ج 1 ص 194 - ابن أبي زرع : روض الفراتس ص 55 - السلاوي : الاستقتصاج 1 ص 81 .

وفيا يبدوان هذه التوسعات ، التي كان يقوم بها موسى بن أبي العافية ، على حساب الادارسة كانت تلقى تأييدا من عبد الرحمن الناصر ، ويشجع منه (1) ويذكر ابن حيان ، أن موسى بن أبي العافية ، خاطب الناصر لدين الله وهاداه سنة 317 هـ / 929 م ، فسجل له هذا الأخير ، على أعماله وثبته عليها (2) . بل كان يقدم له الامدادات اللازمة لذلك ، فإن عذاري يروي ، أن « مركبا نزل من الأندلس بمرسى جراوة لموسى بن أبي العافية ، فهبط إليه الحسن بن أبي العيش ، وأخذ مكان فيه ، فكتبه موسى ، وكاتب قاضية ، ووجهه أهل موضعه ، وكلمه في ذلك ، فلم يصرف إليه متاعه ، فزحف إليه موسى بجيشه ، والتقي بابن أبي العيش ، فلما رأى كثرة جنده ، أرسل إليه يطلب المصالحة ، فصالحه موسى وانصرف بعد أن صرف له ما أخذ من المركب (3) .

ولما دان موسى بن أبي العافية معظم أجزاء المغرب الأقصى ، (4) كاتب الناصر لدين الله مرة أخرى ، يعلمه بذلك مجددا له البيعة ، ففرح الناصر لدين الله ، بهذه النباء ، ويعث له بالخلع والاموال ، ليستعين بها في حربه ضد العلوين الادارسة ، وما زال الناصر معه – يأتيه من بين يديه ومن خلفه – حتى رسخت طاعته وأجا به إلى مراده ، كما استمالت إليه ، واستهونه قلوب القبائل المغربية الأخرى ، وقطعوا دعوة الشيعة على منابر اعمالهم (5)

احتلال ثغر سبتة Cebta سنة 319 هـ / 931 م .

لم يكتف عبد الرحمن الناصر ، عند حد التحريريض والنشاط الدعائى ، والتدعيم

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ج 1 ص 199

(2) ابن حيان : المقتبس ورقه 105 – يذكر هذا المؤرخ أن مواصلة موسى بن ابن العافية للناصر لدين الله كانت سنة 317 هـ / 929 م ، وهذا يختلف عما أورده البكري (ص 104) وابن عذاري (ج 1 ص 200) اللذان يؤرخان لهذا الحدث سنة 319 / 931م ولعل ما ذكره ابن حيان هو الأصح إذ ربما يكون موسى ابن أبي العافية ، قد أدى الطاعة للناصر لدين الله سنة 317 هـ ثم أعاد تجديد الطاعة والولاء له مرة أخرى سنة 319 هـ / 931 م بعد غزو لمدينة سبتة .

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 201

(4) السلاوى : الاستقسا ، ج 1 ص 81 ، ابن زرع : روض القرطاس ، ص 055 .

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 199 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 55 ، السلاوى : المصدر السابق ، ج 1 ص 82 .

السياسي والأقتصادي والعسكري ، للقبائل المغربية ضد العبيدرين فحسب ، بل تعدى ذلك إلى احتلال بعض الشعور ، الواقعة على الساحل المغربي ، المواجهة للشاطئ الأندلسي الجنوبي ، وبعد الاستيلاء على مدينة مليلية بخمس سنوات فقط ، وجه عبد الرحمن الناصر أسطولا بحريا ، بقيادة أمية بن إسحاق القرشي عامله على الجزيرة الخضراء فدخلها بدون مقاومة ، وسلم المدينة من صاحبها الرضي بن عصام ، في صدر ربيع الأول سنة 319 هـ / 931 م (1).

ومدينة سبتة هذه مغربية بموقعها ، اندلسية بتقاليدها ومواهبها ، وكثيرا ما كان تاريخها الإسلامي يصلها بالشاطئ الأندلسي القريب أكثر مما يصلها بأرض المغرب التي ترتكز عليها .

أما عن موقعها الجغرافي ، فإنها تقع على شبه جزيرة تحيط بها المياه من معظم جهاتها عدا جهة واحدة ، ومبانيها تطل على سفح الجبل المرتفع والسمى حاليا بجبل « آخو » فهي إذن بهذا الموقع الاستراتيجي الهام ، تشرف اشرافا تماما على مضيق جبل طارق ، وعلى الشاطئ الأندلسي الجنوبي القريب وتحكم فيما ، وهذا الوضع يكاد يعزلها عمما وراءها ، من سكان بلاد المغرب ويعندها من الاتصال بهم ، الا عن طريق البحر أو عن طريق بري شديد الوعورة من الغرب (2) .

ويذكر ابن حيان أن احتلال مدينة « سبتة » ، جاء نتيجة لرغبة أهلها في طاعة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، بعد أن تألق نجمه واعتلا سلطانه ، حسب تعبير ابن حيان (3) .

أرسلت له حاميتها وفدا من كبار شيوخها ، ليقوم بتقديم الولاء له ويسأله الدخول في طاعته ، وانقاد عامل من قبله ، يتولى شؤون المدينة ويزودهم بفرقة من الرماة ترابط عندهم ، لتحميهم من الخطير الخارجي ، الذي يهددهم ولا سيما من ناحية الادارسة العلوين (4) .

(1) ابن حيان المقتبس ، ورقه 115 ، البكري : المغرب ، ص 104 راجع أيضا :

L. Provençal : Op. cit. T. 2., p. 96

راجع لنفس المؤلف :

La politica africanade Abd Al Rahman III Al Alus, Vol. XI, fasc. 2, 1946

(2) ليفي بروفنسال : ادب الأندلس وتاريخها ، ص 107

(3) ابن حيان المصدر السابق ، ورقه 119

(4) نفس المصدر ، ورقه 115

وكان يسكن مدينة «سبتا» قوم من العرب والبربر وجالية كبيرة من الاندلسيين من اهالي «قلسانة» Calsena ، هاجروا اليها واستوطنوها ايام الجدب الذي اجتاح الاندلس ما بين سنتي 131هـ - 136هـ / 748م - 753م (1).

وينسب عرب هذه المدينة الى قبيلة «صدف» (2) اما ببرها فينحدرون من غمارة ، وكانت الرئاسة لهؤلاء البربر ، حيث كان يتولى حكمها ويدير شؤونها بنوع عصام ، ويؤدون الطاعة لبني محمد الادارسة ، الى ان افتحتها الناصر ل الدين الله (3).

وكان المذهب السائد لديهم ، هو المذهب المالكي ، ودليل ذلك ما ذكره ابن عذاري ، من ان اصحابها كانوا يحكمون برأي فقهاء الاندلس (4).

وكانت أول خطبة أقيمت في جامع المدينة ، باسم الخليفة الناصر ل الدين الله ، يوم الجمعة ثلاثة من شهر ربيع الأول ، سنة 319هـ / 931م (5) واستقر فيها بعد ذلك سلطان الأمويين ، وصارت من أملاكهم واستعمل عليها الناصر ل الدين الله ، فرج بن عفیر (6) ، وفي ذلك يقول ابن حيان : « فتوطدت فيها دولته واستعمل عليها

(1) البكري : المغرب ، ص 104 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 203

(2) «الصدف» قبيلة من كهlan اليمنية انتشر معظمها في مصر وفي بلاد المغرب حيث توجد ، قرية باسمهم بالقرب من مدينة القيروان ، وهي من بين القبائل العديدة التي انتسب اليها القائد المغربي ، طارق بن زياد ويبدو ان فريقا منها ، انتقل الى مدينة سبتة واستقر فيها ، راجع : د أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس : ص 57 حاشية رقم (4).

(3) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 115 ، البكري : المصدر السابق ص 104 ابن عذاري : المصدر السابق ج 1 ص 103 L. Provençal : Op. cit., T. 2., p. 96.

وحول سنوات الم محل راجع ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 37 / 038

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ج 1 ص 203

(5) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 115 - ابن عذاري : المصدر السابق ج 1 ص 201 ، ج 2 ص 204 .

(6) يبدو ان الذي فتح مدينة سبتة ، هو القائد ، أمية بن أصحاق القرشي ، صاحب الجزيرة الخضراء . كما هو مبين في المتن ، وكما ذكره ابن حيان (ورقة 119) وليس القائد فرج بن عفیر ، كما جاء في كتاب البكري (ص 104) وغيره ، والظاهر أن «فرجا» هذا ، تولى الولاية من قبل الناصر ، بعد ان فتحها «أمية» بعده أشهر ، بدليل ما ذكره ابن عذاري ، من ان دخول فرج بن عفیر للمدينة ، كان يوم الجمعة الاول من شهر شعبان ، من السنة المؤرخة اي بعد ثلاثة اشهر من الاستيلاء عليها ، من قبل القائد أمية بن اصحاب القرشي ، انظر : كتاب ابن حيان : المقتبس ورقه 119 - البكري : المغرب ص 104 - ابن عذاري : البيان ج 1 ص 204 .

فرج بن عفیر ، واستقضى فيها ، حسن بن فتح واتصلت فيها دعوته فعظمت مملكته ، باختياره البحر بدعوته ، وملكة للساحلين بشاطئيه ، وامتداد طاعته في نواحيها ، عند ذلك قوى امر شيعته ، ومواليه بارض المغرب ، وتواترت رسائل ملوكهم الى «المائة» وتواترت هداياه ومعاونيه (1) ... وكان أول من سما الى ذلك من ملوك الأندلس وخلفائهم منذ سكناها الاسلام » (2) .

أكرم الناصر لدين الله وفد أهل «سبتة» ، ورفع منزلتهم واغدق عليهم العطايا واللطف واقر عليهم قاضيهم «حسن بن فتح» . كما جاء في النص ، واعدادهم الى بلدتهم محملين بالهدايا الثمينة (3) ، وأنفذ الناصر لدين الله في ذات الوقت سفيره القاضي ، محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ، رسولا الى المغرب ، يحمل الكتب والوصايا ، الى جميع أهل الطاعة في المغرب ، ويخبرهم بما تم للخليفة الأموي من نصر ، بفتح مدينة سبتة فرضة المجاز - المقابلة لجزيرة الخضراء - وحثهم على مساعدة أهل المدينة ، اذا ما احتاجوا الى ذلك .

وقد قصد السفير الأندلسي ، في أول الامر شيخ زناتة محمد بن خزر ، ثم منصور بن سنان ، وموسى بن أبي العافية أمير مكناسة ، وزاهة بن سراج صاحب مدينة طنجة ، وصاحب مدينة نكور ، وأخيرا انتهى به المطاف الى رؤساء كل من مصمودة ، وعجكسة ، وكتامة الهبط ، وهوارة وغيرهم من أهل الطاعة (4) ، ثم اتصلت اليهم الرسل وتواترت من قبلهم الوفود ، وانتالت عليهم هدايا الناصر وصلاته (5) .

ولما انتهى خبر احتلال مدينة «سبتة» الى مسامع الادارسة من بني محمد ، نهضوا نحو المدينة وجردوا لها جيوشهم ، يريدون اقتحامها ، لكن حاميتها وجنود الناصر لدين الله المرابطين بها ، قاوموهم بشدة ، واستطاعوا ان يردوهم على اعقابهم مفلولين ، وفشلوا بذلك جهود الادارسة ، في اعادة مدينة سبتة الحصينة الى نفوذهم ، وادرکوا أنه لاطاقة لهم في استرجاعها ، فبادروا بالكتابة الى الناصر لدين الله ،

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 119

(2) نفس المصدر ورقة 115

(3) نفس المصدر ورقة 115

(4) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 116

(5) نفس المصدر ، ورقة 119

يعتذرون له عما فعلوه ، مظهرين الندم على ذلك ، فقبل الناصر اعتذارهم وأظهر هو الآخر تصديق قوله ، وحرص على مصالحتهم ومسالتهم ، وهي سياسة التسامح التي اتبعها عاهل الأندلس مع الرعية ، ورؤساء الأقاليم ، وخرج اليهم سفيره القاضي الدبلوماسي محمداً بن عبد الله ابن أبي عيسى - قاضي جيان - على عادته ، فاجتمع بهم ، ولاطفهم وسكن نفرتهم وهو من روعهم ، وعقد لهم على ولائهم ، وأخذ يعتهم للناصر وعاد إلى الأندلس (1).

اما ابراهيم بن ادريس بن عمر زعيم آل عمر من الاشراف العلوين الادارسة ومن معه من اخوته وبني عمه من ولد عمر ، المنافسين لبني محمد بن ادريس ابناء عمومتهم على السلطان في المغرب الاقصى فقد هبوا جميعا نحو سبتة بعد أن جيشوا الجيوش عسى أن يتم لهم ما لم يستطع ابناء عمهم من بني محمد القيام به وهو استعادة المدينة الى سلطانهم ، ولكن أملهم قد خاب أمام حصانة المدينة ومنعتها فعادوا من حيث أتوا ، ولم يلبث هؤلاء الادارسة أن سلكوا نفس الاسلوب الذي اتخذه ابناء عمومتهم من قبل وهو اعتذار الى الناصر عما بدر منهم (2) ، واظهروا له الاخلاص وتضمن كتابهم شكوى ببني محمد ، والصقوا بهم تهمة الخروج لمحاربة جنود الخليفة في «سبتا» وقالوا في رسالتهم معتذرين لعبد الرحمن : «... وبنو عمنا محمد المباينون لنا ... اذ هم الجاحدون لنا ... أهل الأنكار ، لدعوتهم والرفع ببيعته والكرامة لدولته ، زحفوا الى مدينة «سبتا» - يقصدون ببني محمد - .. وكنا عشر ولد عمر على خلاف ذلك من أهل الصفو له أيده الله ، والاعتراف بحقه ، .... نتابذ من نابذه ... ونقوم لقيامه ، ونقدر لقعوده ، ونحارب من حاربه ، ونسالم من سالمه ، ونوالى من والاه ، ونعادى من عاداه ، ونقف عند أمره ونهيه ونحر اعز الله أمير المؤمنين سيدنا مستمعون لما يأتي من رأيه في أمر بني محمد ثم تكون متأسماً السمع والطاعة» (3) . وبعثوا مع هذا الكتاب من انفذ بيعتهم وولائهم له في شهر رجب من سنة 931هـ/319م . ووقع عن الادارسة ، ابراهيم وعيسى ابن ادريس ، وابن عمهم يحيى بن الحسن ، وجميع رؤساء غمارة (4) .

(1) ابن حيان : المقتبس، ورقة 116

(2) ابن حيان : المقتبس، ورقة 118

(3) ابن حيان : المصدر السابق، ورقة 118

(4) ابن حيان : المصدر السابق، ورقة 119

والظاهر أن الخليفة الناصر للدين الله كان يجاملهم ، ويظهر تصديق قولهم بين الآونة والآخرى بتقبل عذرهم ، ومداهنتهم ، تمشيا مع سياسة اللين التي رسمها لنفسه ، فقد اجابهم عن كتابهم واستطاع بفضل سياسته وحنكته أن يصلح ذات البين ، ما بين أبناء العم وأن يكسب طاعتهم جميعا (1).

وكان بنو محمد قد سبقوهم إلى البيعة في شهر جمادى الآخر كما أسلفت عندما جاءهم ثقة الناصر وسفيره ابن أبي عيسى ، فأخذ بيتعهم بدون قيد أو شرط ، على عكس بني عمر الذين اشترطوا عليه أن يتخذ موقفا معاذيا من بني محمد خصومهم على السلطة ، ثم يكون بعد ذلك منهم السمع والطاعة .

وقد اعترف بنو محمد للناصر للدين اعتراضا ضمنيا ، بأنه صاحب الحق الشرعي في الخلافة ووراثة عرش اجداده بني أمية الذين تنازل لهم الحسن عنها . أما هم فلم يدخلوا هذه الأرض عن افتتاح فتحوه أو عن ميراث ورثوه ، وإنما كانت صدقة صادفت جدهم ادريس الاول اثناء بلوته إلى هذا البلد ، وبعثوا للناصر بكتاب طويل نقتطف منه ما يلي على سبيل المثال : « .. والذى اعترفنا به لك غير متذكر علينا لأننا لم ندخل البلد عن افتتاح افتتحناه ، ولا عن ميراث طلبناه مع الذي تقدم من فعل جدنا الحسن بن علي في التسليم لسلفك وما مضت عليه جدودنا من البيعة لا جدادك ... وقد سارعنا إلى كل مارأه أميتك (ابن أبي عيسى) من عقد اليمان المؤكدة ، واعطاء العهود المغلظة التي حملناها على أن نولي من والاك ، ونعطي من عاداك ... وقد أمرنا باقامة الدعوة لك على جميع منابرنا في كل عيلنا .. » (2) يتضح من هذا النص أن التنافس بين الأدارسة من الفرعين (بنو عمر وبنو محمد) على السلطة والزعامة كان على أشده . فكان كل فريق منها يريد أن يكسب رضى الخليفة الناصر للدين الله وتأييده ضد الفريق الآخر .

## محاولة الناصر للاستيلاء على جزيرة ارشقول سنة 320هـ / 932م

كما حاول الناصر للدين الله بعد فتح سبتة أن يستولي على جزيرة « ارشقول » التي

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 119

(2) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 117 ، 119

بلغ إليها الحسن بن عيسى بن أبي العيش ، صاحب مدينة جراوة (1) ، خوفاً من موسى بن أبي العافية الذي استولى على ما كان بيده من أعمال عندما تغلب عليه ، وكان الحسن لهذا قد أظهر العصيان ، وخالف حلفاء الناصر للدين الله ، وحارب موسى بن أبي العافية ، إلا أن موسى تغلب عليه وأضطره إلى الفرار فاستقر في جزيرة «أرشقول» المتبعة وقد حاول موسى اقتحام هذه الجزيرة لكنه لم يستطع لحصانتها ، فكتب إلى الناصر للدين الله يلتزم منه المدد والمساعدة العسكرية ليتمكن من غزو الجزيرة وطرد الادارسة منها ، فلم يتأنّر الناصر للدين الله بتقديم العون له وأمر باخراج أسطوله إليها بجهزاً تجهيزاً كاملاً ، بالجنود والمعدات ، فاقلع موسى، من الجزيرة الخضراء يوم السبت 30 من جمادي الأول سنة 320 هـ / 932 م في مائة وعشرين قطعة حربية (2) على متنها نحو سبعة آلاف جندي بحري منهم خمسة آلاف بحار ، وتحالف من المحشم يتقدمهم تسعه من المتطوعين من وجوه أهل بجابة والمرية في نراكبهم وأهم هؤلاء المتطوعة : محمد بن رماحس وقاسم بن عبد الرحمن ومحمد بن سهل آخر هارون بن سهل (3) ، وتولى قيادة الأسطول قائدان من قبل الخليفة هما : احمد بن محمد بن الياس ، وسعد بن يونس بن سعد وأن دل هذا العدد الضخم من السفن والمقاتلين المشتركين في هذه الحملة على شيء ، فانما يدل على مدى أهمية هذه الجزيرة الجزائرية وحصانتها . وكونها مفتاح المغرب الأوسط .

حاصر الأسطول الأندلسي الجزيرة مدة طويلة ، حتى كاد أهلها أن يموتاً عطشاً ، لنفاذ المياه من جبابهم بسبب طول الحصار ، ولو لا أن تداركهم الله بغيث وابل ملأ جبابهم وأروى ضمائهم ، لكادوا أن يهلكوا جميعاً ، عندئذ لم يجد القائدان بدا من العودة إلى «المرية» هرباً من هجوم فصل الشتاء عليهم ، دون أن يتماً فتح الجزيرة (4) .

(1) انظر ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 125 ، البكري : المصادر السابق ص 78 .

(2) ابن حيان المصدر السابق ، ورقة 125 ، قارن بما ذكره البكري (المغرب ص 78) من أن عدد قطع الأسطول الذي حاصر جزيرة أرشقول بلغ خمسة عشر مركباً حربياً فقط .

(3) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 125 . اشتراك مثل هذه المجموعة البحرية المتطوعة تدل على أن بعض الأفراد الأندلسية يزالوا يملكون بعض السفن البحرية لحسابهم الخاص كما كان الحال في عهد الإمارة .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 125 ، البكري : المصادر السابق ص 78 ، ابن عذاري : البيان ج 1 ص 205 .

والجدير باللحظة هنا هو أنه على الرغم من فشل الأسطول الاندلسي من احتلال جزيرة ارشقول في هذه المرة فإنه استطاع الاستيلاء عليها سنة 325هـ / 937م (1).

### الاستيلاء على مدينة أصيلا سنة 322هـ / 934م

وكان من الطبيعي أن يقدم الناصر للدين الله بتوسيع دائرة نفوذه في بلاد المغرب وان يضع قبضته على معظم التغور الساحلية المغربية . فعندما نكث أهل مدينة أصيلا سنة 322هـ / 934م ، وخليعوا طاعةبني أمية ، وكانوا قد بعثوا بولائهم للناصر للدين الله بعد فتحه لمدينة سبتة سنة 319هـ / 931م فاغرى الناصر إليهم اسطوله بقيادة عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة فدخل المدينة ، وسكن أهلها وأخذ رهائنهم توقية للطاعة ، واستعمل عليهم أحد الموالين لبني أمية من وجوه ببرها ، هو ابراهيم بن العلا ، وترك معه فرقة من الحشّم والرماء لتعزيز حامية المدينة والدفاع عنها ، وعاد إلى مدينة المرية في شهر شوال من نفس السنة (2) .

### الاستيلاء على مدينة طنجة سنة 323هـ / 935م

وكان من الطبيعي أيضاً أن يمتد بصر الخليفة الناصر للدين الله إلى الركن الأقصى لشمال المغرب حيث توجد مدينة طنجة الهمة ، وقد عرفنا فيما سبق كيف اسرع سكان هذه المدينة لبيعة العاشر الأندلسي والدخول في طاعته حينما استولى اسطوله على مدينة سبتة ، وهذا لم يقدم الناصر على احتلالها عسكرياً خلال هذه المدة (3) .

ولما جاءته الأنباء بانتفاضتهم للطاعة . أمر قائده عبد الملك بن سعيد ابن أبي حمامة - الذي كان يقوم بمهمة جهادية في شواطئ «برشلونة» - أن يتوجه بأسطوله نحو سبتة ، وذلك في شهر رمضان سنة 323هـ / 935م فاحتل عبد الملك مرسى «واسط» التي تقع بين مدينتي سبتة وطنجة ، وأقام القائد الاندلسي بقية السنة متربداً بين التغور

(1) نفس المصدر ، ورقة 153 ، ابن خلدون : العبرج 6 من 277.

(2) ابن حيان : المقتص ، ورقة 137

(3) نفس المصدر ، ورقة 119

الساحلية للمغربين الأقصى والأوسط يؤدب المتفضلين ويخصم الشائرين إلى أن أقبل فصل الشتاء فعاد إلى الأندلس بأسطوله في شهر صفر سنة 324هـ / 936م ، بعد أن اخضع أهل طنجة (1) .

وهكذا استطاع الناصر للدين الله أن يستولي على معظم الثغور البحرية المغاربة مثل : مليلة وبستانة وأصيلا وطنجة وجذيرة أرشقول ، وأصبح بذلك يتحكم في غرب البحر الأبيض المتوسط «فاشتد سلطانه وصار المجاز في يده» (2) وبعد ذلك أخذ الخليفة الناصر للدين الله يتدخل في شؤون المغرب تدخلًا مباشرًا لاثارة المغاربة ضد التفوذ القاطمي (3) .

وبعد أن استتب للناصر للدين الله الامر في ربوع الأندلس ، وسادها الهدوء والاستقرار ، عزم أن يصرف انتظار رعيته عن الفتنة والقلالق والتفكير في الثورة والخروج عليه ، فاقدم على مشروع خطير ، هو توحيد العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة الاموية بقرطبة بعد إزالة الخلافة القاطمية وقطع دابرها من افريقيا والمغرب ، والاطاحة بخلافة بنى العباس في بلاد المشرق ، ومن المعروف أن فكرة توحيد المغرب بالشرق قد راودت الخلفاء العباسيين الاوائل كما صارت تراود القاطميين كذلك ، فلا أقل من أن يفكر في تحقيقها خليفة الأندلس ، خصوصاً بعد أن توفر لديه الكثير من التفوذ والسلطان في بلاد العدوتين .

وكان عبد الرحمن الناصر يهتم كثيراً بالجنود المغاربة ويعقد عليهم آملاً عريضة في تنفيذ هذا المشروع الاندلسي الكبير ، وتشير بعض النصوص التاريخية (4) إلى أن خليفة قرطبة كان لا يخلو رسالته من رسائله الموجهة إلى زعماء المغرب دون أن يحثهم فيها على معاشرته لتحقيق هذا المشروع وراح يغدق عليهم المهدايا والالطاف والخلع ، وبدل في هذا السبيل أموالاً طائلة ، فبعث إلى عميد الموالين له في بر العدوة وهو محمد بن خزر يأمره بالاستعداد والتعبئة واستنفار القبائل ، لهذا الشأن وانتظار اليوم المناسب ،

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 145

(2) المقرى : ازهار الرياض في أخبار عياض ، ج 2 ص 257 تحقيق مصطفى الستقا ومجموعة من الاساتذة القاهرة 1939 .

(3) د . أحمد مختار العبادي : دراسات ص 74

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 323

الذى يحدده هم الخليفة للنهوض نحو المشرق ، كما أمر عماله في الاندلس بالتأهب وأعداد الرجال والاجناد ، وانتقاء الرماة ، ومضايقة عدتهم وعددتهم ، وأمر أيضاً بتجديد آلات الحرب ، وصنوف الأسلحة ، وأخذ يكثر من جمع المراكب وتطويرها والتوسع في عددها وجعلها فرقتين الأولى تتجه نحو سبتة لشحن الجنود المنطوعة ، والآخرى إلى منطقة وهران (1) . وكان يريد أيضاً بالإضافة إلى أحياء ملك أجداده في المشرق تخليص الحجر الأسود من عبث القرامطة الذين استباحوا حرمات البيت (2) ، وفي ذلك يقول ابن حيان : «... لما تفرغ باله - اي عبد الرحمن الناصر - وقضت بالأندلس اشغاله ، واكتملت له في اعداده آماله ، ولم يبق عليه فيها بقية يعانيها ، ولأجال يستعمل رجاله فيها ، حرف عزيمته وأمال همته إلى ما بين يديه ، من اسباب المشرق ، وطلب ما لم يزل لاوله حقاً وله ميراثاً ... وحماية بيت الله العرام المتكتكة حرمتة العظمة المسلوب ركناً المغلوب أهله ، وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد بالرجال ، والأخبار بتجهيز الأباء ، وانتقاء الرماة ، وتضييف العدد وتكثير العدة ، وتجهيز الآلات ونكميل الأدوات ، والخشود بالجنود لم يقات معلوم ، وأن يستكثر من جمع المراكب ، إلى ما قد قام منها ، وتوسيع عددها بتجهيز الاساطيل المؤيدة ... والسير طائفة منها نحو سبتة وأخرى إلى جهة وهران ... فاستعد - يقصد محمد بن خزر - وتأهب لتكون صدر القواد كما أنت صدر أولي الوداد...» (3).

ولم يلبث الناصر لدين الله ان بعث برسالة مماثلة الىشيخ مكناسة موسى ابن أبي العافية يخبره فيها بما يتوysi القيام به ، ويطلعه عما تم له من اعداد الجنود

(1) ابن حيان : المصادر السابق ورقة 122 - معلومات انفرد بها ابن حيان ولم ينطرب اليها غيره من مؤرخي المغرب والأندلس .

(2) يقصد بذلك اقتلاع الحجر الأسود من مكانه في مكة بيد سليمان بن الحسن القرمطي سنة 317 هـ وبأمر من جعفر بن أبي علاج القرمطي في عهد المقتدر العباسي ، ولما مات جعفر ، رد الخوته الحجر الأسود إلى موضعه سنة 339 هـ/950 مـ. أنظر ابن عذاري ج 1 ص 220 ويقول ابن حيان في هذا الصدد (ورقة 124) «في طلبه (أي الناصر) ملك المشرق ، وشفاقته بما انتهك من حمة الذين بما فعله القرمطي .. وذلك ما شد أمير المؤمنين عزماً وشغل قلبه غيظاً وغباً ... وهتك البيت الحرام واستلب ما فيه . وحدث فيه ما لم ي يحدث في الأولين ولا يزال في الآخرين».

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 122 / 123 .

والاساطيل ، ويأمره هو الآخر باستنفار القبائل وتعبئة الجيوش للذات الغرض ، ووعده بالكافأة والالطاف ورفعه المنزلة (1) .

ولكن هذه الفكرة ظلت حبيسة المخيلة لم تتعداها ، اذ لم تنزل حيز التطبيق ، وثبت أنه يستحيل تفيذهما ، نظراً لبعد الشقة بين الاندلس والشرق ، وعدم توفر الامكانيات اللازمة لهذا المشروع الضخم ، والخطير في نفس الوقت .

وقد صادف هذه السنة اي سنة 320هـ / 932م ان وقع خلاف بين الزعيمين المغاربيين محمد بن خزر ، وموسى بن أبي العافية ، أسفرا عن نشوب حرب طاحنة بينهما ، هرم خلالها محمد بن خزر ، وكان سبب هذا الخلاف كما تذكره المصادر (2) هو تأييد محمد بن خزر لابن أبي العيش، الحسني في حروبه ضد موسى بن أبي العافية ، فخشى الناصر لدين الله من فساد أحدهما على دولته ، ولاسيما وان موسى المكتناسي حديث العهد بالطاعة ، فقد كان يلي عبيد الله المهدي ويدين له بالولاء .

فأخرج الناصر لدين الله اليهما سفيره القاضي المغربي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ، فاستطاع ان يزيل الخلاف الذي كان بين الزعيمين المغاربيين والزناتي ، وان يصلح بينهما ، حتى كتب موسى الى الناصر يعتذر عما بدر منه ، وبرر موقفه في رسالة طويلة ، ارفقها بهدية جميلة تتكون من اثنى عشر فرساً من جناد خيوله ، فكافأه عنها الخليفة قرطبة بهدية قيمة (3) .

وفي سنة 321هـ / 933م ، سرح الناصر لدين الله القائد ، عبد الملك بن أبي حمامه في قطعة من الاسطول الى مدينة سبتة المغربية ، ثم أرده بقطعة أخرى بقيادة سعيد بن يونس ، وكان هذا القائد قد خرج لقتال الفرنجة في عشرة مراكب وخمسة شوانى ، لكن العواصف حالت دون تقدمه نحو بلد الفرنجة ، وعطبت له بعض المراكب ، فاضطران يعود من حيث أتى الى ميناء طرطوشة ، ومنها تحول بأمر الخليفة الى الشاطئ المغربي حيث أرسى في مدينة سبتة ليقوم بتدعمه وحدة عبد الملك بن أبي حمامه

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 124 - 125

(2) نفس المصدر ورقة 123 - ابن عذاري : البيان ج1 ص 204 - 205

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 123

في السواحل المغربية وارهاب أهل العصيان ، وتعزيز صفوف أهل الطاعة وظل القائدان باسطولهما هناك الى أن أقبل فصل الشتاء ، ففجلا عائدين الى مدينة المرية (1) .

وفي نفس السنة ورد على الناصر لدين الله كتاب من ابراهيم بن العلا ، وعلون بن شراق وجماعة من سكان مدينة « أصيلا » يؤكدون له ولاءهم ، وخبرونه بأن بني محمد الادارسة هجموا عليهم على حين غفلة طامعين في المدينة لكن الله منحهم اكتافهم ، فانصرفوا مهزومين ويرجع الفضل الاول في هذا الانتصار الى المساعدات والامدادات السريعة التي قدمها وليه وصفيه موسى بن أبي العافية ، ثم سأله انفاذ قوة من الحشم تقيم عندهم ، لتعضيدهم في الدفاع والذود عن المدينة ، فأمر الناصر لدين الله عامله على « سبتة » محمد بن أصيلع أن يمدthem بما يحتاجون اليه (2) .

وعندما استولى موسى بن أبي العافية على ملك الادارسة العلوين في تلمسان ومدينة أرشقول وجراوة ، وفاس ، والبصرة ، وأجبه بعضهم على طاعةبني أمية في الأندلس ، وعلم بذلك عبيد الله المهدى أرسل جيشا من عشرة آلاف مقاتل بقيادة حميد بن يصل المكناسي ، صاحب تاهرت وابن أخي مصالحة بن حبوس (3) . وقد انتهت هذه الحرب بفرار موسى واصحابه ، من مدينة فاس ومضوا الى حصنه « بعين اسحاق » ببلاد تاسو فتحصنا به ، وبعث موسى الى الناصر لدين الله يستتجده ، فلم يتأخر هذا الاخير ، وجرد اليه قوة كبيرة ، من الجندي بقيادة قاسم بن طملس فقتل في مدينة سبتة ، ثم كتب الناصر يستنصر القبائل المغربية ضد صاحب الشيعة ، ولم يكتف بهذا بل ارسل مرة أخرى وحدة بحرية قام بتجهيزها على جناح السرعة ، اذ أن الاسطول الاندلسي في هذه الفترة كان يقوم بالجهاد في سواحل القرنوجة .

واستطاع موسى بن أبي العافية ، أن يهزم اعداءه ، بفضل الامدادات السريعة والجهود المكثفة المشتركة المغربية الاندلسية ، فقتل عددا كبيرا وغنم منهم خيولا كثيرة .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقه، 128

(2) ابن حيان : المصدر السابق، ورقه 129 ، لم يرد هذا الاسم في جملة ولادة الناصر لدين الله على مدينة سبتة في كتاب البيان لابن عذاري (ج 1 ص 304) .

(3) ابن أبي زرع : روض القرطاس من 56 - السلاوي : الاستقصاء، ص 83 .

وعاد حميد بن يصل الى تاهرت مفلولا ، وكتب موسى الى عاهل الاندلس يخبره بالنصر ويشكره على نجذته (1) .

وفي هذه السنة أي سنة 322هـ / 933م ، وردت على الناصر لدين الله بقرطبة رسالة من صفيه موسى بن أبي العافية يخبره فيها بقدوم ميسور الخصي غلام أبي القاسم بن المهدى ، وبرفقته صاحب تاهرت ابو مالك يغمراسن بن أبي شحمة الكتامي ، فتوغل ميسور وأصحابه في المغرب الأقصى ، وأنزل به دعوة الشيعة وفرقهم في مختلف المناطق ، ودعا بعض القبائل المغربية المحاذية لأعمال موسى بن أبي العافية لطاعة المهدى ولكنهم أبوا ذلك ، ولاذوا بالفرار الى أغوارهم ومعاقلهم وتحصنوا بها ، فلما يئس منهم ، كاتب أهل مدينة فاس وأعطاهم العهود الغليظة ، وأكدهم سلامتهم وأمنهم إن هم نزلوا وانضموا الى صفوفه ، فاغتر به محمد بن ثعلبة صاحب مدينة الاندلسيين (2) ، وأحمد ابن بكر أمير عدوة القرطاجيين (3) ، وقدما اليه مع وجوه من رجال العدويين (المديتين) ولما صارا بين يديه غدر بهما وأخذهما واستولى على ما كان معهما من خيل واسلحة وغيرها وبعث بهما الى المهدية (4) .

وحيثما رأى أهل المدينة ذلك أغلقوا الابواب في وجهه ، وقدموا على انفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصرها ميسور سبعة أشهر ، ولا طال الحصار صالحه أهلها

(1) ابن حيان : المقتبس، ورقة 129 ، 130 ، 131 ، معلومات جديدة لم ترد في كتب مؤرخي المغرب فابن أبي زرع يذكر انه لما انضم موسى الى حصن «عين اسحاق» تقدم حميد الى فاس بعد فرار مدين بن موسى منها فاستعمل حميد عليها حمدان بن حمدان المعناني ، ثم عاد الى افريقيا وذلك سنة 321هـ / 933م وحيثما هزم موسى وبلغ ذلك بن ادريس ظاهروا بحجر التسر على ابي القاسم قائد ابن ابي العافية فهزمه وقتلوا عسكره انظر روض القرطاس، ص 56 . السلاوى الاستقصا ص 83 – البكري : المغرب، ص 128 – ابن خلدون البرج 6 ص 275 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 137 ، ابن خلدون : البرج 6 ص 275 ، بينما يذكر ابن أبي زرع (روض القرطاس ، ص 55 ) . بأن موسى قتل عبد الله بن ثعلبة بن محارب عامل فاس من قبل المهدى وولي مكانه آخره محمد بن ثعلبة ، ثم عزله وولى مكانه طوال بن يزيد .

(3) وكان أحمد بن بكر قد ثار في مدينة فاس على عامل الشيعة حامد بن حمدان المعناني وقتلها وبعث برأسه وولده الى موسى بن ابي العافية الذي بعثه الى الناصر لدين الله بقرطبة مع سعيد بن الزراد انظر : البكري : المغرب ص 128 – ابن عذاري : البيان ج 1 ص 209 ، بن ابي زرع : روض القرطاس ص 55 ، السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 83 .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 137 ، روض القرطاس ص 55 ، السلاوى : المصدر السابق ج 1 ص 83 .

على دفع مبلغ من المال قدره ستة آلاف دينار وكتبوا بيعتهم الى أبي القاسم الشيعي ، وطبعوا اسمه على سكتهم ، وخطبوا له على منابرهم ، فخلى سبيلهم واتجه نحو موسى بن أبي العافية بمحصن «لكاي» (1) وتمرّكز بالقرب منه على مسافة ستة أميال . وأقام أربعة أيام يكاتب موسى في الاعتراف بطاعة الفاطميين ، لكن موسى أنف من ذلك ولم يجده فتقدّم ميسور نحوه بجيشه الكبير ، ودارت بين الفريقين حرب ضروس انتهت بانتصار موسى بن أبي العافية على ميسور الخصي (2) .

وقد اغتنم الادارسة (بني محمد وبنو عمر) فرصة اشغال موسى في الحرب وساروا الى مدينة أصيلا في محاولة أخرى لاعادتها الى نفوذهما الا أنهم فشلوا هذه المرة أيضا .

وكان موسى قد بعث الى محمد بن حزب الله صاحب سبتة يدعوه الى ارسال جيش ومراكب لمقاتلة هؤلاء الادارسة لكنه تماطل وتعلل بأنهم لا يزالون ملتزمين بالطاعة للعاشر الاندلسي فغضب موسى لهذا الجواب ، وكتب الى الناصر يشكو عامله ويؤكد له ثبات مساعدته بني محمد وبني عمر لميسور في حربه ضدّه ، ويحذر من محمد بن حزب الله وسوء معاملته للمغاربة وفي ذلك يقول : « وان محمد بن حزب الله المخنوّع كثير الطمأنينة لم يحسن تحكم معاملة البراءة ، في يكن من أمير المؤمنين اليه تبصرة والله يكشف له عن الضلال وبغيه المكاراة » (3) . فأجابه الناصر وطمأنه ونوه بشجاعته واخلاصه وبعث له بهدية قيمة (4) .

وعاود ميسور الفتى خروجه الى المغرب في السنة التالية أي سنة 323هـ / 934م على أثر الثورة التي قام بها أهل «تاهرت» ضدّ عامل الشيعة ابن أبي شحمة وذلك بعد أن انفقوا مع أهل السنة من المغاروبين على طاعة الناصر ، خرج ميسور في جيش

(1) السلاوي : الاستعما ص 83

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 138 يتبيّن من هذا النص ومن نصوص بعده أن ميسور قام بحملتين الى المغرب الأقصى الأولى كانت سنة 322هـ / 933م انتزمه فيها والثانية كانت سنة 323هـ / 934م التي انكشف فيها موسى نحو الصحراء ، بينما تذكر مصادر المغرب والأندلس الأخرى انه خرج مرة واحدة في هذه الفترة وهي التي انتزمه فيها موسى سنة 323هـ . انظر البكري ص 128 - روض القرطاس من 56 - السلاوي ج 1 ص 83..

(3) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 138 .

(4) نفس المصدر ، ورقة 138 .

كبير ، ومعه بعض القواد أمثال ابن أبي شحمة المخلوع وصندل الفتى ، لاخماد الثورة ومطاردة الفتى والقواد ، الذين فروا من افريقيا ، ولجؤوا الى موسى بن أبي العافية خائفين على أنفسهم بعد الانقسام الذي دب في الأمارة العبیدية بعد وفاة عميدهم عبيد الله المهدي . وقد قتل أبو القاسم عددا من أخواته (1) ، واضطربت هذه الى الخروج من مدينة المهديّة الى رقاده بعيدا عن دسائس أخواته ومؤامراتهم واستقر بها مع أهله وحشمه (2) .

وقد لاحظ ذلك ابن أبي العافية في كتابه الموجه للناصر بقوله : «وسقط في أيديهم ، وزاد في خوفهم (أى القواد والفتى) ما فيه طاغيتهم أبو القاسم مع أخواته بالمهديّة من خلاف وتساقط كثير منهم ومن شيعتهم علينا ، وهرب طوائف من عسكرهم مستأمنين اليّنا حتى صارت الطريق سالكة اليّنا من عندهم، بالهاربين من فتيائهم وأولى الآباء منهم» . هذا وقد اجتاز كثير منهم الى بلاد الأندلس (3) ، وبعث موسى ، بتقرير منفصل للعاشر الاندلسي ؛ عن الوضاع المضطربة في المهديّة، ثم أخذ يسأله الامداد العسكري ، حتى يستطيع أن يمد سلطانه على هذه المنطقة ولاسيما وأن القواطع في المهديّة يتخبّطون في أزمة سياسية خطيرة ، اذ كثرت الخلافات بين الأسرة الحاكمة وفي ذلك يقول : «فالآمور هناك مضطربة ... فلو كانت من أمير المؤمنين مبادرة ، الى امدادنا لرجونا الفرصة فيهم ، ورجونا بحول الله انتظام طاعته من أقصى المغرب الى أدنى المشرق (4) » .

والظاهر ان الناصر لدين الله كان يولي لمدينة سبتة عناية خاصة دون غيرها من المدن الساحلية المغربية الاخرى . وهذا ما تبين من خلال رسالة موسى بن أبي العافية الى الخليفة الناصر ، ومرد هذا الاهتمام أن الخليفة الاموي كان يعتبرها أهم قاعدة تمكّنه من التحكم في هرّ مضيق جبل طارق وغرب البحر المتوسط وهي الجديرة بأن تحافظ على استمرار واستقرار نفوذه وسلطانه على أرض المغرب .

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 139 ويدرك انه قتل اخواته جميعا ماعدا واحد منهم قد استطاع الفرار والاحتماء بقبيلة كنامة التي أيدته وبايته خليفة لينافس أبو القاسم ، كما قام بقتل عدد كبير من كبار رجال الدولة .

(2) ابن حيان : المقبس ورقة 147 .

(3) نفس المصدر ورقة 145 .

(4) ابن حيان : المقبس ورقة 147 .

لكن الرعيم المكناسي يخالفه في وجهة نظره ، ويذكره بأنه لا خوف على مدينة «سبنة» ولا داعي للاكتار من تزويدها بالمؤن والجيوش ، اذ أن حامية صغيرة من أهلها تكفي للدفاع عنها . فهي حصينة بطبيعتها ومن يريدها من الأعداء لا يستطيع ان يصل اليها لأن البحر يحيط بها والوعر يكتنفها من حولها (1) .

وربما يصدق هنا المثل العربي القائل بأن «أهل مكة أدرى بشعابها» فقد أخذ موسى يلح على الناصر لدين الله بضرورة ضبط مدينة طنجة وتزويدها بالجنود والأسلحة وبما تحتاجه من عتاد ومؤن ، فانها ترعى انتباه الادارسة دائمًا ، ومحظ انتظارهم ، وهي عرضة لهجماتهم المتكررة والغرض من شكلها بالرجال والعتاد هو حمايتها من غارات الادارسة والضغط عليهم بواسطتها حتى لا يتطلعوا الى اخوانهم المغاربة ، وبالتالي يضمن استمرار طاعة أهل المغرب للناصر لدين الله (2) .

وفي آخر سنة 323هـ / 934م ، ورد كتاب آخر من موسى الى الناصر لدين الله يخبره بأن ميسور الخصي واصحابه تقدموا نحوه الى حصن «لكاي» يساعدهم في ذلك الادارسة من بني محمد ، وبني عمر ، وقامت بينهم حرب ضارية ، اختلط فيها الحابل بالنابل ، وأخل فيها العاقل أسمه ، وكانت هذه الجولة لصالح موسى بن أبي العافية ، الذي قتل منهم نحو مائتي فارس وغم منهم خيلاً كثيرة (3) .

ولم يلبث أن وصل على أثر كتاب موسى بن أبي العافية كتاب آخر من اسماعيل بن عبد الملك الى الناصر لدين الله يعلمه بما حدث لجيش نصیره موسى وانكشافه الى الصحراء أمام جيش ميسور الخصي ، فقد فرم موسى بمن معه متعلقاً بفيافي الصحراء حتى لا يمكن منه قائد الشيعة بعد أن هزمها وقتل كثيرة من جنده (4) .

ووصلت سفارة الى قرطبة من أبي ابراهيم بن أبي العيش تحمل اخبار موسى بن أبي العافية ، وما صbar عليه من حال بعد هزيمته امام الخصي ميسور ، كما انها جاءت

(1) نفس المصدر ورقة 146 .

(2) ابن حبان : المقتبس ورقة 146

(3) نفس المصدر ورقة 147

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 147 ويضيف ابن خلدون (العرج 6 ص 277) انه كانت بينهما حرب الى ان غلبه ميسور وتفپض على ابنه الغوري ، فغرابة الى المهدية ، واجلى موسى عن اعمال المغرب الى نواحي ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء وقتل عائدًا الى افريقية .

لتجدد ولاءها للناصر لدين الله ، متبرئاً من التهمة التي نسبت اليهم ، وهي المشاركة في الحرب مع الشيعة ضد موسى بن أبي العافية .

وقد جاء في رسالتهم التي سلموها للعامل الأندلسي ما يلي : «... بلغنا أنه نمى إلى سيدنا أمير المؤمنين عنا أنا توجهنا إلى الفاسق ميسور لا يسر الله أمره على أسوأ الوجوه ، ولم يكن ذلك أكرم الله ، سيدنا أمير المؤمنين . بيادرنا إلى قائدكم محمد بن حزب الله - صاحب سبعة - بالرهائن التي تكون وثيقة على طاعتنا ، واسلمنا إليه مع ذلك رهائن كل من أنضوى إلينا من البربر حتى يقتنع بالوثيقة» (1) .

ويبدو أنه رغم ما عبر عنه الادارسة في رسالتهم من طاعة للخليفة الأندلسي وولاء له ، فإنهم غير صادقين فيما يقولون ، وأنهم غير مخلصين فيما كانوا يظهرون للناصر لدين الله وإنما اتخذوها مطية لكسب رضاه ، وتفادي غضبه حتى لا يشير عليهم القبائل البربرية الموالية له في المغرب والظاهر أن الناصر على بيته من ذلك ، وإنما كان يمنحهم الفرص لهم يصدقون ، تمشياً مع سياساته ، فعندما قدم ميسور الشخصي إلى المغرب الأقصى هلوا لقادمه ، وهرعوا لاستقباله ولم يقفوا عند هذا الحد بل اشتركوا معه بكل ما يملكون من قوة ضد موسى بن أبي العافية ، إذ كانت الفرصة مواتية لهم للانتقام من هذا الزعيم المكتناسي ، الذي طردتهم من جلّ اعمالهم وحجرهم في الوعار ، وقد استطاع هؤلاء العلويون أن يستردوا كثيراً من المدائن التي كانت في حوزة موسى بن أبي العافية بعد فراره إلى الصحراء أمام الجيش الفاطمي (2) .

لم يتأنّر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في نصرة موسى بن أبي العافية وبخدمته ، فقد أغري الخليفة اسطولاً إلى الشواطئ المغربية ، يتكون من أربعين مركباً حربياً ، حمل على متنه ثلاثة آلاف مقاتل منهم خمسمائة من العشّم ، وكان اندفاع هذه السفن الحربية من مدينة بيته إلى مدينة مليلا ونكور وجراوة فتم له السيطرة عليهما ، وظلت هذه السفن تجوب الموانئ المغربية مدة تزيد عن ستة أشهر ، فاعتزل بذلك موسى بن أبي العافية ، وأعاد ما كان قد فقده من مداين واقاليم ،

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 148

(2) السلاوي : الاستقصا ج 1 ص 83 . ويذكر البكري (المغرب ص 128) وابن عذاري (البيان ج 1 ص 209) أنه لما ورد ميسور إلى المغرب حاصر موسى بن أبي العافية وتولى معظم تلك المروجب بنو ادريس حتى جلى موسى إلى الصحراء ، وصار ما كان بيده إلى آل ادريس .

ثم قفل الأسطول بعدها عائداً إلى الأندلس سنة 324هـ / 935م بعد أن أنهى مهمته (1) .

ويروي المؤرخ ابن حيان أنه في هذه السنة أى 324هـ / 935م تولت على قرطبة أربعة كتب من أربعة مواضع تحملنها أربعة فتوح . فرئت كلها في يوم واحد في المسجد الجامع بقرطبة يوم الجمعة (2) .

وفي ذلك اشاد الشاعر أبو عثمان بن أدريس :

فتوجه تولت بالسعود الطوالع    قلدتتها الاسماع من كل سامع  
وقائع أدتها صحائف اربع    تخبرن عن ابناء تسلك الواقع (3)  
لم يقتصر التعاون بين المغاربة وعبد الرحمن الناصر على الناحية السياسية والعسكرية فحسب بل شمل أيضاً النواحي الاقتصادية والعمارية ، إذ أنه لما عاد موسى بن أبي العافية إلى أعماله من الصحراء سنة 324هـ / 935م بعث إلى الناصر يلتئم منه تزويده بالمؤن حتى يستطيع أن يخرج من الظروف القاسية التي حلّت به من جراء حملة ميسور الخصي وطلب منه أيضاً مساعدته بالمهندسين والبنائين والمساعدين المتخصصين في ميدان العمران ومواد البناء والآلات الالزمة للبناء ، ليعيد إصلاح وبناء ما أفسدته الحرب ودمرته المعارك ، كما طلب منه الالساع بتجريد قوة بحرية إلى أحدى الموانئ التابعة لاعماله لتشد من أزره ، وحتى يتتسى له استخدامها عند الضرورة (4) .

فأجابه عبد الرحمن الناصر لما طلب وبعث له ما يحتاجه من مواد البناء المختلفة والمهندسين والبنائين وما أشبه ذلك ، فانفرد إليه محمد بن الوليد بن فشقق رئيس المهندسين الأندلسيين ومعه ثلاثون بناء وعشرة من النجارين وخمسة عشر من الحفارين وستة من الجبارين المهرة في عمل الجبر ، وستة من النشاريين لنشر الخشب وحدادين

(1) ابن حيان : المقتصى ورقة 149 . ويدرك ابن خلدون (كتاب العبر ج 6 ص 377) أن موسى بن أبي العافية رجع من الصحراء إلى أعماله في المغرب فملكها وطل على عدوة الأندلسيين أبا يوسف بن محارب الأزدي وتحاطب شيخ مكناة العاهل الأندلسي في الأمداد . فيبعث له عدداً من أسطوله لتحميء .

(2) ابن حيان : المصادر السابق ورقة 149

(3) نفس المصدر ورقة 150

(4) ابن حيان : المقتصى ورقة 151

وحصارين ، اختارهم من أمره واحدق الحرفين الاندلسيين وجهزهم بالآتم وأدواتهم (1) .

وكذلك ارسل اليه مؤونه تتكون ، من اصناف مختلفة من الأطعمة والحبوب مثل : القمح ، والشعير ، والفول ، والحمص ، والعسل ، والسمن ، والزيت وما شابه ذلك وانواعاً أخرى من المدايا ، والطرائف اللطيفة وكان ذلك سنة 325 هـ / 936 م (2) .

ووردت رسالة أخرى الى الناصر لدين الله من شيخ مكتناسة يطلعه فيها عما قام به الاسطول الاندلسي في سواحل المغرب ، فقد استطاع هذا الاسطول أن يؤدب أهل العصيان من سكان مدينة نكور ، ثم توجه نحو جزيرة « ارشقون » التي عسر عليهم فتحها في السنوات الماضية لحصانتها ومنعتها ، لكن هذه المرة تمكنت السفن العربية الاندلسية بمشاركة الجنود المكتناسين تحت قيادة الزعيم موسى بن أبي عافية من اقتحامها والاستيلاء عليها وغلى جميع ما فيها ، وخرموا بناتها (3) ثم تحولوا الى مدينة جراوة التي بجا اليها ابن أبي العيش فدارت بينهما معارك عنيفة انهزم خلالها الادريسي وعسكره وفروا متعلقين بالجبال الوعرة وظل الاسطول الاندلسي يجوب البحر وينتقل من ثغر الى آخر على طول سواحل المغاربة الاوسط والاقصى حتى ارتجت له ارض العدوة حسب قول ابن حيان (4) .

ويبدو أن الانتصارات التي احرزتها الجيوش المغربية الاندلسية على جنود الشيعة وحلفائهم غيرت من ميزان القوى في المنطقة ، لذلك خلع الادارسة طاعة الفواطم وتسابقوا في تقديم طاعتهم ولائهم لصاحب قربطة فقد وصل اليه كتاب من ابراهيم بن محمد الحسني رئيسبني محمد يعتذر فيه عما قدمه من مساعدات الى الجيش الفاطمي ويرتتصرفه هذا بأنه ولد الخوف من بطش ميسور وجندوه وحرصا منه على أرواح رعيته وحرمتهم ، كما أبدى رغبته في مصالحة موسى بن أبي العافية فرد عليه الناصر بالقبول والموافقة (5) . اذن وجد الامويون في الاندلس عونا لهم في المغرب على

(1) نفس المصدر والورقة

(2) نفس المصدر ورقة 153

(3) ابن حيان المقبيس ورقة 153 - ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 277 .

(4) نفس المصدر ، ورقة 161 .

(5) نفس المصدر ورقة 152 .

درىء الاخطار المدحمة في الفاطميين ، واستفادوا من مساندة قبائل البربر المقيمة في المغربين الأقصى والأوسط ، بفضل موقع مضاربها الجغرافي ولاسيما منها قبيلة مكناسة الضاربة في المغرب الأقصى ومغراوة وبني يفرن من زناتة البتية التي تمتد رقعتها غرب بلاد الجزائر ووسطه ، حيث تشرف على حدود افريقية التابعة للفاطميين .

وقد عززت بلاد المغرب مساعدتها العسكرية بتأييدها السياسي للخلافة الاموية بالأندلس وهو أمر حيوى بالنسبة للخلافة الوليدة ، واضحت هذه القبائل سندًا قوياً للأمويين ، تصد كل الاخطار الداهمة من افريقية ، ولم تقف عند حد الدفاع فقط ، بل أخذت تهدد المهدية عاصمة الفاطميين ، وكفلت بذلك للأندلس الهدوء والرخاء والاستقرار .

وظل عبد الرحمن الناصر لدين الله يتسمى الخبر في هؤلاء المغاربة ، ويتلقي منهم التقارير ، تقريراً تلو آخر دونما انقطاع عن أحوال المنطقة وما يجري بها . وكذلك كانت تأتيه الرسائل من المغرب حاملة له أسمى عبارات الود والتقدير والاخلاص والتعاون ، بالإضافة الى الانباء العامة لهذا البلد ، فقد ورد كتاب من موسى بن أبي العافية يعلمه بما تم بينه وبين محمد بن خزر زعيم زناتة من مصالحة ، فقد أنهى كل الخلافات المتعلقة بالمنافسة على الأعمال حتى يتفرغا للعدو المشترك ، وهم المشارقة في افريقية وتاهرت . وتدعى ما هذه المصالحة المغراوية المكناستية فقد توجها بالصاهرة (1) .

كما تضمنت رسالة موسى هذه أخبار الانشاء العماني ، الذي بدأه منذ عودته من الصحراء وان البنائين والمهندسين الأندلسين ومساعديهم على وشك انجاز بعض أعمالهم كما سأله تعويض هذه المجموعة بمجموعة أخرى لأن الاولى شتمت طول الغربية والبعد عن أهلهم وأولادهم ووطنهم ، ولم يغفل في رسالته ان يطلب منه معايدة عسكرية أخرى تشمل مائتي فارس بمعداتهم ليستعين بهم في حربه ضد أعدائه الادارسة العلوين (2) .

وعندما نكبت مكناستة بوفاة زعيمها وشيخها موسى بن أبي العافية في شهر ذي الحجة سنة 326 هـ / 937 م (3) بعث ابنه مدين الى الخليفة عبد الرحمن الناصر

(1) ابن حيان : المقنيس ورقة 162 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 162

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 165 وقبل انه قتل في بلاد ملوية سنة 341 / 952 م - انظر السلاوى ج ١ ص 82 .

يخبره بذلك ، فرد هذا الاخير معرضاً وعبرأ له عن عميق حزنه بفقدان واحد من اكبر حلفائه ، وأرفق خطابه هذا كتاب تعينه على أعمال أبيه وأشرك معه في الولاية أخيه منقدا بن موسى فسر الاخوان ووجهها اليه بدورهما رسالة جددا فيها يعثهما ولاءهما للعاهل الاندلسي ويرفقتها هدية ثمينة (1).

وفي هذه السنة أيضاً بعث الناصر لدين الله هدية الى الخير بن محمد الزناتي تدعيمما للصداقة والتحالف ، عبارة عن ثياب من الخز العبيدي ، المختلف الصنعة والالوان ، وست وثلاثين شقة مطرزة واثنين وعشرين ثوباً ، واربع وعشرين عمامة من عمائم الخز الرفيع (2).

اكتسب عبد الرحمن الناصر ولاء جديداً ، وتأييدها من القائد الشيعي حميد بن يصل المكتاسي ، الذي خدم الدولة الفاطمية مدة طويلة ، وأصبح من اكبر قوادها في المغرب ، فقد لجأ هذا الأخير الى محمد بن خزر حليف الامويين في الاندلس ، وبعث بولايته الى الناصر ، فأحاجبه بالقبول ، واسع عليه بالعطايا والهدايا ، ورفع منزلته حيث عينه قائداً لقواته في المغرب (3) الاوسط وأجاز الى الاندلس ، فاقام عنده مدة ثم أعاده الى مهمته في المغرب . وكان انحياش حميد بن يصل للامويين يوم الخميس 26 من شهر رجب سنة 328هـ / 939م (4).

وتدعيمها للعلاقة الطيبة والوثيقة بين المغاربة والامويين فقد استقبل الناصر لدين الله في بلاطه بقرطبة في شهر شعبان من سنة 328هـ / 939م وقد اترأسه محمد بن مدين بن موسى المكتاسي وعمه فرج بن موسى ، استقبالاً كبيراً ورحب بهم وأكرمهما وائزهم بقصر «البتيل» (5) شرقي قرطبة ، وجاء هذا الوفد لتجديد البيعة وتوثيق الصلة بين زعيم مكتناسة وخليفة قرطبة ولما سأله الانصاراف الى بلدتهم ضاعف لهم الهدايا والخلع ، وأرسل معهم الى حليفه مدين بن موسى من الصلة والكسوة والحلية والثياب والفرش

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 165

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 165

(3) ابن خلدون : العبرج 7 من 54

(4) ابن حيان : المقتبس ورقة 176 - ابن خلدون : العبرج 7 من 54

(5) انفرد ابن حيان يذكر «قصر البتيل» وشرق قرطبة حافل بمثل هذه القصور التي ترجع الى أصول قديمة ، ولعله القصر المسيحي : Penolcazar (Coria)

مala يقدر بـ 176 . وعادوا من قرطبة الى بلادهم في شهر ذي الحجة اي بعد ثلاثة اشهر  
قضوها ضيوفا في كنف الناصر لدين الله (1) .

وفي هذه السنة أيضاً شخص عاشر الاندلس قاضيه منذر بن سعيد الى المغرب  
لجسم التزاع الذي نشب بين الخير بن محمد بن خزر الزناتي ، ومدين ابن موسى بن أبي  
العاافية المكناسي بسبب تنافسهما على سلطان الغربين الاوسط والاقصى ، وقد أدى  
بهما هذا التزاع الى استعمال السلاح فنشبت بينهما حرب شديدة (2) .

ولما طالت الحرب بينهما ولم يتغلب احدهما على الآخر ، كتب كل واحد منهما  
إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله بقرطبة يستحکمه في الامر ، فلم يتردد هذا  
الخير ، وبعث إلى عبد الله بن الخير عم الخير بن محمد الزناتي ، وإلى داود بن مصالحة  
المكناسي كبير أصحابه يأمرهما بمساعدة رسول القاضي المنذر بن سعيد في مهمته ،  
وقد كللت مهمة هذا القاضي القرطي بالنجاح ، حيث استطاع أن يصلح ما فسد  
بينهما ، وأن يسكن غضبهما ، وتم ذلك كما أراده بفضل ، حكمته ودبلوماسيته  
البارعة وعاد بعدها إلى الأندلس (3) .

واهدي صاحب قرطبة إلى الخير بن محمد بن خزر بهذه المناسبة هدية ثمينة  
عبارة عن صنوف مختلفة من الكسي الفاخرة ، والامتعة الرفيعة ، وألات حربية  
متباينة من دروع ، وترويس ، ودرق ، واللوية ، وطبول وما اشبه ذلك .

كما أهدي له أيضاً خاتماً من خواتمه الخاصة من الفضة الزمردية الرفيعة القدر ،  
نقية الجواهر ، منقوش عليه اسمه ليحيط به رسائله أثناء الكتابة (4) .

وفي آخر ذي القعدة من هذه السنة (328) قدم إلى قرطبة وفد من وجوه سكان  
جزائر بني مزغنى (5) من أعمال الشيعة يحمل كتاباً إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ،

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 176

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 176

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 176 حد ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 278

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 176

(5) جزائر بني مزغنى أو مزغنان أو مزغنى هي منطقة الجزائر عاصمة الجمهورية الجزائرية الحالياً وفي كل هذه الأسماء (فتح الميم) ، ومزغنى اسم لقبيلة بربرية سكنت هذه المنطقة في القرن الثاني المجري الثامن الميلادي ، وهي بطن من صنهاجة - انظر كتاب : نور الدين عبد القادر : صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي ص 31 - ط . قسنطينة 1965 م .

يخطبون وده ولايته ، ويسألونه الدخول في طاعته والانصواء تحت نفوذه ، ويلتمسون منه ايفاد عامل من عماله ليقوم بشؤونهم في بلدهم فاستجاب صاحب قرطبة لطلبه لم يتوان في ذلك ، وعاد الوفد الى المغرب في عقب ذي الحجة من السنة المؤرخة (1) .

لم تقف مساعدات عبد الرحمن الناصر لحلفائه في المغرب عند حد الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والعمانية بل تعدت هذه النواحي الى الشؤون الصحية ، فقد كان يهتم أيضاً بشؤون عماله ويسهر على راحتهم ، فابن حيان يروي لنا أنه وصلت رسالة الى الناصر من ابن أبي العيش يلتمس منه فيها انفاذ طبيباً من أطبائه لعلاجه من مرض ، انتابه فجأة ، ولأن أطباءه عجزوا عن تشخيص هذا المرض الذي أقلقه ، فاخرج اليه الناصر طبيبه الخاص . سليمان بن عبد الملك المعروف بابن باج الطبيب ، بعد أن أباح له خزائن الطب وسمح له بان يحمل معه ما يصلح لعلاج علة ابن أبي العيش التي ذكرها فأخذ ابن باج الطبيب معه انواعاً كثيرة من الأدوية والاشربة والعقاقير وعبر الى المغرب وأقام عند ابن أبي العيش حتى عالج مرضه ثم عاد الى قرطبة (2) :

### تدعيم الناصر لشورة أبي يزيد الخارجي :

ابتداً أمر أبي يزيد مخلد بن كيداد الفرنسي الخارجي كما تذكره بعض النصوص سنة 316هـ 928م (3) ، والظاهر أنه لم يتمركز الى الحد الذي يستطيع فيه الاعلان عن ثورته في وجه عبيد الله المهدي في هذا التاريخ . وظل أبو يزيد يدعوه لقتال الفواطم سراً مختفياً في كثير من مناطق المغرب الأوسط ، بين جبل اوراس - معقل الثوار - وبني بزرزال بجبال المسيلة الى أن كان الوقت الذي وصل فيه مع صاحبه أبي عمار الاعمى الى جبل اوراس وزلا على النكارة بالتوالات (4) ، واجتمع الى أبي يزيد الخارجي القرابة وسائر المخواج وبايده على قتال الشيعة ، واتفقوا معه أن يصير الامر شوري بينهم ان هم تمكناً من الاستيلاء على المهديّة والقيروان (5) . وكان ذلك سنة

(1) ابن حيان : المفتبس ورقة 176 - 177 - ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثاني ص 43 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 177

(3) ابن عذاري : ج 1 ص 93 .

(4) التوالات جمع نوالة : ا��واخ تبني من القش والطين

(5) ابن خلدون : العبر 7 ص 28

331هـ / 942م عندئذ أقدم أبو يزيد على تفجير ثورة شاملة وغزا إفريقية فاسرع أهل إفريقية بالانضمام إليه وبخاصة أهل السنة منهم ، وهم زعماء المعارضة الدينية في البلاد وكانوا يرون في حرب الفاطميين انتقاما لهم وجهادا في سبيل الله (1) .

وأستطيع أبو يزيد خلال ثلاثة سنوات تقريباً أن يجتاج إفريقية وإن يقضى على نفوذ الشيعة في المغرب الأوسط والقصرين اثر سلسلة من العمليات الحربية ، أفنى فيها كثيراً من جنود الشيعة حتى وصل أبواب المهدية سنة 333هـ / 944م (2) .

لكن ظهور قبيلة صنهاجة ، وعلى رأسها زيري بن مناد وتحالفه مع الفاطميين ضد عدوهم المشترك قبيلة زناتة غيرت مصير الحرب ، إذ أنه أنقذ المهدية من استسلام محقق لابي يزيد ، وأخيراً كانت المعركة الضارية التي قررت مصير هذا الزعيم التكاري تلك التي وقعت عند أسوار مدينة القيروان سنة 335هـ / 946م وقد حاول بعدها أبو يزيد الكثرة عدة مرات لكنه لم يفلح ، إذ فر بعدها إلى جبال كيانة بالغرب الأوسط ، وأخفى عند بني بزال لكن جيوش المنصور بن القائم كانت تتبعه حتى قبضت عليه متأثراً بجراحه ومات سنة 336هـ / 947م وشغلت هذه الثورة عهد الخليفة محمد القائم ، وجزءاً من عهد ولده اسماعيل المنصور (324 - 341هـ / 945 - 952م) .

وكان أبو يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار ، يميل إلى الامويين في الأندلس ، فابن عذاري يذكر أنه في منسخ شوال من سنة 333هـ / 944م ، قدم على الناصر رسولان من أبي يزيد ، يحملان له أخبار تغلبه على مدينتي القيروان ورقادة ، وما جاورهما وايقاعه باصحاب الشيعي فيما ، وما يعتقد من ولاية الناصر واعتناق دعوته ، وتواصلت كتب أبي يزيد ورسله على قرطبة منذ ذلك الوقت إلى حين وفاته (3) .

وفي السنة التالية (334) جلس الناصر لدين الله لوداع السفارة الثانية التي أرسلها

(1) محمد الشاببي : دولة صاحب الحمار ، ونفوذه ، فصلة من كتاب المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية (المنعقد بتونس ما بين 18 - 29 مايو سنة 1963) .

(2) عن تفاصيل أحداث هذه الثورة راجع : الدرجيوني : طبقات المشايخ بالغرب ج 1 ص 96 وما يليها . ابن عذاري : البيان ج 1 ص 216 وما يليها ابن خلدون كتاب العبر ج 7 ص 26 وما يليها - د . عبد العزيز سالم المغرب الكبير ج 2 ص 622 مقال : محمد الشابي المرجع السابق .

(3) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 212

أبو يزيد إلى قرطبة ، وكانت تتكون من أهل القيروان ، وهم ثلاثة أفراد ، كثيرون منهم تبعهم بن أبي العرب التميمي ، فأجبتهم الناصر لما طلبوا وأذن لهم بالانصراف (1) .

ويشير ابن خلدون لهذه السفارة أيضاً بأن صاحب الحمار بعث رسلاً في وفد من أهل القيروان إلى الناصر الأموي صاحب قرطبة ويعلن التزامه الطاعة وال القيام بالدعوة لبني أمية ويطلب من العاشر الأندلسي أن يمدده بالعون والمساعدة (2) .

وارسل أبو يزيد سفارة ثالثة سنة 335هـ / 946م إلى قرطبة برئاسة ولده أبيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفريني الاباضي ، فأكرمه الناصر وأمر بازداته في قصر الرصافة ، وقد أعد له من الفرش والوطاء والغطاء والآنية والآلة فقام هناك تحت نزل واسع وفاخرة موصولة (3) ، وعند انصرافه أمدده الناصر بملحق كبير من المال ، لتعزيز مركز والده (4) .

ويتضح مما سبق أن الناصر لدين الله قد تدخل في الحرب إلى جانب أبي يزيد تدخلاً مباشراً وإيجابياً ، وأنه لم يقف عند حد التأييد السليبي فقط ، بل قدم للثورة كل ما تتطلبه الحرب من عتاد ومال ، وربما يكون قد أرسل بجيشه وقواده لساندة هذا التأثير الزناتي (5) .

وقد بلغت هذه الإمدادات والاعانات التي قدمها الناصر لصاحب الحمار مبلغًا كبيراً . إذ كان إلى جانب هذا يقوم بسلك التقدّم وضربها له في دار السكة بقرطبة . ولعل ذلك كان يكلفه جزءاً من ذهب الخزانة الأندلسية (6) ، وحتى أن أبي يزيد لم يكتب اسمه على الدينار ربما حتى لا يثير حفيظه أصحابه الخارج ولكي لا يرتتاب منه الناصر لبيان الله ، الذي كان يريد فعلاً بسط نفوذه على بلاد إفريقية والمغرب وطرد أعدائه

(1) نفس المصدر ج 2 ص 212 - 213 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 43 .

(2) ابن خلدون : كتاب العبر ج 7 ص 28 ، 29

(3) ابن عذاري : المصد السابق ج 2 ص 214 - ابن البار : الحلة السبراء الجزء الثاني ص 390 .

(4) أحمد مختار العبادي : دراسات ص 77

(5) راجع مقال محمد الشابي : دولة صاحب الحمار وتقوتها من 597

(6) وجد (25) قطعة من الدنانير الذهبية في مدينة القيروان تحمل تاريخ 333هـ . وطول قطر الدينار الواحد 18,9 مليم ووزنه 4,20 غرام كتب في =

التقليديين الادارسة والقواطم . والظاهر انه تحمل من أجل ذلك أعباء العرب الافريقية (1) .

وعلى الرغم من أن أبي يزيد صاحب الحمار استمر نحو خمس قرون من الزمن يقاوم الشيعة ويهدد كيان الدولة الفاطمية في أفريقيا والمغرب الا ان ثورته هذه انتهت اخيرا بالفشل وقضى عليها بقتله سنة 336هـ / 947م .

ولا أكون مبالغ اذا قلت بأن ثورة صاحب الحمار قد خدمت الفوضى الاموي في بلاد المغرب خدمة كبيرة فقد تقلص في عهدها سلطان الفاطميين الى مدينة المهدية ، وكادت ريحهم ان تذهب من أفريقيا والمغرب وبالتالي انتشر سلطان بنى أمية في هذا البلد انتشارا كبيرا .

وفي سنة 943هـ / 332م اخرج الناصر لدين الله قائده « قاسم بن محمد » الى المغرب لحرب بنى محمد الادارسة ، لما اظهروا الخلاف عليه ، وبعث الكتب الى وئييه محمد بن الخير بن محمد زعيم زناته وغيره من أمراء القبائل البربرية الموالية له يأمرهم بالاستعداد لذلك ، وعبر القاسم البحر الى مدينة سبتة في النصف الاول من ربيع الاول . فلما تبين لأبي العيش بن محمد ، قドوم الاسطول ، اسرع الى اعلان الطاعة لصاحب الأندلس ، فعقد له القاسم الامان على نفسه ، وانفذ أبو العيش ابنه محمدا رسولا الى قرطبة ليؤكد ولاء والده فاحتفل الناصر بقدومه ، واستقباله استقبالا كبار رجال الدولة وأدناه من مجلسه في قصر الزهراء ، وبالغ في تكريمه ومكث الرسول عنده نحو السنة (2) .

وأثناء استقبال الناصر لمحمد بن أبي العيش دخلت عليه وفود أخرى من الادارسة أمراء المغرب ، وانعقد في نفس اليوم كتاب أمان محمد بن ادريس ثم انصرف الوفد بعد أن أكد التزامه بالطاعة ، عائدا الى بلده (3)

---

= وسطه وزيرا الله لا حكم الا الله الا الله وحده لا شريك له الحق المبين» اما الوجه الثاني الطرق الاول فكتب عليه : «الذين آمنوا به وغزروه وتصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون» الطرق الثاني كتب عليه « محمد رسول الله بالهدى ودين الحق يظهره على الدين كله الوسط : العزة لله رسول الله خاتم النبيين وهذه الآيات ما هي الا شعار الخوارج انظر : محمد الشابي : المرجع السابق ص 601 / 600 .

(1) محمد الشابي : المرجع السابق ص 602

(2) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 213

(3) نفس المصدر والصفحة - ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثاني ص 43 .

وفي عقب شوال من سنة 333هـ / 944م قدم على الناصر رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي أمير زناته في المغرب الأوسط ، ومعه رسول «حميد بن يصل» المكناسي يعلمان الخليفة الناصر لدين الله بما أحرزاه من نصر على اعدائه في «تاهرت» اذ تم لهما دخولها وأقامة الدعوه للناصر بها (1) .

وفي سنة 333هـ / 924م أمر الخليفة الناصر لدين الله قائده محمد بن رماحس عامل المرية بالخروج على راس الأسطول الى العدوة الغربية لتأديببني محمد الادارسة ، الذين خلعوا الطاعة فتوجه محمد في ذي الحجة مزودا بخمسة عشر مركبا حربيا وشينين وفتاش ويرفنته قاسم بن طملس وعدد كبير من المحشم الى مدينة سبتة ، وعندما شاهد الادارسة القوات الاندلسية اسرعوا مقدمين الطاعة ومرسلين الرهائن مع محمد بن عبد الله بن أبي عيسى القاضي . وكان محمد بن رماحس قد استخلف مكانه على الولاية بكل من ابنه عبد الرحمن وقاسم بن عبد الرحمن بن مطرف ولا انتهى من مهمته عاد الى عمله في المرية (2) .

وفي عام 336هـ / 947م وصل الى قرطبة حميد بن يصل المكناسيقادما من المغرب فاستقبله الناصر لدين الله استقبالا رسميا وأكرم مورده وأجمل موعده (3) . وفي السنة التالية جلس الناصر بقصر الزهراء لاستقبال الوفود التي وصلت الى قرطبة من المغرب في هذه السنة (337هـ / 948م) فدخل اليه «حميد بن يصل» ، ثم وصل بعده منصور ، وأبو العيش أبنا أبي العافية ، ودخل معهما حمزة بن ابراهيم صاحب جزائر مزغنى ، فوصلتهم الى نفسه وكساهم جميعا ثم اذن لهم بالانصراف الى بلادهم (4) ولا وصلت الى قرطبة أخبار انتقاضبني محمد الادارسة للطاعة أمر الناصر لدين الله قائديه أحمد بن يعلى ، وحميد بن يصل المكناسي بالخروج اليهم ، فخرجا من قرطبة للنصف من شهر رجب ، وعندما وصلوا بقواتها الى الجزيرة الخضراء قدم

(1) نفس المصدر والصفحة

(2) العذری : تربيع الاخبار ، ص 82

(3) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 215

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 215

رسول من عند الادارسة الحسينيين يؤكد طاعة قومه ، والانتقاد لامر الناصر في هدم مدينة «تطاون» التي لم يكن راضيا عن بنائها .

ثم وصل محمد بن أبي العيش الى الناصر لدين الله رسولا من قبل أبيه فاستقبله الناصر ، ولم يلبث محمد وهو في كنف العاهل الاندلسي ان وردت مسامعه خبر وفاة أبيه أبي العيش ، فأدناه الناصر منه وعزاه بوفاة والده ، وعقد له على عمله وصرفه سنة 337هـ / 948م الى بلده ، وكان ابن عمه «جنون» قد سعى الى بلده فاحتوى على ماله وأهله بعد وفاة أبيه أبي العيش واستولى على زمام الامور ، وعندما أقبل محمد من الأندلس سمعت المغاربة من أنصار محمد بذلك رجعوا الى عيسى بن جنون ، وقتلوا أكثر أصحابه وسلبوه ما كان قد أخذه من ابن عمه ولم يخلصه منهم الا سرعة جواده مع سبعة من فرسانه (1) .

وفي نفس العام (337هـ / 948) قدم الى قرطبة أحمد بن الأطرابلي البوري بن موسى بن أبي العافية ليخبر الناصر بما جد في بلاد المغرب فقد استطاع الخير بن محمد بن خزر وأخوه حمزة وعمه عبد الله ومعهم يعلى بن محمد منبني يفرن أن يحتلوا مدينة «تاهرت» بعد معارك شديدة مع حاميتها التي استنصرت بميسور الفتى القائد الشيعي الذي عجز عن رد الهجوم بل أخذ اسيرا مع مجموعة من أصحابه ووقع ايضا في أيديهم عبد الله بن بكار اليفرني الذي كان قد نقض طاعة الناصر ، وتعلق بحبال الشيعة وخطب ودهم وصلتهم (2) .

ثم وصل وفد آخر الى بلاط الناصر يتكون من ابني البوري بن موسى المكتاسي ورسول من الخير بن محمد الزناتي يحملون انباء هذا الانتصار وهوقطع دابر الشيعة من مدينة تاهرت فقرىء كتابهم بجامعي قرطبة والزهراء (3) .

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 216

(2) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 216 - ابن خلدون : العبر ج 7 ص 54

(3) ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 217

وفي آخر جمادى الآخر من سنة 343 هـ / 954 م وصل إلى قرطبة فتوح بن الخير بن محمد بن خزر رسولاً من قبل أبيه ومعه عدد من وجوه تاهرت ووهان ، يحملون رؤوس قواد المغاربة الشيعيين يتقدمها رأس ميسور الشخصي ورأى محمد بن ميمون وغيرهما من رؤوس اعلام الشيعة وقوادهم عشرة من بنودهم أخذت منكسة معها عدد من الطيول ، فرفعت هذه الرؤوس والبنود والطيول على باب قصر قرطبة ، واسع عبد الرحمن الناصر اكراماً على الوفد (1) .

على أن التزاع بين الفاطميين والامويين ، الذي ظل فترة طويلة يعتمد على الحرب الباردة القائمة على التسلح ، واحتلال المواقع الاستراتيجية الهامة ، وإثارة الفتنة بين قبائل البربر ، وتدمير المؤامرات والدسائس من خلف الستار ، أى أنه كان عبارة عن صراع مسلح بين المغاربة المواليين للفاطميين ، والمغاربة المؤيدون للامويين في الاندلس ، ولم تتحدد النصوص حتى ذلك الوقت عن نشوب حرب فعلية و مباشرة بين قوات الخلافتين المتنازعتين سواء منها القوات البرية أو القوات البحرية إلى أن تطور الأمر بينهما في سنة 344 هـ / 955 م ، فاتخذ العداء مظهراً قوياً في عهد المعز لدين الله الفاطمي ، حيث لم تمض على توليه الخلافة ستين فقط واشتعلت نيران الحرب بينه وبين العامل الاندلسي ولم تقطع إلا في فترات ، وقد وصف لنا نص تاريخي ابتداء هذه المعركة بأن الناصر لدين الله أنشأ مركباً وسيره نحو الشرق يحمل أمتعة بقصد التجارة فلقي في البحر مركباً فيه رسول من صقلية إلى المعز لدين الله الفاطمي فقطع عليه المركب الاندلسي الطريق ، وأخذ ما فيه ، كما أخذوا الكتب الموجهة للمعز وبلغ ذلك صاحب المهدية فجهز اسطولاً إلى الاندلس وقوده الحسن بن علي عامله على جزيرة صقلية فوصل الأسطول إلى المرية وأحرق جميع ما في مينائها من المراكب ، وأخذ الحسن ذلك المركب الكبير بعد عودته من الاسكندرية وفيه جواري وغنيمات وامتعة لعبد الرحمن الناصر لدين الله صاحب الاندلس ، ونزل من في الأسطول إلى بر الاندلس ، فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهدية (2) .

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 218

(2) ميشال اماري : المكتبة الصقلية ، ص 411 / 412 ط لبسا 1887م - مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، ج 4 القسم =

ويبدو أن الدافع الأساسي الذي جعل المعز لدين الله يتقمّ من الاموين في هذه المعركة هو تلك الرسالة التي استولى عليها قائد المركب الاندلسي من سفينة الفاطميين ويرجح المستشرق دوزي أن تكون هذه الرسالة تتضمن خطبة مدبرة لهجوم فاطمي على الاندلس ، والظاهر أن قائد السفينة الاندلسي كان على علم بخطورة هذه الرسالة فلم يتردد في الاستيلاء عليها (1) .

وكان رد فعل عبد الرحمن الناصر لدين الله أن أمر باطلاق اللعنة على ملوك الشيعة على جميع منابر الاندلس ، وانفذ الكتب بذلك إلى سائر عماله (2) ولم يلبث عبد الرحمن أن جهز اسطولاً وأمره بالخروج إلى بلاد افريقيا ، فلما وصل إلى شواطئها خرجت إليه عساكر المعز فاقتتلوا قتالاً عنيفاً ثم عادوا إلى الاندلس (3) . والظاهر أن هذه الحملة لم توقف في غاراتها على سواحل افريقيا فعادت ادراجها (4) . لذلك أمر الناصر لدين الله مملوكيه غالب بن عبد الرحمن الناصري بالابحار في اسطول كبير في السنة التالية (345هـ / 956م) نحو شواطئ افريقيا ، وكان هذا الاسطول يتكون من سبعين سفينه فهاجم مدينة الخزر (القائمة حالياً) واضرمت النار فيها كما اتجه نحو منطقة طبرقة غرب مدينة بتورت التونسية وتعداها إلى مدينة سوسة شمال مدينة المهدية فخر بها (5) ، هذا وعلى صعيد المغرب الأقصى والأوسط لم يتوقف الناصر لدين الله عن امداد قواه ومواليه بالجنود والأسلحة والأموال ، لمقاومة جيوش الشيعي المعز لدين الله الفاطمي ، وتجريد اسطوله نحو الموانئ المغربية حتى يرهب عدوه ، ويؤدب الادارسة الذين ما انفكوا يعلنون عصيانهم كلما ستحت الفرصة لذلك ، فابن عذاري

التاني ص 199 - راجع د . احمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم : البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ص 65 ، د . محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص 219 وما يليها . دار الفكر العربي 1967 .

(1) Dozy : Histoire des musulmans d'Espagne , T. 2., p. 165

د . احمد مختار العبادي : دراسات ص 80 - حسن ابراهيم حسن ، طه شرف : المعز لدين الله ص 39 .

(2) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 220 .

(3) ميشال اماري : المرجع السابق ص 414

H Ibrahim Hassan · Relation , p. 22. (4)

(5) ابن عذاري : البيان ج 1 ص 221 - انظر : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ج 4 ص القسم الثاني ص 208 حيث يذكر ان عدد الاسطول بلغ (90) سفينة .

يشير الى أنه ورد كتاب الى الناصر ل الدين الله سنة 344هـ / 955م من يصل بن حميد قائد في أرض المغرب يخبره بما تم له من نصر على الجيش الفاطمي ، وقد قتل من رجاله العدد الكبير ، كما يذكر أيضا أنه وصل في نفس الوقت الى قرطبة أبن عم حميد بن يصل ومعه ستة وثلاثون رجلا من وجوه قبيلة كتامة الذين لجؤوا اليه فارين من جيش المعز ل الدين الله ، جاءوا الى قرطبة يعلنون طاعتهم للناصر ، فجلس لهم على سريره بقصر الزهراء واستقبلهم استقبلا حسنا ، وأمر لهم بالخلع ، ووصلوا بصلات جزيلات وأمروا بالرجوع الى القائد حميد بن يصل (1) .

وفي سنة 345هـ / 956م خرج القائد قاسم بن عبد الرحمن من قرطبة الى حميد بن يصل في بلاد المغرب حاملا له أحد عشر حملا من المال ، واحملا أخرى من العدة ، لتقوية الجيش في دفاعه عن نفوذ الخلافة الاموية في المغرب وقد وصل اليه في الخامس من شهر صفر من السنة المذكورة ، واستطاع حميد بعد هذه الامدادات ان يستولى على منطقة تلمسان (2) .

لم يسكت الخليفة الفاطمي المعز ل الدين الله عن هذه الغارات التي وجهها صاحب الاندلس الى سواحله ، كما لم يبق مكتوف الايدي امام ما يقوم به من توسعات في المغاربة الاقصى والاوسيط ، فاضطر في سنة 347هـ / 958م (3) ان يبعث قائده جوهرا ، الصقلي الى المغرب لاخضاع البربر لسلطان الفواطم والقضاء على النفوذ الاموي فيه ، وقد نجح جوهرا في اكتساح المغرب الاوسط والاقصى واخضاع البربر لسلطان مولاه (4) ، ولكنه لم يستطع أن يحتل القواعد الاموية الساحلية . فابن عذاري يذكر أنه وصل الى مضيق سبتة ولكنه لم يقدر عليها ، فتوجه نحو سجلماسة ، فدخلها وقتل أميرها محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله .

وبقي جوهرا يجول في ارجاء المغرب نحو السنة ثم عاد بعدها الى افريقيا (5) . وقد حرص عاهل الاندلس على أن يبعث صاحب شرطته القائد أحمد بن يعلى على

(1) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 220

(2) ابن عذاري / البيان ج 2 ص 221

(3) نفس المصدر ج 1 ص 222 - العيون والحدائق ج 4 القسم الثاني ص 213 213 .

(4) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص 5

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ج 1 ص 222

رأس الأسطول الى السواحل الخاصة لسلطان الشيعة ليؤازر مواطنه ضد هجوم جرهر الصقلي . ولا وصل احمد بن يعلى الى مدينة «آسلان» - من عمل تلمسان - وجد القائد الشيعي جوهر قد قتل يعلى بن محمد بن صالح اليفريني صاحب مدينة «افكابان» بتلك التواхи غدرأ ، فعاد الى قرطبة وبرفقته ولد ابن فرة ابن عم يعلى بن محمد المقتول ، الذى قدمه قومه ببني يفرن عليهم . فبالغ الناصر في اكرامه (1) .

ولم يكتف صاحب الأندلس بهذا بل أوصل الى نفسه حربز بن منذر في جماعة من وجوه الموالى والعرفاء ، ورجال الجندي يأمرهم جميعا بالخروج الى مدينة «سبتة» مع فتاه «بدر» صاحب السيف ليتصدى لحملة جوهر الصقلي في بلاد المغرب عبروا الى «سبتة» ومكثوا بها الى ان تحول جوهر عنها ، فانصرفوا بعد ذلك يتقدمهم بدر عائدين الى قرطبة في اواخر ذي الحجة سنة 348هـ / 959م (2) .

ولا يفوتي أن أشير الى أن الناصر للدين الله كان له اصدقاء ومؤيدين في جنوب افريقية ، حيث تسكن مجموعات من الخوارج الاباضية التي كانت تدين بالولاء المذهبى والسياسي للرسطينيين - حلفاء بني امية - في تاهرت ولا انقرضت هذه الدولة على يد الفواطم ، صار هؤلاء الخوارج يدينون الى مشايخ العلم «والعزابة» . الذين كان لهم تنظيم اداري وديني خاص ، لا يخضع للسلطة المركزية الفاطمية (3) . ورغم انهيار السلطة السياسية للاباضيين فان القوة المذهبية ؛ ظلت كما هي عليه من قبل لم تضعف رغم الاضطهاد الشيعي لهم .

وكان شيخهم في ذلك الوقت أبو القاسم يزيد بن مخلد الاباضي ، قتله العز الدين الله الفاطمي لادتيابه منه في أنه يعمل في السر للقضاء على دولته ، فثارت ثائرة

(1) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 222 ، مفاخر البربر ص 4

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 222 / 223 .

(3) العزابة هيئة دينية تمثل أعلى سلطة دينية في المجتمع الاباطي لها سلطة روحية مطلقة وقرارها غير محدود وغير مردود ، منهم الخطيب والمفتى ، والمؤذن ، بل كل الوظائف الدينية تتجسم في هذه الهيئة ويتعذر اختصاصها احيانا الى الامور الدينية ، ويمر اعضاؤها بمراحل حيث ينتهيون اعضاء في هيئة «الاروان» أو الطلبة وهي ادنى سلطة تكون من الطلبة الحفظة للقرآن الكريم الى ان يصلوا الى مجلس العزابة وليس للتسمية مدلوك اجتماعي كما هو عند المسيحيين القساوسة ، فالعزابة يتزوجون ويمارسون حياتهم الدينية على اسع نطاق .

الاباضية لقتله ، ويصف ذلك الدرجيني بقوله : «ولما قتل ابو القاسم عظمت المضيّة فيه عند جميع أهل الدعوة ، وبلغ فيهم قتل مبلغاً عظيماً» (1) . فأخذوا يمهدون لثورة شاملة ضد الفواطم ، وارسلوا بعض المشايخ الى مختلف مناطق تجمعات الاباضية في مزارة ورجلان والزاب ونفوسه وطربلس ، وجربة وغيرهم يحفرون الهمم ضد الفواطم وبوغردون الصدور عليهم ، ويجمعون الأموال والسلاح والرجال للقضاء على الفاطميين ، وقد تزعم هذه الحركة شيخان من كبار-شيوخ الاباضية في ذلك الوقت هما : أبو نوح سعيد بن زغيل ، وأبو خزر يعلا بن زلتان (2) .

اجتمع هذان الشيخان مع بقية شيوخ الاباضية واتفقوا على مكاتبةبني أمية في الاندلس ، بشأن المعز لدين الله الفاطمي ، ويلتمسون منهم المساعدات ويدرك الدرجيني بقوله : «فاتفق رأى الشيخ واصحابه على ان يكتباً بني أمية في شأن ابى تميم (المعز لدين الله) ويستنهضوهم ليكون قيامهم عليهم ، وبنو أمية بجزيرة الاندلس ، فأمرروا ابا نوح بأن يكتب الكتاب فكتبه عنهم بما أرادوا من الرأى ، ووجه الكتاب الى بني أمية فأخذ الكتاب في الطريق ، فانتهى به الى أبي تميم فقرأه فزاد حنقها» (3) .

### تحالف الناصر مع اعداء الفواطم من ملوك الغرب والشرق :

سلك الناصر لدين الله سياسة اسلافه في محالفه اعداء اعدائه من اباطرة الشرق وملوك الغرب ضد الدولة الفاطمية فقد تحالف مع ملك ايطاليا «هوج دي بروفانس Huges de Provence الذي كان يرغب في الانتقام من الفاطميين بسبب توجيه الخليفة الفاطمي الثاني أبي القاسم القائم قائده على بن اسحاق الى جنوب ايطاليا حيث ضرب ميناء مدينة جنوة (4) .

(1) الدرجيني : المصدر السابق ج 2 ص 127

(2) الدرجيني : المصدر السابق ج 1 ص 127 ، الشناخي : السير ص 349 عبد العزيز مجدوب الصراع المذهبى ص 215 .

(3) الدرجيني : طبقات المشائخ في المغرب ج 2 ص 127-الشناخي : كتاب السير ، ص 349 نسخة بخط مغربي .

(4) ابن ابي دينار : المؤنس ص 51

وكذلك تحالف مع إمبراطور بيزنطة قسطنطين السابع الذي كان هو الآخر يريد أن يعيد جزيرة صقلية إلى حظيرة الإمبراطورية ، فقد استقبل الناصر لدين الله سفارة هذا الإمبراطور في شهر صفر سنة 338هـ / 949م ، وكان يوم وصولهما إلى قرطبة يوماً مشهوداً وقد أشادت به المصادر الأندلسية وبالاحتفالات الفخمة والحفاوة البالغة التي استقبلت بها<sup>(1)</sup>.

وتشير بعض المراجع إلى أن الناصر لم يقف عند هذا الحد ، بل استعان ببعض سفن ملك ليون Léon لاستعمالها في هجماته على السواحل الأفريقية<sup>(2)</sup>.

كما تؤكد بعض المصادر الفاطمية عن وجود اتفاق بين الناصر لدين الله وأمبراطور بيزنطة على محاصرة الدولة الفاطمية وتطويقها من الشرق والغرب ، ويقول في ذلك القاضي النعمان : «بعد أن كتب الناصر إلى طاغية الروم يسألة النصرة ، وأهدى إليه هدايا وارسل إليه رسلاً من قبله فأجابه إلى ذلك ، وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية ، ومراكببني أمية من الاندلس»<sup>(3)</sup>.

والظاهر أن المصادر الإمامية كانت مغالبة في حكمها على هذه المعاهدات التي أبرمت بين الناصر لدين الله ، وأباطرة بيزنطة ، إذ رمته بالتوافق العربي المشترك مع دولة مسيحية ضد الفاطميين ، والراجح أنها كانت على غرار المعاهدات السابقة التي أبرمت بين الأمير عبد الرحمن الأوسط ، والأمبراطور البيزنطي ثيفيل سنة 225هـ / 840م . وهي تقوم على ترك الحرية لأصدقاء الدولة الاموية في قتال عدوهم المشترك لكن فيما يبدو بدون ارتباط معهم في العمليات الحربية<sup>(4)</sup>.

كما عمل الناصر لدين الله على توطيد صلاته وعلاقته مع الأئشيديين في مصر ، فقد بعث إليهم مبلغاً من المال يقدر بعشرة آلاف دينار لتوزيعها على فقهاء المذهب المالكي لمحاربة الدعوة الشيعية هناك ، والجدير باللحظة هو أن صاحب المدرسة

(1) المقري : نفح الطيب ج 1 ص 343 وما يليها.

(2) H. Ibrahim Hasan: Relation, p 22

(3) القاضي النعمان : كتاب المجالس والمسائرات ج 1 ص 226 منخطوط بمكتبة آداب القاهرة تحت رقم 26060 د . أحمد مختار العبادي : دراسات ص 78 - د . حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : المعرز لدين الله ص 40.

(4) د . احمد مختار العبادي : المرجع السابق ص 78.

المالكية في مصر في تلك الفترة من أصل اندلسي هو أبو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي ، وكان هذا العالم المالكي ينتمي مذهب الفاطميين وتصوفاتهم ، ويتنى الموت قبل أن يرى أقدامهم تطاً أرض مصر ، وبالفعل فقد ادركته المنية قبل احتلالهم لها بنحو ثلاثة سنوات أي سنة 355 هـ / 946 م (1) .

وقد ذكرت قبل هذا كيف أن صاحب مصر ، كان على اتصال بمحمد بن خزر زعيم زناته ، وكيف أنه عبر له عن سروره ورضاه برسالة أرسلها له بمناسبة مبايعة عبد الرحمن الناصر ، وهكذا حرص عبد الرحمن على احاطة نفسه بالاصدقاء والخلفاء ، الذين اشتركوا جميعاً في عدائهم للفاطميين ، ليضمن لنفسه استمرار مقاومتهم ومحاولتهم طردتهم من المغرب ، وهذا ما حدث ، فقد شعر الفاطميون بأن أرض المغرب غير مستقرة تحت أقدامهم وأن الخطر يحف بهم من جميع النواحي ، ولا سيما من جهة أولئك البربر المغاربة ، وكثرة تقلباتهم وغاراتبني أمية ودسائسهم ومؤامراتهم ، وعليهم أن يتداركوا هذا كله ، فيبدأوا يفتشون عن مكان آخر يكون أكثر الأمان واستقراراً لهم (2) . أما عبد الرحمن الناصر فقد نجح في سياساته التي سلكها مع المغاربة فغدت بلاد المغرب الأقصى وجزء من بلاد الجزائر (المغرب الأوسط) تحت سلطانه .

(1) ابن البار : الحلقة السيراء ج 1 ص 201 ، والحاشية رقم (1) د . محمود على مكي : التشيع في الاندلس ، ص 32 - د . احمد مختار العبادي : دراسات ص 79 .

(2) راجع الدرجيني : المصدر السابق ج 2 ص 138 - حيث يذكر توصية المعز الدين الله لبلكين بن زيري عندما عزم الرحيل إلى مصر وقال له : «أسفني أولاد المجروس زناته وزمانه وأعلم أنني تركت لك باغريقية مائة ألف متزل فمتي همت بمحاربة عدو فاجعل على كل متزل فارساً واحداً فانك تكتفي بذلك حرب من تزيد حرية ويريد حربك» .



## الفصل الثاني

### سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله ( 350 - 366 هـ / 961 - 976 م )

اعتل الحكم المستنصر بالله دست الخلافة بعد وفاة أبيه عبد الرحمن الناصر للدين الله ، سنة 350 هـ / 961 م ، وهو كبير السن ، اذ بلغ من العمر سبعة واربعين سنة أو ثمانية واربعين ، وهذا راجع الى طول حكم أبيه ، حتى كان الناصر للدين الله يمزح معه دائمًا ويقول له : «لقد طلتنا عليك يا أبا العاصي» (1).

الا أنه فيما يبدو ، كان خبيراً بشؤون الحكم والدولة ، لأن أباه كان يشركه في تدبير أمورها ، خلال فترة عهده الطويل ، الذي امتد نحو خمسين سنة .

كان الحكم حسن السيرة عادلاً عالماً شغوفاً بالعلوم والقراءة ، حريصاً على اقتناء الكتب النادرة ويتضمنها ، من مختلف الأقطار والبلدان ، مما كلفه ذلك من ثمن ، وغالباً ما كانت تأتيه التواлиفات من المشرق قبل أن يطلع عليها إهلها هناك .

فقد كان له وراقون ، وعملاء في كل من بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها ، ينتخبون له الكتب ، المختلفة في العلوم والفنون والآداب وينسخونها له (2) .

ونتيجة لهذا الإهتمام العلمي الذي بذله الخليفة الأموي بقرطبة تكونت لديه مكتبة ضخمة بالقصر الخليفي بمدينة الزهراء ، ضمت نحو أربعون ألف مجلد ، في مختلف العلوم والفنون والآداب ، وما يترى في الانتباه ان معظم المصادر تجمع على

(1) ابن البار : الحلقة السيرية ج 1 ص 200

(2) ابن البار : المصدر السابق ج 1 ص 202 - عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 61 - المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 362 .

أن الخليفة المستنصر بالله ، إطاع على هذه المؤلفات كلها ، ولم يكتف بقراءتها فقط ، بل كان يعلق على هواشمها بخطه (1).

ولم يقف عند حد اصطياد الكتب والتاليف فحسب ، بل تعدى ذلك إلى استقطاب رجال العلم والآدب ، من أنحاء العالم الإسلامي إلى عاصمته (2) ، وأخذت عليهم العطايا واباح لهم خزانة الكتب يطلعون عليها ، سواء منهم العلماء المسلمين أو غيرهم .

وله أيضاً نوحاً أخرى خيرة ، تجلّى في الأعمال الجليلة التي قام بها خلال فترة حكمه ، مثل تيسير العلم والتعليم المجاني للجميع ، إذ أنه فتح عدة كنائس بقرطبة ، وارباضها لابناء القراء يتلقون فيها مبادئ القراءة والكتابة وأصول الفقه وحفظ القرآن دون مقابل (3) .

أما الأعمال العمرانية فقد أخذت شأواً كبيراً في عهده ، وأهمها تلك الزيادة التي أحدثها في المسجد الجامع بقرطبة من جهة القبلة سنة 350هـ / 961م ، أي بعد توليه كرسي الخلافة مباشرة ، وهو دليل على التزايد المستمر لسكان العاصمة الاندلسية .

وعلى الرغم من هذه الابنشاءات العمرانية والخيرية المتباينة إلى جانب انشغاله بالقراءة ومطالعة الكتب ، ومحالسة العلماء ، وتيسير شؤون الدولة ، والرعاية ، كان يقوم بتجهيز الصوائف والشواتي بانتظام لجهاد المحسينين في الشمال ، وذلك للمحافظة على استقرار حدود دولته وثبتتها .

### سياسة الحكم المستنصر بالله المغربية

والظاهر أن الخليفة الحكم لم يتورع في أتباع سياسة أبيه عبد الرحمن الناصر في عدائه الشديد للفواطم ، وأتخاذ كافة الاحتياطات الازمة لذلك (4) .

(1) ابن البار : الحلة السيراء ج 1 ص 202 - عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 62 - المقرى : فتح الطيب ج 1 ص 371 / 372 .

(2) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ص 59 - المقرى : المصدر السابق ج 1 ص 371 . راجع كتاب الدكتور : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص 313 - 314 .

(3) انظر كتاب الدكتور احمد مختار العيادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 227 .

L. Provençal . Hisoire, T. 2., p. 195. (4)

وإذا كان موضوع البحث هو سياسة الحكم المستنصر نحو المغرب ، فلا مناص من أن نتطرق إلى نوعية هذه السياسة ، وأبعادها ومظاهرها وأثارها ، في العلاقة الأندلسية المغربية ، وما نتج عنها من احلاف وتكلمات متناقضة ، (1) زجت بالمغاربة في متاهة من الحرروب والصراعات الطويلة بين بعضهم البعض ، وهي أحدى مظاهر الانحطاط الاجتماعي والسياسي ، التي أدت إلى عدم وجود كيان مغربي موحد .

والحقيقة أن علاقات الاميين بالمغاربة ، تتوقف على نوع العلاقات بين هؤلاء المغاربة وبين الفاطميين في المغرب ، فالأميون في الأندلس كانوا يهتمون بشتى الوسائل ليتجنبوا الخطر الفاطمي الذي بات يهددهم ، بحيث صاروا يقنن تماماً بأنهم اذا لم يسهروا على دولتهم سهرا حازما سوف يطغى عليهم الفواطم الذين كانوا يتحينون الفرصة لذلك .

لهذا رغب بنو أمية في التوسيع ناحية بلاد المغرب أولاً وفرض نفوذهم عليه وإيجاد خط داعي أول في هذه المنطقة ثانياً كما عملوا على جذب الحلفاء والانصار إلى جانبهم من رؤساء القبائل وأمراء المغرب وتحريضهم ، على الدولة الفاطمية .

كانت الدعوة الاموية في المغرب قد بدأت تقلص ، وانقضى أولياً لهم إلى أعمال سبتة ، وطنجة ، بعد حملة الشيعة بقيادة جوهر الصقلي الموجهة للمغاربة الأوسط والأقصى ، وبوفاة الناصر لدين الله . لكن الحكم المستنصر بالله ، لم يترك الأمور تتدحر وتتفاقم ، وواجه الموقف بحزم وجدية فاتخذ قراراً يتعلق بالاحتياطات العسكرية وتحصين الواقع الاستراتيجية الازمة للأمن والتي يستدعيها الوضع الراهن فاستهل عمله بأن أسقط على أهل سبتة الوظائف المخزنية والمغارب السلطانية سنة 353هـ / 964م ، ثم خاطب أمراء المغرب ورؤساء قبائله ، سالكاً في ذلك الخط السياسي الذي رسّمه أبوه من قبل ، وكان أول من استجاب له ، زعيم زناته محمد بن الخير بن محمد بن خزر ، لما كان لأبيه وجده من ولادة للناصر لدين الله (2) .

(1) متناقضة لأنها كانت تعتمد على سيادة العصبية القبلية ، ورئاسة الأسرة ، اي ان هذه الاحلاف والتكتلات لم تكن تملك مقومات الدولة الراسخة المستقرة ، بل كانت تستند في سلطانها على حشود القبيلة وكانت تعبر في الحكم على قاعدة الاستبداد المطلق انظر : دول الطوائف للاستاذ محمد عبد الله عنان ص 46 - القاهرة 1960م . ومقال ابراهيم فخار : بنورزال ص 58 .

L Provençal : Histoire, T. 2, p. 185

(2) ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 55

وتصاعد عزم الحكم في حماية اعمال العدوة المغربية فحشد عزائم المغاربة ضد الفواطم ويسط آمامهم (1) بالترغيب تارة ، والترهيب أحيانا حتى انقاد اليه الكثير منهم ، وحرصا منه على تحصين حدوده الجنوبية ، فقد تحرك بنفسه سنة 353 هـ / 964 م من قرطبة الى المرية ، قاعدة اسطوله لمعاينة ما يجري بها من تحصينات ، ولتفقد احوال المجاهدين المرابطين بهذا الشغر البحري استعدادا منه لمواجهة أي هجوم قاطمي متوقع على الجبهة الشرقية للأندلس (2) .

كما عمل على تطوير الاسطول ، وضاعف في عدده وعدته اذ قفز عدد السفن من ثلاثة في عهد أبيه عبد الرحمن ، الى ستة قطعة في عهده ، وجعل من مدينة المرية مقرا رئيسا ، لهذا الاسطول الضخم لمواجهة الخطر القاطمي ، في حين جعل من مدينة اشبيلية مقرا ، للأسطول المرابط على سواحل المحيط لمواجهة الخطر النورماندي (3) .

ونتيجة لهذه السياسة الأموية ، فقد اسرع الادارسة العلويون الى تجديد الولاء والطاعة لل الخليفة الجديد . فهناك رواية المؤرخ المغربي ابن عذاري تذكر ، بأن الخليفة الحكم قعد على السرير بقصر الزهراء ، في النصف من شوال سنة 356 هـ / 967 م ، قعودا بهيا لاستقبال رسولين ، وصلا من امراء المغرب الادارسة ، لتجديد المبايعة ، والتزام الطاعة ، فأدنى الخليفة اليه هذين الرسولين واللطف جوابهما (4) .

وتتابعت الرسل والوفود على قرطبة من المغرب لتقديم الولاء والطاعة للعاهل الأندلسي . وتدعيم الصلة القوية بين المغاربة والأندلسيين . وتلتمس في نفس الوقت من حكومة قرطبة ، الامدادات والمساعدة العسكرية ففي المحرم سنة 360 هـ / 970 م احتفل الخليفة المستنصر بالله بقدوم ثلاثة رسل هم : عيسى بن محمد ، ومحمد بن العالى ، وحسن بن علي ، منبني محمد الادارسة امراء المغرب ، يجددون الولاء

(1) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص 6 .

(2) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 336 - 237 ، محمد عبد الله عنان - دولة الاسلام في الاندلس (الدولة العاصرية وسقوط الخلافة الاندلسية) ص 43 القاهرة 1958 .

(3) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية من 42 - 43 المغرب الكبير ، ج 2 ص 613 .

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 240 .

للاميين وطاعتهم ، ويطلبون منهم مساعدة عسكرية ، وايفاد بعثة تكون من الرماة ، لتعضيدهم وتقويتهم ضد أي هجوم مفاجيء . يتعرضون له من الجيش الفاطمي وحمل الوفد للخليفة هدية قيمة من خيل وجمال وغير ذلك ، فسر بها وقبلها احسن قبول (1) .

استمرت السيادة الفاطمية الاموية المشتركة سائدة في بلاد المغرب ، تطعمها روح المنافسة ، والعداء التقليدي بين بني هاشم ، وبين أمية من جهة ، وبين قبيلتي صنهاجة البرنسية ، وزناته البرتية من جهة أخرى (2) ، فالصناهجة حلفاء الفواطم بينما زناته مؤيدة للتفوز الاموي في المغرب . وأصبح الصراع في بلاد المغرب عبارة عن صراع بين صنهاجة وزناته ، وضرب بعضهما البعض . وبات واضحًا كل الوضوح ، ان البرانس فاطميون والبر أمويون (3) .

اما الفاطميون والأمويون ، فاقتصرتا على اثارة الفتنة والدسائس من وراء الستار (4) . حتى أصبح المغرب منقسمًا على نفسه يعيش في فوضى مظلمة تحت ظل الدسائس العديدة ، والحروب المتكررة ، الى النصف الثاني من القرن الرابع المجري / العاشر الميلادي ، حيث تمكنت صنهاجة أوبتي زيري ، من فرض سيطرتها باسم الدولة الفاطمية على القسم الشرقي للمغرب حتى نهر ملوية (5) .

اما القسم المتبقى منه ، وهو القسم الغربي من نهر ملوية الى طنجة ، فقد ظل يخضع لسيطرة زناته ، وحلفائها الامويين في الأندلس ، وهكذا حدث نوع من توازن القوى في المنطقة ، بين الخلافتين : الفاطمية المتمثلة في الزيريين ، والاموية المتمثلة في الزناتيين ، والظاهر أن وطأة الشيعة قد خفت بعض الشيء عما كانت عليه من قبل ، بسبب تحول مقر الدولة الفاطمية من افريقية الى مصر (6) .

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 241

L. Golvin : Le Maghrib central à l'époque des Zirides, recherches d'archéologie et d'Histoire, p 34.

(2) د . حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص 78 مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1957 م .

(4) د . احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ص 229

(5) ابن حيان : العبر ، ج 7 ص 59 - د . احمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص 83 .

Ch. A. Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, T. 2., p. 68. (6)

## انتقال مقاليد الأمور إلى صنهاجة في إفريقيا :

و قبل أن أتابع الحديث عن سياسة الحكم المستنصر بالله في بلاد المغرب ، رأيت أنه من الأهمية بمكان ، أن أقف وقفة قصيرة عند قبيلة صنهاجة أو بالأحرى عند بني زيري خلفاء الفواطم في إفريقيا والمغرب ، لتعرف على كيفية وصولهم إلى تأسيس دولة في هذه المنطقة ، دون غيرهم من القبائل المغربية الأخرى الموالية للدولة الفاطمية ، ولا سيما قبيلة كاتمة ، التي قامت الخلافة الفاطمية على اكتافها وبين ظهرانيها ، حيث ان صنهاجة أصبحت الطرف الآخر القوي المنافس والمناوئ ، للنفوذ الاموي في الشمال الإفريقي .

في بينما كان الخليفة الاموي الحكم المستنصر بالله يعمل بكل جدية ، على اتخاذ كافة الاحتياطات الضرورية لتأمين حدود بلاده الجنوبية من الغزو الفاطمي ، باكتساب تأييد زعماء المغرب ، كان الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بقصد تفريد مشروعه لاحتلال مصر . فقد بعث جيشاً كبيراً بقيادة «جوهر الصقلي» إلى بلاد النيل (مصر) سنة 358هـ / 969م ، وتمكن هذا القائد من احتلالها ، وأسس بها عاصمة جديدة ، أطلق عليها اسم «القاهرة المعزية» وقد وصف الدكتور أحمد مختار العبادي ، هذا الحدث بأنه فريد من نوعه ، إذ لم يسبق لمصر أن فتحت من حدودها الغربية ، إلا في أيام الفراعنة حينما غزاها اللويبيون أيام الاسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين (١) .

عند ذلك أصبح المعز لدين الله ، يهتم أكثر بالملوك الجدد يوليه عناية أكبر ، حيث اخذ يوجه أنظاره نحو المشرق ، ويعود نفسه للرحيل من بلاد المغرب ، الذي أصبح استقرار الفواطم به مصدراً للمتابعة وبقاوئهم فيه محفوف بالمخاطر ، أمام هجمات المغاربة المتكررة ووثباتهم وتقلباتهم السريعة ، وبخاصة انه تحقق له ما لم يتحقق لغيره من أسلافه رغم المحاولات الكثيرة في إيجاد مقر جديد أكثر مأمناً واستقراراً من بلاد المغرب .

ولما عزم المعز لدين الله على المسير إلى مصر ، أخذ يفكر فيمن يسند له ولاية المغرب

(١) د. أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ص 17 - دراسات ص 83 .

وقام باختيار ولاة أهل حلفائه (1) ، وأول من قصده من هؤلاء الحلفاء ليجس نبضه ، هو الأمير جعفر بن علي المعروف بالأندلسي صاحب مدينة «المسيلة» واقليم الزاب ، لكن هذا الأمير ، فشل في رده على الخليفة المعز لدين الله ، حينما عرض عليه الامر فقال للمعز : «ترك معي احد اولادك او اخوتك يجلس في القصر ، وانا ادبر ، ولا تسألني عن شيء من الاموال ، لأن ما اجيبيه ، يكون بازاء ما اتفقه ، واذا اردت امرا فعلته ، من غير ان انتظر ورود امرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ، ويكون تقليل القضاء ، والخرج وغيره من قبل نفسي» (2) .

فغضب المعز لهذا الرد ، الذي يوحى من البداية على رغبته في الاستقلال ببلاد المغرب ، فعبر عن ذلك بقوله : «يا جعفر : عزلتني عن ملكي ، وأردت أن يجعل لي شريكا في أمري واستبدلت بالاموال والاعمال دوني ، قم فقد أخطأت حظك ، وما أصبحت رشدك» (3) وخرج من مجلسه غاضبا .

وكان من بين القبائل الكبرى ، التي لها اتصال قوي بالفاطميين ، هي قبيلتي صنهاجة وكتامة .

اما زناتة فقد بذل الفواطم ، كل ما في جعبتهم من وسائل الاغراء والترهيب ، لكسب ولائتها وتحوilyها عن الامويين الا أنهم فشلوا في ذلك . واذا أردنا أن نتعرف على الوقت الذي ظهرت فيه علاقة صنهاجة بالدولة الفاطمية في المغرب لوجدناها مبكراً، اذ انه من صالح الدولة الفاطمية الناشئة ، مصانعة قوى المنطقة المحيطة بها ، لتكون درعاً واقياً لها ، وسندًا قوياً تستند اليه عند الحاجة .

اما بنوزيري زعماء صنهاجة ، فانهم اظهروا ارتياحهم لقيام هذه الدولة الجديدة كما اظهروا كياسة ولباقة ، في التعامل معها ، وخاصة حينما آثروا الاستمرار في سياسة تجنب الاصطدام معها ، حتى يحتفظوا بقوتهم حين يحين الوقت المناسب لذلك . فالدعوة الفاطمية في بلاد المغرب ، نشأت بين ظهرياني كتامة وجبالها ، وانتشرت

(1) راجع في هذا الصدد مقال : د . موسى لقبال : المعز الدين الله الفاطمي وجيل جديد من كتامة من خلال وثيقة فاطمية معاصرة ص 41 ، مجلة الاصلاء عدد 29/30 يناير فبراير 1976 م .

(2) المقرizi : اتعاظ الحنفيا بأخبار الانتماء الفاطميين الخلفا من 99 تحقيق د . جمال الدين الشيال القاهرة 1967 م .

(3) نفس المصدر والصفحة .

بفضل سواعد رجالها ، وأصبحت بذلك كتمة هي الدعامة القوية التي ترتكز عليها الدولة الفاطمية الناشئة وعصبها وسر قوتها .

وقد ادرك بنو زيري هذه الحقيقة ، وبدلًا من ان ينطروا على انفسهم ويقفوا من الفواطم موقفا عدائيا ، اخذوا يتربون منهم شيئا فشيئا ، ليحلوا محل كتمة ، التي بدأت تستترف قواها بسبب العروب الكثيرة التي خاضتها ، وقد عمل ايضا بنو زيري جادين على ان يظهروا للفاطميين الولاء والاخلاص الصادقين . ولعل بنو زيري ارادوا من وراء هذا العمل ان يبرهنو للفواطم عن قوتهم وجدارتهم بمنافسة كتمة واحتلال مكانتها ، ولاسيما وأن الكتمامين ما انفكوا يخرجون من معركة الا ويدخلون لأخرى ، حتى انتهت قواهم ونقص عددهم (1) ، وهذا ما تأكّد بالفعل حينما لعب بنو زيري دورا بالغ الأهمية ، في حصار أبي يزيد مخلد النكاري (صاحب الحمار) للمهدية اذ استطاعوا ان يفكوا الحصار على الفواطم وتخلصهم من يد الثوار (2) ، ومنذ ذلك الوقت استرعت صنهاجة انتباه اصحاب افريقية وأصبحت ساعدهم الايمن .

لم يجد المعز الدين الله بدا من التوجه الى زعيم صنهاجة «بلكين بن زيري» ، ليعرض عليه ولایة افريقية والمغرب . دون قبيلة كتمة التي وقفت هي الاخرى موقفا جافيا ، وعندها منه ، اشبه ما يمكن بموقف جعفر بن علي بن حمدون ، عامل مدينة المسيلة واقليم الزاب ، اذ بعث المعز الى شيخ كتمة رسولًا من امنائه يختبر حقيقة طاعتهم ولائهم ، وقال لهم : «ياخواننا قد رأينا ان ننفذ رجالا من قبلنا الى بلدان كتمة ، يقيمون بينهم ، ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها علينا في بلادهم ، فإذا احتجنا اليها انفذنا خلفها فاستعننا بها على ما نحن بسبيله» (3) .

عندئذ رد بعض شيوخ كتمة على رسول المعز بأتفة وكبراء قائلين له : «قل لمولانا ، والله لا فعلنا هذا أبدا ، كيف تؤدي كتمة الجزية ، ويصيّر عليها في الديوان ضريبة؟ وقد أعزها الله قديما بالاسلام ، وحديثا معكم بالإيمان ، وسيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب» (4) .

(1) مراجع عقبة العنای : علاقات الامارة الصنهاجية بغيرانها وأثرها في ليبيا ص 22 بني غازى بدون تاريخ .

(2) ابن الاثير : الكامل ج 7 ص 47 .

(3) المقربى : اتعاظ الحنفا ، ص 98 .

(4) المقربى : المرجع السابق ص 98

فعاد الرسول الى المهدية وأخبر الخليفة المعز بما دار بينه وبين الكتامين ، فأمر بالحضار جماعتهم وقال لهم : «ما هذا الجواب الذي صدر عنكم ؟» فقالوا : «نعم هو جواب جماعتنا ، ما كنا يامولانا بالذى يؤدى جزية تبقى علينا» (1) . عند ذلك قام المعز من شدة الغضب وادرك حقيقة كتمة ، بانها تريد ان تخليع عنها رداء الطاعة والولاء للفاطميين إن هم غادروا المغرب الى مصر ، أو هم قللوا من الامتيازات التي يتمتعون بها .

فعمل المعز على انهاء الموقف بقوله : «بارك الله فيكم فهكذا أريد أن تكونوا ، وإنما أردت أن أجربكم ، فانظروا كيف انتم بعدى اذا سرنا عنكم الى مصر ، هل تقبلون هذا أو تفعلونه وتدخلون تحته من يروم منكم ؟ والآن سرتموني بارك الله فيكم» (2) .

ولم يبق اذن سوى صنهاجة أمامه ، فبعث الى رئيسها يوسف (بلكين بن زيري) ، الذي كشف عن سياسة ماهرة في الحوار الذي دار بينه وبين المعز ل الدين الله ، يدل على نضوجه السياسي ووعيه الدبلوماسي . كما يدل أيضا على دهائه وكياسته ، فلعله كان يتحين الفرصة ويتتصيد لها اذ أخذ يجامل المعز ويخادعه ، حتى يحصل على ما كان ينشده ، فقد تصعن الخوف من هذه المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاته ، وهي ولاية افريقية والمغرب بكل ما فيه من فوضى سياسية واضطراب اجتماعي وتناقضات مذهبية ، فهي لم تتصف لاهل بيت رسول الله (صلعم) فكيف تصفو اذن ليوسف بلكين وهو صنهاجي ببربي ؟

هذا ما يتضح لنا من خلال الماقشة التي دارت بين الخليفة الفاطمي والزعيم الصنهاجي ، اذ قال له المعز : «تأهب لخلافة المغرب» ، فتضاهر بلكين بعدم القبول واكبر ذلك عليه وقال : «يامولانا انت وآباوك الائمة من ولد رسول الله (صلعم) ما صفا لكم المغرب ، فكيف يصفو لي وانا صنهاجي ببربي ؟ قتلتنى يامولاي بلا سيف ولا رمح ..» فلم يزل به المعز حتى قبل الأمر وقال : «يامولانا : بشرطة ان تولى القضاء

(1) المقريزى : المرجع السابق، ص 98

(2) المقريزى : اتعاظد الحنف، ص 98

والخارج من تراه وتحتاره ، والخبر من تثق به ، وتجعلني أنا قائماً بين أيديهم ، فمن استعصي عليهم أمروني به حتى أعمل فيه ما يجب ، ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين يديك» (1) .

فاستحسن المعز للدين الله الفاطمي جواب ي يوسف بل يكن بن زيري ، واعتبره يخدم مصالح الفاطميين في المغرب ، وشكراً على قوله هذا وعهد إليه بامارة المغرب ، والحقيقة ان صنهاجة هي المرشح الوحيد في هذه الآونة والجلدية بالقيام بهذا الدور الشاق لأن الكتامين - كما جاء من قبل - انهكوا قواهم في بناء اركان الدولة الفاطمية وانتشارها في المغرب ومصر.

أما جعفر بن علي ، فليس له عصبية تحميته وتذود عنه وعن مبادئ الشيعة ، وليس له وزن بين القبائل المغربية الرئيسية الثلاثة : كتامة ، وزناته ، وصنهاجة والظاهر ان الجفاء كان يسود العلاقة بينبني زيري أصحاب «أشير» ، وبيني حمدون أصحاب المسيلة ، بحكم الجوار في الأعمال ، والتنافس على السلطان ، وهذا ما سنعرفه بعد قليل .

ولما انصرف بل يكن من حضرة الخليفة بعد تسلمه ولاية المغرب استفسر أبو طالب أحمد بن عبيد الله ، وهو عم الخليفة وكان حاضراً المقابلة عن صدِّي اجابة الزعيم الصنهاجي ، وقال للخليفة : «يا مولانا : اوتقد بهذا القول من يوسف (بل يكن) وانه يعني ما ذكره ؟ فقال المعز : يا عمنا كم بين قول يوسف وقول جعفر ، واعلم يا عم أن الامر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه أمر يوسف ، فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر ولكن هذا أولاً أحسن وأجود من ذوي العقول ، وهو نهاية ما يفعله من ترك دياره» (2) . وقد جاءت اجابة المعز لعمه اعترافاً خصمتها منه بالسيادة الإقليمية لأهل بلاد المغرب (3) ، اذ كان المعز يعرف مسبقاً ما سيؤول إليه أمر المغرب بعد رحيله إلى مصر ، وأن المسألة لم تعد أكثر من كونها مسألة وقت فقط فبنوزيري سوف يستقلون بهذه المنطقة عن الفاطميين ، حسبما يرى الخليفة الفاطمي ، وهذا فقد اتخذ المعز للدين الله بعض الإجراءات لذلك حيث استثنى من اماراة الزيريين منطقة طرابلس ،

(1) المقرizi : اتعاظ الحنفی ص 99

(2) المقرizi : المصدر السابق ص 99 - 100

(3) د . ابراهيم العدوی : بلاد الجزائر ، ص 269

ووضع عليها أحد الكتامين (1) ، حتى يكون شوكة في ظهر صنهاجة ، واقطع منهم أيضا جزيرة صقلية ولي عليها أحد ثقاته الحسن بن علي بن أبي الحسن (2) ، ليكون اسطوله اداة طيعة في يد الفواطم يهددون به بني زيري متى شاءوا ، وبهذا يكون الخليفة الفاطمي قد عمل قدر استطاعته على الحد من شوكة صنهاجة ، حتى لا تستطيع الاستقلال ببلاد المغرب (3) .

وهكذا بدأت افريقيا والمغرب عهدا جديدا في ظل الحكم الصنهاجي ، وتجلت هذه المواهب الزيرية في الخطة التي رسماها شيوخ هذه القبيلة لأنفسهم ، للمحافظة على بقاء مقاليد الأمور في أيديهم ، اذ تابع زيري بن مناد وابنه بلکين من بعده سياسة مساندة الفواطم ، والتصدى للنشاط الزناتي الاموي ، اعداء الفواطم الالداء ، فاصطدم بهم ودخل معهم في صراع عنيف وطويل ، ترتب عليه قتل شيخ زناة محمد بن الخير بن محمد بن خزر في احدى المعارك ، التي دارت بينه وبين بلکين بن زيري ، في شهر ربيع الآخر سنة 360هـ / 970م (4) . وبعدها بخمسة أشهر فقط لقى زعيم صنهاجة زيري بن مناد نفس المصير ، في عملية انتقامية بالقرب من نهر ملوية ، دبرها له بنو خزر بالاشتراك مع آل حمدون امراء المسيلة ومواليهم بني برزال ، في رمضان سنة 360هـ / 970م . وهي السنة السابقة مباشرة لانتقال العز لدين الله الفاطمي لمصر (5) .

ثم بعثوا علي البغدادي كاتب جعفر بن علي رسولا الى الحكم المستنصر بالله ، يحمل له خبر مقتل زيري بن مناد ، وولاء آل حمدون وطاعتهم ويسأله الاعتصام بدعوته والاعتراف بحقه (6) .

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 317 – التویری : نهاية الارب ، ج 22 ص 137

(2) نفس المصدر والصفحة – التویری : المصدر السابق ، ج 22 ورقة 137 .

(3) حسن ابراهيم حسن وطه شرف : المعز الدين الله ، ص 66 مكتبة النهضة المصرية سنة 1947م .

(4) ابن حيان : المقنيس ، ص 38 – ابن الائیر : الكامل ، ج 7 ص 43 – مفاخر البربر ، ص 6 ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 243 – ابن خلدون : العبر ج 6 ص 315

(5) ابن حيان : المقنيس ، ص 36 – مفاخر البربر ص 6 – ابن عذاري : البيان ج 2 ص 242 . ابن خلدون :

(6) العبر ج 6 ص 316 – ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 242 .

ابن حيان : المصدر السابق ص 37

وكان جعفر بن علي عاملا على مدينة «المسيلة» واقليم الزاب للخليفة الفاطمي ، وأحد ثقاته البارزين في المنطقة ، والظاهر أنه فسد أخيرا ما بينهما بسبب منع المعز ثقته لقبيلة صنهاجة . وعقده لزعماء بني زيري ولاية المغرب وأفريقية كما جاء من قبل . وقد ترتب على ذلك حدوث جفاء وكراهة في العلاقة بينه وبين بني زيري ، والسبب فيما يبدو هو التنافس على الاعمال ، ونبيل الخطوة عند صاحب افريقية (1) .

وقد أدت هذه الضغينة الى مساعدة زناته ، وتحريضها على صنهاجة والظاهر انه كان يهاديهم من أجل ذلك ، وبعث لهم بأخبار بني زيري ربما تخص التواحي السياسة والعسكرية والاقتصادية ويحذرهم اذا ما علم بهم يريدون الهجوم عليهم .

ويشير الى ذلك ابن حيان بقوله : «.. الى ان قتل محمد بن الخير وأنخذ له فرسا من عنق الخيل . كان امامه معد بن اسماعيل ، صاحب افريقية قد حمل عليه جعفر بن علي فأهداه جعفر الى محمد بن الخير ، فارسل به زيري الى معد ، وبعث اليه بكتاب اصابها في بيت ابن خزر بخط جعفر بن علي يكتب بها زناته ، ويطلعهم على عورات زيري ويحذرهم منه متى اطلع أنه يريدهم .» (2) .

وكان المعز قد بعث الى جعفر بن علي فرجا الصقلبي يستقدمه الى المهدية ، فتظاهر بالخروج اليه ، بأهله وولده وعيده وعسكره وسلاحه وامواله واتجه نحو طريق القيروان ، ولكنه لم يلبث ان تحول نحو الغرب ومال الى زناته ولحق بها . واعلن بذلك عصيانه على القواطع وانحياشه الى بني أمية في الاندلس (3) .

ولما تمت هزيمة صنهاجة بعث جعفر بن علي أخيه يحيى بن علي ، وبعض شيوخ زناته امثال : عبدون بن الخير بن محمد بن خزر ، ومسعود بن عطية بن عبد الله بن خزر ومقاتل بن أبي خزرون بن أبي العزيز خزر ، رسلاً منه الى قرطبة ، يؤدون الطاعة باسمه ويؤكدون البيعة ، ويلتمسون العون والنصرة من عاهل الاندلس (4) ،

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 1 ص 315 ، انظر ايضا ابن حيان الذي يذكّر بأن صنهاجة كانت تتعدى على اعمال جعفر بن علي ويرجع السبب في ذلك لثاخمة حدود اعمالهما ، وكانت أيضا تحامل عليه وتسمى به للمعزنظر ابن حيان : المقتبس ص 37 . التويري : المصدر السابق ج 22 ورقة 136 .

(2) ابن حيان : المقتبس ص 35

(3) نفس المصدر ص 37 - التويري ج 22 ورقة 136 مفاجر البربر ، ص 7 - ابن خلدون : العبر ج 6 ص 315 التويري ج 22 ورقة 136 .

(4) ابن خلدون : المصدر السابق ج 6 ص 315

مصطحبين معهم رأس زيري بن مناد زعيم زناته المقتول ونحو مائة من رؤوس وجوه أصحابه (1) .

وقد شكل الخليفة الحكم المستنصر بالله ، وفدا كثيرا من رجال دولته لاستقبالهم والترحيب بهم ، فاستقبل « يحيى بن علي » بمرسى « محملة » - بالقرب من بجاية من قبل باجيت بن محمد وأحمد بن عبد الملك صاحب المخزول وحلَّ رجال زناته بمرسى « المرية » في شوال سنة 360 هـ ، وقدمت لهم هدايا كثيرة من خليفة قرطبة وهي عبارة عن ثمانية وستين فرساناً ونحو مائة وخمسين من البغال لحمل ثقابهم وضرائب من الوطاء والغطاء والقباب والخيام (2)

ولم يلبث جعفر بن علي أن عبر هو الآخر إلى الأندلس ، بعد شهر واحد فقط من وصول أخيه والوفد المرافق له إلى بلاط الحكم ، لاحقاً بهم ، فنزل بمرسى « بزليانة » (3) بكوره « رية » مرفوقاً باهله ومواليه وعيده ، فأمر الخليفة صاحب السكة والماريث قاضي أشبيلية ، محمد بن أبي عامر بالخروج لاستقباله ومعه هدية ثمينة من الخليفة إلى جعفر عبارة عن أربعة من عتاق الخيل ، وبغل اشهب مسروجين بسرور الخلافة وخمسين فرساناً من جياد الخيل لحمل فرسانه ومائتي زاملة لحمل انقاله ، وكثيراً من الأخبار والقباب وما شاكل ذلك مبالغة من الخليفة في تكريمه جعفر بن علي ورجاله (4) .

هذا وقد اسهمت المصادر في وصف ملامح هذا الاستقبال ، وحفاوته البالغة وتكريراً من الحكم المستنصر بالله طلقاء الواقفين خصهم باستقبال رسمي فجلس على السرير بقصر الزهراء محفوفاً برجالات دولته ، من حباب وزراء ، وقواد وأهل العلم والفقه والعدل وغيرهم من طبقات أهل الخدمة بالإضافة إلى عمال الأقاليم وقادات الثغور الذين جاءوا لمشاهدة هذا الحفل البهيج فقد اصطفت الجيوش بمختلف

(1) ابن حيان : المصدر السابق ص 40 - 45 - مفاخر البربر ص 8

(2) ابن حيان : المصدر السابق ص 40

(3) بزليانة : *Ventas de Bezmilliana* قرية تقع في الساحل الشرقي للأندلس على البحر الأبيض المتوسط تبعد عن مدينة مالقة Malaga بثمانية أميال : انظر كتاب المقتصي لابن حيان ص 41 حاشية رقم (1) .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ص 41 - 42 - ابن عذاري : البيان ج 2 ص 243 - 244 .

فرقها وصنوف اسلحتها وملابسها المتباعدة ، من رجاله وخيانة ، وفتیان وفرسان ومرتبين الى كتاب مصنفة ومنظمة تنظيما عسكريا جميلا (1) ، حتى أن الشعراء الهمتهم هذه المناظر البدعة فنظموا قصائد كثيرة بهذه المناسبة (2) .

قرب الحكم اليه كلا من جعفر ويعيسي وبني خزر ، ورفع منزلتهم ، تمشيا مع سياسة اصطناع الحلفاء التي رسماها أبوه من قبل ، وأخذق عليهم بالالطاف وأجرى على جعفر و أخيه يعيسي الف دينار دراهم (3) ، لكل واحد منها في كل شهر ، فضلا عن نفقات القمح وغيره ، وأجرى أيضا على بني خزر كثيرا من الاموال ، والقمح المعلومة وانفذ الى زناة بالمغرب الأوسط اموالا جزيلة وخلعا كثيرا مكافأة لها على هذا الانتصار (4) .

ولما وردت الانباء الى المعز لدين الله ، بحدوث هاتين التكتين معا وهي : خلع جعفر الأندلسي طاعة الفواطم ، ومقتل حليفه زيري بن مناد الصنهاجي وبهزيمة جيشه ، عظيم عليه ذلك وازعجه ، فعجل بتقليد بكلين بن زيري أعمال أبيه في منطقة «أشير» وأضاف له مدينة «تاهرت» والمسلية واقليم الزاب ، والاراضي التي

(1) ابن حيان : المقتبس ص 51 حول وصف هذا الاستقبال يقدم جعفر و أخيه يعيسي وزعماء زناة انظر كتاب : المقتبس لابن حيان ص 40 الى ص 57 .

(2) من بين هؤلاء الشعراء : محمد بن شخص الذي نظم قصيدة عينة طويلة مطلعها :  
بأيمان اقبال وأسعد طائر تباشير محشوم من الامر واقع  
توانت بملك من متقوض للك الى مهندى مروان راجع  
المقتبس ص 54 .

والشاعر يوسف بن هارون الشاعر الرمادي الذي انشد بهذه المناسبة قائلة :

ولقد عجبت لفعلة المستنصر اذا كشف الجيش اللهم لجعفر ولowan من اهواه يبرزوجه . قامت لواحظه مقام العسكري المقتبس ص 56 . ابن عذاري : البيان ج 2 ص 244

(3) دينار دراهم : اي يقدم لهم قيمة كل دينار بالدرهم ، وليس بالدينار الذهبي وقد اختلفوا فيما يساوى الدينار الذهبي من الدرهم . راجع : ابن حيان ، المقتبس ص 53 حاشية (3) تحقيق د . عبد الرحمن حجي راجع ايضا : ابو الحسن بن يوسف ضوابط السكة ص 140 وما يليها صحفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريدي العدد 1 - 2 مجلد (6) مدريد 1958 م .

(4) ابن حيان : المقتبس ص 53 - مفاخر البربر ص 7

سيتم فتحها على يده من بلاد زناتة ، وزوده بجيش كبير ، وأمره بالتوجه الى المغرب في أول سنة 361هـ / 971م<sup>(1)</sup> .

توغل «بلكين» في أراضي زناتة ، وأنزل بها هزائم مريمة ، وقتل منها العدد الكبير ، وأجلالها من المغرب الأوسط ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل أخذ يطارد قلوها الى ما وراء نهر ملوية الى احواز سبعة مدفوعاً في ذلك بعامل الكراهية ووازع الانتقام لأبيه ، ثم عاد بعدها الى أفريقيا ليودع المعز ويسلمه منه ولاية افريقية والمغرب<sup>(2)</sup> .

### ثورة الحسن بن جنون الأدريسي على الحكم :

كان الزعيم الأدريسي الحسن بن جنون بن القاسم<sup>(3)</sup> يوليبني أمية في الأندلس ، ويدانهم ، وأثناء حملة بلكين بن زيري الصنهاجي المذكور آنفاً - طمع الحسن في الوثوب باصحاب الحكم المستنصر بالله ، وحلفائه في المغرب ، وكشف بذلك النقاب عن نواياه الحقيقية ، وهي عداوته لحكام الأندلس ، ويشير الى ذلك صاحب كتاب روض القرطاس الى أن ميلوه الى صاحب قرطبة ، لم تكن عن حب صادق له ، وإنما كانت عن خوف منه لقرب المسافة بين أعماله ، في الريف المغربي وببلاد غمارة وبين بلاد الاندلس<sup>(4)</sup> .

لهذا وجدناه عندما اتيحت له الفرصة ، قام بثورة عامة تمكّن خلالها من احتلال مدينة طنجة ، وتطوان ، وأصيلا ، وسائر المنطقة الجبلية الممتدة شمال وادي لكونس واختار القلعة الشاهقة ، المعروفة بقلعة النسر أو حجر النسر في شمال شرق القصر الكبير مقراً لقيادته<sup>(5)</sup> .

(1) مفاخر البربر ص 8.

(2) مفاخر البربر : ص 8 - ابن خلدون : العبرج 7 ص 57

(3) اختلف في اسم هذا الزعيم الأدريسي ، فتارة تذكره المصادر بالحسن ابن قرون وأخرى بلکنون وأحياناً بجنون ، والحقيقة كما يرويها العالم المغربي الكبير عبد الله بن جنون ان الاسم يكتب بكلف عليها ثلاث نقاط وتعرف بالجاف وتنطق جيم باللهجة المصرية اي بدون تعطين جنون

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 60 ، السلاوي : المصدر السابق ج 1 ص 87 ..

(5) مفاخر البربر ص 8

وأمام هذه الأحداث الخطيرة التي أدت إلى تقلص النفوذ الاموي في بلاد المغرب وخروج بعض الثغور الهامة من أيديهم ، رأى الحكم انه من الضروري ان يحافظ على أمن دولته وسلامتها وذلك ، بالاسراع في معالجة الموقف باستئصال شوكة الادارسة في هذه الناحية ، وخرج بقراره هذا عن السياسة التقليدية المستمرة وراء القبائل المغربية ، الى سياسة واضحة تقوم على التدخل المباشر في شؤون العدوة المغربية ، للبقاء على نفوذه فيها واتخاذها خطاب دفاعياً امامياً للأندلس من ناحية الجنوب .

ولم يتوان الحكم في تعبئة جيشه واساطيله ، استعداداً لعبور مضيق ، وصبح تدخله العسكري السافر هذا ، بالصبغة الدينية ، حيث تظاهر بمظهر حامي الاسلام والسنة النبوية من غير الشيعة المارقين حسب قوله (1) .

ففي شهر رمضان سنة 361هـ / 971م دعا الحكم القائد الوزير «محمد بن القاسم بن طمس» وعهد اليه بقيادة الجيش والخروج به الى مدينة «سبتا» بأرض العدوة لمارقة الادارسة هناك ، وأوصاه بالتزام آداب العروب ، والأخذ بالعفو والصفح عن الرعية ، الا أنه في الوقت نفسه ، حثه على بذل جهوده في معاورة التاجر الادريسي ومنازله ، وزوّده بالأموال والخلع (2) .

ركب القائد الاندلسي البحر من ميناء الجزيرة الخضراء في النصف الأخير من شهر شوال سنة 361هـ / 971م ، الى مدينة سبتة ، وفي الوقت ذاته ، وصل اليها قائد البحر عبد الرحمن بن رماحسن بالاسطول ، وبذلك تكاملت وتکافئت الجيوش والأساطيل بهذه المدينة المغربية ، ومنها بدا المعجم معاً براً وبحراً ، فاتجه محمد بن القاسم الى مدينة «تطوان» فدخلها دون مقاومة ، اذ وجدتها خالية من حاميتها ، ثم عاد نحو الغرب الى مدينة «طنجة» ليساعد عبد الرحمن بن رماحسن ، الذي سبقه اليها باسطوله (3) ، وحاصر بها الامير الادريسي «الحسن بن جنون» الذي أخذ يشد من عزم أهلها الا أنه لم يستطع مقاومة الحصار ، فاضطر الى الفرار تحت وايل من

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 111 - 112

(2) ابن حيان : المصادر السابق من 80

(3) نفس المصادر من 81 - ابن عذاري : البيان ج 2 ص 245 .

ال وبال وبال ، مع بعض أصحابه وخاصته ولا يلوى على أحد دون أن يأخذ من الأموال والأخيبة شيئاً حيث تركها جميعاً غنيمة للجيش والاسطول الاندلسيين (1) .

ولما شاهد أهل المدينة فرار زعيمهم الادريسي استسلموا بمدينتهم لقائد الأسطول ، الأندلسي وخرج شيخهم ابن الفاضل مع أبنائه وجماعة من وجوه أهل طنجة إلى ابن رماحس يطلبون منه الأمان وهم ينادون .

الطاعة لله ولأمير المؤمنين الحكم المستنصر (2) فاعطاهم آياه ودخل ابن رماحس بعد ذلك المدينة دخول المستنصر في شوال سنة 61 هـ / 971 م (3) .

وانفذ ابن رماحس كتاباً بهذه المناسبة إلى الحكم مع فحلون بن هذيل ومسعود بن محمد صاحب البريد ، فسر لها هذا الإنتصار وكافأ كل واحد منهما بمائة دينار دراهم وغمرهما بخلعه (4) .

أما القائد محمد بن القاسم بن طملس ، فقد تعقب فلول الحسن في الجبال الوعرة التي تعلق بها ، ودخل معه في معركة عنيفة ، استطاع القائد الاندلسي خلاها أن يلحق الهزيمة بالادارسة ، ولم ينقذ «ابن جنون» منها إلا سرعة جواده ، وخففة حمله ، ثم عرج «ابن طملس» في طريقه على مدينة «دلول» واحتلها دون عناء كبير (5) ، ومنها توجه نحو ساحل المحيط ، إلى مدينة «أصيلا» ، ليؤدب أهلها الذين نقضوا طاعة الامويين في الاندلس ، فدخلها واعاد ولاءهم للحكم المستنصر ، ووجد في مسجدها منبراً جديداً مرسوماً باسم الشيعي المعز لدين الله الفاطمي فاحرقه ، بعد أن خلع من اعلاه اللوح الذي يحمل اسم صاحب افريقية وارسله مع كتاب الفتح إلى قرطبة (6) .

وما تجدر الاشارة اليه هو أنه رغم الانتصارات العسكرية العديدة التي احرزها الجيش الاندلسي على الادارسة في المغرب ، الا أنه لم يستطع القضاء عليهم ، حيث

(1) ابن حيان نفس المصدر السابق ص 89 - ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 245 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ص 89 - ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 245

(3) ابن حيان : المصدر السابق ص 89 - 90 - ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 245 .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ص 90

(5) ابن حيان : المصدر السابق ص 90 - ابن عذاري البيان ج 2 ص 246 .

(6) ابن حيان : المصدر السابق ص 90 - 91 - ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 246

ان هذه الانتصارات لم تكن سهلة ميسورة ، فقد استنفرت من حكومة قرطبة الكثير من الوقت والجهد والاموال والانفس ، التي افاض في شرحها ابن حيان بقوله : «... فقد خيول الاندلس اليهم ، وربط أكابر قواده بشعيرهم وغضى البحر بينه وبينهم بأساطيل الاموال ، والأسلحة والعدد والاطعمة التي أفرغها على مارسيهم ، وتحويل المستمالين من أهل بلدتهم عليهم ، حتى قهرهم ...» (1) .

وأشار في مكان آخر أنه في صدر ذى الحجة من سنة 361هـ / 971م سير الحكم المستنصر الى القائد محمد بن القاسم بن طمس بالمغرب مع صاحب الرسائل والبريد ، الاموال الازمة لتعطية نفقات الجيش والحروب الدائرة مع الادارسة (2) .

وظلت الامدادات المادية والعسكرية ترد على المغرب من الاندلس كل حين ، فإن ابن حيان يشير الى ان الحكم دعا كل من القائد قيس ، وسعد الجزييري ورشيق من وجوه موالي أبيه عبد الرحمن ، واسماويل بن عبد الرحمن بن الشيخ ، وعبد الرحمن بن يوسف بن ارمطيل ، وعبد الرحمن بن أبي جوشن ، وأمرهم بالتأهب للغزوة ، في الأسطولين المجهزين ، في ثغرى المرية واشبيلية وخلع عليهم كثيرا من الخلع وأجزل عليهم الصلات الوفرة ، وزودهم بالأموال والمدد وانفذهم الى المغرب (3) .

كما ووجه في صدر شوال من سنة 362هـ / 972م ، ثقته محمد بن عبد الله بن أبي عامر الى المغرب حاملا معه الأموال والحلبي والخلع لتوزيعها على المغاربة الذين استمالة نفوسهم الىبني أمية بالأندلس وولاه في نفس الوقت قضاء القضاة بالمغرب ، فضلا عن المناصب التي يتقلدها مثل خططي الشرطة الوسطى والعليا والمواريث وقضاء كورة اشبيلية (4) ، هذه امثلة أورقتها على سبيل المثال لا الحصر تبين مدى التزيف الاقتصادي الذي كلف الدولة الأموية في حربها الافريقية ضد الادارسة .

أما «الحسن بن جنون» فإنه لم يستسلم لهذه المذائم ، بل أخذ يجمع شمله ويوحد صفوفه من جديد ، ثم باغت الجيش الاندلسي على حين غرة في مكان يعرف بفحص «مهران» باحواز طنجة ، وأنزل به هزيمة ساحقة ، وقتل القائد الاندلسي ، محمد بن

(1) ابن حيان : المصدر السابق ص 191 .

(2) ابن حيان : المقتبس من 91

(3) ابن حيان : المقتبس من 81

(4) نفس المصدر ص 123

القاسم بن طملس ونحو ألف وخمسمائة من جنده ، في آخر ربيع الأول سنة 362 هـ / 972 م . ولما الفل الأندلسي إلى مدينة سبتة مستعيناً بال الخليفة الحكيم المستنصر بالله (1) :

ثارت ثائرة الخليفة المستنصر بالله لفظة جيشه ، ومقتل وزيره وقائداته فضم بكل جدية على محو آثار هذه المهزيمة ، واسترداد كرامته ، وكرامة جيشه ونفوذه في المغرب ، ويظهر ذلك واضحاً جلياً من خلال تصرفاته وتصريحاته ، ومراسلاتة الكثيرة التي بعث بها إلى قواه في الشمال الأفريقي .

ومن حسن الطالع ، فإن المؤرخ القرطبي أبو مروان بن حيان ، نقلًا عن المؤرخ المعاصري عيسى الرازي ، أورد معظم تصريحاته ورسائله هذه في كتابه « المقتبس » ، وكأنها أشبه بجريدة يومية تسجل الأحداث أولاً بأول (2) .

فقد كتب المستنصر إلى قواه المرابطين في مدينة طنجة أمثال : عبد الرحمن بن رماحس ، وسعد ، وقيصر ، وكذلك إلى قواه في مدينة « أصيلاً » أمثال : عبد الرحمن بن ارمطيل ، ورشيق بن عبد الرحمن يأمرهم بعدم التفاوض مع « الحسن بن جنون » ويحثهم على مقاتلته ، ومقاتلة اعوانه دون هواة .

كما أنه لم يغفل توصياتهم <sup>بألا</sup> يستعملوا العنف مع القبائل المغربية المنضوية تحت نفوذ الأدارسة ، بل من الأفضل أن يسلكوا سياسة اللين معهم واستمالتهم إلى صفوهم وذلك بإنفاذ دعاة مهرة إليهم يقيمون بين ظهارائهم حتى تطمئن نفوسهم إلى الدعوة الأممية .

وأمرهم بالأكثر من تحديد الاتباع وحملة الأخبار ، وبث الجوايس وذكاء العيون في كل مكان حول الأدارسة لتسقط أخبارهم وتحرّكتهم أولاً بأول . ولم ينس أن يذكرهم بالتكافُف والتعاون جميعاً ، من أجل تقليل أظافر الأدارسة وأخضاعهم إلى نفوذه ل إعادة سلطانه على بلاد المغرب (3) .

(1) نفس المصدر ، ص 96 - مفاجر البربر ، ص 9 - ابن عذاري : البيان ج 2 ص 246 ابن خلدون : ج 7 ص 38 ، ج 6 ص 451 روض القرطاس ، ص 61/60 - ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ، ص 221 .

(2) د. أحمد مختار العادي : في تاريخ المغرب والأندلس من 231

(3) راجع كتاب ابن حيان : المقتبس ، ص 97 - 98 - 99 - 102 .

ولم يكتف الحكم بالجيوش والأساطيل المرابطة في التغور المغربية فحسب بل أرسل جيوشاً واساطيل أخرى لمساعدة قواته المفلولة هناك ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى الاهتمام البالغ الذي يوليه العاهل الأندلسي للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، واصراره على التحكم فيه وقد لاحظ المؤرخ القرطبي ابن حيان ذلك بقوله : « .. استظهاراً على ضبط المجاز عليه واليه ، واستطالة بفضل قوته واستداد سلطانه .. »<sup>(1)</sup>.

وبعدوان الخليفة الحكم المستنصر بالله قد رمى بكل ثقله وامكانياته المادية والبشرية من أجل ذلك ، فالتصوّص التاريخي ذكرت بأنه عطل في سبيل حروبه الافريقية ، معظم جيوشه المرابطة في الثغور الشمالية المتاخمة لحدود الممالك المسيحية الاسبانية ، وجردها من كبار القواد ، على الرغم من المخاطر التي تهدد دولته من هناك ، وبعث بهم إلى العدوة المغربية (2) .

خروج القائد غالب بن عبد الرحمن لتدعيم القوات الأندلسية في بلاد المغرب :

استدعي الحكم القائد الوزير « غالب بن عبد الرحمن » من مدينة سالم Medinaceli (3) ، فوافاه بقرطبة بن معه من مرابطي هذا الشغر ، في جمادى الآخرة سنة 362هـ/972 م ، وضم إليه جيشاً كبيراً وأمده بالأموال وأمره بالمسير نحو المغرب لقتال الادارسة ، واستنذهم من معاقلهم ، وقال له عند دواعه : « سر سير من لا اذن له في الرجوع حيا لا منصوراً أو ميتاً ، فعذوراً ، وابسط يدك في الانفاق ، فإن أردت نظمت للطريق يبتنا قنطرة مال » (4).

(1) نفس المصدر: ص 190

<sup>د</sup>. أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 231 .

(2) مفاخر البربر، ص 8-9.

(3) مدينة سالم تقع شمال مدريد بنحو 153 ك . م في الطريق الرابط بين مدريد وسرقسطة ، وهي الآن من أعمال مقاطعة سوريا وسميت باسم نسبة الى سالم ورعمال المصوبي الذي يحتمل ان يكون من قادة الرعيل الأول من الفاتحين . والمدينة هي قاعدة للثغر الأوسط الى جانب طليطلة قاعدة الثغر الادنى وسرقسطة قاعدة الثغر الأعلى . راجع د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 223/222 .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ص 108 .

فخرج غالب بالعدد والعدة وآلات الحرب محملاً بالاطاف والخلع والكسوة الفاخرة بالإضافة إلى الأموال التي تقدر بعشرة آلاف دينار لصلات الحلفاء من وجوه القبائل المغربية المتحرفين عن طاعة الادارسة (1) وأبحر من ميناء الجزيرة الخضراء يريد مدينة « طنجة » في رمضان سنة 362 هـ / 973 م لكن صادفته عاصفة قوية اضطره إلى العودة من حيث أتى ، فبي هناك إلى أن تحسن الجو وهذا البحر ، فاجتاز المضيق مرة أخرى إلى طنجة .

ولما انتهى خبر قدومه إلى زعماء القبائل المغربية ، يادروا بالكتابة إليه مجدهين الولاء والطاعة فكتب إليه كل من : عبد الكرييم بن يحيى ، ومحمد بن يحيى الصنهاجي ، صاحبى مدينة « فاس » واسماويل بن البورى ، ويحيى أخيه زعيمى مكناة وغيرهما من وجوه أهل العدوة (2) .

تقدم غالب نحو الادارسة ، وعلى رأسهم زعيمهم « الحسن بن جنون » الذي فر من مدينة « البصرة » إلى معقله الشاهق : بقلعة النسر : القريب من مدينة سبتة بحرمه وجميع أمواله وذخائمه (3) . وفي نفس الوقت تحرك قائد البحر عبد الرحمن بن رماحه باسطوله من مدينة طنجة إلى مدينة « أصيلاً » كي يتعاون مع الاسطول الاندلسي المرابط هناك ، وبالتالي يكون بالقرب من القائد الأعلى للجيوش الأندلسية في المغرب الوزير « غالب بن عبد الرحمن » فسر الخليفة المستنصر بالله هذه الحركة . وببارك صواب التدبير في اجتماع الاسطولين (4) .

أخذ غالب يطارد الادارسة في معاقلهم ، ويتبعهم من حصن إلى آخر في الجبال الوعرة ، ونجح في ذلك أياً نجاح ، حيث استطاع أن يحاصرهم في جبل « الكرم » وجبل « مهران » ، وحاول أن يستنزفهم إلى السهول والمنبسطات ليتمكن من الالتحام بهم . ورغم تعلقهم بالأوعار فإن غالباً ناوشهم ، وقتل منهم الكثير واحتز عدداً من رؤوس حماً لهم ، وكان ذلك في شهر شوال سنة 362 هـ / 972 م ، كما استطاع أن يستعين

(1) ابن حيان : المقبس ، ص 108 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ص 108

(3) روض القرطاس ، ص 61 .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 116

بسكن حصن «الكرم» من ببركتامة ، بعد ان استماهم اليه ، ونجح في تأليفهم على الزعيم الادريسي الشائر ، ثم مدهم بالفرسان والرجاله والبتود والطبول وغيرهم من الاسلحه، فشاروا على الادارسة بهذا الحصن .

فلما رأى ذلك زعيمهم لم يتأللث وركب جواده وهرب مع خاصته وصهره صاحب مدينة «البصرة» محمد بن جنون وعلي بن خلوف (1) وغيرهما من حاشيته الى قلعة النسر. فاحتوى الجيش الاندلسي على كل ما كان به من امتعة وابنية ومواعين واقوات واطعمة واسلحة وغير ذلك ، فاستعنوا بها .

ووجدوا ايضا في سجن هذا الحصن عددا كبيرا من السجناء من اصحاب الادارسة ومن وجوه القبائل المغربية الذين ارتهنهم الحسن بن جنون واقتهم بالحديد فسرحهم غالب واستعان بهم (2) .

ورد الخليفة الحكم عن كتاب غالب الذي وجهه اليه بمناسبة دخوله لحصن «الكرم» يحمد مقامه وبنوه بأعماله ويشكر فعله ، ويذكره بأنه جاد في حربة مع الادارسة ومصم على قطع دابرهم من بلاد المغرب مهم كلبه ذلك من تزيف اقتصادي وبشري ، ويظهر ذلك من خلال الرسالة التي وجهها الى القائد الأعلى لجيشه في المغرب «غالب بن عبد الرحمن» إذ يقول له : «... وقد كفاك الله الاشتغال بالتفكير في مال أو طعام ، فرادها موصولة بك متلاحقة لديك ... حتى يفتح الله في الظلام القاطع بعد له ، ولو أتي ذلك على بيوت الأموال المترعة وأهراء الاندلس المختصة ، فلولم يبق منها غير ما في الاهراء الخاصة بقرطبة لاحتمل اليك جميع ما فيها .. ولا مستهل أمير المؤمنين التحرك الى الجزيرة واتخاذها وطننا مستقرا ، ولأجاز لمجاهدة هذا الفاسق (يقصد الحسن بن جنون) كل جندي في ديوانه مع كل متصرف في مملكته .. (3) .

وبعث له بالأموال كصلات للمنضدين اليه من أصحاب «الحسن بن جنون» وتوزيعها عليهم حسب مكانتهم ورتبهم وقرن بها فاخر الكسوة وعددا كبيرا من السيفون المحلاة (4) .

(1) ابن حيان : المقتبس ، من 134 - أما ابن عذاري فيذكر بأن علي بن خلوف هو صهره وصاحب مدينة البصرة .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ، من 135

(3) ابن حيان : المقتبس ، من 130 - 131

(4) ابن عذاري : البيان ج 2 من 247

لم يقف الحكم عند الجيوش والأساطيل الموجهة الى المغرب ، بل استدعي أيضا القائد الوزير صاحب الشغر الأعلى « يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي » ، من مدينة سرقسطة في ذى الحجة سنة 362 هـ / 973 م ، بمن معه من رجال الشغر ، ثم أضاف اليه قوة كبيرة أخرى من المقاتلين الاندلسيين ، وأمره بالسير نحو المغرب لمؤازرة غالب هناك ، وأرفق معه أخوه يوسف ومحمدًا وهاشمًا وهديلا وبني عمه التجيبيين (1) .

وزوده بالأموال والعتاد ، وهذايا كثيرة من الكسوة الفاخرة والسيوف المحلة لتقديمها الى حلفاء بني أمية في المغرب والمنحاشين الى دعوتهم من اصحاب الادارسة (2) .

ووجه أيضا في نفس الوقت بني خزر الذين قدموا الى قرطبة رفقة يحيى بن علي الاندلسي الى المغرب للحاق ببني عمهم الذين انضموا الى عسكر غالب بن عبد الرحمن في حربه ضد الادارسة العلوين (3) .

ثم أوصل اليه يحيى بن علي الاندلسي ، وقعد له قعودا بهيا ثم أمره هو الآخر بالتأهب للخروج الى بلاد المغرب برجاله القادمين معه من العدوة لتعضيد الجيش الاندلسي ومساعدته هناك وغمره بالخلع والمال فاجتاز يحيى المضيق حيث انضم الى غالب بن عبد الرحمن (4) .

وهكذا اجتمعت لغالب هذه الحشود الهائلة من العساكر الاندلسية والمغاربية فتقدم بهم نحو مدينة « البصرة » بعد أن بث العيون والجواسيس حولها ، وأنخر الأموال الى أهلها من كتامة وهي السياسة التي اوصاه بها الحكم فثاروا على صاحبها الاذرسي وقتلوا خاله ، محمد بن عبد السلام واحتزوا رأسه ، ويعثوا الى غالب يستقدمونه ، فتقدمن اليهم ، وابقى رفيقه القائد يحيى بن محمد التجيبي في حصن الكرم يقف على بنائه ، وأقام بها مدة ثم ثقفتها غالب وشكها بالرجال والجندي واستعمل عليها « عبد الرحمن بن محمد بن الليث » ، ثم انتقل منها لمتابعة فلول الادارسة وكان ذلك سنة 363 هـ / 973 م (5) .

(1) ابن حيان : المصدر السابق ص 125 - مفاخر البربر ص 9 - ابن عذاري : البيان ج 2 ص 247 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 129

(3) ابن حيان : المصدر السابق ص 124 - 125

(4) نفس المصدر ص 130

(5) ابن حيان : المقتبس ص 143 / 144 - ابن عذاري : البيان ج 2 ص 147 .

وبعث بذلك إلى مولاه الحكم بقرطبة مع فتاه « قند » يخبره بما تم له من فتح ، وبرفقته كتابه هذا خطاب بعث به أهل مدينة البصرة ومعهما رأس ابن عبد السلام فاستقبل الخليفة قندا استقبلا رسمياً وشعبياً في قرطبة وخرج الناس لمشاهدة رأس الأدريسي ثم قعد له الخليفة يسأله عن أخبار المغرب وأحوال جنده (1) .

ولم يلبث غالب أن شدد الحصار على الادارسة فوزع الأموال على رؤساء القبائل المغربية ولا سيما رؤساء غمارة ومن معهم من الجند ، ووعدهم بالجاه والمال ورفعه المترفة أن هم تخليوا عن مساندة الحسن بن جنون فاستجابوا له ، واخذ هؤلاء المغاربة يتفرقون من حول الزعيم الأدريسي وينضمون إلى صفوف الجيش الاندلسي حتى لم يبق معه إلا خاصته ورجاله حسب قول ابن أبي زرع (2) .

ولم يكتف الخليفة الحكم المستنصر بالله بكل هذه القوات والاساطيل التي وجهها إلى غريميه الأدريسي « الحسن بن جنون » بل أرسل أيضاً الشعراً والقضاة ، والاماناء وجعل مهمتهم معرفة أحوال الجيوش والرعاية في المغرب أو بعبارة اوضح القيام بهذه الاستعلام والاستطلاع ومن بين هؤلاء المبعوثين ، محمد بن أحمد بن مفرج قاضي « ريه » وأبو عبيد القاسم بن خلف الجبيري الفقيه فقضيا هناك رحرا من الزمن ثم عادا إلى قرطبة (3) ، وأرسل أيضاً كلاً من القاضي عبد الملك بن منذر بن سعيد ، والخازن أحمد بن محمد الكلبي إلى مدينة « الفرج » ، ليقفوا على حقيقة الشكوى التي قدمها أهل هذه المدينة ضد القائد رشيق بن عبد الرحمن (4) .

كما أنسد في شعبان سنة 362 هـ / 972 م ، أحد ثقافه صاحب الشرطة الوسطى والمواريث ، قاضي كورة أشبيلية ، محمد بن عبد الله بن أبي عامر ، وكان محمد هذا حسن الدرية بالمسائل المالية ، واسع الخبرة بشئون الادارة حتى لقب بفتى الدولة (5) ، واصطبغت معه صاحب الشرطة الصغرى قاضي الثغر الأعلى محمد بن على بن أبي

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 143 .

(2) روض القرطاس ص 61 - ابن خلدون : العبرة 2 ص 452

(3) ابن حيان : المقتبس ، ص 91

(4) نفس المصدر ، ص 105

(5) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 106 راجع أيضاً كتاب د . خالد الحوفي تاريخ العرب في إسبانيا عصر المنصور ، ص 23 بيروت 1966 .

الحسين ، والخازن أحمد بن محمد الكلبي الى مدينة « أصيلا » بالغرب الاقصى ،  
أمناء ومرابطين للقواعد (1) .

وكذلك بعث الشاعر الجزائري محمد بن حسين التميمي المعروف بالطبني  
( نسبة الى مدينة طبنة جنوب شرق جمهورية الجزائر ) الى المغرب ، ليرافق القائد الوزير  
غالب بن عبد الرحمن ويستعين به في شؤونه ومؤازرته في تدبيره باعتباره خبيرا بأحوال  
المنطقة وبطبيعة أهلها وولوجه في شؤونهم (2) .

### الوفود والسفارات المغربية الى قرطبة :

نجح الحكم أيا نجاح في سياسته المغربية إذ ان المصادر تتحدث باسهاب عن  
الوفود المغربية الكثيرة ، التي حلت بيلات الخليفة الحكم المستنصر بالله معلنة الطاعة  
والولاء ، ولو حاولت ان اتطرق الى ذكر جميع الوفود والسفارات المغربية التي وردت على  
قرطبة ، لضيق بنا المجال ولا يتناسب الملل من ذلك ، وهذا ساقتصر بالاشارة الى  
بعضها فقط على سبيل المثال لا الحصر.

ففي غرة جمادي الآخرة سنة 362 هـ / 972 م ، قدم وفد على قرطبة يمثل قبيلة  
مصمودة بلغ عدد افراده نحو سبعين رجل ، كانوا قد فروا من صفوف الادارسة العلوين  
ويخلوا الى القائد الاندلسي عبد الرحمن بن رماحس بطنجية راغبين في طاعة صاحب قرطبة  
فلم يلبث ابن رماحس ان ارسلهم الى قرطبة حيث استقبلهم الخليفة الحكم ، وقبل  
انابتهم واسع عليهم وائز لهم بمنية نجدة .

كما وفد على الحكم المستنصر في نفس الوقت رسول « جنون ادريس » صاحب  
مدينة الاندلسيين (3) ، ورسول عبد الكريم صاحب مدينة القرويين ، يرغبان الدخول  
في طاعة صاحب قرطبة ، والقيام بدعوه فكرم الحكم الرسولين (4) .

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 106

(2) ابن حيان : المقتبس ، ص 108 - 19

(3) نفس المصدر ، ص 96 - ابن عذاري : البيان ج 2 ص 246

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ج 2 ص 247 - أما ابن حيان فيذكر بأنه صاحب مدينة الاقلام (المقتبس ،  
ص 103) .

وفي آخر شعبان سنة 362 هـ / 972 م قدم على الحكم ، القاسم بن يحيى بن القاسم بن ابراهيم بن محمد المسمى « جنون » ، وهو ابن أخي الحسن بن جنون ، قادما من المغرب خارجا عن طاعة عمه جانحا الى طاعة المستنصر بالله ، فاكرمه الخليفة واوسع عليه الجرایة ، ونزله في دار ابن أمية بقرطبة (1) .

وفي شهر رمضان من نفس السنة عهد الحكم الى الوزراء بالقعود في بيته ، لاستقبال رؤساء القبائل المغربية القادمين من المغرب ومشاهدة توزيع الصلات والكسى عليهم ، التي أمر بها الخليفة المستنصر بالله ، وكان يتقدم هؤلاء المغاربة أبو العيش بن أيوب بن بلال رئيس كتامة ، فاجزل الخليفة عطاهم وخلع عليه الخلع الرفيعة ، ثم دعى من كان معه من الرؤساء ، فقدمت إليهم صلاتهم ، وخلعهم ثم لاصحابهم وأعوانهم كل حسب رتبته ومكانته وبواهم رئاسة قومهم وأمرهم بالانصراف الى بلدتهم (2) .

وفي صفر سنة 363 هـ / 973 م ، جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله على سريره بقصر الزهراء ، محفوضا بالحجاب ، والوزراء وكبار رجال الدولة ومختلف طبقات أهل الخدمة ، لاستقبال الادارسة الواقدين عليه من المغرب امثال : عبد الرحمن بن محمد بن أبي العيش ، وحسين بن يحيى بن حسن بن ابراهيم وحسن بن جنون الحسينين وبعض رجالهم ، ثم تلامهم بعد ذلك شيخ مدينة « البصرة » ، وبعض علمائها وفقهائهم ، فاستمع الخليفة اليهم وسر لهم الحديث ، وأوسع عليهم بالخلع والصلات (3) .

وكذلك دخل قرطبة « جنون بن عيسى الحسني » ، فاكرم الخليفة الحكم متواه واحتفى به حفاوة بالغة ، ووصلت أيضا الى قرطبة في الوقت نفسه الخيل التي بعث بها صاحب عدوة القرويين بفاس ، وعدتها نحو خمسة وثلاثون فرسانا هدية للخليفة (4) .

واستمرت الوفود والرسل تقطاطر كالسيول على بلاط قرطبة دونما انقطاع ، من المغرب سواء من الادارسة العلوين أو رؤساء القبائل المغربية ، حاملة له الطاعة والولاء والهدايا الكثيرة . وكان الخليفة الحكم كريما سخيا معهم ، يقعد بنفسه لاستقبالهم

(1) ابن حيان : المقبس ، ص 103 - ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 247 .

(2) نفس المصدر ، ص 109

(3) نفس المصدر ، ص 114

(4) ابن حيان: المقبس ، ص 146

وتدعيمهم ولا يرفض لهم طلباً . وعلى ما يبدو فإن الخليفة المستنصر قد نجح في كسب ود المغاربة بسياسته هذه ، حيث استجاب له الكثير من أمرائهم وانحاشوا إلى دعوته ، وفي ذلك يقول ابن حيان : « ... قد صار إلى الطاعة (أي طاعة الحكم) جميع أمراء المغرب وعامة قبائل البربر ، فليس فيه مثايل غير الشقى الخائن حسن بن حنون ... » (1).

وبهذه السياسة الذكية الحازمة ضيق الخليفة الحكم المستنصر بالله الحصار على الادارسة ومن ثم أعطى أوامره إلى قواد جيوشة واساطيله في المغرب للقيام بحملة جماعية واسعة النطاق على حصن « الحسن بن جنون » المعروف « بحجر النسر » فاشتد الأمر عليه وضاقت أحواله .

### إسلام الحسن بن جنون الأدريسي :

ولما أشتد الحصار عليه وطال ، فر من حوله الكثير من أصحابه وأعوانه وخدمه ، حتى ابنه المنصور وأخته وأمهما اضطروا للتخلّي عنه واللجوء إلى القائد الاندلسي غالب بن عبد الرحمن عند ذلك أجبر التأثير الأدريسي ، على الاستسلام بمن تبقى معه ، بعد أن طلب الأمان لنفسه ولاتباعه ، وكان قد وجّه إلى القائد الاندلسي ابنه ، علياً بن حسن لهذا الغرض (2) .

دخل غالب بن عبد الرحمن قلعة « حجر النسر » وصل إلى مسجدها صلاة الجمعة مع الأمير الأدريسي ، ودُعي للخليفة الحكم على منبره في أواخر جمادى الآخرة سنة 363 هـ / مارس 973 م (3) .

وهكذا احتل غالب القلعة الأدريسية بعد حروب طويلة ، ومعارك مريرة استنزل بعدها جميع العلوين من معاقلهم وآخر جهم منها ولم يترك أحداً بها ، ثم سار نحو مدينة « فاس » فلكلها ، وثبت عبد الكريم على عدوة الاندلسيين ومحمد بن حسن على عدوة القرويين ، وأخذ منها الرهائن مع كتابي بيعتهما للخليفة ، وبعث بهم إلى قرطبة (4) .

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 146 ؛ ابن عذاري : البيان ج 2 ص 248

(2) نفس المصدر، ص 148

(3) نفس المصدر، ص 148

(4) نفس المصدر، ص 150 – 151

وسكنت بذلك ريح الأدarsة ، الذين طالما ناووا النفوذ الأموي في المغرب وقاوموه بشدة منذ قيام دولتهم في المغرب الأقصى ، سنة 172 هـ / 788 م .

وفي المحرم سنة 364 هـ / 974 م ، عاد القائد غالب شيخ العrob وفارس الخطوب إلى الاندلس ومعه « الحسن بن جنون » وأقربائه من الامراء الأدارسة ، حافظين بشيخهم وكبارهم « أحمد بن عيسى » المشهور « بجنون » صاحب مدينة « الأقلام » وما ولاها بارض العدوة (1) .

وكان يوم دخولهم إلى مدينة الزهراء أحفل أيام الدولة لما ظهر فيه من فخامة الملك وكثرة الجموع ، حيث أمر الحكم الناس بالخروج إلى لقائهم ، وركب هو في جمع غيره من وجوه رجال الدولة ، فتقاهم وعفّ عنهم ، وأوسع على الحسن بالعطايا ، ورتب نحو سبعمائة فارس من انجاد المغاربة في ديوان جنده (2) .

والجدير باللحظة هنا هو أن عاهل الاندلس قد وفق تماماً في اختيار الوقت المناسب ، والظروف المواتية لعبور جيشه إلى بلاد المغرب ، ففي الوقت الذي كانت فيه الجيوش والاساطيل الاندلسية تعبر المضيق ، كان المعز لدين الله الفاطمي متوجهاً بجيشه وأساطيله إلى مقره الجديد بمصر.

وكان خليفة في إفريقية والمغرب يوسف بن بلکين منشغلًا في هذه الآونة بتوطيد اركان دولته الناشئة ، بإخماد الفتنة ، والثورات التي نشبت ضدّه في مدينة القيروان وهذا مما لا شك فيه ، قد ساعد مهمة القوات الاندلسية وفتح المجال أمامها لنشر الدعوة الأموية في المغرب الأقصى . دون أن تعرّض لها صنهاجة . وقد لاحظ ذلك صاحب كتاب مفاخر البربر بقوله : « ... فنزل قصر معد بالمنصورية ، وتمت له المملكة . (أي بلکين) تعجل بالخروج نحو المغرب في شعبان من هذه السنة (362 هـ) وقد عزم عسكره ، وبعد صيّته ، قضى الله ان اضطربت بعده القيروان .. فتوقف بلکين من أجلها إلى أن جلت عنه العمالة مع انقضاء سنة 364 هـ / 974 م » (3) .

(1) ابن حيان : المقبيس ، ص 174 - ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 61 - 62 - ابن خلدون : البربر ، ج 6 ص 452 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 194 - ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 248

(3) مفاخر البربر ، ص 9 - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 62 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ص 453 - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثالث ، ص 222 - حول حفاظة الاستقبال ومراسيمه كتاب ابن حيان : المقبيس ، ص 194 وما يليها .

## استقطاب الحكم المستنصر بالله للمغاربة لدعم قواته :

ومن الملاحظ أيضاً أن الخليفة الحكم المستنصر بالله قد شجع هجرات القبائل المغربية من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس ، دعماً لقواته وعملاً بسياسة حفظ التوازن في المنطقة ، والحق رجاتهم بجنده ، وبواهم بداره وأدخلتهم في خدمته ، ولا سيما منها الفرق المغربية التي قدمت أخيراً إلى الأندلس مع آل حمدون الأندلسي ، وبيني حسن الادارسة العلوين ، ورجال البرازلة سكان جبل سالات وما إليه من أعمال المسيلة (1) .

برز هؤلاء البرازلة ، بعد المعركة التي دارت بين صنهاجة من جهة ، وبين زناتة وجعفر بن علي سنة 360 هـ / من جهة أخرى ، وكان لهم اليد الطولى في مقتل زيري بن مناد ، لذلك استقدمهم الخليفة الحكم إلى الأندلس ، ونظمهم في طبقات جنده ، لما اشتبروا به من شجاعة وبأس ورکون للطاعة ، وتغاضى عن اختلافهم المذهبى إذ كان البرازلة يدينون بالمذهب الخارجي الاباضي التكاري ، رغم تعصبه لأهل السنة ومذهب مالك (2) .

هذا بالإضافة إلى من لحق به من قبائل أخرى مثل زناتة وغيرها من القبائل المغربية المنحاشة إلى طاعة بني أمية في الأندلس (3) .

وقد رفع الخليفة الحكم المستنصر بالله ، متزلة هؤلاء المغاربة ، الذين عبروا لخدمته في الأندلس ، وأصبحت فيه رئاسة الجيوش وقيادة المعارك . ولما كانوا يتلون به من بأس وشجاعة وقادم فاعجب بهم الحكم كثيراً ، لدرجة أنه كان يتسلى بمنظرهم الجميل ، عندما كان مريضاً ، حيث كان يطل عليهم من قصبة دار الرخام ، ليستمتع بمشاهدة استعراضهم ، حينما كانوا يتحركون للعب بالخيول ، وكثيراً ما كان يعبر لن حوله عن انطباعاته الحسنة تجاههم وإعجابه الشديد بهم بقوله : « ما أعجب انتيادها (أي الخيل ) بهم » (4) ويردد دائماً قول الشاعر المتنبي :

---

(1) مفاخر البربر ، ص 13 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ص 192 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 111

(3) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 192

(4) ابن حيان : المقتبس ص 193 .

## فَكَانَا وَلَدَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَانُوكُمْ وَلَدُوكُمْ عَلَى صَهْوَاتِهَا<sup>(1)</sup>

وعندما اشتد المرض على الخليفة الحكم المستنصر بالله ، وشلت حركته انتقلت السلطة الى وزرائه وحاشيته ونسائه ، فاضطربت شؤون الدولة وطماع الاسنان في الشمال وكثراً اعتداوهم على الثغور الاسلامية المتاخمة لحدودهم وتطاولوا عليها .

عند ذلك رأى وزير الحكم وصاحبـه جعفر بن عثمان المصـحـني ضـرـورة استـدعـاء القـائـد يـحيـيـ بنـ مـحمدـ التـجـيـبيـ منـ الـمـغـرـبـ ، ليـسـدـ بـهـ الثـغـورـ الـأـنـدـلـسـيـ الشـمـالـيـ (2) ، وأـقـامـ مـكـانـهـ بـإـسـمـ الـخـلـيـفـةـ أـمـيرـيـنـ مـنـ أـصـلـ اـنـدـلـسـيـ هـمـاـ :ـ جـعـفـرـ بـنـ عـلـيـ الـأـنـدـلـسـيـ وـأـخـيهـ يـحـيـيـ لـخـبـرـتـهـمـ بـشـؤـونـ الـمـغـرـبـ وـأـهـلـهـ مـنـ جـهـةـ ،ـ وـلـشـدـةـ عـدـاـوـتـهـمـ لـبـنـيـ زـيـرـيـ الصـنـاهـجـةـ مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ ،ـ وـخـلـعـ عـلـيـهـمـ خـلـعـاـ فـاـخـرـهـ ،ـ وـدـفـعـ لـهـمـاـ اـمـوـالـاـ وـكـسـيـ كـثـيرـ ،ـ لـتـقـدـيمـهـاـ إـلـىـ زـعـمـاءـ الـقـبـائـلـ الـمـغـرـيـبـيـهـ هـنـاكـ وـارـفـقـ مـعـهـمـاـ بـعـضـ رـجـالـهـمـ وـاتـبـاعـهـمـاـ وـانـفـذـهـمـاـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ فـوـصـلـاـ إـلـىـ قـلـعـةـ النـسـرـسـنـةـ 365ـ هـ /ـ 975ـ مـ ،ـ حـيـثـ سـلـمـ لـهـمـاـ الـقـائـدـ يـحـيـيـ بنـ مـحمدـ التـجـيـبيـ مـقـالـيدـ الـأـمـورـ ،ـ وـقـلـلـ عـائـدـاـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ ،ـ وـلـمـ يـلـبـثـ اـنـ وـجـهـ الـخـلـيـفـةـ لـتـوـهـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ سـرـقـسـطـةـ قـاـدـةـ الـثـغـرـ الـأـعـلـىـ فـيـ نـفـسـ السـنـةـ اـيـ سـنـةـ 365ـ هـ /ـ 975ـ مـ .

وقد استطاع جعفر بن علي أن يضبط أمور المغرب ، وان ينجح في اكتساب زعماء القبائل المغربية ويدعم مركزه بهم وأهم هؤلاء بدو بن علي شيخ بني يفرن ، وزير وأخيه مقاتل بن عطية بن عبد الله المغراوين زعيم زناة ، وبني البورى رؤساء مكناسة ، وغيرهم من بني مرین ، وبني مروة (3) .

وتعاون هؤلاء جميعا في دفع هجمات « بلکین » زعيم صنهاجة المتكررة على أراضيهم وتمكنوا من تثبيت أقدام الأمويين في المغرب بقية أيام الحكم (4) .

كما لم يلبث الوزير جعفر بن عثمان المصـحـني أن أقدم على عمل كان له عواقب وخيمة فيما بعد وذلك أنه قرر إخراج الادارسة من الأندلس ليتخلص منهم ومن نفقاتهم الثقيلة ، فإذا ذهبوا إلى بلاد المشرق بعد أن أخذ من زعيمهم « الحسن » العهود والمواثيق بعدم الذهاب إلى بلاد المغرب ، ثم قدم لهم الأموال ، ليستعينوا بها على السفر ،

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 193 والبيت قصيدة يمدح فيها أباً أيوب أحمد بن عمران الانطاكي .

(2) مفاخر البربر . ص 13 .

(3) مفاخر البربر : ص 14

(4) نفس المصدر والصفحة .

وأوكل لمن أخرجهم من ميناء المرية فعبروا البحر إلى تونس ومنها إلى مصر سنة 365 هـ وهناك استقبلهم الخليفة الفاطمي الخامس ، العزيز بالله بحفاوة بالغة واقرهم عنده ، وأكرمهم وأحسن إليهم ، ليحتفظ بهم كسلاح يمكن اشهاره في الوقت المناسب ضد أعدائهم بنى أمية وحلفائهم في المغرب (1) .

لم يكتف الحكم المستنصر بالله بالنشاط العسكري ، ضد الشيعة الفواطم في المغرب وحلفائهم بل أخذ أيضاً مظهراً آخر هو المظاهر الثقافية فعمل على محاربة الدعوة الشيعية بواسطة العلماء الذين جندهم للدفاع عن آراء بنى أمية السنة ومبادئهم ونشرها .

كما أن الحكم مد يده إلى مصر ، وأنخذ يكافيء فقهاء المالكية ويشجعهم بصلاته ، فقد بعث إلى رئيس فقهاء المالكية الاندلسي الأصل أبي إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي بمصر ، وابي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرها (2) مقتديا في ذلك بسياسة أبيه عبد الرحمن عندما أرسل إلى هذا الفقيه نفسه عشرة آلاف دينار ليوزعها على فقهاء المالكية بمصر ، وقد كان رد الفعل من طرف الأخشيديين مماثلاً ان اخرجوه مثل هذا المبلغ وزعوه على شيوخ الشافعية (3) .

كما فتح الحكم ذراعيه لكل لاجيء سياسي هارب من الاضطهاد الشيعي الفاطمي سواء كان هؤلاء اللاجئين من بلاد المغرب أو من مصر ، ومن بين هؤلاء اللاجئين القادمين من مصر ، ابن الازرق الأموي الذي خرج من مصر ، فقبضت عليه الفواطم في إفريقيا وسجنته بالمدية ، ولعل الذي دفعهم الى ذلك هو شعّرهم في كونه جاسوساً أموياً ثم تمكن من الفرار ، وبلغ الى قرطبة حيث اكرمه الحكم ، وظل هناك الى أن توفي سنة 385 هـ / 995 م (4).

ومنهم أيضاً إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي الذي رحل من مصر سنة 360 هـ / 970 م بعد أن استولى عليها جوهر الصقلي بستين ، واتجه إلى حاضرة الأندلس مدينة قرطبة فرحل من خليفتها محلها طيباً (5).

(1) مفاخر البربر ، ص 15 - راجم أيضاً : أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب ، ص 234.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء ، ج 1 ص 201 .

(3) ابن الآبار: الحلة المسيرة ج 1 ص 201 تعليق رقم (1).

<sup>4)</sup> د. محمود علي، مكتوب: التشيم في الأندلس ص 32.

<sup>69</sup>) المقرى : نفح الطيب ج 4 ص 69 .

وكذلك حكم بن محمد القيرواني القرشي (ت 370 / 980 م) الذي تردد كثيراً بين عاصمة الأندلس ومدينة القيروان ، ويبدو أن الحكم كان سخياً معه وبالغ في إكرامه ، لمشاركته في النشاط الدعائي ضد الشيعة من جهة ولأنه تعرض لسجن المهدية بسبب مهاجمته للشيعة الفواطم من جهة أخرى (1) .

اعتنى الحكم المستنصر بالله أشد العناية بتشجيع حركة التأليف في الشؤون المغربية وخاصة ما يتعلق منها بإخبار الشيعة ومذ هبها ، ولعل الحكم هو صاحب هذه السياسة التي أنفرد بها ، فقد كلف المؤرخ القيرواني محمد بن يوسف بوضع كتاب عن تاريخ المغرب ، ومسالكه ومالكه ، وحروبه ، والظاهر أن هذا العمل ليس الغرض منه خدمة العلم فقط بل ربما كان كذلك تمهيناً للسياسة التقليدية التي جرت عليها الخلافة الاندلسية في الشمال الإفريقي (2) .

وقد ورد في بعض المصادر كيف أن عاهل الأندلس ، اغتنم فرصة وجود سفارة برغواطة في قرطبة ، وطلب من رئيسها إلى صالح زمور البرغواطي أن يؤلف له عن أخبار هذه القبيلة ونسبهما وديانتها ، فكتب له ما أراد باللغة البربرية وترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية بأمر من الحكم وبعد هذا الكتاب وثيقة حية في تاريخ البرغواطين ، أستقى منه معظم المؤرخين مادتهم عن أخبار برغواطة وديانتها (3) .

كما وجه الحكم عناية خاصة بتاريخ العلوين فقد شارك بنفسه في تأليف كتاب يتضمن انساب الطالبيين القادمين إلى المغرب وكلف معاوية بن هشام المرواري المعروف بابن الشبانية ، بتأليف كتاب في نسب العلوين وغيرهم من قريش ، فوضع له كتاب عنوانه « الناج السنى في نسب آل علي » ولعله يحتوى على أخبار الشيعة في المغرب والأندلس كما يدل عنوانه على ذلك (4) .

(1) د. محمود علي مكي : الشيعة في الأندلس ، ص 33

(2) د. محمود علي مكي : المرجع السابق ص ، 33

(3) المقرى : نفح الطيب ج 4 ص 60 - عبد الله يوسف الغنem : مصادر البكري ومنهجه الجغرافي ، ص 137 - الكويت 1974 م.

(4) د. محمود علي مكي : المرجع السابق ، ص 33 - 34

### **الباب الثالث**

**سياسة الأمويين نحو دول المغرب منذ وفاة الحكم المستنصر حتى سقوط  
الخلافة الأموية**



## الفصل الأول

### سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر هشام المؤيد بالله ( 366 هـ - 976 م / 1008 )

عهد الحكم المستنصر بالله بولاية العهد ، لأبنه أبي الوليد هشام وهو طفل صغير ، لا يتجاوز العاشرة من عمره ، وذلك سنة 365 هـ / 975 م ، أي قبل وفاته بسنة واحدة ، وأخذت له البيعة من الخاصة وال العامة في مدينة « قرطبة » وسائر كورسيبه جزيرة الأندلس ، والمناطق الأخرى المنضوية تحت سلطان الخلافة الأندلسية ، فيها وراء المضيق بلاد المغرب (1) .

وقد احتاط الحكم لهذا الأمر قبل وفاته ، وكأنه يعرف مسبقاً ما ستؤول إليه الخلافة بعد وفاته ، فحاول أن يعلم ما يمكن عمله ، لضمان استمرارها في يد ولده هشام المؤيد بالله ، فجمع كل من يثق به من كبار رجال دولته ، وكتب له العهد أمامهم وأشهادهم على ذلك ، ولم يكفي بهذا بل أخذ منهم العهود والمواثيق ، لموازنة ابنه الخليفة الصغير ، والإخلاص له ، ومساعدته في تيسير شؤون الدولة .

لكن هذه العهود والمواثيق ، ضرب بها عرض الحائط ، بعد وفاة الحكم مباشرة سنة 366 هـ / 976 م ، بظهور بوادر الخلاف والإنشقاق في صفوف رجال الدولة ، فاتقسموا إلى فتنتين :

فتنة تتكون من العسكريين ، وأخرى من المدنيين ، وكل واحدة لها وجهة نظرها في هذا الموضوع ، تدفعها في ذلك مآربها وأطماعها الشخصية ..

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب ج 2 ص 249 .

وكان العسكريون وهم الصقالبة ورجال الجيش والحرس الخليفي ، أكثر جماعة وأحد شوكة من المدنيين ، يتزعمهم « فائق » المعروف بالنظامي صاحب البرد والطراز و « جؤذر » صاحب الصاغة والبيازرة (1) .

أما المدنيون وعلى رأسهم رئيس الوزراء الحاجب ، جعفر بن عثمان المصحفي ، فقد امسكوا بوصية الحكم وحرصوا على تفديها ، لعل ذلك يخدم مآربهم وأطماعهم ، وهو الإستثمار بزم الأمور في الدولة .

وكادت أن تدور رحى حرب أهلية دامية خطيرة في مدينة « قرطبة » ، بين القتتين المتنافستين ، لو لا أن تدارك الموقف بسرعة ، جعفر المصحفي وأصحابه الوزراء ، فأنهوا هذا السباق بتدمير مؤامرة أودت بحياة مرشح العسكريين ، المغيرة بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، قام بتنفيذها شخصية جريئة وطموحة هو محمد بن أبي عامر المعافري اليمني . وبذلك رجحت كفة الوزراء وخلال الجولهشا من المنافسين على كرسى الخلافة (2) .

غير أن الخليفة هشام لم يكن له في السلطان شيء ، لا من قريب ولا من بعيد لصغر سنّه ، فقد استحوذت على زمام الأمور في باديء الأمر أمّه السيدة « صبّح البشكنسية » ، التي بدأت حياتها في القصر جارية مغنية محظية عند الحكم (3) ، ولم تلبث أن زادت عنده حظرة عندما انجبت له هشاما ، وأصبحت بذلك أمّاً ولد ، ومنذ ذلك الحين قوى نفوذها في القصر ، ولا سيما في الفترة التي كان الحكم فيها مريضاً ، فاتيح لها أن تكون هي المدبر في شؤون الدولة .

وسوف نرى كيف ظهرت عن طريقها ، شخصية محمد بن أبي عامر على مسرح السياسة ، وكيف استطاع بذكائه المتقد ودهائه وحزمه ، أن يسيطر على الخليفة وشؤون الخلافة ، وعلى أمّه السيدة صبّح نفسها .

على أن موضوع الأهمية هنا ، هو أن تاريخ الخلافة الأندلسية في الفترة ما بين سنة 366 هـ / 976 م ونهاية القرن الرابع الهجري 399 هـ / 1008 م ، ما هو إلا تاريخ

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 259

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 261 - المقرى : نفح الطيب ، - ج 1 ص 373 .

(3) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 253

أسرة جديدة تمكنـت من فرض وجودها ، والإستبداد بالحكم في قرطبة دون اصحابها الشرعين ، هي الأسرة « العامـرية » المتمثلة في محمد بن أبي عامـر وولديه من بعده عبد الملك المظفر وعبد الرحمن الناـصـر المعـروـف بشـنجـول ، وهي أسرة ليست من البيت الحاـكـمـ ، وإنـما سـاعـدـها حـسـنـ الطـالـعـ أنـ تـصـلـ إـلـىـ السـلـطـةـ بـفـضـلـ مـوهـبـةـ المؤـسـسـ الأولـ محمدـ بنـ أبيـ عامـرـ وـطـمـوـحـهـ ، اـذـ أـسـطـاعـ أـنـ يـسـتـولـ عـلـىـ أـمـورـ الدـوـلـةـ ، وـأـنـ يـتـصـرـفـ فـيـهاـ بـيـدـ مـنـ حـدـيدـ ، فـأـسـسـ بـذـلـكـ دـوـلـةـ عـاـمـرـيـةـ دـاـخـلـ إـلـاـطـارـ الشـرـعـيـ للـخـلـاـةـ الـأـمـوـيـةـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ اـمـتـدـتـ طـلـيـةـ أـيـامـهـ ، وـأـيـامـ وـلـدـيـهـ مـنـ بـعـدـهـ نـحـوـ ثـلـاثـةـ وـثـلـاثـيـنـ سـنـةـ ، حـتـىـ أـنـ الـمـؤـرـخـينـ أـرـخـواـ لـهـذـهـ فـتـرـةـ تـحـتـ عـنـانـ «ـ تـارـيـخـ الدـوـلـةـ عـاـمـرـيـةـ »ـ (1)ـ .

### ظهور شخصية محمد بن أبي عامـرـ :

وـقـبـلـ أـنـ أـنـتـقـلـ بـالـحـدـيـثـ إـلـىـ صـلـبـ الـمـوـضـوـعـ ، فـضـلـتـ أـنـ أـقـفـ قـلـيلـاـ عـنـ نـشـأـةـ هـذـهـ دـوـلـةـ ، وـمـؤـسـسـهـ مـوـحـدـ بنـ أـبـيـ عـاـمـرـ ، لـأـنـهـ هـوـ الـمـحـورـ الـذـيـ سـتـدـورـ حـولـهـ الـأـحـدـاتـ ، وـهـوـ الـمـدـبـرـ وـالـصـانـعـ لـلـسـيـاسـةـ الـأـنـدـلـسـيـةـ فـيـ الـبـلـادـ الـمـغـرـبـيـةـ ، خـلـالـ عـصـرـ الـخـلـيفـةـ هـشـامـ الـمـؤـيدـ بـالـلـهـ .

ومـحمدـ بنـ أـبـيـ عـاـمـرـ هـذـاـ يـنـحدـرـ مـنـ أـسـرـةـ عـرـبـيـةـ يـمنـيـةـ ، دـخـلـ جـدـهـ عبدـ الملكـ المـعـافـيـ أـرـضـ الـأـنـدـلـسـ فـيـ جـيـشـ طـارـقـ بنـ زـيـادـ سـنـةـ 92ـ هـ 710ـ مـ ، (2)ـ وأـبـدـىـ ضـرـوـبـاـ مـنـ الشـجـاعـةـ وـالـإـقـدـامـ فـيـ هـذـاـ فـتـحـ ، وـيـرـجـعـ إـلـيـهـ الـفـضـلـ فـيـ الـإـسـتـيـلاءـ عـلـىـ مـدـيـنـةـ «ـ قـرـطـاجـنـةـ »ـ شـرـقـ الـأـنـدـلـسـ ، وـأـسـتـقـرـ بـعـدـ ذـلـكـ بـنـوـ عـاـمـرـ فـيـ مـدـيـنـةـ «ـ طـرـشـ »ـ Torroxـ الـوـاقـعـةـ عـلـىـ نـهـرـ يـسـمـيـ وـادـيـ آـرـهـ oudi Aiaـ فـيـ شـمـالـ شـرـقـ الـجـزـيرـةـ الـخـضـراءـ (3)ـ . وـقـدـ بـرـزـ مـنـهـمـ الـقـضـاءـ وـالـوـلـاـةـ وـالـعـلـمـاءـ ، وـهـذـاـ نـشـأـ مـحـمـدـ بنـ أـبـيـ عـاـمـرـ نـشـأـةـ عـلـمـيـةـ حـسـنـةـ .

(1) وضع المؤرخ القرطبي المعاصـرـ أبوـ مرـوانـ بنـ حـيـانـ كـاتـبـةـ «ـ الـبـطـشـةـ الـكـبـرـىـ »ـ وـتـصـصـصـ جـزـءـاـ مـنـ تـارـيـخـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ تـحـتـ عـنـانـ أـعـبـارـ الدـوـلـةـ الـعـاـمـرـيـةـ أـوـ الـمـاـتـرـ الـعـاـمـرـيـةـ . أـنـظـرـ كـاتـبـ ابنـ الـأـبـارـ : الـحـلـةـ السـيـرـاءـ ، جـ 1ـ صـ 269ـ المـقـرـىـ : نـقـعـ الـطـيـبـ ، جـ 1ـ صـ 376ـ . عبدـ الواحدـ المـراكـشـيـ : الـمـعـجـبـ ، صـ 83ـ .

(2) ابنـ عـذـارـىـ : الـبـيـانـ ، جـ 2ـ صـ 257ـ . المـقـرـىـ : نـقـعـ الـطـيـبـ ، جـ 1ـ صـ 376ـ .

(3) عبدـ الواحدـ المـراكـشـيـ : الـمـعـجـبـ ، صـ 72ـ .

انتقل ابن أبي عامر إلى قرطبة يطلب فيها العلم والمعرفة ، فدرس الحديث وقرأ اللغة العربية على يد كبار شيوخها من أمثال : أبي علي القالي البغدادي وأبي بكر بن القوطية ، وأبي بكر بن معاوية القرشي وغيرهم من شيوخ المسجد الجامع (1) . . .

وعندما تم تعليمه اقتضى أثر عمومته وخُولته ، الذين كانوا يستغلون بمهنة القضاء (2) ثم فتح دكانا عند باب القصر ، يكتب فيه لمن يعن له من الخدم والمرافقين للقصر وعامة الناس الشكاوى والعرائض والالتماسات ، وسرعان مانع في هذه المهنة ، فاستهويه قلوب الناس ، وذاع صيته بينهم وبخاصة عند خدم القصر و glamane ، لما كان يتمتع به من ذكاء ونشاط وقوة الشخصية مع مهارة في معاملة الناس ، ولم يلبث أن سمعت به السيدة « صبح » أم هشام المؤيد ، عن طريق من كان يأنس إليه من فتيان قصر الخليفة (3) .

وكانت السيدة صبح في ذلك العين في حاجة إلى كاتب يدير شؤون أموالها وضياعها ، فاستندت له هذه المهمة ، فلم يتأخر عن عمله وواجباته وكان عند حسن ظتها ، إذ أظهر كفاءة ممتازة وقدرة فائقة في وظيفته ، حتى جذب أنظار السيدة صبح إليه ، ولم تخف إعجابها به ورضاه عنها ، بل وسرعان ما تحول ذلك الإعجاب إلى « حب » فاستهويه وغلب على قلبها ، بما يقدم لها من صنوف التحف الثمينة ومختلف المدابي الجميلة ، لدرجة أن الخليفة الحكم المستنصر بالله صرح بذلك علينا أمام خواصه قائلا : « إن هذا الفتى قد خلب عقول حرمينا بما يتحفهم به » (4) .

ومنذ ذلك الوقت أخذت السيدة صبح تتوسط له عند الخليفة الحكم وتذكره بمناقبه ، وتنوه بأعماله وسلوكه ، حتى ولاه قضاة بعض النواحي بكورة رية ثم رقاه إلى الإشراف على أموال الزكاة والمواريث بإشبيلية ، وإدارة الشرطة الوسطى والعليا وأمانة السكة (5) .

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 257

(2) نفس المصدر ، ج 2 ص 257

(3) ابن بسام : الذخيرة في محسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع المجلد الأول ، ص 43 ، القاهرة 1945 م - المقرى : نفع الطيب ، ج 1 ص 376 .

(4) المقرى : نفع الطيب ، ج 4 ص 87 ، ج 1 ص 376 . وانظر أيضا ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 252 .

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 251 ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ، ص 68 . ابن حيان : المقتبس ، ص 123 .

وما انفكـت كفاءـته تـظـهـر ، وما زـال كذلكـ الخـلـيـفةـ الحـكـمـ يـرـقـيهـ وـيـقـلـدـهـ الوـظـيفـةـ  
تلـوـ الأـخـرـىـ ، حـيـثـ جـعـلـهـ وـكـيلـاـ عـلـىـ أـبـهـ وـولـىـ عـهـدـهـ هـشـامـ ، فـزـادـ رـفـعةـ وـقـدـراـ عـنـدـ الـخـاصـةـ  
بـولـيـ الـعـهـدـ وـمـكـانـهـ مـنـ السـيـدةـ وـالـدـتـهـ ، فـأـحـتـاجـ النـاسـ إـلـيـ وـغـشـواـ بـابـهـ يـلـتـمـسـونـ مـنـهـ  
الـوـسـاطـةـ وـقـضـاءـ الـحـاجـةـ وـفيـ ذـلـكـ يـقـولـ إـبـنـ عـذـارـىـ : «ـ فـأـحـتـاجـ النـاسـ إـلـيـ وـغـشـواـ  
بـابـهـ فـأـنـسـاـهـمـ مـنـ سـلـفـ مـنـ أـصـحـابـ السـلـطـانـ سـعـةـ اـسـعـافـ ، وـكـرـمـ لـقـاءـ وـسـهـوـلـةـ  
حـجـابـ .. » (1).

استـمـرـ الخـلـيـفةـ الحـكـمـ فـيـ تـقـلـيدـ إـبـنـ أـبـيـ عـامـرـ الـأـمـانـاتـ وـالـخـطـطـ وـتـرـقـيـتـهـ سـلـمـ  
الـوـظـائـفـ إـلـىـ أـنـ وـصـلـ إـلـىـ مـرـبـةـ الـوـزـارـةـ آخـرـ أـيـامـهـ ، وـسـبـقـتـ الإـشـارـةـ إـلـىـ أـنـهـ وـفـدـ عـدـدـةـ  
مـرـاتـ إـلـىـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ فـيـ مـهـاـمـ كـثـيرـةـ ، مـنـهـ حـمـلـ الـأـمـوـالـ إـلـىـ الـقـوـادـ الـأـنـدـلـسـيـنـ الـمـرـابـطـيـنـ  
هـنـاكـ ، وـإـلـىـ حـلـفـاءـ الـدـوـلـةـ مـنـ الـمـغـارـبـ ، وـمـطـالـعـةـ أـحـوالـ الـجـنـدـ ، وـمـراـقبـةـ تـصـرـفـاتـ الـقـوـادـ  
فـيـ تـلـكـ الـمـنـطـقـةـ ، وـأـنـجـيـرـاـ عـيـنـ قـاضـيـ الـقـضـاءـ بـهـ سـنـةـ 362ـ هـ / 972ـ مـ (2).

وـلـاـ تـوـفـيـ الـحـكـمـ وـحـدـثـ أـزـمـةـ تـورـيـثـ الـخـلـفـةـ بـيـنـ أـبـنـاءـ الـبـيـتـ الـحـاـكـمـ ، كـانـ  
الـمـنـصـورـ هوـ الـقـطـبـ الـذـيـ تـدـورـ حـوـلـهـ الـأـحـدـاثـ السـيـاسـيـةـ ، وـالـعـسـكـرـيـةـ ، فـنـذـ ذـلـكـ  
الـحـينـ بـدـأـ إـبـنـ أـبـيـ عـامـرـ عـهـدـاـ جـدـيدـاـ يـمـارـسـ حـيـاتـهـ كـرـجـلـ سـيـاسـيـ وـدـبـلـوـمـاـسـيـ مـحـنـكـ ،  
وـأـظـهـرـ خـبـرـةـ وـلـيـاقـةـ فـيـ إـدـارـةـ شـؤـونـ الـدـوـلـةـ وـكـيـاسـةـ فـيـ مـعـاـلـةـ الـأـصـدـقـاءـ .

### استـبـدـادـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ عـامـرـ بـالـسـلـطـةـ وـالـتـخلـصـ مـنـ مـنـافـسـيـهـ :

أـخـذـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ عـامـرـ يـشـقـ طـرـيقـهـ قـائـداـ عـسـكـرـياـ وـرـجـلاـ سـيـاسـيـاـ بـإـرـادـةـ قـوـيةـ  
وـسـعـيـ لـايـكـلـ . مـنـهـاـ فـيـ ذـلـكـ الـفـرـصـ الـمـوـاتـيـةـ لـنـشـرـ نـفوـذـهـ وـتوـسـعـ سـلـطـانـهـ ، وـفـرـضـ هـيـبـةـ  
عـلـىـ حـسـابـ زـمـلـائـهـ مـنـ كـبـارـ رـجـالـ الـدـوـلـةـ ، يـضـرـبـ بـعـضـهـمـ بـعـضـ وـفـسـطـاعـ بـدـهـائـهـ  
أـنـ يـمـكـرـبـهـمـ وـأـنـ يـوـقـعـ بـيـنـهـمـ حـتـىـ قـتـلـ بـعـضـهـمـ بـعـضـ ، وـهـكـذـا تـخـلـصـ مـنـ كـانـ يـخـشـاهـمـ  
الـوـاحـدـ تـلـوـ الـآخـرـ ، غـيرـ مـبـالـ بـضـمـيرـ أوـ أـخـلـاقـ فـيـ سـبـيلـ الـوـصـولـ إـلـىـ أـهـدـافـهـ لـقـدـ عـمـلـ

(1) إـبـنـ عـذـارـىـ : الـبـيـانـ ، جـ 2ـ صـ 258ـ .

(2) إـبـنـ حـيـانـ : الـمـقـبـسـ ، صـ 123ـ .

بنظرية ميكيا فلى ، (في القرن الخامس عشر) قبل أن يوجد ، وهي سياسة الغاية تبرر الوسيلة (1) .

استهل ابن أبي عامر سياسته هذه بنكبة الصقالية ، فقد استغل الخصومة التي كانت بينهم وبين الحاجب جعفر المصحفي ، ووجهها لصالحه ، واستعان به في نكباتهم وأخراجهم من القصر ، وكان عددهم نحو ثمانمائة صقلي ، وبذلك قسم ابن أبي عامر أول عروة من عرى الخلافة (2) .

ثم انتقل بعد ذلك إلى خصم آخر يُعد من أكبر منافسيه على السلطة وهو الحاجب جعفر المصحفي ، وقد مهد له بالقرب إلى ذي الرازقين والسيفين القائد غالب بن عبد الرحمن ، صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى ، بصفته أكبر القواد وأشجعهم آنذاك ، فأرتبط معه برباط المصاهرة حيث تزوج من ابنته « أسماء » ، وكان يوم زواجه بها أعظم عرس في الأندلس حسب تعبير المقرى (3) .

ومنذ ذلك الحين، عمد ابن أبي عامر إلى مصانعته ومظاهرته وتأييده في خلافه مع المصحفي ، ولم يكتف بهذا بل بالغ أيضاً في خدمته وأكرامه داخل القصر عند السيدة « صبح » أم الخليفة حتى أكتسب محبته وثقته ونم له ما أراد (4) .

كما قام بالسعاية ضد المصحفي لدى الخليفة هشام المؤيد ، وأوغر عليه صدره وتمكن من إصدار قرار منه بعزل الحاجب جعفر من مناصبه ، والقبض عليه ومحاسبته وزوج به في غياب السجون عدة سنوات ولم ينفع الحاجب جعفر المصحفي كثرة توسّلاته، التي كان يبعث بها إلى محمد بن أبي عامر من داخل سجن الزهراء ، بواسطة القصائد الشعرية الكثيرة التي كان ينظمها خصيصاً لهذا الغرض ..

هبني أسمأت فأيسن العفو والكرم إذ قادني نحوك الادعاء والندم يا خير من مدلت الأيدي إليه أما ترثى لشيخ نعاه عندك القلم

(1) د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 244 - راجع أيضاً كتاب الاستاذ المرحوم عبد الحميد العبادي : المجل في تاريخ الأندلس ، ص 146 .

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 259 - المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 376 .

(3) المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 376 - انظر أيضاً : ابن عذاري البيان ، ج 2 ص 267 .

(4) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 265

بـا لـغـت فـي السـخـط فـا صـفـح صـفـح مـقـدر  
ان الـلـوـك اذا ما أـسـرـحـمـوا رـحـمـوا (1)  
لـكـن اـبـن اـبـي عـامـر لم يـرـق لـحـالـهـ ، وـلـم يـصـح لـتـوـسـلـاتـهـ ، بـل زـادـه ذـلـك قـسـوةـ وأـصـرـارـاـ عـلـىـ  
إـذـلـهـ وـاهـانـتـهـ ، وـأـمـرـ شـاعـرـهـ الـخـاصـ، عـبـدـ الـلـكـ بـنـ أـدـرـيـسـ، أـنـ يـجـبـيـهـ عـنـ أـيـاتـهـ فـقـالـ :

الآن يا جـاهـلاـزـلتـ بـكـ القـدـمـ تـبـغـيـ التـكـرـمـ لـمـ فـاتـكـ الـكـرـمـ  
أـغـرـيـتـ بـيـ مـلـكـاـ لـسـولاـ تـبـتـتـهـ .ـ ماـ جـازـلـيـ عـنـدـهـ نـطـقـ وـلـاـ كـرـمـ  
فـاـيـأسـ مـنـ الـعـيشـ اـذـقـ صـرـتـ فـيـ طـبـعـهـ  
ان الـلـوـكـ اذا ما أـسـتـقـمـواـ نـقـمـواـ  
نـفـسـيـ اـذـا سـخـطـتـ لـيـسـتـ بـرـاضـيـةـ وـلـوـ تـشـفـعـ فـيـكـ الـعـربـ وـالـعـجمـ (2)  
وـأـبـاهـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـي عـامـرـ فـيـ السـجـنـ الـمـطـبـقـ بـمـدـيـنـةـ الـزـهـراءـ إـلـىـ أـنـ تـوـفـيـ وـقـيلـ قـتـلـ خـنـقاـ  
سـنـةـ 372 هـ / 982 مـ (3) .

وـلـمـ يـقـ أـمـامـهـ مـاـ يـخـشـأـ سـوـىـ الـمـنـافـسـ الـخـطـيرـ الـثـالـثـ ،ـ صـهـرـ شـيـخـ الـمـوـالـيـ  
«ـ غـالـبـ »ـ ،ـ الـذـيـ فـطـنـ لـنـوـيـاـهـ وـأـهـدـافـهـ ،ـ فـأـخـذـ يـحـتـقـ عـلـيـهـ لـحـجـرـهـ عـلـىـ الـخـلـيفـةـ هـشـامـ ،ـ  
وـجـمـعـهـ الـسـلـطـةـ فـيـ يـدـهـ وـالـسـبـدـادـ بـهـ ،ـ وـلـاحـظـ ذـلـكـ إـبـنـ الـخـطـيبـ بـقـولـهـ :ـ «ـ ...ـ لـمـ  
رـآـهـ يـطـوـيـ الـدـوـلـةـ طـيـاـ وـسـتـيـاـ خـلـقـاـ جـديـداـ .ـ مـنـسـوـبـاـ إـلـيـهـ مـعـرـوفـاـ بـيـاصـطـنـاعـهـ ،ـ فـاـضـمـرـ لـهـ  
الـخـدـيـعـةـ وـرـجـاعـهـ الـأـرـاحـةـ ..ـ »ـ (4)ـ .

وـلـكـ غـالـبـ لـمـ يـظـهـرـ لـهـ ذـلـكـ ،ـ وـظـلـ يـرـصـدـ لـهـ فـيـ سـرـيـةـ تـامـةـ ،ـ وـيـسـتـظـرـ بـفـارـغـ  
الـصـبـرـ الـيـوـمـ الـمـنـاسـبـ لـتـصـفـيـةـ حـسـابـهـ مـعـهـ ،ـ وـسـنـحـتـ الـفـرـصـةـ لـهـ يـوـمـ التـقـىـ بـهـ بـعـدـ الـغـزـوـةـ  
الـتـيـ قـامـ بـهـ إـبـنـ أـبـيـ عـامـرـ عـلـىـ قـلـعـةـ أـنـتـيـسـةـ Antiezaـ (ـ غـرـبـيـ مـدـيـنـةـ سـالـمـ بـنـحـوـ 40 كـمـ)  
مـنـ الشـغـرـيـثـ يـقـيمـ الـقـائـدـ،ـ غـالـبـ فـدـعـاهـ إـلـىـ وـلـيـمةـ وـأـنـفـرـدـ بـهـ وـأـخـذـ فـيـ عـتـابـهـ ،ـ ثـمـ كـسـرـ عـلـيـهـ  
غـالـبـ بـسـيفـهـ ،ـ وـكـادـ أـنـ يـجـهزـ عـلـيـهـ لـوـلـاخـفـةـ جـوـادـ إـبـنـ أـبـيـ عـامـرـ وـسـرـعـتـهـ ،ـ فـأـطـلـقـ سـيـقـانـهـ  
لـلـرـيـحـ وـخـلـصـ صـاحـبـهـ مـنـ مـوتـ مـحـقـقـ (5)ـ .

(1) إـبـنـ الـأـبـارـ :ـ الـحـلـةـ الـسـيـرـاءـ ،ـ جـ 1ـ صـ 259ـ .ـ المـقـرـىـ :ـ الـمـصـدـرـ الـسـابـقـ ،ـ جـ 1ـ صـ 385ـ .

(2) إـبـنـ الـأـبـارـ :ـ الـحـلـةـ الـسـيـرـاءـ ،ـ جـ 1ـ صـ 267ـ .ـ المـقـرـىـ :ـ الـمـصـدـرـ الـسـابـقـ ،ـ جـ 1ـ صـ 385ـ .

(3) إـبـنـ الـأـبـارـ :ـ الـحـلـةـ الـسـيـرـاءـ ،ـ جـ 1ـ صـ 267ـ .ـ المـقـرـىـ :ـ نـفـحـ الـطـبـبـ ،ـ جـ 1ـ صـ 385ـ ؛ـ رـاجـعـ :ـ إـبـنـ فـاقـانـ :ـ  
مـطـمـعـ الـأـنـسـ ،ـ صـ 8ـ .

(4) إـبـنـ الـخـطـيبـ :ـ اـعـمـالـ الـاعـلـامـ ،ـ الـقـسـمـ الثـانـيـ صـ 72ـ .

(5) إـبـنـ عـذـارـىـ :ـ الـبـيـانـ ،ـ جـ 2ـ صـ 278ـ .

حيثند أخذ ابن أبي عامر يحسب له ألف حساب ، ويعمل بكل ما في وسعه للقضاء على المنافس الثالث ، إلا أنه لم يقدم على مواجهته مباشرة بنفسه لأنه يعلم أن القضاء على هذا القائد ، لا يمكن أن يتم بنفس السهولة ، التي تم بها التخلص من جعفر المصحفي ، لأن غالباً كان يتتفوق عليه في الفروسيّة وبيزه شجاعة وقداماً ، لذلك آثر أن يستعين عليه بقائد ، لا يقل عنه شجاعة وفروسية ، إلا وهو جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي ، الذي استقدمه من المغرب مع ستمائة من المقاتلين المغاربة ، ليغضد به ساعده ، ويتوى على خصميه غالب (1) .

ورماه أيضاً بقائد الثغر الأعلى « أبي الأحوص » معن بن عبد العزيز التيجي « وحسن بن أحمد بن عبد الودود » في معظم أهل الثغور (2) علاوة عن جيش الحضرة ، الذي يقوده محمد بن أبي عامر نفسه ، وأمام هذه الحشود الهائلة ، لم يوجد القائد غالب بدا من التحالف مع بعض ملوك الدول المسيحية الإسبانية في الشمال والإستعانة بهم (3) وفي سنة 371 هـ / 981 م ، وقعت المعركة الفاصلة بين الطرفين ، لнаци خلالها محمد بن أبي عامر عناء كبيراً ، من جراء ما أظهره غالب من بطولة وشجاعة رغم كبر سنه ، وكادت كفته أن ترجح ، لو لا أن حدث ما لم يكن في الحسبان ، حيث سقط غالب من فرق صهوة فرسه ميتاً ، فتفرق جيشه ونزلت به الهزيمة (4) .

ولم يلبث ابن أبي عامر ، ان دبر مكيدة لقتل جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي ، الذي ساعده في حربه ضد غالب ، وواطأ ابن أبي عامر أبي الأحوص معنا بن عبد العزيز بن محمد التيجي ، على قتل القائد جعفر ، فدعاه إلى وليمة وقدم له الشراب فافطر جعفر فيه ، وارصد له من قتلوه وهو عائد بالليل إلى منزله ، في قصر العقاب سنة 372 هـ / 982 م وهو ثمل ، وتظاهر محمد بن أبي عامر بالحزن عليه (5) ، ثم قتل بعد ذلك أبي الأحوص وأنفرد وحده بالحكم (6) .

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 278 .

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 72

(3) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 279 - ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ص 72 .

(4) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 279 - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 72 .

(5) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج 1 ص 306 - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 280 - 281 .

(6) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 279 .

وبهذه السياسة الجريئة العازمة، تمكن محمد بن أبي عامر من منازلة معظم منافسيه على السلطة والقضاء عليهم ، وخلاله بذلك الجحود للاستقلال بالملك والإنفراد به دون أصحابه الشرعيين ، فتغلب على الخليفة هشام وحجره في القصر ، وشدد الحراسة على بابه بترتيب الحراس والبواين ، وأمرهم بخلافة الحراسة ليلاً نهاراً ، ومراقبة تحركات من بداخل القصر سراً وجهاراً ، حتى أصبح الخليفة محجوراً مهجوراً لا تراه الخواص ولا العوام (1) .

ويصف ابن البار الحالة التي آلت إليها الخليفة هشام المؤيد بالله ، بقوله : « ليس له من الأمر غير الإسم خاصة فما ظنك برجاله ومواليه الذين كان يرهب منهم وبهم يحترس » (2) .

فقد جرده من كل شيء إلا من الاسم الخليفي ، والدعاء له على المنابر وكتب اسمه على السكة والطرز وفي ذلك قال أحد المؤرخين : « ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على المنابر وكتب باسمه على السكة والطرز .. (3) » .

وتسمى بالحاجب المنصور سنة 371 هـ / 981 م ، وأمر بأن يحيى بتحية الملوك ، وأنفذ الكتب والمخاطبات والأوامر باسمه ، ولم يقف عند هذا الحد، بل أمر العمال في مختلف المقاطعات والإقليم التابعة للدولة الأموية في الأندلس ، بالدعاء له على المنابر عقب الدعاء للخليفة هشام المؤيد بالله (4) .

والظاهر أن المنصور بن أبي عامر ، أحسن بكثرة حсадه وأعدائه ، فخاف على نفسه من دخول القصر الخليفي بقرطبة ، فقام ببناء مدينة لنفسه وحاشيته ، أطلق عليها إسم « الظاهرة » ، انتقل إليها سنة 370 هـ / 980 م ، بأهله وذويه وأنزل بها خاصته وعامتها ، وشحنتها بجميع أنواع الأسلحة والجنود والأموال ، والأمتدة وأتخد فيها الدواوين والأعمال ، بدلاً من مدينة « الزهراء » (5) .

(1) نفس المصدر، ج 2 ص 276 .

(2) الحلة السيراء : ج 1 ص 269

(3) المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 374

(4) نفس المصدر والصفحة .

(5) المقرى : نفح الطيب ، ج 2 ص 113

ونحاطب المنصور عمال الأقاليم في الأندلس والمغرب بأمرهم بتوجيه المراسلات والجبايات والأموال إلى مديتها الجديدة ، وحذرهم من الذهاب إلى قصر الخليفة أو الإتصال به .

ورغم إشغال المنصور بن أبي عامر ، بتوظيف أركان دولته الناشئة واستئثاره بالسلطة ، فلم ينصرف عن الجهاد ، وتنظيم الصوائف والشوائي ، كل سنة إلى المناطق الشمالية ، حيث توجد الملك المسيحية المتاخمة لحدود دولته ، وتذكر بعض المصادر العربية ، أنه قام بنحو سبع وخمسين غزوة قادها جميعاً بنفسه ، وقد زادته هذه الغزوات الناجحة المظفرة مفخرة وعزوة وشرفًا وهيبة ، سواء في نظر رعيته أو أعدائه ، فتوغل في بلاد جليقية غارساً في نفوس أهلها الذعر والفزع ، وكان المنصور لا يعود من غزوة إلا ويستعد لأنخرى ، ولم ينهرم له فيها جيش ولم تنكس له راية ، فأحبته الناس واستبالت إليه قلوبهم (1) .

### اعتماد المنصور على المغاربة في بناء قواه :

لاشك أن السياسة العنيفة والجرحية ، التي أتبعتها الحاجب المنصور ابن أبي عامر . كان يعتمد في تطبيقها على أيد قوية ، ورجال شجاعان منحوه كل الإخلاص ، كما منحهم هو كل التكريم فتقوى بهم وعلا شأنهم به ، ويبدو أن معظم هؤلاء الرجال الشجاعان من المغاربة ، فهناك ما يشير إلى أن المنصور اتجه بانتظاره إلى البلاد الغربية ، واستقدم كثيراً من أبنائهما وكوئن منهم جيشه الجديد ، وأصبحوا هم الداعمة الأولى في بناء دولته ونصرته ، وإن معظم أفراد هذا الجيش من قبائل زناتة ومكناسة وبني برزال وصنهاجة وأزداجة ، وغيرهم من أبناء المغرب الذين أمو الأندلس ، وأسرعوا إلى الانخراط في صفوف قواه ، عندما أنتشرت أخبار كرمه معهم وأحسانه إليهم ، فتخركت همة الكثير منهم ، ولحقوا بالخوانهم القدماء هناك (2) .

وكانت الدفعة الأولى من المتطوعين المغاربة في عصر المنصور ، والتي عبرت المضيق إلى الأندلس هي تلك التي اجتازت مع جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي عامله على

(1) المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 376 - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 65 .

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 75 - المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 373 .

المغرب سنة 367 هـ / 987 م ، لتغذى جيشه بالمقاتلين . وكان عددها نحو ستمائة فارس (1) .

وقد اتفق أن تحرك في هذه الفترة ، نائب الفواطم في إفريقية بل يكن بن زيري الصنهاجي ، في حملته المشهورة على المغرب الأقصى ، والتي أكتسح فيها أمامة زناته وأجفلها إلى مدينة سبتة ، قاعدة الخلافة الأندلسية في المغرب .

فاستغل المنصور هذه الحادثة ، وبعث إلى رجال زناته يشجعهم على الهجرة والقادم إليه ، والظاهر أن أعيانه قد أشاروا عليه بذلك وقالوا له : « قد أمكنك الله من اصطناع فرسان زناته وإعتقد الملة عليهم ، فارسل اليهم يأتيك سراعاً فليجد احسانك إليهم مكاناً » (2) .

ومازال المنصور يسعى في استقدامهم ، وينبذل الاحسان إليهم ، والتتوسيع عليهم وما زالوا هم أيضاً يثنالون عليه اثنينا لا فاقبلوا عليه إقبالاً منقطع النظير وأيدوه تأييداً مطلقاً ولبوا نداءه ، وظلوا يتلاحرون وفرسانهم يتواترون ، حتى أن الرجل منهم كان يجيئ إلى الأندلس : « بلباس الخلق الأعجب فيبذل بلباس الخز الطرازي وغيره ، ويركب الجواد العتيق ويسكن القصر... حتى صاروا أكثر الأجناد في الأندلس » (3) .

فحسنت بذلك أحوالهم ، وكثرت أموالهم ، وصاروا أظهراً الجند نعمة ، واعلى منزلة ، وأصبحت فيهم رئاسة الجيوش وقيادة المعارك ، ولم يزالوا خاصة المنصور وبطانته . فقدم رجالهم وأخر رجال العرب ، واستقطبهم عن مراتبهم ، لثلاثينافسو وينازعوه على السلطة ، ويتم له الانفراد بها من جهة ، وربما أيضاً لما رأه من أن العرب أصبحوا طبقة أرستقراطية نفذت مزاياها الهرية من جهة أخرى (4) .

وكما ساعد المنصور بن أبي عامر وشجعه ، على استخدام هؤلاء المغاربة في قواته ، معرفته بطبائعهم ، التي لم تكن غريبة عنه ، فقد سبق له أن عاش في بلادهم وبين

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 279 - مفاخر البربر ، ص 15

(2) مفاخر البربر ، ص 17 - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 293

(3) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 294/293

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 2 ص 379

قبائلهم ، عدّة سنوات قاضيا يرعى شؤون الناس ، ويحكم في مظلّتهم ، كما عمل أمينا خاصا لل الخليفة الحكيم المستنصر بالله هناك .

ولكي يزيد المنصور بن أبي عامر من أضعاف العصبية القبلية ، سواء بين المغاربة أو العرب ، قام بتنظيم الجيش الى فرق مختلفة ، من كل نوع بحيث جزاً القبائل وجعل المجموعة الواحدة من الجندي ، عبارة عن فرق من كل قبيلة ، ليخفف ويضعف من حدة الفتنة القائمة على هذه العصبية القبلية ، وبالتالي يسهل عليه التحكم فيه وقيادته .

أطلق المنصور على هذا الجيش المغربي الجديد إسم الحضرة ، أي جند العاصمة يخضعون لرئاسته وقيادته ، ولا يطيعون غيره ، وبهذا يكون الجيش الأندلسي في هذه الفترة مقسما إلى قسمين :

قسم يديره الحاجب المنصور بنفسه ، وهو جيش الحضرة ، والقسم الثاني يدير أمره القائد غالب صاحب مدينة « سالم » ويسمى جيش الشفر<sup>(1)</sup> .

### سياسة المنصور المغربية :

أما عن سياسة المنصور بن أبي عامر المغربية ، فيبدو أنه رغم مشاغله الكثيرة بالشؤون الداخلية للبلاد ، وتنفيذ خططه العديدة في سبيل القضاء على الخصوم والمنافسين ، لبناء صرح دولة عامرية قوية ، فضلاً عن الصوائف والشواطيء ، التي كان يقودها بنفسه للجهاد في كل سنة ، فإنه أيضاً كان يهتم اهتماماً خاصاً ، ببلاد المغرب الذي يعتبر المصدر الرئيسي لجيشه وقواته .

« فقد سار المنصور هو الآخر ، على نفس السياسة التي سار عليها الناصر المستنصر من قبل ، والتي تقوم على ضرورة اصطدام أمراء المغرب ورؤساء قبائله ، والتدخل المسلح المباشر في المغرب ، اذا أقضى الأمر بذلك ، حتى يحافظ على النفوذ الأموي فيه من جهة ، ولتأمين حدود دولته الجنوبية من جهة ثانية .

والظاهر أن المنصور بن أبي عامر ، قد اقتصر في أول عهده على ضبط مدينة سبتة وما والاها ، بالعمال والجيوش الأندلسية ، وقلدها كبار رجال الدولة من أرباب السيف

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 265

والأقلام ، وعُول على ضبط ما وراء ذلك من البلاد المغربية على أبنائهما من أمراء زناتة (مغراوة وبني يفرن) ، ومكناسة وغيرهم من الموالين للدولة الأموية في الأندلس ، وشرح ذلك صاحب كتاب مفاحير البربر بقوله : « وأقتصر محمد لأول قيامه على ضبط مدينة سبتة وما والاها ، بجند السلطان الأندلسي وقلدها كبار رجاله ، من أصحاب السيوف والأقلام ، وعُول في ضبط ما وراء ذلك على ملوك زناتة ، وتعهدتهم بالجواز والخلع ، وأكرم وفودهم ببابه ، وأثبتت من رغب منهم الآثار في ديوانه .. » (1) .

وصادف آنذاك أن ظهرت قوة آل خزر المغراويين الزناتيين ، بحيث أمتد سلطانهم على أغلب أعمال المغاربة الأوسط والأقصى ، بعد أن تمكنوا من كسر مكناسة وطردتها من مدينة « فاس » ، وغيرها من المناطق التابعة لهم ، وحلوا محلهم (2). ومنذ ذلك الوقت أخذ المنصور بن أبي عامر يصطنع زعماء مغراوة ويعهد لهم بالطافه ، وخلعه وأمواله ، ويكرم وفودهم ويثبت جنودهم في ديوانه ، وشجعهم على ضبط أمور المغرب وأطلق يدهم فيه . ولعل من نتائج هذه السياسة ، أن قام خزرون بن فلفل ، أحد أمراءبني خزر المغراويين المرتسمين بولاية بني أمية في الأندلس ، بالسير على رأس جيش زناتي كبير نحو مدينة سجلماسة (تايفيلات حاليا) تابعة طرد المكناسيين من أعمالهم ، والإستلاء عليها ، ولا يستبعد أن يكون المنصور وراء ذلك ، لأنه معروف بهذه السياسة ، فبز إليه أبو محمد المعتر بالله المدراري أمير المدينة ، فهزمه خزرون وقتله ، وأستولى على المدينة وعلى ذخيرتها من الأموال والسلاح ، ومحا بذلك أثر دولة بني مدرار السجلماسيين منها ، وأقام الدعوة بها للخليفة هشام المؤيد بالله ، وهي أول دعوة أقيمت لبني أمية على منابر سجلماسة ، منذ تأسيس دولتهم في الأندلس ، وكان ذلك سنة 367هـ/977م ، وكتب خزرون ابن فلفل بعد ذلك إلى العاهل الأندلسي ، يخبره بما تم له من إنتصار على بني مدرار ، وبعث له برأس « المعتر بالله » ، فنسب ذلك إلى المنصور بن أبي عامر وتيمّن لحجابته ، فكافأ خزرون على ذلك ، وعقد له على مدينة سجلماسة (3) .

(1) مفاحير البربر ، ص 16 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 77

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ص 279

(3) مفاحير البربر ، ص 16/17 - ابن عذاريج : البيان ، ج 1 ص 230/231 - ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 273 وج 7 ص 40 .

وعلى أثر استلاء مغراوة على سجل ماسة ، زحف بلکین بن زيري صاحب أفريقية ، وظاهر الدولة الفاطمية بها ، الى المغرب الأقصى ، رحفلته المشهورة المشار اليها سابقاً . وأستطيع بلکين أن يحفل زنانة من مصاريبها ، ويتعقب قلوها الى مدينة « سبتة » ، فاجتاز أمراؤها البحر الى المنصور بن أبي عامر صارخين مستغيثين ، فلم يتأنّ عنهم ، وأعد بلکين بن زيري بظاهر « سبتة » جيشاً كبيراً من المغاربة والأندلسين ، إذ كان المنصور قد توجه الى الجزيرة الخضراء عندما جاءته صرخات الإستغاثة ، وسيّر جيشه بقيادة جعفر بن علي بن حملون الأندلسي الى سبتة ، بعد أن زوده بالأموال اللازمة لتفطية نفقات الحرب ، وبقي هو في الجزيرة الخضراء ، يشرف بنفسه على الإمدادات ، ويترقب الوضع في المغرب من قرب وعن كثب (1) .

ولما أشرف بلکين على الجيش الأندلسي ، من أعلى الجبال المطلة على المدينة ، ورأى منعتها وخصائصها ، وكثرة جيشه وسرعة إمداداتها ، أدرك بأنه يصعب عليه فتحها عن طريق البر ، ولا يمكن ذلك الا بواسطة المراكب بالبحر ، فلم يقبل أن يزج بنفسه وجيشه ، في عملية انتشارية كهذه ، فحوال وجهه منها وقال لاصحابه : « إنما سبتة حيّة ولت ذنبها حذاءنا ، وفقرت فاما نحوها ، وأنصرف نحو الجنوب (2) .

أما المنصور بن أبي عامر ، فقد أمر جعفر بن علي بالعودة إليه بقواته الأندلسية ، واستعمل على مدينة سبتة ، أحد أقاربه مخلد بن محمد بن زكريا التميمي المعروف بابن بروطال ثم قُتل عائداً الى قرطبة (3) .

### عودة الحسن بن جنون الى بلاد المغرب وثورته على المنصور :

لم يلبث المنصور بن أبي عامر أن تصدى بكل حزم لمجوم آخر تعرض له حلفاؤه في المغرب الأقصى ، لا يقل خطورة عن الأول . لكن هذه المرة لم يكن المجوم من طرف صنّاجة ، وإنما كان من طرف الأمير الأدرسي « الحسن بن جنون » ، الذي كان مقيناً في بلاط الفواطم بالقاهرة منذ عام 365 هـ / 975 م .

(1) مفاخر البربر ، ص 17 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 41 ، 59

(2) مفاخر البربر ، ص 17 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 41 - التویری نهاية الارب ، ج 22 ورقة 140

(3) مفاخر البربر ، ص 18 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 41

وبيدو أنه خلال المدة التي قضتها في بلاط القاهرة، كان العزيز باه ووزيره يعقوب بن كلسي، يحرضانه على العودة إلى شمال إفريقيا، لأحياء الدولة الإدريسية من جديد حتى يتخلصا من نفوذاته الباهضة، التي أثقلت الخزانة مدةً عما في سنوات (1). وصادفت الفكرة هوى في نفس الحسن بن جنون فتحمس للأمر، عند ذلك كتب له العزيز باه بعهده على المغرب، وأمر عامله بإفريقية بلکین بن زيري، أن يقويه بجيوش والأموال، فسار الحسن إلى بلکين فأمده بجيش من ثلاثة آلاف من صنهاجة، ولما اتى بهم إلى المغرب، سارعت إلى نصرته قبيلةبني يفرن بزعامة يلو بن يعلی بن محمد وأخوه زيري وإبن عمّه أبي يدادس وعدّ كبير من العلوين الذين جاهروا بطاعته (2).

وعندما وصل خبرهما إلى المنصور، أندى إليه ابن عمّه عمرا بن عبد الله المعروف بعسكلاجة، على رأس جيش كثيف سنة 375 هـ / 985 مـ، وقلده أمر المغرب وسائر أعماله وأمره بمحاربة الحسن بن جنون، فعبر «عسكلاجة» إلى مدينة سبتة، فانضم إليه آل خزر المغراوين، وهم محمد بن الخير، وخزرون بن فلقل ومقاتل وزيري ابنها عطيه وسائر مغارواة ثم وجه المنصور تعزيزات عسكرية أخرى، لتعضيد ابن عمّه في المغرب، بقيادة كل من ابنه عبد الملك ومحمد بن أحمد بن جابر وصهره، الوزير عبد الرحمن بن محمد التجيبي وغيرهم من وجوه القواد الأندلسين، وظل هو بالجزيرة الخضراء، التي جعل منها مقراً لعملياته الحربية، يشرف منها على المعارك ويدير دقتها منها كعادته (3).

انضمت هذه الإمدادات العسكرية، إلى جيوش الوزير ابن الحكم عمرو بن عبد الله وسارت نحو الشائر الأدريسي، فاحتاطت به وطوفته، وعند ذلك لم يجد الحسن بن جنون بدا من الاستسلام، وطلب الأمان لنفسه ولأهلة على أن يسير إلى الأندلس كمثل حاليه الأولى، فأمنه «عسكلاجة»، واصحصه إلى الأندلس وكتب لابن عمّه المنصور يخبره بذلك، لكن المنصور لم يمض أمان ابن عمّه، وأندى إليه من قتله في الطريق، وأناته برأسه في جمادى الأولى سنة 375 هـ / 985 مـ، لكترة فساده، ونكث عهوده (4).

(1) مفاجر البربر، ص 19

(2) مفاجر البربر، ص 19 - ابن خلدون: العبر، ج 7 من 41، 60 - روض القرطاس، ص 62.

(3) مفاجر البربر، ص 19 - 20 - ابن خلدون: العبر، ج 7 من 41

(4) مفاجر البربر، ص 20 - ابن عذاري: البيان، ج 2 من 281 - ابن الخطيب، القسم الثالث من 224، ابن خلدون: العبر، ج 7 من 41 - أبي زرع: روض القرطاس، ص 63 - السلاوي: الاستقصا، ص 89.

وتشير بعض المصادر الى أن المنصور بن أبي عامر ، أمر بإخراج الادارسة من الأندلس والمغرب على أثر هذه الثورة ، فتفرقوا بين القبائل المغربية ، واضطروا خوفاً من جنود المنصور ، أن يتخلوا عن نسبهم العلوي ، وأنهارت بذلك دعوة الادارسة بالمغرب الأقصى ، وتفرق أنصارهم وسكنت ريحهم (1) .

وقد أثار قرار المنصور أستياء الادارسة فأخذوا يعرضون به في أشعارهم ، لأنها هي الوسيلة الوحيدة ، التي بقيت لديهم يتنفسون بها ، عن سخطهم الشديد على المنصور ابن أبي عامر ، وحسبي أن أذكر هنا الأبيات التي نظمها الشاعر الادريسي ، ابراهيم بن ادريس يهجو فيها المنصور ، ويحرض عليه بنى أمية في الأندلس :

فَيَا أَرِي عَجَبْ لِمَنْ يَتَعَجَّبْ	جَعَلَتْ مَصِيبَتَنَا وَضَاقَ الْمَذْهَبْ
إِنِّي لَا كَذَبْ مَقْلَبَتِي فِيمَا أَرِي	حَتَّى أَقُولْ غَلَطْتْ فِيمَا أَحَسَبْ
أَيْكُونُ حَيَا مِنْ أُمِيَّةَ وَاحِدْ	وَسُوسَ ضَخْمَ الْمَلَكْ هَذَا الْأَحَدْ
أَبْنِي أُمِيَّةَ أَيْنَ أَقْمَارَ الدَّجَى	مِنْكُمْ وَمَا لَوْجُودَهَا تَغْيِيبْ (2)

استدعى المنصور بن أبي عامر عامله « عسكلاجة » ، من المغرب ، وولي مكانه أحد ثقافة ، الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي سنة 376هـ/986م ، ومنحه السلطة المطلقة ، في تدبير شؤون الأعمال ، النصورية تحت الفوذ الأموي ، في العدوة المغربية وأطلق يده ، في الأموال وأمده بالعساكر ، وأمره أن يعمل على استمالة القبائل المغربية ، والإحسان إليها ، ولا سيما منها قبيلة مغراوة وزعيمها مقاتل وزيري ابني عطيه لبلائهم الحسن ، في سبيل اختماد ثورة « الحسن بن جنون » الأخيرة ، ولا نحياشهما لبني أمية وصدق طاعتهما (3) .

### اتساع دائرة الفوذ الأموي في بلاد المغرب :

ظل الوزير الحسن بن أحمد بن عبد الودود ، في ولايته يسوس المغرب ويفضي

(1) مفاخر البربر ، ص 20 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 63

(2). مفاخر البربر ، ص 21 - ابن عذاري : البيان ج 2 ص 282

(3) ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 61

أموره ، حتى سقط قتيلًا في أحدى المعارك العنيفة مع يدوبن يعلي اليفري ، فعهد المنصور بن أبي عامر بولاية المغرب ، إلى أحد أبنائهما الأفذاذ ، وهو الزعيم المغراوي زيري ، الذي أنفرد برئاسة مغراوة ، بعد مهلك أخيه مقاتل بن عطية سنة 378 هـ / 988 م ، وحرضه على مقاتله بني يفرن ، وازالة شوكتهم وأوكل إليه أيضًا ، محاربة بني زيري الصناهجة أصحاب إفريقية ، ومن تبعهم من أولياء الشيعة الفواطم ، بالديار المغربية (1).

والظاهر أن جهود المنصور بن أبي عامر ، في تطبيق سياسته الإفريقية قد كللت بالنجاح ، إذ كان هو رجل التوسيع الأموي ، وأشدّهم فاعلية في هذا المضمار في ذلك الوقت ، ففي ظل حكمه توصلت الدولة الأموية إلى قمة مجدها ، في الغرب الإسلامي. وقد أحسن المنصور التصرف باستعماله آل خزر المغاربة الزناتيين ، بزعامة زيري بن عطية وتوليه بلاد المغرب ، لأن مغراوة يومئذ كانت فيما يبلو أقوى القبائل المغربية وأجدرها لحكم المغرب ، ودليل ذلك أن زيري بن عطية ، استطاع أن يجمع كلمة شعبه ، ويسط سلطانه على معظم أعمال المغرب ، بعد أن أزاح قبيلة مكناسة من مسارها وأعمالها في شمال وجنوب المغرب الأقصى ، حتى مدينة سجلماسة (2).

وبفضل هذه السياسة ، التي انتهجهها المنصور مع المغاربة بلفت الدعوة الأموية ، في عهده أوج عظمتها ، وأقصى اتساعها ، بحيث لم تعهد له من قبل إذ أمنت من أعمال الزراب وتأهرت وتلمسان شرقاً ، إلى مدينة سجلماسة جنوباً (3). وما زاد في تدعيم هذا النفوذ الأموي في المغرب ، انضمام الزعيم الصناهجي ، أبو البهار بن مناد ، بأعماله إلى طاعة بني أمية في الأندلس ، وخلعه لطاعة العبيديين ودعوتهم ، وكان أبو البهار قد خالف ابن أخيه ، المنصور بن بلکین بن زيري صاحب الهبروان وإفريقية ، واستولى على بعض أعمال المغرب الأوسط ، التابعة للدولة الصناهجية مثل : الزراب والونشريس وتأهرت وشلف وتلمسان ، وقطع عنها دعوة الفواطم ، وخطب لهشام والمنصور على منابرها سنة 379 هـ / 989 م (4).

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 60

(2) مفاخر البربر ، ص 16/17 - ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 230/231 ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 273 ج 7 ص 40.

(3) مفاخر البربر ، ص 16 - 24 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 66 ج 6 ص 321

(4) مفاخر البربر ، ص 24 - ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 244 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 630.

ولم يلبث أن اتفى أثره في ذلك، صهره خلوف بن أبي بكر صاحب « تاهرت » ، وهو أكبر قواد الدولة الزيرية الصنهاجية في المغرب الأوسط ، ثم حدا حذوها نحوه عطية بن أبي بكر، فكتب أبوالبهار إلى المنصور بن أبي عامر يسأله، الدخول في طاعته ، وطلب منه أن يكتب له إلى زيري بن عطية المغراوي، صاحب فاس أن يكون عنده (1) .

لكن المنصور فيما يدوكان يشك في ولائه واحلاصه ، لذلك رد عليه بكتاب ، يتأكد من اخلاص نيته قائلا له : « ان كنت على نية فيما وصفته عن نفسك ، فارسل إلي ابنك يكون رهينة عندي ، وأفضل معلم ما أحبيته » (2) .

فارسل إليه أبوالبهار ابنه في مركب مع كاتبه ميمون المعروف بابن الدابة، لكن قدر لهذا المركب أن يصاب بالعطب في وسط البحر، فغرق وغرق معه جميع من كان عليه (3) ، وتكررت المراسلات بينهما إلى أن تأكد المنصور من صدق نيته وحسن طاعته، عندما أرسل له أبوالبهار ابنه الثاني رهينة ، عند ذلك بعث المنصور له وإلى صهره خلوف هدايا وأمنعة كثيرة وأموالاً جزلة ليتقوا بها (4) .

والظاهر أن أبي البهار أراد أن يدعم صلاته بالمنصور، ويؤكد طاعته فانفذ إليه وقدما برئاسة ابن أخيه، فارس صنهاجة أبي بكر بن جبوس بن زيري بن مناد في طائفة من أهل بيته ووجوه قومه ، فوافوا قربطة سنة 381 هـ / 991 م ، فاستقبلهم المنصور وأكرم متواهم ، وأنزلهم أحسن منزلة ثم أوصل إليه رئيسهم أبي بكر ، وخلع عليه وعلى جميع أعضاء الوفد ، وغمرهم بصلاته وأعادهم إلى بلادهم مكرمين ، كما وجه معهم إلى أبي البهار، مبلغًا من المال يقدر بخمسة وعشرين ألف دينار دراجم وهذايا عبارة عن خمسمائة قطعة من صنوف ثياب المخز وغيره وحلية وآنية والطاوف تقدر قيمتها، بحوالي عشرة آلاف دينار تكريماً له ، ودعاه إلى مظاهرة حليفه زيري بن عطية، ومؤازرته على يدوبن يعلـي اليفرني، وقسم بينهما أعمال المغرب (5) .

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 244

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 244

(3) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(4) مقابر البربر ، ص 24 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 63 ، ج 6 ص 321 ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ص 245 .

(5) مقابر البربر ، ص 25 - وذكر ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 64 ان المدينة تقدر بحوالي عشرة آلاف درهم ، بدلًا من دينار .

غير أن ولاء خلوف بن أبي بكر، وأخيه عطية لبني أمية لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما خلع طاعة المنصورين أبي عامر، وعاد إلى الدعوة الفاطمية، فأمر المنصور حليفه زيري بن عطية، بتأديب خلوف على ذلك، فاسرع إليه الزعيم المغراوي واستطاع أن ينزل به الهزيمة، وقتلها مع جملة من أصحابه، وأن يتولى على عسكنه، وأن يعيدهم إلى طاعة المروانية، ولم ينج منهم إلا عطية، مع قليل من اتباعه حيث فرشندا إلى الصحراء، وكان ذلك سنة 381 هـ / 991 م.

ومنذ ذلك الوقت، بدأ الخلاف بين أبي البار وزيري بن عطية، لأن الأول تقاعس عن مساعدة الأخير، في حربه ضد خلوف وتظاهر بالمرض، ولعل ذلك للوصلة التي كانت بينهما حسب قول ابن خلدون (1)، وكتب الزعيم المغراوي إلى المنصور، يخبره بما انتهى إليه خلوف بن أبي بكر، فسر الحاجب بذلك، وأمر بقراءة الخبر على المنابر (2).

وبيدو أنه على أثر هذه المعركة، عاد زيري بن عطية إلى عاصمه، وتقدم نحو عدوة الأندلسين، التي احتلها يدو بن على اليفرنى أثناء غيابه، فحاصره زيري، ثم أقتحم أسوارها، والتquam معه في معركة دامية، هلك فيها الكثير من الطرفين وأخيراً كانت الدائرة على بني يفرن، فقتل زعيمهم يدو واحتقر زيري رأسه وبعث به إلى المنصور، مع كتاب الفتح، ففرح بهذا النباء، وافتدى إليه كثيراً من الخلع والصلات (3).

وقد حرص الزعيم المغراوي زيري بن عطية، على اظهار طاعته وولائه، لبني أمية في الأندلس، بالدعاء لهشام والمنصور على منابر أعماله، وما يخوضه من حروب في سبيل نشر دعوتهم في المغرب، وما يتحفه من هدايا نفيسة، مما جعل المنصورين أبي عامري يثق به، ويرى المؤرخون أن المنصور استدعاً زيري بن عطية لزيارة قرطبة والتزول عنده، حتى يقربه منه ويكرم مثواه، ويزيد في عطائه، ويعريه بذلك على بني يفرن (4).

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 64 - مفاخر البربر ، ص 25

(2) مفاخر البربر ، ص 25 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 64

(3) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 165 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 70 - السلاوى : الاستقصا ، ج 1 ص 92 وقيل أن يدو قيد هزيمته أيام زيري ، وتبليق بالصحراء وهناك ، لقي حتفه على يد أحد أقاربه - انظر : البربر ، ص 25 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 64 .

(4) مفاخر البربر ، ص 22 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 64 .

فعبر زيري بن عطية المضيق ، سنة 381 هـ / 991 م ، الى قرطبة يحمل معه هدية قيمة ، تشمل على طيور جميلة ، لها أصوات بدعة ، ووحش كاسرة محمولة ، في أقفاصلها الحديدية ، كالأسود والثمور ، فضلاً عن الثمور المغربية المشهورة بجودتها وكبير حجمها ، واجاز معه نحو ستمائة من أتباعه ، ما بين فارس وراجل (1) .

وقد احتفل المنصور بوصوله احتفالاً عظيماً ، حيث بُرز للقائه بالجيوش والعدة وأسطافت لرؤيته الخاصة والعامة ، وأنزله مع حاشيته بقصر جعفر بن عثمان المصنفي ، وغمره بالمال والخلع والصلات ، ومنحه لقب الوزارة وجدد له عهده على المغرب ، وثبت رجاله في ديوانه ، وقدم له هدية تصاهي هديته ، عبارة عن خيل وسلاح كثير ، وأموال وكسي والطاف فاخرة ، وصرفه الى اعماله (2) .

ثم تفاقم الخلاف بين الزعيمين المغاربيين ، زيري بن عطية المغاربي ، وابي البهار الصنهاجي ، مما أدى بهما إلى الاصطدام المسلح ، فلحقت الهزيمة بأبي البهار ، وفر إلى مدينة « سبتة » ، يزعم العبور إلى الأندلس ، ولا رأى جيش المنصور بقيادة كاتبه عيسى بن سعيد ، الذي أرسله لمعاينة الخلاف وأحكام أمر أبي البهار ، تظاهر بالطاعة وحاد عن لقائه ، ثم صعد إلى قلعة جراوة ، واستقر بها (3) ، ومن هناك أخذ يراسل ابن أخيه المنصور بن بلکین ، صاحب افريقية ، حتى صلح ما كان بينهما ، وربح هذا الأخير بعودته إلى قومه وأعماله ، فخلع أبو البهار بذلك ، طاعةبني أمية في الأندلس ، وعاد إلى الدعوة الفاطمية ، عند ذلك جمع المنصورين أبي عامر ، سائر أعمال المغرب في يد زيري بن عطية ، وعهد إليه بمعاجزة الصنهاجي المشق ، فلم يتأنّر الزعيم المغاربي ، وتقدم بجيشه الزناتي الكبير يكتسح أعماله في المغرب الأوسط واستطاع أن يستولي على تلمسان ، ووهان وشلف ، وغيرها من المناطق ، التي كانت تحت السيطرة

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 61 - ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 69 - السلاوي : المصدر السابق ، ج 1 ص 91 ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي أبحر فيها زيري إلى الأندلس ، لزيارة المنصور بحيث ذكروا سنة 380 هـ (مفاخر البربر ص 22) ، وسنة 381 هـ (ابن خلدون ج 7 ص 61) ، و379 هـ (ابن عذاري ج 1 ص 252) ، و382 هـ (روض القرطاس ص 69) ، ويلوان زيري بن عطية ، قام بأكثر من زيارة إلى قرطبة ، لهذا اختلف المؤرخون في تحديد تاريخها.

(2) مفاخر البربر ، ص 22 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 62 - روض القرطاس ، ص 69 السلاوي ، ص 91 .

(3) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 65 ، وذكرها صاحب كتاب مفاخر البربر ، باسم جارت (ص 26).

الصنهاجية ، وضمنها الى أعماله ، فاتسع بذلك نفوذه ، وقويت شوكته ، وأصبح يحكم ما بين اقليم الزاب بالغرب الأوسط ، الى السوس الأقصى ، وكان ذلك سنة 383 هـ / 993 م (1) .

وهكذا بلغ النفوذ الأموي ، في بلاد المغرب عصره الذهبي ، على يد زيري بن عطية المغراوي الزناتي ، إذ دخلت الدعوة الأموية الى منابر جديدة في اقليم الزاب ، وشلف والونشريين وتلمسان ووهران وتأهرت فضلا عن المغرب الأقصى ، الشمالي والجنوبي ، حتى سجلماسته والسوس الأقصى .

وأنفذ زيري بن عطية بهذه المناسبة ، رسوله الى قرطبة يحمل معه الى المنصور بن أبي عامر ، هدية نفيسة ، قدمت له في حفل بهيج ، فكان ما ظهر منها مائتا فرس ، من عتاق الخيل ، وعشرون فرسا وخمسون جملأ ، من المهاري السبق وألف درقة من جلد اللحوم ، واحمال كثيرة من قسي الزان ، وأصناف أخرى من الوحش الصحراوية الكاسرة ، وغير ذلك من الالطاف والتحف فيها الطيور الجميلة ، ذات الصوت البديع ، وزرافة حرص زيري على وصولها الى قرطبة حية لكنها نفت في الطريق ، فجئ بجملها محشوا ، وكثيرا من الثياب الصوفية الرقيقة ، والثمور الجيدة ، فعظم سرور المنصور وأجزل المكافأة لزيري بن عطية عليها ، وكان ذلك ، سنة 384 هـ (2) .

ولما اتسعت أعمال زيري بن عطية في البلاد المغربية ، وكانت مدينة « فاس » ، بموقعها في الطرف الغربي ، للمغرب الأقصى ، قد أصبحت لا تصلح مقرا دائمًا له ، لتسير شؤون ولاليته الشاسعة في المغاربين الأوسط والأقصى ، فقام بإختيار مكان يناسب هذه الأعمال ، ويتوسطها بين ظهراني قبيلة زناتة ، وأختلط فيه مدينة « وجدة » ، سنة 384 هـ / 994 م ، (على الحدود الجزائرية المراكشية حاليا) ، وابتني بها قصبة وقصرا ، وأحاطتها بأسوار ضخمة وسكنها بأهله وحاشيته ، ونقل اليها حشمه وعساكره ، وجعل منها عاصمة له (3) .

(1) مفاخر البربر ، ص 26 - ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 246 - 247 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 22 روض القرطاس ، ص 69 - السلاوي : الاستقصا ، ص 91 .

(2) مفاخر البربر ، ص 27 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 66 روض القرطاس ، ص 69 - السلاوي ص 91 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 157 .

(3) ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 66 - روض القرطاس ، ص 70 - السلاوي الاستقصا ، ص 92 .

وكان زيري بن عطية قد غرس من قبل «رياض القرطاس» بنواحي مدينة فاس ، أثناء فترة إقامته بها ، حتى صار يعرف بالقرطاس (1) .

### ثورة زيري بن عطية المغراوي على المنصور :

غير أن هذه العلاقات الطيبة بين الزعيم المغراوي وال حاجب الأندلسي ، التي دامت نحو عشر سنوات ، لم تلبث أن تغيرت فجأة عقب الزيارة الأخيرة ، لزيري بن عطية إلى الأندلس ، وقد ذكرت المصادر العربية ، روايات مختلفة عن أسباب الخلاف الذي وقع بينهما ، ومن بين هذه الأسباب : أن زيري بن عطية عندما رجع إلى بلاده ، وأستوت قدماه على أرض طنجة تسم وخطاب وطنه قائلاً : «الآن علمت أنك لي» (2) . وهذه العبارة فيما ييلو إن دلت على شيء ، إنما تدل على ما كان يخالج قرارة نفس الزعيم المغربي ، في الاستقلال ببلاده والانفصال بحكمه .

ومنها احتقاره ، للقب الوزارة ، الذي منحه أيام المنصور بن أبي عامر ، لدرجة أنه عندما ناداه أحد رجاله باسم الوزير ، صرخ في وجهه قائلاً له : «وزير من بالكم ، لا والله إلا أمير بن أمير ، واعجبا من ابن أبي عامر وخرقه ، والله لو كان بالأندلس رجل ما تركه على حاله وأن له هنا ليوماً (3) والله لقد تأجرني فيما أهديت إليه حظاً للقيم ، ثم غالطي بما له تبتيتا للكرم ، الا أن يحتسب بشمن الوزارة التي حظي بها عن رتبتي» (4) .

ومنها استصغاره للعطاء ، الذي كان يجريه المنصور له كل سنة ، وانكاره على المنصور بن أبي عامر ، في الاستبداد بالحكم وحجرة على الخليفة هشام ، وبين ذلك الشعار ، الذي كان يردد جنود زيري في المعارك ، التي دارت بينهم وبين الجيش الأندلسي ، وهو «هشام يا منصور» ، بينما كان شعار جنود المنصور ، الذي كانوا يرددون به على جيش زناته «يا منصور» ، وهناك فارق له مغازه بين الشعريين (5) .

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 7 ص 128 - مفاخر البربر ، ص 37 .

(2) مفاخر البربر ، ص 22

(3) ذكر في رواية أخرى « وأن له هنا ليوماً » ، أنظر كتاب مفاخر البربر ، ص 22

(4) مفاخر البربر : ص 22 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 62 - روض القرطاس ، ص 7 .

(5) مفاخر البربر ، ص 29 - د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 256 - د. حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص 82 مكتبة الهضبة المصرية ، القاهرة 1957 م .

ويبدو أن العلاقة بين زيري والمنصور ، وصلت إلى درجة كبيرة من الفتور ، باكتشاف هذا الأخير ، المؤامرة التي كانت تديرها السيدة « صبح » ، بالاشراك مع زيري بن عطية ضده ، بسبب استئثار المنصور بالحكم ، وحجزه على ابنها الخليفة هشام ، لذلك اتهمته باغتصاب السلطان بواسطة دعاتها ، واعوانها المخلصين لها ، وظلت تسعى جاهدة للاطاحة به ، وتضاعف العمل من أجل حماية ابنها ، واعادة زمام الأمور له.

وعندما لم تتمكن من إيجاد نصير لها ، من القواد ورجال الدولة في قربة ، والأندلس قاطبة ، لأن عيون المنصور ساهرة لاتغفل ، وإن القواد والجندي خاضعين له خصوصاً تماماً ، حيثند علمت بأنه لا يمكن لها القضاء عليه ، الا عن طريق قوة خارجية . لذلك حولت وجهها ، شطر المغرب إلى زيري بن عطية المغراوي ، الذي كان يحتق على المنصور وينقم عليه ، فأخذت تتصل به ، وتبثت له برسلها وتدفع به إلى مناولة هذا الدكتاتور الأحدب ، وتحرضه ل嗾 الحشود والاجتياز إلى الأندلس ، لتحرير إنها من استبداد المنصور وتخليصه من قبضته ، وتحولت لنفسها في سبيل ذلك ، انطلاقاً يدها في أموال بيت المال . وأخذت منه الكثير . فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية . أنها حاولت إرسال بعض الأموال ، من بيت المال على شكل هدايا داخل « جرار » ، لكن المنصور بن أبي عامر بفضل يقظته وكثرة جواسيسه استطاع أن يكتشف هذه المؤامرة ، ويستولي على الأموال . ولكي يضع حداً لنشاط السيدة صبح ، واعوانها في القصر ، قام على الفور بنقل بيت المال من القصر الخليفي في مدينة الزهراء ، إلى مدينته الجديدة الظاهرة (1) .

وكيفما كان الحال ، فإن كثرة الروايات وتعددتها ، في أسباب الخلاف الذي نشب بين المنصور ، بن أبي عامر وزيري بن عطية المغراوي . فمما لا ريب فيه هو أن الزعيم المغراوي ، كان يصر في قراره نفسه الاستقلال بيلاده ، وأنه أخذ من هذه الأسباب والمسوغات ، ومن تمكّنه بالدعوة الأمورية ، ذريعة لتحقيق هدفه المنشود ، وهو السيادة الوطنية ، تحت الرأية الزناتية (2) .

أخذ زيري بن عطية يشهر بسياسة المنصور الاستبدادية ، ويعرض به ويظهر استياءه منه ، لاستحواذه على الخلافة دون صاحبها الشرعي ، هشام المؤيد الأموي ،

(1) ابن بسام : الذخيرة في محسن أهل الجزيرة ، المجلد الرابع القسم الأول من 52 - 54 .

(2) أنظر كتاب د. أحمد مختار العابد : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 256 .

ثم أعلن ثورته ، سنة 386 هـ / 996 م ، بقطع ذكر إسم المنصور في الخطبة على منابر أعماله ، واقتصر على ذكر اسم الخليفة هشام فقط ، وطرد عماله من جميع البلاد المغربية ، ما عادا أولئك الذين يتولون ثغور المغرب الأقصى البحريه المطلة على المضيق ، مثل : ثغر مليلة وسبطة وطنجة ، ورد عليه الحاجب المنصوري أبي عامر ، بأن عزله من خطبة الوزارة ، وقطع عليه مرتبها الذي كان يجده عليه كل سنة ، ومحا اسمه من ديوانه ، وتبرأ منه واعتبره خارجا عاصيا عليه (1) .

والظاهر أن المنصور بن أبي عامر ، حاول أن يقنع الزعيم المغراوي بالتخلي عن قراره بواسطة كاتبه الخاص عيسى بن سعيد اليحصي ، الذي أرسله إليه في مجموعة من قواته الأندلسية ، وكلفه بالنظر في أمره واستصلاح شأنه . لكن زيري لم يبال به ، واستمر في ثورته على المنصور ، حتى استعصى أمره على عيسى بن سعيد ، عند ذلك فضل ، أن يبقى في المغرب إلى نهاية سنة 386 هـ / 996 م . عليه يستطيع استمالة بعض أعيان الرعيم الثائر ، وقد تحقق له ذلك عندما انضم إليه أحد قواد زيري بن عطية البارزين ، محمد بن محمود المعروف بابن البقال صاحب قلعة « النسر » ، فاجازه عيسى إلى قرطبة ، حيث استقبله المنصور وقربه منه ، وأحسن إليه وسماه بالناصح (2) .

### **عبور القوات الأندلسية إلى العدوة المغربية لاخضاع زيري بن عطية :**

ثم جهز المنصور جيشا كبيرا بقيادة مملوكه « واضح » الصقلي ، صاحب مدينة « سالم » ، وزوده بالأموال والسلاح والكسى ، وأصحابه بمجموعة أخرى من القواد الأندلسين ، وبعض الأمراء المغاربة، الموالين للمنصور الحانقين على زيري بن عطية . ولا سيما أمراء مكناسة وبني يفرن ، الذين طردتهم زيري من أعمالهم ، أمثال : أبو نونخت بن عبد الله بن بكار اليفري ، واسماعيل بن البوري ، ومحمد بن عبد الله بن مدين المكناسيين ، وخزرون بن محمد من ازداجة ، وغيرهم من الأمراء المغاربة ، الذين كان المنصور محتفظا بهم في قرطبة ، مثل هذه الظروف (3) .

(1) مفاخر البربر ، ص 28 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 66 - روض القرطاس ، ص 70 - 71 ، السلاوى : ص 92 - 93 .

(2) مفاخر البربر ، ص 27 - 28 .

(3) مفاخر البربر ، ص 29 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 67 - روض القرطاس ، ص 71 .

عبر « واضح » المضيق بقواته ، ونزل بمدينة طنجة ، سنة 387 هـ / 997 م ، وهناك انضم إليه كل من قبيلتي ، غماره و« صنهاجة » ، ثم تقدم يريد مدينة « فاس » ، لكن زيري بن عطية ، كان له بالمرصاد ، حيث أسرع إليه والتقى به في وادي « رادب » ، جنوب طنجة ، وظل يقاتلها نحو ثلاثة أشهر ، حتى أُنزل به وبجيشه الأندلسية الهزيمة ، فرار واضح إلى طنجة ، مستعيناً بمواله المنصور ، يطلب المزيد من المدد (1) .

وبهذه الهزيمة الثقيلة ، اضطر المنصور بن أبي عامر ، إلى الخروج بجميع الجيوش الأندلسية ، وقادها إلى الجزيرة الخضراء كعادته ، وكان الحاجب المنصور قد ابتنى له القصور والمنازل ، على طول الطريق الرابط ما بين مدينة قرطبة والجزيرة الخضراء ، على غرار ما فعله في الطرق الرابطة أيضاً بين عاصمته والشغور الأندلسية الشمالية (2) .

ثم أُسند المنصور قيادة هذه الجيوش إلى ابنه عبد الملك المظفر، بدلاً من فاه واضح ، وأجازها إلى مدينة سبتة ، ومكث هو كعادته في الجزيرة الخضراء يراقب سير المعارك من هناك عن كثب ، ويقف على إمداد ابنه بالاجناد والقواد (3) .

ولما بلغ زيري بن عطية عبور عبد الملك المظفر بهذه القوات الضخمة ، شعر بالخطر على نفسه ، فبعث إلى جميع بطون زناتة يستنفرهم ، فاسرعت إلى نصرته الوفود والقوات من جميع بلاد المغرب (4) .

### هزيمة الزعيم المغراوي في معركة وادي « مني » :

فهُبَّضُ بِهِمْ الزَّعِيمُ الْمَغْرَوِيُّ زَيْرِيُّ ، وَالتَّقَىُ الْجِيشَانُ بِوَادِيٍّ « مَنِيٍّ » بِأَحْوازِ طَنْجَةِ ، وَدَارَتْ بَيْنَهُمَا مَعَارِكٌ شَدِيدَةٌ ، سَنَةُ 388 هـ / 998 م اخْتَلَطَ فِيهَا الْحَابِلُ بِالْتَّابِلِ ، ظَلَّتْ فِيهَا الْحَرْبُ مُتَكَافِعَةً بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، إِلَى أَنْ لَعِبَتِ الْخِيَانَةُ دُورَهَا ، وَلَا يَسْتَبِعُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمَظْفَرُ ، هُوَ الَّذِي حَالَ خِيَوطَهَا مِنْ وَرَاءِ السَّتَّارِ ، إِذَا قَامَ بِتَحْريضِ غَلَامٍ أَسْوَدٍ اسْمَهُ كَافُورِ بْنُ سَلَامٍ ، كَانَ زَيْرِيُّ بْنُ عَطِيَّةَ قَدْ صَرَعَ أَخَاهُ مِنْ قَبْلٍ .

(1) روض القرطاس ، ص 71 - السلاوي : الاستقصا ، ص 93 .

(2) مفاخر البربر ، ص 30 .

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 252 - 253

(4) روض القرطاس ، ص 71 - السلاوي : الاستقصا ، ص 93

فاغتنم هذا الغلام الفرصة وتسلى الى خيمة زيري ، وطعنه بطعنات غير قاتلة في رقبته ، وفر ناجيا بنفسه ، الى معسكر عبد الملك المظفر ، وبشره بقتله لزيري بن عطية ، وعندما تأكد المظفر من صحة الخبر ، شدّ القتال وقوى المجموع على جيوش زنانة ، وهם في حالة دهشة من جراء جروح أميرهم ، واستطاع أن يمزق صفوفهم ، ويهزهم جموعهم ، ويستولي على ذخائرهم ، من المال والسلاح والخيل والأبل وغیرها ، عند ذلك لم يجد اصحاب زيري بن عطية بدا من حمله والفرار به متختنا بمراحه ، وعرّجوا على مدينة « فاس » حيث أخذوا أولاده وعياله وانصرفو بهم الى الصحراء (١) .

أما عبد الملك المظفر بن المنصور ، فقد تابع فتحه للإقليم المغربي حتى بسط سلطانه على المغرب الأقصى ، وما لاه إلى سجل ماسة ، وتلمسان وناهرت بالغرب الأوسط (2) . فكتب إلى أبيه يخبره بهذا الفتح ، فعظم سرور المنصور وتضرع لله شاكرا ، وبث الصدقات على الفقراء ، واعتنى المولى بهذه المناسبة ، وأمر بقراءة هذا الخبر على منبر جامع الزهراء بقرطبة وعلى منابر قواعد الأندلس كلها شرقاً وغرباً ، حتى أن الشعراء أشادوا بهذا اليوم ونوهوا في أشعارهم باهبات المنصور وكفاءته العسكرية ضد زيري بن عطية (3) .

ثم عهد المنصور لابنه عبد الملك بولاية المغرب ، فاصلح نواحيه ، وشد ثغوره ،  
وعين العمال على النواحي ، فولى محمد بن الحسن بن عبد الودود على تادلا ، واستعمل  
حميد بن يصل المكتناسي على سجلنامة ، ثم قفل عائدا الى الأندلس بعد أن استخلف  
مكانه ملوك أبيه واضطرب سنة 389 هـ / 999 م (4).

(1) مفاحر البربر، ص 33 - ابن خلدون : العبر، ج 7 ص 68 - روض القرطاس ، ص 71 وينظر ابن عذاري ، ابن الندي، غير به هو ابن عميه الخبر بن مقاتل ، نفعته يرسم في فقه وهرب ، انظر : البيان ، ج 2 ص 282.

(2) ابن عذاري : البيان ، ج ١ ص 253

(3) مفاحر البربر ، ص 33 . ومن بين هؤلاء الشعراء الذين اشادوا بهذه المناسبة شاعر العصر ابن دراج القسطلاني الذي قال :

لشن صدیت الباب قوم بیغیره  
فیان بعیسی فیوس بخی جالسوت جدهم  
أراقم نفری ناقع السُّم مالمـا  
اذا نقشت في زورزیسری حماتهـا  
فیل له من ذکرها وألیـل  
بما حملت دون الفـداة مـقـبل  
فـاحـجـار داد لـدـیـك مـشـحـول  
فـیـفـ المـدـیـ فـیـ رـاحـیـتـك صـقـیـل  
ابن عذاری : المصیر السابق ، ج 1 من 253 - ابن خلدون : العبرج 7 من 69 .

وأما زعيم مغراوة زيري بن عطية ، فإنه لما اندملت جراحه وتحسن أحواله وصحته أخذ يجمع شمله فجيش الجيوش وكتب الكتاib من مختلف بطون زناته ، وتقدم بهم نحو مصارب صنهاجة في المغرب الأوسط ، مختنًا في ذلك فرصة قيام شيخ صنهاجة على حفيده أخيهم الأمير الجديد باديس بن المنصور ، وهو منشغل بقتال عامله على مدينة « طبنة » فلفول بن سعيد الزناتي ، واستطاع زيري بن عطية أن يتغلغل داخل الأراضي الصنهاجية وأن يتزل بهم الهزائم الكثيرة فقد دخل مدينة المسيلة عاصمة أقليم الزاب ، وببلاد شلف ، ومدينة تاهرت وتلمسان ، وأقام على منابرها الدعاء للخليفة هشام المؤيد ، والمنصور ابن أبي عامر ، ثم زحف على مدينة « أشير » ، قاعدة ملوك صنهاجة ، وأناخ على بابها مدة طويلة محاصرا لها (1) .

وقد شجعه على ذلك أعمام باديس بن المنصور ، وزاوي بن زيري بن مناد ، وجلال وماكسن ، وغيرهم من أمراء صنهاجة الذين طلبوا الأمان من زيري بن عطية وجلأوا إليه ، فارين من الأمير باديس صاحب أفريقية .

وبعد أن تم لزيري هذا الفتح في المغرب الأوسط ، انفذ إلى المنصورين أبي عامر ، كلام من ثقته « دقاق الحاج » وفاصييه « فتوح الأزرق » ، سنة 389 هـ / 999 م . يسترضيه ويخبره عن استعداده للدخول في طاعته من جديد ، واقامة الدعوة له مؤكدا له صحة طاعته وولاته وصدق انباته ، وطالبا منه اعادة العهد له بولاية المغرب . وقد اشترط زيري على نفسه ، ان يرسل ابنه وابن أخيه رهينة للمنصور ان هو اعاده الى ولاية المغرب ، واستأنده في قدول زاوي بن زيري الصنهاجي وأخيه جلال ، فأذن المنصور لهما بدخول الأندلس ، سنة 390 هـ / 1000 م ، ولم يكرر لطلب أخيهما الثالث أبي البهار سابق نكته (2) .

والظاهر أن المنصور بن أبي عامر قد قبل التماسات زيري بن عطية ، وطلباته ، ورضي عما يقوم به من إقامة الدعاء له وللخليفة هشام في اعماله ، ومن منازله صنهاجة ، الا أنه فيما يبدو لم يبعث له بعهده على ولاية المغرب ، لأن المنصور ظل يُعين الولاية على البلاد المغاربة من كبار رجال دولته ، إلى أن توفي سنة 392 هـ / 1002 م .

(1) مفاخر البربر ، ص 34/35 - 38 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 70 روض القرطاس ، ص 72 .

(2) مفاخر البربر ، ص 35 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 70

ويتضح كذلك من خلال نص لصاحب كتاب مفاسخ البربر ، الذي يقول : «... أقام الخطبة (يقصد زيري بن عطية) لابن أبي عامر وابنه ، فيها صار إليه من بلاد صنهاجة بعد دعائه لل الخليفة هشام ، فقبل ابن عامر ورضي ، وذلك في جمادي الآخر من هذه السنة (389 هـ / 999 م)» (1).

ولم يزل زيري بن عطية يغير على أعمال صنهاجة ، وينزل بهم الهزيمة ولو الأخرى ، ويحاصر قaudتهم «أشير» ، إلى أن أشتدت علته وانتقض عليه جرحه من جديد فانصرف إلىبني عمه ، وقضى نحبه هناك ، سنة 391 هـ / 1001 م (2).

### **المعزبن زيري يصالح العامريين :**

اجتمع آل خزر وكافة شيوخ مغراوة ، على مبايعة المعزبن زيري بن عطية ، زعيما لهم خلفا لأبيه والظاهر أن المعز هذا لم يكن راضيا عن السياسة التي انتهجهها والده ، مع كل من الدولة الزيرية الصنهاجية ، والدولة العامرية ، بدليل أنه عندما تولى رئاسة مغراوة مباشرة لم يتلزم بانتهاج هذه السياسة ، وفضل عدم اتباعها ، بحيث انصرف عن محاربة صنهاجة ، وأكتفى بما بين يديه من أعمال. صالح المنصور بن أبي عامر ، ودخل في طاعته ، وأقام له الدعاء ولابنه عبد الملك ، عقب الدعاء للخليفة هشام المؤيد بالله ، ومازال المعز على ذلك حتى توفي المنصور بن أبي عامر واستمر كذلك مع خليفته عبد الملك المظفر ، الذي تولى الحجابة وشؤون الدولة بعد أبيه ، سنة 392 هـ / 1002 م (3).

وهكذا أعادت الخلافة الأندلسية سيادتها من جديد على معالم أراضي المغاربة. الأوسط والأقصى ، إذ كان يمثلها على الأقليم الأول المعزبن زيري بن عطية المغراوي ، ويمثلها على الأقليم الثاني ، الولاية الذين كان المنصور بن أبي عامر يحرص على انتقادهم من بين كبار رجال الدولة ، أمثال : مملوكه واضح ، وعبد الله ابن أخيه ، واسماعيل بن البوسي المكتناسي ، وأبا الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي (4).

(1) مفاسخ البربر ، ص 34

(2) مفاسخ البربر ، ص 32 ، 35 ، 36 ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 70 .

(3) مفاسخ البربر ، ص 39 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 70

(4) مفاسخ البربر ، ص 36 - المصدر السابق ، ج 7 ص 69

واستمر الحاجب الجديد ، عبد الملك المظفر بن المنصور في تطبيق السياسة المغربية التي انتهجها والده من قبله ، وهي المحافظة على النفوذ الأموي في بلاد المغرب ، وضرورة مصانعة رؤساء القبائل المغربية .

وعندما تأكد عبد الملك من اخلاص العز بن زيري المغراوي ، للدعوة المروانية وولائه لها ، عقد له على ولاية المغرب كله ، ماعدا سجلماسة التي كان المملوك واضح قد أعادها إلى أبيدي «وانودين بن خزرون وابن عمّه فلفول ابن سعيد» المغراوين مقابل مال يؤديانه كل سنة إلى حكومة قرطبة ، ورهينة من ابنائهم (1) .

وكذلك اشترط على العز بن زيري رهينة ، فارسل إليه ولديه حمامه ومحضر مع تقديم اتاوة سنوية من المال والخيل ، والسلاح والدرب ، وغير ذلك مما تدعوه الضرورة وتتطلبها الحاجة (2) .

وكتب له المظفر بن المنصور بعهد الولاية ، وبعث به مع وزيره وخاصته أبي محمد بن علي بن حدلم في ذى القعدة سنة 397 هـ / 1007 م ، وقد رأيت أن انتخب بعض الفقراء من ظهير تعينه على سبيل المثال لا الحصر : «بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد : من الحاجب المظفر سيف دولة الإمام الخليفة هشام المؤيد بالله ، أمير المؤمنين أطال الله بقاؤه ، عبد الملك بن المنصورين أبي عامر إلى كافة مدینتي «فاس» وكافة أهل المغرب أما بعد : ... ان العز بن زيري بن عطيه أكرمه الله تابع لدينا رسنه وكتبه متنصلاً من هنات رفعته إليها ضرورات ... وقد وعد من نفسه ، استشعار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة ، فولينا ما قبلكم وعهدنا إليه ان يعمل بالعدل فيكم ، وشهادنا الله عليك بذلك ... وقد وجهنا أبا محمد بن علي بن احدم وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ، ليأخذ ميثاقه ويؤكد العهد فيه عليه بذلك ، وأمرناه باحضاركم ذلك واشراككم فيه فاتقوا بذلك ، واسكروا إليه وليقضي القاضي أبو عبد الله اكرمه الله أحکامه مشدوداً ظهره بنا معقوداً ، سلطانه بسلطاناً ولا تأخذه في الله لومة لائم كذلك ظننا به إذ ولينا ، وأملنا فيه إذ قلدناه والله المستعين وعليه التكلان ..» (3) .

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 254 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 79

(2) مفاسير البربر ، ص 39 - ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 253 أما ابن خلدون (ج 7 ص 70) وروض . القرطاس (ص 73) والسلاوي (ص 95) فيذكر أن الرهينة كانت لإبنه معندر فقط

(3) مفاسير البربر ، ص 40 - 41 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 71 - 72 السلاوي . الاستقصاء ، ج 1 ص 94 - 95

ويهذا العمل يكون الحاجب عبد الملك المظفر ، قد أعاد الثقة من جديد الى حلفاء الدولة الأموية التقليديين وهم آل خزر المغراويون ، وأن يكسب ولاء زناته التي انتشرت الدعوة الأموية في المغرب على أكافها منذ الرعيل الاول لامراء بنى أمية في الأندلس ، واليها يرجع الفضل في ابقاء الدعاء للمخليفة هشام على متابر المغرب ، ولكن يزيد من أصحابنا لهم ، قام عبد الملك بتجنيد واستخدام رجالهم في جيشه ، مقتفيا في ذلك أثر أبيه المنصورين أبي عامر .

وكما أن عبد الملك المظفر عول على آل خزر المغراوين في ضبط أمور المغرب تحت السيادة الأموية ، فإنه أيضا اعتمد على بنى زيري بن مناد الصنهاجيين ، الذين عبروا الى بلاد الأندلس ، واستقروا بنواحي غرناطة في عهد والده المنصور في تنفيذ مشاريعه الجهادية في الشعور الشمالية ، وقد أبلى بنوزيري بلاء حسنا في جهادهم ضد المسيحيين ، مما جعل المظفر بن المنصور يزداد ثقة بهم ، ويحسن إليهم ، ويقلدهم الوظائف العالية في دولته ، ويجعلهم في بطانته ، فاستهاتوا في خدمته ، ولعبوا دورا بالغ الأهمية من أجل تثبيت أقدام العامريين في السلطة ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « واستغله أمر صنهاجة بالأندلس ، واستفحلت امارتهم ، وحملوا دولة المنصور ابن أبي عامر ولديه المظفر والناصر من بعده ، على كاهلهم » (1) .

الا أن عهد عبد الملك المظفر لم يدم أكثر من سبع سنوات حيث اصابته ذبحة صدرية مات على أثرها سنة 399 هـ / 1009 م ، فتولى الحجاجة وزمام الدولة من بعده أخوه عبد الرحمن الناصر بن المنصور ، المعروف باسم شنجول نسبة الى جده لامة شانجة Sancho Garces Abarca لأنه كان أشبه الناس به (2) .

ولما بلغ ذلك الى المعز بن زيري ظهير الدولة الأموية في بلاد المغرب ، وجه وفدا من قتيان بنى عمه ، وجملة من شيوخ القبائل ، وبعض وجوه مدينة « فاس » لتهنته وتجديده الولاء ، والطاعة له وبعث له معهم هدية قيمة ، تشتمل على احمال كثيرة من السلاح والدرق وعدد من الخيول وجملة من الأموال وبعض الطرف المغربية الجميلة

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 367 - انظر أيضا : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 7 ص 120 ، مذكرات الأمير عبد الله المسماه بكتاب التبيان نشر وتحقيق ليفي بروفسار - دار المعارف بمصر 1955 - ابن سام الفخيرة ، المجلد الاول ، القسم الرابع ص 61 .

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 41

فسرها عبد الرحمن ، وشكر للمعز ذلك وسرح إليه ولديه حمامه ومحنضا ، بعد أن خلع عليهما ، وعلى الرسل الذين قدموا إليه وجدد له العهد على اعماله بالعدوة الغربية ، وبوصول حمامه ومحنض المتهين إلى أيهما « بفاس » ، جمع المعز بن زيري نحوه من تسعمائة فرس ، وبعث بها إلى قرطبة ، ولم تصل من المغرب إلى الأندلس هدية أعظم منها ، حسب تعبير السلاوي (1) .

تجدر الإشارة هنا ، إلى أن انتقال الدولة الفاطمية من إفريقية والمغرب إلى القاهرة ، وإبعادهم عن بلاد الأندلس وأصحابها الأمويين ، لم يؤثر في الفكرة المعادية التي تراود عقول بنى أمية في لأندلس نحوهم منذ زمن بعيد ، إذ يروي المؤرخون أنه قامت في سنة 395 هـ / 1005 م ثورة سنية في « برقة » قام بها ثائر على الفاطميين يدعى « الوليد بن هشام » ، من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل الملقب بأبي « ركوة » ، خرج من الأندلس متظاهراً بالتصرف ، واشتغل بتعليم الصبيان ثم زعم أن مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته (2) ، وعندما عظم أمره وقوى مركزه ، ضرب السكة وأجهر الدعاة لل الخليفة هشام المؤيد بالله ، وخطب باسمه على منابر برقة . وكان يلعن الحاكم بأمر الله الفاطمي وأبائه ، واستطاع أن يستولى على برقة ، حتى فزع منه صاحب مصر ، فزعم على الخروج من القاهرة إلى الشام ، ويز إلى بلليس بعساكره وأمواله ، إلا أن خواصه أشاروا عليه بالعودة فعدل عن قراره ، ورجع إلى القاهرة حيث أخذ يعد العدة لقاء أبي ركوة (3) .

وقد يمكن هذا التأثير السنى الأموي ، ان يتزلا بالفواطم سلسلة من الهزائم خلال سنة 397 هـ / 1007 م ، ويطاردتهم حتى أهرامات الجيزة . ولكنها انهزم أخيراً وأسرت على يد القائد الفاطمي الفضل بن عبد الله ، الذي حرص على أخذها إلى الحاكم بأمر الله حيا ليتنقم منه ، فعرضه هذا الأخير في شوارع القاهرة عرضًا مزرياً ثم قتلها وطلبها (4) .

(1) السلاوي : الاستقسا ، ص 95 ، وأنظر أيضا ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 253/254 الذي يذكر بأن عدد هذه الخيول نحو سبعينة .

(2) المجرى : نفح الطيب ، ج 3 ص 411 - 412 .

(3) ابن تغري بردى (جمال الدين) : التلجم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج 4 ص 212 القاهرة بدون تاريخ .

(4) ابن ثغري بردى المصدر السابق ، ج 4 ص 217 - ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ص 234 إلى ص 237 .

ولا يستبعد أن تكون للعامريين ، يد في تحريك هذه الثورة في قلب الدولة الفاطمية (1) ، ولا سيما وأن المنصور بن أبي عامر كان يحلم قبل وفاته بمن سلطانه على بلاد المشرق ، وكثيراً ما عبر عن هذه المطامع بأبيات شعرية يقول فيها :

منع العين أن تذوق المنايا  
لي ديسون بالشرق عند أنس  
ان قضوها نالوا الاماني والا  
عن قريب ترى خيول هشام (2)

حبا ان ترى الصفا والمقاما  
قد أحلوا بالشعرين الحراما  
جعلوا دونها رقابا وهاما  
يبلغ النيل خطوها والشاما

وهكذا كادت ثورة أبي ركرة أن تتحقق أحلام المنصور ، ولو بعد وفاته بقليل ولكنها انتهت بالفشل ، شأنها في ذلك شأن المحاولات الكثيرة ، التي قام بها بنو أمية وأنصارهم ، للقضاء على الشيعة الفواطم ، وأسدل بذلك الستار على الصراع الحاد الذي ظلل قائماً بين الخلافتين ، الفاطمية ، الشيعية والأموية السننية مدة قرن من الزمن ، لأن كلاً من بنى أمية والفواطم دخلوا مرحلة جديدة لا يُحسدون عليها وهي مرحلة الضعف والانحلال .

(1) د. محمود عل مكي التشيع في الأندلس ، ص 29/28 .

(2) المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 383 - راجع أيضاً : كتاب الدكتور أحمد مختار العبادي : فسر تاريخ المغرب والأندلس ، ص 258 .

## الفصل الثاني

سياسة الدولة الأموية نحو دول المغرب في فترة الانتقال ما بين هشام المؤيد  
بالله وسقوط الخلافة الأموية في قرطبة  
( 399 هـ - 422 / 1009 - 1031 م )

من المعروف أن امتداد نفوذ ، أي دولة من الدول ، وانشاره خارج حدودها ، يرتبط ارتباط وثيقاً بأوضاعها الداخلية ، وبمدى إمكاناتها وقوتها وضعفها .

وعلاقة الدولة الأموية في الأندلس ، ببلاد المغرب ، في هذه الفترة غير واضحة ، لأن المصادر التاريخية المتداولة الآن بين أيدينا ، لم تطرق إليها ، بل أهملت هذا الجانب إهماً ، يكاد يكون كاملاً ، ولعل السبب في ذلك يرجع ، إلى عدم وجود سياسة معينة ، لخلفاء بني أمية مع دول المغرب في ذلك الوقت ، أو ان وجدت ، لم تكن ذات أهمية كبيرة ، مما أدى بالمؤرخين والرواة ، إلى المزوف عن ذكرها ، ويوجهون عناية أكبر ، لما يدور في ساحة الأندلس ذاتها من فتن داخلية ، وصراعات دموية بين الأندلسيين من جهة ، والبربر المغاربة من جهة أخرى ، في سبيل الاستيلاء على كرسى الخلافة . . .

إلا أن هذا التبرير لا يمنع بطلقاً أن أحاول قدر استطاعتي ، القاء بعض الضوء على جوانب هذه السياسة ، ونوعية العلاقة الأندلسية المغربية في هذه الفترة ، من خلال النصوص الشحيحة والإشارات العابرة المتناثرة ، التي تحكت العثور عليها في ثناب المصادر القليلة التي في متناول أيدينا .

### سقوط العامريين :

وقد رأيت أنه من المفيد ، أن أطرق إلى الظروف ، التي قامت فيها الحرب الأهلية في الأندلس ، ومرحل تطورها بمحاذ ، والصراع الطويل والمرير ، الذي دار بين الأندلسيين والمغاربة ، وما تسبب عنه من ضعف الدولة الأموية ، ثم سقوطها نهائياً ، لتكون الصورة واضحة ومتکاملة .

فنـ المـلـومـ أـنـ هـدـثـ فـيـ أـيـامـ الـدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ .ـ كـمـ سـبـقـتـ الـاـشـارـةـ .ـ هـجـرـاتـ مـغـرـبـيـةـ كـثـيرـةـ ،ـ مـعـظـمـهـاـ مـنـ قـبـائـلـ زـنـاتـةـ الـبـرـيـةـ ،ـ الـتـيـ كـانـتـ موـالـيـةـ لـبـنـيـ أـمـيـةـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ ،ـ وـمـنـ الـثـابـتـ أـيـضـاـ أـنـ الـخـلـفـاءـ الـأـمـوـيـنـ كـانـوـاـ يـغـدـقـونـ الـاعـطـيـاتـ عـلـيـهـمـ ،ـ وـلـاـ يـضـنـونـ بـهـاـ ،ـ وـيـرـجـبـونـ بـقـدـوـمـهـمـ ،ـ وـيـولـونـهـمـ الـأـعـمـالـ وـشـجـعـونـهـمـ بـمـخـتـلـفـ الـطـرـقـ وـالـوـسـائـلـ الـمـكـنـةـ ،ـ عـلـىـ الـعـبـورـ إـلـىـ بـلـادـ الـأـنـدـلـسـ ،ـ حـيـثـ اـشـرـكـوهـمـ فـيـ قـيـادـةـ الـجـيـوشـ ،ـ وـاعـتـمـدـواـ عـلـيـهـمـ اـعـتـمـادـاـ كـبـيرـاـ سـوـاءـ فـيـ حـرـكـةـ الـجـهـادـ الـمـقـدـسـ ضـدـ النـصـارـىـ فـيـ الشـغـورـ الشـمـالـيـةـ ،ـ أـوـ فـيـ مـحـارـبـةـ الـنـفـوذـ الـفـاطـمـيـ فـيـ الشـمـالـ الـأـفـرـيـقـيـ .ـ وـهـكـذـاـ أـصـبـحـتـ قـبـابـلـ الـمـغـرـبـ ،ـ الـتـيـ تـبـتـازـ بـالـرـوحـ الـمـحـرـيـةـ الـعـالـيـةـ ،ـ وـالـتـفـوقـ فـيـ الـقـتـالـ ،ـ مـعـيـنـاـ لـاـيـنـضـبـ يـسـتـمـدـ مـنـهـاـ الـجـيـشـ الـأـنـدـلـسـيـ حاجـتـهـ مـنـ الـمـقـاتـلـينـ فـيـ كـلـ حـينـ .

وـقـدـ تـضـاعـفـ عـدـدـ هـذـهـ الـهـجـرـاتـ ،ـ فـيـ أـيـامـ الـدـوـلـةـ الـعـامـرـيـةـ ،ـ وـبـالـتـحـدـيدـ فـيـ عـهـدـ الـحـاجـبـ الـمـنـصـورـ بـنـ أـبـيـ عـامـرـ صـاحـبـ الـدـوـلـةـ ،ـ وـكـافـلـ الـخـلـفـاءـ الـأـمـوـيـةـ ،ـ الـذـيـ اـسـتـدـعـيـ كـثـيرـاـ مـنـهـمـ لـلـخـدـمـةـ فـيـ قـوـاتـهـ ،ـ وـاسـتـعـانـ بـهـمـ فـيـ تـثـيـتـ حـكـمـهـ ،ـ وـتـوـطـيـدـ أـرـكـانـ سـلـطـانـهـ .

وـبـالـإـضـافـةـ إـلـىـ رـجـالـ زـنـاتـةـ ،ـ وـبـنـيـ بـرـزـالـ وـمـكـنـاسـةـ ،ـ الـذـينـ قـدـمـواـ إـلـيـهـ زـرـافـاتـ وـوـحـدـانـاـ ،ـ عـنـ طـيـبـ خـاطـرـ ،ـ وـفـدـ عـلـيـهـ كـذـلـكـ ،ـ فـرـيقـ آخـرـ مـنـ الـمـغـارـبـ لـاـ يـقـلـ أـهمـيـةـ عـنـ قـبـائـلـ زـنـاتـةـ ،ـ هـوـفـرـيقـ بـنـيـ زـيـرـيـ الصـنـاهـجـةـ ،ـ فـنـظـمـهـمـ فـيـ طـبـقـاتـ جـنـدـهـ مـنـ الـمـغـارـبـ ،ـ بـسـائرـ رـجـالـ الـبـرـبـرـ ،ـ وـأـكـرـمـ بـهـمـ ،ـ وـأـكـرـمـ وـفـادـتـهـمـ وـاصـطـعـنـهـمـ لـنـفـسـهـ ،ـ وـاسـتـعـلـمـهـمـ فـيـ الـوـظـائـفـ السـامـيـةـ ،ـ وـاتـخـذـهـمـ بـطـانـةـ لـدـوـلـتـهـ ،ـ وـأـصـبـحـوـاـ مـنـذـ ذـلـكـ الـوقـتـ ،ـ عـصـبةـ لـهـ وـدـعـامـةـ قـوـيـةـ تـسـنـدـ ظـهـرـهـ ،ـ فـاعـتـرـبـهـمـ أـمـرـهـ وـاشـتـدـ اـزـرـهـ ،ـ وـادـالـ بـهـمـ عـسـاـكـرـ الـأـمـوـيـةـ ،ـ وـتـغلـبـ عـلـىـ الـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ ،ـ حـتـىـ أـسـقـطـ رـجـالـ الـدـوـلـةـ وـمـحـارـمـ الـخـلـفـاءـ (1)ـ .

حيـنـتـذـ أـنـقلـبـتـ نـفـوسـ الـأـمـوـيـنـ وـالـأـنـدـلـسـيـنـ عـلـىـ الـمـغـارـبـ ،ـ وـسـقـطـتـ قـلـوبـهـمـ عـلـيـهـمـ وـخـزـرـبـهـمـ عـيـونـهـمـ فـأـصـبـحـوـاـ يـضـمـرـوـنـ لـهـمـ الـشـرـ وـالـكـراـهـيـةـ ،ـ وـيـحـقـدـوـنـ عـلـيـهـمـ سـلـبـهـمـ الـأـمـيـازـ ،ـ الـذـيـ كـانـوـاـ يـتـمـتـعـونـ بـهـ قـبـلـ مـجـيـئـهـمـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ ،ـ وـيـنـقـمـوـنـ عـلـيـهـمـ مـظـاهـرـهـمـ لـلـعـامـرـيـنـ ،ـ وـنـسـبـوـاـ إـلـيـهـمـ تـغـلـبـ الـمـنـصـورـ وـوـلـدـيـهـ مـنـ بـعـدـهـ عـلـىـ الـدـوـلـةـ ،ـ وـاعـتـرـبـوـاـ وـفـوـذـ هـؤـلـاءـ الـمـغـارـبـ إـلـىـ

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 2 ص 367.

أرض الأندلس ، والخدمة في جيشهم احتلاً مغرياً مقنعاً لهم ، فراحوا يتربون  
الفرص المواتية للرثوب عليهم .

وما زاد الطين بلة ، تولى أمر الحجابة عبد الرحمن شنجول ، بعد وفاة أخيه عبد  
الملّك ، ولم يكن ليتّمتع بالخصال ، التي كان يتمتع بها والده وأخوه وهي قوة الشخصية ،  
والشدة والحزم وبعد النظر ، فتعجل بتلقيب نفسه بالناصر ثم المؤمن ، وتسمى بالحاجب  
الأعلى ناصر الدولة ، وافتتح عهده بالخلاعة والمجون ، وانغمس في اللهو والملذات ،  
ولم يكتف بهذا ، بل تطلع إلى ما لم يتطلع إليه أبوه أو أخوه من قبل ، وهو وراثة العرش  
الأموي في الأندلس ، والاستئثار بما تبقى لهم من رسوم الخلافة ، فحمل الخليفة هشام  
المؤيد ، على أن يعهد إليه بولاية العهد ، ليقوم بأمر المسلمين من بعده ، ولم يجد هشام  
بذا من تلبية رغبته ، لضعفه ، وسوء تدبيره ، ونقصان فطنته (1) .

ظن عبد الرحمن شنجول بن المنصور ، أن مقاليد الأمور ، قد آلت إليه وحده ،  
فانتابه الغرور ، وأنفذ بهذه المناسبة الكتب إلى مختلف الأقاليم في الأندلس ، وببلاد  
المغرب يخبرهم بذلك ، ويأمرهم بالدعاء له بالعهد ، بعد الدعاء للخليفة هشام المؤيد  
بالله (2) .

كما استمر في متابعة سياسة أبيه ، وفي الاعتماد على العناصر المغربية ، والاستخفاف  
ببني أمية وبرجال الدولة العرب الأندلسيين واستفزازهم حتى وصل الأمر به إلى التدخل  
في شؤونهم الخاصة ، بحيث فرض عليهم أن يتربوا بالزي المغربي ، وخلع القلans  
الطوال المرقشة الملونة ، التي كانوا يتميزون بها عن العامة ، ويتباهون بها على طبقات  
الرعاية ، واستبدالها بالعمائم المغربية ، وتوعدتهم أن هم لم يفعلوا ذلك

فمن الطبيعي أن تثير هذه التصرفات حفيظة الأمويين وأنصارهم الأندلسيين ، وهزتهم  
هذه التصرفات المريبة هزا عنيقاً ، وعز عليهم أن تنتقل الخلالة من أيدي عصبيتهم  
المضدية ، إلى أيدي الأسرة العاميرية اليمينية القحطانية ، بعد صدور قرار ولاية العهد  
من هشام المؤيد (3) ، فثارت ثائرتهم ، وازعجمهم هذا الحادث ، فضاقت الدنيا بهم ،

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 38

(2) ابن عذاري : المرجع السابق ، ج 3 ص 46

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 7 ص 48

ويؤكّد ذلك وصف ابن عذاري لهم بقوله : « وكانت عندهم أعظم محنّة ، كلهم يعزّي عنها نفسه ويُفكّف عبرته ... وأهتب بنو مروان وشيعتهم بالبلد ، غرة العامريين فيها ارتكبوا من ذلك فدبّت عقاربهم إلى الناس ، وقاموا في قلب الدولة العامريّة بمحنة وبصيرة ، فلم يخذ لهم الناس وظفروا بالبقية » (1) .

وكان هذا فيما ييدو ، هو السبب المباشر والرئيسي الذي مهد للفتنة التي انتهت بسقوط الدولة العامريّة ، وبالتالي قدّمت لاصحاحاً للخلافة الأمويّة في الأندلس وإنحلالها (2) .

قام الأمويون تتبعهم العامة من أهل قرطبة ، بثورة على الخليفة هشام المزید ، وحاجبه عبد الرحمن بن المنصور ، أثناء غياب هذا الأخير للجهاد في الشغور الشماليّ ، فخلعوه عن العرش وولوا مكانه ، رجلاً منهم أحد أحفاد عبد الرحمن الناصر لدين الله ، هو محمد بن هشام بن عبد الجبار ، ولقبه بالمهدي في نجمادي الأخير ، سنة 399 هـ / 1009 م (3) .

ولما انتهى خبر الثورة إلى عبد الرحمن بن المنصور ، عاد لتوه من الشمال يطوي المراحل إلى قرطبة ، رغم نصيحة خواصه بعدم العودة ، لكنه أصر على المسير إليها ، فكان كلما اقترب منها ، انقض من حوله جماعته من الصقابية العامريين والبربر المغاربة ، لما رأوا فيه سوء السلوك وقع الأفعال ، فكان أول من انصرف عنه من القواد المغاربة ، محمد بن يعلى وابن عمه بكاس بن سعيد الناس وأبوزيد بن دوناس اليفريني ، في نجموع زناته وزيري بن عراة المطاطي ، وحبابة بن ماكسن بن زيري مع من كان معه من صنهاجة ، وتولى بعد ذلك رؤساء القبائل المغاربية في الانسحاب من صفوفه ، ولحقوا بال الخليفة الجديد محمد بن هشام المهدي بقرطبة ، حتى صار عبد الرحمن في قلة من أصحابه ، وعندما شارف على منزل ارملاط الأدنى من قرطبة ، أرسل إليه المهدي من قتلها واحتز رأسه وحمله إليه ، وانتهت بذلك الدولة العامريّة ، التي دامت ما يزيد عن ثلثين سنة وذلك في سنة 399 هـ / 1009 م (4) .

(1) ابن عذاري : المرجع السابق ، ج 7 ص 43 - 47

(2) نفس المصدر ، ج 3 ص 42

(3) ابن الخطيب : اعمال الاعمال ، القسم الثاني ص 127

(4) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 73/51/50

## الحرب الأهلية :

لكن محمد بن هشام المهدي لم يحسن مقابلة المغاربة ، الذين تحولوا عن نصرة عبد الرحمن بن المنصور ، ولحقوا به ، فأهانهم وأهان بعض رؤسائهم ، واعتمد في تسيير شؤون دولته ، وثبتت حكمه ، على العساكر الذين جندهم من عامة القوم ، الذين لم يتوانوا عن الانضمام إليه ، والانثيال عليه ، بعد نجاح ثورته لمساعدته ومساندته ، فقد جاءوا من الأسواق والأراضي الغربية ، فكان منهم الجزارون والعنازون والسفلة وسائر غوغاء الناس ، من تقصيم التجربة بفنون الحرب ، والجهل بعواقبها ، تدفعهم أحقادهم الشديدة على العناصر البربرية الغربية ، وماربها الشخصية في التهب والسلب والاغتنام ، حتى لم يبق منهم على حد قول ابن عذاري في المدينة « حجام ولاكتاف ولاذو مهنة ذلية » (1) .

فقد قر لهم الخليفة المهدي إليه ، واستعلن بهم وآثرهم على غيرهم من الجند الصقالبة والمغاربة ، ثم خرج بهم إلى مدينة الراحلة العامرة ، فكسرروا سجنها ، وأخرجوا منه اللصوص والأشرار وأصحاب الجرائم ، فنهوا المدينة وما كان بها من الأموال والأسلحة والخزائن ، والأمتعة والآلات السلطانية واقتلعوا أبوابها ووثاقتها وخشبها ، وغير ذلك مما حرثه القصور وباعوه في الأسواق (2) .

ثم امتدت يدهم إلى منازل المغاربة بالرصافة ، قتيلاًها ودخلوا دوربني ماكسن وبني زاوي وأهانوهم ، ولعل ذلك كان تشجيع من محمد بن هشام المهدي ، الذي أظهر بغضه الشديد لهم ، فكثيراً ما كان يتكلم عنهم بسوء الثناء ويتوعدهم ، وأجزل المكافأة لكل من أتى برأس مغربي ، فتسارع أهل قرطبة واجهدوا في قتل من استطاعوا قتله ، فدخلوا على « سنار البرزالي » الذي كانت له آثار حسنة في الجهاد ، فذهبوا على فراشه ، وقتلوا نحو سبعة عشر تلمسانياً قدموا من الجزائر للجهاد في سبيل الله ، وهتكوا الحرمات وسبوا النساء وباعوهن في دار البنات (3) .

---

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 61 - ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، القسم الثاني من 127 .

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 7 ص 61

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 61

وقد بلغ الأندلسيون في تصيد أهل المغرب ، والبحث عنهم حتى قتلا خطأ كثيرا من الخراسانيين والشاميين ظنواهم برايرة . كما أخذوا يقتلون غيلة كل مغربي وجده في خلوة أو منفردا . ولعل هذا هو السبب الذي جعلهم يتكتلون ويتجمعون حتى لا يفتك بهم أهل قرطبة ، ويؤيد ذلك قول ابن عذاري : « وكان البربر إذا دخلوا أسواق قرطبة تخوفوا من العامة ، فإن صهل فرس على فرس قامت نفرا ، لتعصب العامة عليهم وبغضهم فيهم ، وهم مع ذلك صابرون ينهون سفهاءهم وعيدهم أن يمد أحد منهم يده إلى أندلسي » (1) .

ورغم ما حدث للمغاربة من تعسف ، وقتل وإهانات من قبل العامة ، فقد تروي الكثير من شيوخهم وأثروا الاتصال المباشر بال الخليفة المهدى ، لاستطلاع رأيه فيما حدث ويحدث قبل أن يقدموا على أي شيء ، يؤدي إلى العنف ، فتوجه زاوي وحبوس وحبسة أبناء ماكسن ، وغيرهم من زعماء القبائل المغربية ، ودخلوا على المهدى يستكونوا ما أصحاب قومهم ، فتظاهر لهم بالاعتذار وامر بقتل بعض المعذبين ، ثم فيما يبدوا كلف أحد وزرائه ، وهو البكري بأن يعلن للناس في قرطبة وأرباضها ، أن أمير المؤمنين المهدى قد عفا عن جميع المغاربة شريطة أن يعودوا إلى بلادهم ، ويشتغلوا بفلاحة الأرض وخدمتها كما كانوا (2) .

والظاهر أن البربر لم يستجيبوا لهذا الشرط ولم يطمسنوا لهذا العفو الشامل ، فلم يخرجوا من بيوتهم خوفا من العامة المترخصين لهم في كل الطرق ، واضطروا إلى البقاء متسترين عند أصحابهم من أهل المدينة ، (3) ولذلك اضطروا أخيرا ، إلى اتخاذ موقف معين لوضع حد لهذه الاضطهادات من ناحية وللتتساقط الذي بدأ يحتمل ، بين الطامعين في الخلافة منبني أمية ، فالتفوا أول الأمر حول هشام بن سليمان الأموي الملقب بالرشيد ، وقاموا بثورة على المهدى إلا أنه لم يكتب لها النجاح ، إذ استطاع المهدى وجماعته أن يخندوها ويقضوا عليها في المهد ، وقبضوا على الرشيد وقتلوه صبرا (4) .

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 3 من 92

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 3 من 82

(3) نفس المصدر ج 3 من 88

(4) نفس المصدر ج 3 من 82/83

لم يستسلم المغاربة لهذه المزيمة ، بل زادتهم قوة وعزيمة واصراراً على المقاومة والإطاحة بعرش المهدى ، فقد بايعوا سليمان بن الحكم بالخلافة وجمعوا له الأموال ولقبوه بالمستعين بالله في عقب شوال ، سنة 399 هـ / 1009 م ، وساروا معه نحو قلعة رباح ، حيث انضم اليهم أهلها ، عند ذلك أدرك المهدى خطأ سياسته وخرج موقفه ، فحاول أن يرعب الصدع وأن ينقد ما يمكن إنقاذه ، بعد انضمام عروة اتحاد المسلمين في الأندلس ، فأرسل إليهم التاجر الجزائري عباس البرزالي « رسولاً يؤمّنهم على أنفسهم ، ويدعوهم للعودة إلى قرطبة » (1) .

لكن هذه المبادرة لم تأتِ أكلتها ، إذ لم يصفع المغاربة لسفير المهدى وقالوا له : « لو لا أنت رسول وتاجر لقتلناك ... فليس لرجوعنا من سبيل لأنه إن أمنتنا لم تؤمننا رعيته وإن أمنتنا عامته لم تؤمننا جنده » . وتدل هذه العبارة على معانٍ الحقد والشر الذي كان الأندلسيون يضمروننه للمغاربة من جهة ، وحالة الفوضى والاضطراب واللامن الذي عاشته مدينة قرطبة وضواحيها ، في هذه الفترة من جهة أخرى (2) .

وهكذا انقسم الجيش الأندلسي في قرطبة على نفسه ، إلى قسمين رئисيين متعددين ، المغاربة من ناحية ، والأندلسيين من أهل العاصمة من ناحية أخرى ، وتفاقم الوضع بين العحين الأندلسي والمغربي منذ تولية محمد بن هشام المهدى الخلافة في قرطبة ، وكبرت هوة الشقاق بينهما ، لدرجة أنه صار من الصعب تضييق الخلاف بينهما .

ومنذ ذلك الحين بدأت نار الفتنة تتقد ، وتتوهج بين الطرفين المتحاربين ، ولا شك في تقديرى أن المسؤول الأول ، عن اشعال هذه الفتنة ، التي أطلق عليها الأندلسيون « بالفتنة البربرية » ، هو محمد بن هشام المهدى وأتباعه ، وكان الأولى والأصح بهؤلاء الأندلسيين ، أن يطلقوا عليها فتنة « محمد ابن هشام المهدى » لأنه هو باعها وموقد نارها ، وشاھر سيفها في الأندلس (3) .

وتتسنى المهدى وأنصاره ، الدور البالغ الأهمية ، الذي لعبه المغاربة في ترسيخ إقام الإسلام والمسلمين في شبه جزيرة الأندلس . فقد ربّطوا مصيرهم بمصير أبناء

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 82

(2) نفس المصدر ، ج 3 ص 84/82

(3) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج 2 ص 5 – ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 76

هذا البلد ، منذ بداية الفتح ، وباتوا يعبرون اليه من وقت إلى آخر ، أفرادا وجماعات بمحض إرادتهم ، وتلبية لنداء الجهد المقدس ، الذي ترسب في نفوسهم وصار جزءا من كيانهم (1) .

ولعل المقرى التلمساني قد أصاب التقدير ، عندما عبر عن محمد بن هشام المهدى بقوله : « ولقد كان قيامه مشوّما على الدين والدنيا ، فإنه فاتح أبواب الفتنة في الأندلس ، وما حي معاملها ، حتى تفرقت الدولة ، وانتشر السلك وكثير الرؤساء وتطاول العدو إليها ، وأخذها شيئا فشيئا ، حتى محا اسم الإسلام منها » (2) .

أما سليمان المستعين بالله وجشه المغربي ، فقد استعانوا بالملك القشتالي شانحة بن غارسية Sanchogarcia بن فردناند المعروف في المصادر العربية باسم « ابن مامة دونة » على أعدائهم في قرطبة ، فلم يتأنّر الملك النصراني عن ذلك ، لأنّه وجدّها فرصة سانحة للانتقام من المسلمين (3) .

تحرك سليمان بقواته ، تعزّزه قوات حلفائه النصارى ، القشتاليين ، نحو العاصمة الأندلسية ، واكتسح في طريقه ، الفتى واضح صاحب طليطلة قاعدة الثغر الأدنى ، وهو أحد أعوان المهدى ومؤيديه .

وعندما وصل إلى مكان يعرف بقنيطش أو قنتيش (4) التقى به المهدى ودارت بينهما معركة شديدة ، انهزم هشام المهدى خلاطا ، وقتل الكثير من جشه ، كما راح ضحيتها عدد كبير من الفقهاء ، وأئمّة المساجد ، والمؤذنون والمؤذنون ، ومن خيار أهل قرطبة وأخلاقها من الناس ، وقد لاحظ ذلك ابن حيان بقوله : « من كل طبقة أخذت وقعة قنتيش ، حتى من أهل الباطل » (5) .

(1) د. أحمد مختار العبادي : صور لحياة العرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 84 مقال بمجلة الينة عدد ( 9 ) السنة الأولى يناير الرباط 1963 .

(2) المقرى : فتح الطيب ، ج 2 ص 112

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 82 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 131/132 .

(4) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 88/89 - ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج 2 ص 6 - ابن بسام : الذخيرة ، قسم أول م ( 1 ) ص 30 - وهو موضع في شمال شرقى القليعة Cuamelato غير بعيد عن ملتقى وادي ارملاط Al Coléa بالوادي الكبير. راجع الحلة السيراء ، ج 2 ص 6 حاشية ( 2 ) .

(5) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 30 / 31 .

فَرَّ وَاضْعَفَ عَلَى اثْرِ هَذِهِ الْمُزِيْمَةِ ، عَائِدًا إِلَى ثُغْرَهُ ، بَيْنَا حَاوَلَ مُحَمَّدَ بْنَ هَشَّامَ الْمَهْدِيَ ، اسْتِهْلَكَ الْمَغَارِبَةَ الْبَرْبَرَ . فَأَظْهَرُهُمْ هَشَّامُ الْمَؤْيَدُ بِاللهِ وَأَقْعَدَهُ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْثُرُونَ مِنَ التَّرْحُمِ عَلَيْهِ وَالْمَطَالِبَ بِدَمِهِ (1) ، وَوَجَهَ إِلَيْهِمُ الْقَاضِيُّ ابْنُ ذِكْرَوَانَ ، غَيْرَ أَنَّ الْمَغَارِبَةَ تَمْسَكُوا بِخَلِيفَتِهِمْ وَإِمَامَهُمْ الْمُسْتَعِينَ بِاللهِ ، وَسَخَرُوا مِنَ الْقَاضِيِّ وَقَالُوا لَهُ : « سَبَّحَانَ اللهِ يَا قَاضِيَّ ، يَمُوتُ هَشَّامٌ بِالْأَمْسِ وَتَصْلِيُّ عَلَيْهِ أَنْتَ وَغَيْرُكَ ، وَالْيَوْمِ يَعِيشُ وَتَرْجِعُ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلُوكُمْ يَتَضَاحِكُونَ مِنْهُ » (2) .

عَندَئِذٍ تَحَايَلَ الْمَهْدِيَ عَلَى الْفَرَارِ ، وَلَحِقَ بِصَاحِبِهِ الْفَتِيَّ وَاضْعَفَ بِطَلِيلَتِهِ ، فِي جَمَادِيِّ الْأُولَى ، سَنَةَ 400 هـ / 1010 م ، وَهَكُذا اتَّصَرَ الْمُسْتَعِينُ بِاللهِ وَالْمَغَارِبَةَ عَلَى الْأَنْدَلُسِيِّينَ مِنْ أَهْلِ قَرْطُبَةَ ، تَوَازَرُهُمْ فِرْقَةٌ مِنَ النَّصَارَى الْقَشْتَالِيِّينَ بِقِيَادَةِ الْمَلِكِ غَارِسِيَّةِ بْنِ فَرْدَلِنْدِ .

لَكِنْ سَلِيمَانَ الْمُسْتَعِينَ لَمْ يَسْتَمِعْ بِكَرْسِيِّ الْخِلَافَةِ فِي قَرْطُبَةِ طَوِيلًا ، لَأَنَّ سُلْطَانَهُ فِيهَا يَبْدُو لَمْ يَتَعَدَّ قَرْطُبَةَ وَبَعْضَ الْأَقَالِيمِ فِي الْأَنْدَلُسِ ، أَمَّا الثَّغُورُ الشَّمَالِيُّ مِنْ طَرْطُوشَةِ شَرْقاً إِلَى لَشْبُونَةِ غَربَاً فَقَدْ ظَلَّتْ عَلَى طَاعَةِ مُحَمَّدِ بْنِ هَشَّامِ الْمَهْدِيِّ (3) ، وَلَأَنَّ الْمَهْدِيَ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي اتِّبَاعِ نَفْسِ السَّبِيلِ ، الَّذِي اتَّبَعَهُ الْمُسْتَعِينُ مِنْ قَبْلِهِ ، وَهُوَ الْإِسْتِعَانَةُ بِالنَّصَارَى ، فَاسْتَجَاشَ بِحَاكِمِ بَرْشُونَةِ رِيمُونْدَ بُورِيلِ التَّالِثَ وَأَخِيهِ أَرْمِنْجُولَ (أَرْمِقَنْدَ) Armengol de Urgel Raimond Bonell (أَرْمِقَنْدَ) قَاسِيَّةً عَلَى الْمَهْدِيِّ وَهِيَ : تَسْلِيمُهُمْ مَدِينَةً « سَالِمَ » قَاعِدَةَ الشَّغَرِ الْأَوْسَطِ ، وَالْإِلْتَزَامُ بِدَفْعِ دِينَارَيْنِ فِي الْيَوْمِ ، لِكُلِّ جَنْدِيِّ نَصَارَى ، وَمَائَةِ دِينَارٍ لِلْقَوْمَسِ (الْمَلِكِ) ، وَتَوْفِيرُهُمْ مَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، وَأَنْ يَكُونُ لَهُمْ مَا يَغْتَنِمُوهُ مِنْ عَسْكَرِ الْمَغَارِبَةِ ، وَأَنْ نَسَاءَهُمْ وَدَمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ حَلَالٌ لَمْ لَا يَحُولَ أَحَدٌ بَيْنَهُمْ ، فَالْتَّرَمُ الْمَهْدِيُّ وَصَاحِبُهُ وَاضْعَفَهُمْ بِذَلِكِ (4) .

(1) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص 31

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 89

(3) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج 2 ص 7 - عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 90 .

(4) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 94

ولما وصلوا إلى مكان يعرف بدار البقر El Vacar<sup>(1)</sup> . التقى الجيشان ودارت بين المستعين والمهدى حرب مديدة ، أبلى فيها الجنود المغاربة بلاء حسنا ، في قتال الفرنجية وأصحاب المهدى ، وكبدوهم خسائر جسمية في الأرواح ، حيث قتلوا الملك الفرنجي أرموند Armengol وعددا كبيرا من جنوده<sup>(2)</sup> . إلا أن سليمان المستعين ، لم يصمد في هذه المعركة ففر بن معه ، ناجيا بنفسه إلى شاطبة .

وعندما رأى الجنود المغاربة ذلك من إمامهم ، انحازوا إلى مدينة الزهراء ، وأخذوا عيالهم وأولادهم ومتاعهم ، ثم انصرفوا نحو الجنوب الأندلسي ، وبالذات إلى الجزيرة الخضراء في شهر شوال ، سنة 400 هـ / 1010 م<sup>(3)</sup> . والظاهر أن الأسباب التي جعلت المغاربة ، يختارون هذه المنطقة ، هي كون موقعها الجغرافي قريبا من وطنهم الأصلي ببلاد المغرب ، ولا يفصلها عنه إلا ذلك المضيق الضيق ، وربما لأنهم كانوا ينون العبور إليه ، إذا ما ساءت ظروفهم على أرض الأندلس ، من جراء مضائق الأندلسيين لهم ، ومطاردتهم من جهة ، أو ليتمكنوا من تلقي الإمدادات والإعانت العسكرية السريعة ، وغيرها من إخوانهم أهل العدوة ، للاستعانة بها ضد المهدى وأنصاره الأندلسيين من جهة أخرى .

اغتنم العامة فرصة خروج الجيش المغربي من مدينة الزهراء ، فدخلوها ونهبوا كل ما فيها من متاع البربر ، وقتلوا من وجدهم بها ، كما دخلوا مسجدها فأخذوا حصره وقناديله ومصاحفه ، وصحائف أبوابه<sup>(4)</sup> وأمروا بقتل كل من تشبه بالبربر ، وكل عدوى حتى من لم يكن قد رأى العدوة أو سمع بها ، راح ضاحية سيف العامة ، وأكثروا من قتل الناس ، لدرجة أنه من كانت بينه وبين آخر عداوة قال هذا ببربرى ، فيقتل في الحال ولا يسأل عنه ، ولم يتورعوا في قتل أطفال البربر وشق بطون النساء

(1) تعرف هذه المنطقة بدار البقر أو عقبة البقر ، وتسمى حاليا : Al Vacar وهو حصن يقع شمال قرطبة ، ويبعد عنها بنحو 20 كلم . انظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج 2 ص 7 ، حاشية رقم (1) .

(2) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 133 - ابن عذارى : المصدر السابق ج 3 ص 95 .

(3) ابن عذارى : البيان ، ج 3 ص 95 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 134 - المقري : نفح الطيب ، ج 1 ص 404

(4) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ص 95

الجوامِل ، وكذلك حذا حذوهم الفرنجية فسبوا كثيراً من القرطبيات الجميلات  
وادعوا أنهن بربريات (1) .

أقسم محمد بن هشام المهدى بالإيمان المغلظة ، ألا يغمد سيفه ، وألا يرفع  
حالة الحرب ، إلا إذا انتهى من قضية المغاربة نهائياً ، فطلب الأموال من أهل  
حاضرته ، لسداد أجور المرتزقة الفرنجية ، ولتغطية نفقة الحرب ، ثم تقدم إلى الجزيرة  
الخضراء ، بكل من قدر على حمل السلاح من القرطبيين ، وجميع جيوش التغور  
والنصارى الفرنجية ، فالتحق جيشه الكبير هذا مع المغاربة بوادي « آره » ، في ذي  
القعدة سنة 400 هـ 1010 م (2) ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، لاقى خلاها جيش  
المهدى والنصارى العناء الكبير ، من ضربات المغاربة الذين كانوا يقاتلون قتال  
المستميت لإعادة كرامتهم ، وكانت هذه الواقعة بالنسبة لهم - فيما يبدو - هي الفرصة  
الأخيرة ، للدفاع عن كيانهم ووجودهم في هذا البلد ، لهذا فقد صمدوا في المعركة  
صمد الأبطال ، ودافعوا عن أنفسهم بكل ما أوتوا من قوة ووجهوا للمهدى وحلفائه  
الفرنجية ضربة قاسمة ، أعطوا خلاها درساً لأعدائهم في القتال ، والبطولة  
حتى تمكناً من هزيمتهم ، وقتلوا من الفرنجية نحو ثلاثة آلاف قتيل ، من بينهم وزير  
الملك الفرنجي ، وغرق منهم في الواد إعداد كبيرة ، واحتوى المغاربة على ما في  
عسكر المهدى ، وحلفائه من سلاح ومال ودواب (3) .

ومن الطريف فقد وصف لنا صاحب كتاب مفاجع البربر بعض ضربات المغاربة  
في هذه المعركة كما ذكر أسماء أصحابها ، والتي أصبحت مضرب الأمثال بين الناس  
في ذلك العصر ، لدرجة أن المغاربة اخذوها مادة للدعائية لأنفسهم ، وللتفاخر بها

(1) نفس المصدر ، ج 3 ص 97.

(2) وادي آره Guadiaro يُذكر بمنوب رندة ، ومتربع من وادي اللبن Guadalevi ويصب في البحر الأبيض المتوسط شمالي جبل طارق انظر : ابن عذاري ، ج 3 ص 96 - عبد الواحد المراكشي :  
المعجب ، ص 90 - راجع مقال د . أحمد مختار العبادي : صور لحياة العرب والجهاد في المغرب  
والأندلس ، ص 90 بمجلة البيئة السنة الأولى العدد ( 9 ) الرباط يناير 1963 م - ويسمه ابن الخطيب  
وادي يارو أو وادي السقاين بأحواز مربلة انظر : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 134 وتلقيق السيد  
عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من 354 حاشية رقم ( 3 ) وإن خلدون العبر ،  
ج 7 ص 46 يطلق عليه وادي « آيره » .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 135

على أعدائهم ، وفي ذلك يقول : « وكان من عجائب الضربات ، يوم « آره » المتحدث عنه في الآفاق ، إلى اليوم ثلات ضربات ، ما سمع بمثلها في الدهر ، مضاء سيوف وقوة سواعد ، منها ضربة أبي روليث ، لبيضة التي حملت إلى مدينة برشلونة ، والتي وضعتها الأفرنجية في الكنيسة هناك ، اعتباراً ومقدمة ، وضربة حبارة بن ما كسن الصنهاجي فارساً آخر منهم ، بدرع حصينة ثقيلة فهتك الزرد وقدته ، وقدت جنب لابسه فجدلته ، وضربة بهلوان بن ثمait الدمرمي يخطم فرس علّج منهم ففصلت حديديتي للجام ، ولحيتي الفرس جميعاً ، ورمي بخطة وما تكتنه من الحديد ، وخر الفرس لفيه ، فصارت هذه الضربات اعجوبة عند الناس » (1)

ولا يستبعد أن يكون هذا الانتصار السابق ، مدعاوماً بمساعدة قبائل العدوة المغربية ، التي ربما تكون قد هبت لنجد إخوانهم دونما تحفظ ، مما أدى بأصحاب المستعين ، إلى اشتداد سواعدهم وتقوية نفوسهم على القتال من جديد .

والظاهر أن المستعين بالله ، أدرك تمام الإدراك أهمية بلاد المغرب في هذه الآونة من الناحية الاستراتيجية والبشرية ، وهنا يظهر اهتمامه بالمغرب ويتجلى ذلك بوضوح عندما قام على أثر معركة « وادي آره » ، بإرسال قائداته علي بن حمود الإدريسي العلوي المغربي ، إلى الشمال الأفريقي ، ليضبط قاعدة الأمورين الرئيسية هناك وهي مدينة « سبتة » ، فعبر إليها علي بن حمود بقواته ، واستطاع أن يستولي عليها باسم إمام المغاربة وخليفتهم في الأندلس « سليمان المستعين بالله » ، وقطع الدعوة للمهدي وأقامها للمستعين ، وأصبح وبالتالي يتحكم في مضيق جبل طارق ، يحمي ظهر صاحبه من الجنوب بإمداده بما يحتاجه من المقاتلين المغاربة ، ويؤكد ذلك قول المؤرخ ابن عذاري : « وفي تاريخ هذه المعركة بوادي آره على ابن عبد الجبار (المهدي) والنصارى ، كان جواز على بن حمود إلى سبتة ، وانتزى فيها باسم سليمان ، وقال لهم : إنه علي ابن عبد الجبار ، وأن أمير المؤمنين هو سليمان فلك سبتة » (2) .

وبعد أن استوثق الأمر لسليمان المستعين في بلاد الأندلس أعاد علي بن حمود إلى جانبه ، ليقود فرقته البربرية المغربية كعادته (3)

(1) راجع مقال : د. أحمد مختار العبادي : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 90 وما يليها

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 96 أنظر أيضاً : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 149 .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ص 149 .

كما تطلع بنو خزرون أصحاب مدينة طرابلس الغرب ، في إقامة علاقات طيبة مع حكومة قرطبة ، إلا أن هذه المبادرة لم تأت في أوانها ، إذ كانت الدولة الأموية في هذه الفترة ، بدأت للفظ أنفاسها ، فهناك بعض المؤرخين ذكروا ، أن فلفولا بن سعيد بن خزرون الزناني ، الذي استولى على مدينة طرابلس سنة 391 هـ / 1001 م ، بادر بمراسلة محمد بن هشام المهدى صاحب قرطبة ، وأوفد إليه وفدا يحكم الصلة بينهما في شوال ، سنة 400 هـ / 1010 م ، راغبا في طاعته ، موعدا أيام بالدعاء له على منابر أعماله ، وضرب السكة باسمه ، وطلب منه الإمدادات العاجلة ، للتغلب على الحصار الذي ضربه عليه ، نصير الدولة باديس بن المنصور الصنهاجى ، صاحب افريقية ، بعد أن يشن فلفول من استغاثة الخليفة الفاطمى الحاكم من مصر (1) .

تلقى محمد بن هشام المهدى ، الوفد وخلع على أعضائه الخلع الكثيرة ، ويعث للفلقول بهدية نفيسة مع بعض رجاله ، غير أنهم لما وصلوا إلى مدينة طرابلس ، وجدوا فلفولا قد مات ، واقتحم باديس بن المنصور الصنهاجى ، صاحب افريقية أسوارها ، وأمر بالقبض على الأندلسين من رجال المهدى وضرب أعناقهم جميا (2) .

فلم يكتب لهذه العلاقة الطيبة أن تستمر ، لأن وضع المهدى في قرطبة لا يسمح له بإرسال التجدادات العسكرية والمادية ، لهؤلاء الزناتيين بطرابلس ، بسبب تدهور موقفه من جراء الحصار الحاكم ، الذي ضربه عليه المستعين وأصحابه المغاربة .

انقسمت إذن بلاد الأندلس ، وشمال المغرب الأقصى ، إلى مناطق نفوذ بين الخليفتين لتنازعين . الخليفة سليمان المستعين بالله وأنصاره المغاربة . استطاع أن يمد نفوذه على الجنوب الشرقي الأندلسي ، وشمال العدوة المغربية ، أو بالأحرى على مدینتي سبتة وطنجة وبلاط غمارة ، وأما الخليفة محمد بن هشام المهدى فقد خضعت له ، مدينة قرطبة والشغور بشمال البلاد .

أما الشرق الأندلسي فقد استولى عليه جموع الصقالبة العامريين ، على إثر

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 86

(2) ابن عذارى : البيان ، ج 3 ص 78 ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 85/86

قيام الفتنة في قرطبة ، حيث أقاموا لهم دولاً في كل من بنسبة وشاطبة ودانية والمرية والجزر الشرقية ، بعد أن ضعفت السلطة المركزية وزالت هيبة الخليفة (1) .

ولما تم للمستعين فتح قرطبة ، سنة 403 / 1013 ، واستتب له الأمر ، سارع بتوزيع العمال على الأقاليم التي تم له فتحها وإخضاعها لسلطانه ، سواء في الأراضي المغربية أو الأندلسية ، فعين ست قبائل مغربية على بعض الكور الأندلسية ، وبعض الأعمال في بلاد المغرب ، فأعطي صنهاجة كورة البيرة وولي مغراوة على جوفي البلاد ، وازداجة وبني دمر على كورتي شدونة ومورور وغيرهما من الحصون ، وبني برزال وبني يفرن على جيان وما ولاها غرباً .

وعقد لندر بن يحيى التيجي على سرقسطة ، مكافأة له على مساعدته في فتح قرطبة ، وأعاد القائد علي بن حمود الإدريسي إلى المغرب حيث ولاه مدينة سبتة ، وعيّن أخاه الأكبر منه سناء القاسم بن حمود على الجزيرة الخضراء ومدينتي طنجة وأصيلاً ، وأصبحت بذلك دولة المستعين بالله ، دولة ببرية مغربية خالصة (2) .

وهكذا أصبحت ضفتي مضيق جبل طارق الشمالية والجنوبية ، في يد الأسرة الحمودية تحكم فيه ، وكان علي وأخوه القاسم أبناء حمود بن ميمون ، من سلالة الأمير أبي حفص عمر بن إدريس الثاني ، الذي كان يحكم بلاد غمارة بشمال المغرب الأقصى ، وقد لاذ الحموديون كغيرهم من الأدارسة بالاختفاء في الأراضي المغربية بين القبائل البربرية ، خشية على أنفسهم من فتك عساكر بني أمية وحلفائهم ، واضطروا تحت هذا الخوف أن يتخلوا عن نسبهم الإدريسي العلوى ، بعد إخماد ثورة زعيمهم الحسن بن جنون – المشار إليها سابقاً – فاندجوا في الوسط البرברי ، وتخلقوا بأخلاقهم وتطبعوا بطبعائهم البدوية ، حتى أصبحوا يتكلمون بلسانهم البربري الزناني ، ويفكّر هذا الكلام ، قول ابن حيان القرطبي ، « فنكحوا اليهم وتربروا » (3) .

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 78 – ابن خلدون : العبر ، ج 3 ص 115

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 114 – ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 139 – المقري : فتح الطيب ، ج 1 ص 25 .

(3) ابن بسام : النجارة ، القسم الأول المجلد الأول ص 78 – ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 132 . حيث يذكر هذا المصدر الأخير بأن علياً لما قبض على سليمان وأنحى وأبيه فقتلهم وقال بلسانه الزناني « لا يقتل السلطان إلا السلطان ومعناه السلطان » ، راجع أيضاً 327

وقد لحق على والقاسم أبناء حمود بالأندلس ، مع جملة البربر المغاربة الذين اجتازوا إليها ، للخدمة في جيش الدولة العامرة (1) ، ولمّا حدثت الفتنة ونصب المغاربة إمامهم ، سليمان بن الحكم المستعين بالله ، اختص به علي والقاسم وتغافلوا في خدمته ، إذ كانوا يقودان فرقاً مغربية ، أبلت بلاءً حسناً في الحروب التي دارت ضد المهدى وأنصاره ، فطار لهم عندئذ ذكر في الشجاعة والإقدام ، فقربهما إليه ، ومنهم الأعمال الواقعة على صفتى المضيق (2) .

ومن الغريب أن أحد أصحاب سليمان المستعين بالله ، وهو القائد الجزائري عبد الله البرزالي ، لم يكن مرتاحاً لتعيين هذين العلوين على الأعمال المغاربة ، وفطن لعواقب ذلك ، فنصح المستعين بالله بإبعادهما ، وحذر من طموحهما ، وروت بعض المصادر بأنه أسرع إليه ودخل عليه وقال له : « يا أمير المؤمنين ، بلغني أنك وليت بني حمود العلوين على المغرب ، فقال : نعم ، قال له : أليس العلوين طالبين ؟ فقال : نعم ، قال له : تأقى إلى الأحتاش قردهم ثعابين ، فقال له : قد نفذ الأمر بذلك » (3) .

### استيلاء الحموديين على الخلافة بقرطبة :

ومن الغريب أيضاً ، أن ما تنبأ به عبد الله البرزالي ، قد تحقق فعلاً ، فقد أخذ علي بن حمود منذ توليه إمارة سبتة ، يعد العدة سراً للخروج على الخليفة سليمان المستعين بالله ، ويغلب علىظن أن فكرة احياء الدولة العلوية الجديدة ، في المغرب والأندلس قد سمت إلى نفسه ، وأصبح يتطلع إليها ، ولا سيما بعد أن ضعفت الخلافة في قرطبة ، وكثير طلابها من أفراد البيت الأموي (4) .

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 455/456 – القلقشندى (أبو العباس أحمد) صبح الأعشى ، ج 5 ص 159 القاهرة 1915 .

(2) الضبي : بغية الملتمس ، ص 22 – محمد علي السنوسى : الدرر السنوية في أخبار السلالة الادريسية ، الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ، سنة 1386/1966 م .

(3) ابن عذارى : البيان ، ج 3 ص 114 – ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 150 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 284

استبد علي بن حمود أول الأمر ، بمدينة سبعة سنة 404 هـ / 1013 م ، أي بعد سنة فقط من توليه أياها ، بحيث قتل قاضيها ، محمد بن عيسى وعميدها الفقيه ابن يربوع ، وكلاهما من أنصار المستعين بالله ، قد أرسلهما إلى سبعة ليستطعا أمر علي ، ويكونا عينا عليه (1) .

ثم أنه خاطب أخاه القاسم بن علي بقرطبة ، فلحق بعمله بالجزيرة الخضراء واستولى عليها ، عند ذلك أعلن علي بن حمود ثورته على الخليفة المستعين ، وبرر ذلك بأن الخليفة الشرعي السابق ، هشام المؤيد بالله صير إليه ولادة العهد ، وأوصاه بالخلافة من بعده ، عندما « اضطرب أمره وتبين له انعدام دولته » (2) .

وسواء صحت هذه الرواية أو لم تصح ، فإن الذي لا جدال فيه هو أن عليا اتخذها ذريعة لتحقيق أهدافه ، وحاول أن يحيط ثورته هذه بسياج من الشرعية ليستمد منه سلطانه ، ويكسب به الأنصار والمؤيدين .

وكتب علي بن حمود بذلك ، إلى خيران العامري صاحب المربة ، الذي كان يحقد على سليمان المستعين والمغاربة بقرطبة ، وبني زيري صنهادحة أصحاب البيرة ، الذين لا زالوا لم ينسوا نزعتهم الشيعية ، فاستجابوا له ، وشجعوه على العبور إلى مدينة مالقة ، فلم يتأخر علي بن حمود ، وعبر إليها بقواته واستولى عليها وقتل أصحابها ، سنة 405 هـ / 1014 م (3) . وهناك أظهر لحلفائه بأنه لا يريد إلا

ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 115 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 141 .

(2) ابن بسام : التغيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص 26 - ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 114 - ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 284 ، أما ابن الخطيب فيذكر أنه : « لما تنفس مخنث العامريين الموالي والصنائع المأثمين وعادوا على سليمان بالمحقون البربرية صرف بعضهم إلى علي بن حمود أمير سبعة من الحسنين عهدا منسوبا إلى هشام المؤيد وبخطه زعموا العهد فيه بالأمر بعده إلى علي بن حمود ، وتعهدوا له بالموازنة والتغضيد وشجعوه على القيام . أنظر : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 141 راجع أيضا : تعليق د . عبد العزيز سالم : في تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص 356 ، حاشية رقم (3) .

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 116 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 141 - بينما يذكر عبد الواحد المراكشي وإن الأثير أن صاحب مالقة وهو عامر بن فتوح تنازل له على المدينة وأدخله إليها . أنظر : المعجب ص 91 الكامل في التاريخ ج 5 ص 284 الضبي : بقية الملتمس ص 92 ، حققه وترجمه المستشرق الإسباني فرنسيسكو كوديرا Francisco Codera مجريط 1884 م .  
Luis Seco de Lucena Los Hamudies de Malaga Y. Algeciras p 11-21.

نصرة هشام المؤيد ، الذي استجأر به ، فانحاش اليه الناس وكثُر أتباعه ، فأناه خيران العامري ، بجيشه الصقلبي ، وزاوي بن زيري وحبوس بن ماكسن وآخوته ، وبنو عمده الصنهاجيون ، فعظم شأنه وقوى سعاده وبايجه بالخلافة ، ثم ساروا معه نحو قرطبة ، وبالقرب منها خرج اليهم سليمان المستعين بجيشه المغربي ، والتقي الجمعان ونشب بينهما قتال شديد ، هلك فيه خلق كثير من أتباع سليمان المستعين ، الذي قيد أسيرا إلى علي بن حمود ، ومعه آخوه وأبوه فقتلوا جميعا صبرا ودخل على قرطبة دخول المنتصر في المحرم ، سنة 407 هـ / 1017 م<sup>(1)</sup> ، ودعا الناس إلى بيعته فبُويع له وتسمى بأمير المؤمنين الناصر للدين الله ، بينما بقي آخوه القاسم بن حمود في الجزيرة الخضراء ، متأهلا لتقديم المساعدات والإمدادات الازمة عند الحاجة ، وسقطت بذلك الخلافة الأموية في الأندلس ، وانتقلت من البيت الأموي إلى البيت الحموي العلوي الهاشمي<sup>(2)</sup> .

وكانت العادة قد جرت على أن الجيش الأندلسي ، هو الذي يعبر إلى المغرب ويتدخل في شؤونه ، ولا سيما منذ احتلال عبد الرحمن الناصر لمدينة سبتة سنة 319 هـ / 931 م ، بل كان خلفاء بنو أمية هم الذين يقومون بتعيين ولاة المغرب ، باعتبارها أصبحت ولاية خاصة لنفوذهم وسلطانهم ، أما في هذه الفترة فقد انعكست الأمور ، وتطورت بحيث أصبح الجيش المغربي هو الذي يتدخل في أمور الأندلس ويدبر سياستها .

وقد بدأ على خلافته موقفا مع الرعية ، إذ افتتح عهده بالعدل والإنصاف بين الناس ، وحرص على أن يجلس للمظالم ويقيم العدود<sup>(3)</sup> بنفسه فاحبه أهل قرطبة لسلوكه هذا من جهة ، ولا يبعده عن الحزب المغربي من جهة ثانية ، فافتتنوا به

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 287 – عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 91 – ابن عذاري البيان ، ج 3 ص 116 – ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 145 .

(2) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 28 .

(3) راجع ابن بسام : المصدر السابق ، القسم الأول المجلد الأول ص 79 – ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 3 ص 123/122

وكان علي قد ترك ، على أعمال شمال العدوة المغربية ، ابنه يحيى وولى ابنه إدريس مالقة ، وأقر أخاه القاسم بن حمود على أشبيلية والجزيرة الخضراء (1) .

غير أن هذه السياسة لم تدم طويلا ، فسرعان ما تخلى عنها الخليفة الحموي العلوي ، وحول وجهه عن أهل قرطبة ، وانقلب عليهم ، وعزم على إخلاء المدينة من الأمويين ، حتى لا يعود إليهم السلطان ، وعاد إلى الحزب المغربي عندما ظهر المرتضى مطالبا بالخلافة لنفسه ، يسانده في ذلك خيران العامري صاحب المرية ، وبعض أمراء الشغور حيث نقلت عليه النقوس ، وكره الناس ، فدبّر له صقالبة الروانين ، الذين كانوا من أقرب الناس إليه ، مؤامرة أودت بحياته ، حيث قاموا بقتله بالحمام في غرة ذي القعدة ، سنة 408 هـ / 1017 م (2) .

ثم تولى القاسم بن حمود الخلافة من بعده ، واستمر فيها نحو أربع سنوات ، إلى أن نازعه عليها ابن أخيه يحيى بن علي ، الذي اتفق مع أخيه ، إدريس عامل مالقة ، على أن يتولى ثغر سبتة ، وغيرها من الأعمال التابعة له في بلاد المغرب ، ويتولى هو مالقة بالأندلس ، وكتب من مدينة سبتة إلى رؤساء الفرق المغاربية بخطبة والأندلس ، يقول لهم : « إن عمي أخذ ميراثي من أبي ، ثم أنه قدم في ولاياتكم ، التي أخذتموها بسيوفكم ، العبيد والسودان وأنا أطلب ميراثي ، وأولئك مناصبكم وأجعل العبيد والسودان كما هم عند الناس » (3) .

وكان القاسم بن حمود ، قد استكثر من شراء العبيد والسودان ، وقربهم إليه ، وجعلهم أكثر جنده وخدمه . مما أثار عليه نفوس المغاربة ، فظاهروا ابن أخيه نكاية فيه .

فجمع عند ذلك يحيى بن علي ، ما عنده من المراكب والجند ، واجتاز بهم

---

(1) الميري: فتح الطيب، ج 2 ص 29- د. صلاح خالص: أشبيلية في القرن الخامس الهجري من 112 دار الثقافة بيروت 1965.

(2) راجع ابن عذاري: البيان، ج 3 ص 121 - ابن الخطيب: أعمال الاعلام، القسم الثاني ص 151 . ابن الأثير: الكامل، ج 5 ص 286 - عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 98

(3) الميري: فتح الطيب، ج 2 ص 31

المضيق إلى مالقة ، وهناك ساعدته جيرانه بني جبوس وغيرهم ، واستطاع بمساعدتهم أن يطبع بعرش عمه في قرطبة ، ويستولي على زمام الأمور فيها (1) .

والجدير باللحظة هنا هو أن الحرب الأهلية ، والصراعات العنيفة التي تعرضت لها الأندلس ، خلال هذه الفترة سببت في عودة كثير من المغاربة ، إلى وطنهم الأصلي ، فقد روت بعض المصادر ، أن زاوية بن زيري الصنهاجي - كبش هذه الحروب ومحশها - جمع إخوانه بعد انتصاره على المرتضى الأموي ، وحلفائه العامريين ، وأصحاب الشغور ، سنة 409 هـ / 1018 م ، وأدى لهم النصيحة بالخروج عن الأندلس ، لأن الحياة فيها أصبحت محفوفة بالمخاطر ، والرجوع إلى إخوانهم في إفريقية ، ولا سيما بعد قيام دولة الحموديين واعتادهم على رجال زناته أعدائهم التقليديين ، وقد علل لقومه في اتخاذه هذا القرار بقوله لهم : « فالرأي الخروج عن أرضهم ، (أي الأندلس) واغتنام السلام مع احراز الغنيمة والرجوع إلى الجملة التي افضلتنا عنها ، كافين للعيال والذرية ، مباعدين لهم ، لما وراءنا من أهل جنسنا ، زناته الأعداء في الحقيقة الذين ، لا يغفلون عنا ، وأن أغفلت الخلقة لا سيما وقد عرفنا ، فرحمهم ونبشنا أحقادهم المدفونة ، فإن فرغوا لنا على قلة عدتنا ، وظاهروا علينا الأندلس ، وقعننا منهم بين لحي اسد فاصطلمونا ، ها أنا قد أديت النصيحة وأنا راحل عن الأندلس » (2) .

ثم أستاذن ابن عمه صاحب إفريقية يومئذ المعز بن باديس . فأذن له وحرص جميع بني عمه على رجوعه إليهم لكرسته ، فرحل زاري مستقلًا سفنه بمن تبعه من أهله وأمواله من مرسي المنكب Almunecar سنة 410 هـ / 1019 م ، ولحق بأرض إفريقية ، وطنه فاستقبله المعز بن باديس أحسن استقبال ، وأقره في كنفه (3) .

(1) راجع : ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 286 - عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 99 ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الثاني ص 13 ، 14 .

(2) ابن بسام الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 402 وما يليها ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 128 وما يليها .

(3) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 189 - ابن بسام الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 201 وما يليها .

وطلت الخلافة في قرطبة ، تداولها الأسرة الحموية يعتلي عرشها يحيى بن علي تارة وعمه القاسم بن حمود تارة أخرى ، وأحياناً بني أمية إلى أن سقطت الدولة نهائياً سنة 422 هـ / 1031 م .

ورغم امتداد دعوة بنى حماد ، ونفوذهم إلى عاصمة الأندلس إلا أنه لم يستمر أكثر من مئتي سنوات انحصر بعدها في سنة 417 هـ / 1026 م ، إلى منطقة مالقة ، والجزيرة الخضراء ، أي الجزء الجنوبي للأندلس المقابل لملكاتهم في مدينة سبتة وطنجة ، وببلاد غمارة بالعدوة الغربية (1) .

لكن لم يلبث أن دب التزاع والشقاق بين الأسرة الحموية ، وانقسموا على أنفسهم ، إذ استحوذ بعض أمرائهم على بعض المناطق ، واستقل بها وأعلن نفسه خليفة عليها ، وتلقب بالألقاب الخلافية (2) ، حتى انقطع ملوكهم من الأندلس ، في منتصف القرن الخامس الهجري ، على يد بنى زيري الصناهنة أصحاب غرناطة وبني عياد أصحاب بشيلية ، فعادوا إلى المغرب ، وهناك أيضاً استولى على أعمالم ، أحد موالיהם وهو سكوت أو سقوط البرغواطي (3) .

أما بنو أمية ، فقد ازداد تسابقهم ، في طلب الخلافة وكثر خروجهم على بعض ، وقتل بعضهم بعضاً ، من أجل الوصول إلى كرسى الخلافة ، ويكتفي للدلالة على ذلك ، ما ذكره ابن عذاري ، من أن أحدهم ، قيل له لما ثار يطالب بالسلطة لنفسه « تخشى عليك أن تقتل فقال لهم : « بايعوني أنتم اليوم واقتلوني غداً » (4) . حرصاً منه على طلب الخلافة ، واعتلاء دستها . وكان آخرهم أبو بكر هشام الثالث بن محمد المعبد

(1) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 99 - ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 286 ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 144 .

(2) وحول صراع الحمويين بين بعضهم البعض من أجل السلطان في سبتة وما لفtherها والألقاب السلطانية يقول الضبي وصار الأمر في غاية الأخلاقية والفضيحة أربعة كلهم يتسمى بأمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخاً وفيها قال الشهاد :

فتفرقوا شعباً لكل جزيرة فيها أمير المؤمنين ومنبر  
أنظر بغية الملتزم ص 30 راجع عبد الواحد المراكشي : المصادر السابق ص 13 وما يليها - د. أحمد  
مخنار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 79 .

(3) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 456 والضبي المرجع السابق ص 77 وما يليها .

(4) ابن عذاري : البيان ، ج 3 ص 151 - أنظر أيضاً : ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 290 .

بالله أخو المرتضى ، قد بويع له بسعي من الوزير أبي العزم بن محمد جهور ، مع أهل الشغور حيث كان يوجد هشام بحصن « البوانت » ، في ربيع الأول ، سنة 418 هـ / 1027 م . وبقي الخليفة ملازماً للشغور الشمالي نحو ثلاثة سنوات ثم عاد بعدها إلى قرطبة ، قصبة الملك في ذي الحجة ، سنة 420 هـ 1026 م ، ولم يقم بها يسيراً ، حتى قامت عليه فرقه من الجندي ، وخلعه عن عرشه ، وأخرجته من القصر ، ثم « نودي في الأسواق والأرباص بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بنى أمية ولا يكتفهم أحد» .<sup>(1)</sup>

فخرجو من قرطبة وتفرقوا في الأقاليم ، ولحق هشام الثالث ومن معه إلى الشغور ، وانقطعت بذلك الدعوة لهم ، على منابر جميع أقاليم الأندلس ، وببلاد المغرب في ذي الحجة سنة 422 هـ / 1031 م .<sup>(2)</sup>

وأعلن الوزير أبو حزم جهور بن محمد بن جهور بعد ذلك ، انتهاء رسم الخلافة ، لعدم وجود من يستحقها من بنى أمية ، وجعل الأمرشوري بين الوزراء وكبار أعيان القوم ، أو ما أطلق عليه بالجماعة ، وأسفر عن سقوط الخلافة الأموية ، قيام دولات متنازعة ، إذ استقل كل أمير ياقليمه ، وأعلن نفسه ملكاً عليه ، فدخلت البلاد في عصر جديد هو عصر الطوائف ، أو كما تسميه بعض المصادر الفرق<sup>(3)</sup> ، وفي ذلك يقول المقرى : « انقطعت الدولة الأموية من الأرض ، وانتشر ملك الخلافة بالمغرب ، وقام الطوائف بعد انقراض الخلافة ، وانتوى الرؤساء من البربر ، والعرب ، والموالي بالجهات واقتسموا خطتها ، وتغلب بعض على بعض » .<sup>(4)</sup>

وجملة القول ، أن الصلة بين الأمويين في الأندلس ، والأمراء المغاربة في الشمال الأفريقي في هذه الفترة قد انقطعت ، ولم يعد لها وجود ، إذا ما استثنينا عهدى محمد بن هشام المهيدي ، وسلیمان المستعين ، اللذين ظهرت بعض العلاقات في عهدهما ، مع بعض أمراء العدوة المغربية ، ولكنها كانت محدودة وعلى نطاق ضيق ، – كما

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 3 ص 152 ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 162 – ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 5 ص 290 .

(2) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 110 – ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 5 ص 290 .

(3) أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 275 .

(4) المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 413 .

سبق أن أشرت – لأن بنى أمية ، قد انشغلوا بالفتنة التي تفرعت شعابها ، وامتدت روافدها في البلاد الأندلسية من جهة ، وتساقتهم على كرسي الخلافة من جهة أخرى ، فقد زجت بهم هذه الفوضى في مستنقع كبير ، أدى بدولتهم إلى الدخول في مرحلة من أسوأ مراحلها وهي مرحلة الضعف والانحلال ، وبسبب الحرب الأهلية التي نشب بين الأخوة الفرقاء في قرطبة ، والصراع المريفي الذي قام بين العناصر المختلفة ، في الدولة كالبربر ، وأهل قرطبة والصقالبة ، من أجل التسابق على السلطة الزمنية .

ويكفي للدلالة على انقسام الدولة ، واضطرابها في هذه الفترة الأخيرة من مراحلها ، أن عدد الخلفاء ، الذين تعاقبوا على عرش الخلافة ، يفوق عدد الذين تولوا عرش الامارة والخلافة ، ، منذ تأسيس الدولة الأموية في الأندلس (1) .

والظاهر أن النفوذ الأموي في الشمال الإفريقي ، قد سقط بسقوط الدولة العاميرية ، وظهور الفتنة في الأندلس ، في مطلع القرن الخامس الهجري وضعف السلطة المركزية في قرطبة ، حتى أنها فقدت تأثيرها على الأقاليم والمدن الأندلسية ، فكيف إذن تستطيع أن تحافظ على نفوذها في البلاد الغربية ، وهي على هذه الحالة .

ومما لا شك فيه هو أن المغاربة ، قد استقلوا بأعمالهم ، وخلعوا طاعة الأموية ، وانقطع ما كان بينهما من رباط سياسي ، وهو التبعية والولاء ، ويؤيد هذا القول ، صاحب كتاب مفاسد البربر بقوله : « ولم تزل الولاية بالغرب مستقيمة ، وطاعة أهلها منتظمة ، إلى أن مات المظفر ، وولي أمر الحجاجة عبد الرحمن بن أبي عامر ، وذلك في أول سنة 399 هـ / (1009 م.) » (2) .

وعلى الرغم من نجاح الحمويين ، في الاستيلاء على الخلافة في قرطبة ، من يد الأمويين إلا أن نفوذهم – فيما يبدوا لم يتعذر أبعد من المناطق ، التي تم لهم الاستيلاء عليها ، سواء في الأندلس أو بلاد المغرب ، ولم تتجاوز مدينة سبتة وطنجة وبلاط غمارة ، لأنهم لم يستطيعوا بسطه فيها وراء ذلك من الداخل ، ربما لأنهم دخلوا ، في نزاع عقيم فيما بينهم على السلطة أدى بهم في النهاية إلى الانقسام (3) .

(1) عبد الحميد العبادي : المجلل ص 156 – أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 274 .

(2) مفاسد البربر ص 41

(3) أنظر : ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 455/456/457 .

ومهما يكن من أمر ، فإن ما تجدر الإشارة إليه هنا ، هو أن الفتنة التي تعرض لها المسلمون في الأندلس ، كان لها صدى بعيد المدى في بلاد المغرب ، وأثر كبير على حلفاء الدولة الأموية في تلك المنطقة ، وخاصة مغراوة الزناتية ، التي طالما حملت راية الأموية ، وتفانى في توسيع سلطانهم ، ونفوذهم في الأراضي المغربية ، حتى تمكنت من مده ما بين باقليم الزاب شرقاً ، وسجلماسة والسوس الأقصى جنوباً ، تحت راية واحدة ، هي الرأبة الأموية المغراوية ، وأصبحت زناة وعلى رأسها المعز بن زيري بن عطية المغراوي ، هي القوة الشرعية الحاكمة في المغرب .

ولما افترق أمر الجماعة ، واحتل رسم الخلافة ، عزم الزعم المغراوي المعز بن بن زيري أن يوسع أعماله ، فاستحدث رأياً في التغلب على سجلماسة وانتزاعها من أيدي بني عمومته ، وهم أبناء وانودين بن خزرون ، ففرض عليهم بجيشه سنة 407 هـ / 1017 م ، ولكنه انهزم أمام جيوشهم ، وعاد بفلوله هارباً إلى مقر أعماله « بفاس » .

ولعل هذا هو السبب ، في اضطراب أمره ، واهتزاز كيان امارته ، وتقلص أعماله ، فقد قامت إمارة بني يفرن ، في كل من سلا ، وقادلا منافسة له ، كما استفحل أمر أصحاب سجلماسة ، بعد انتصارهم عليه ، واستطاعوا الاستيلاء على بعض ممتلكاته (1)

ولم تلبث الدولة الزيرية الصنهاجية في إفريقية ، أن انقسمت هي الأخرى على نفسها ، إذ انفصل حماد بن يلكين عن السلطة المركزية في المنصورية ، ببعض أعمال المغرب الأوسط ، وأسس له دولة ورثها آل حماد من بعده ، وجعل عاصمتها « قلعة بني حماد » بنواحي المسيلة (2) .

وهكذا تعرض المغرب بأسره ، إلى نفس المخنة السياسية ، التي تعرضت لها الأندلس ، ومر المغرب بالحالة ذاتها ، حيث أن كلا البلدين ، قد تفرق شملهما ، وتجزأت وحدتهما ، وأصبح المسلمون في هذين العدوتين شيئاً وأحزاباً ، متناحرین متحاربين ، وقد صور لنا المؤرخون ، مدى افتراق الكلمة في المغرب في فترة تدهور

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 73

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 263 / 264 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ص 340 .

الخلافة الأندلسية وسقوطها ، أصدق تصوير ، ووصفوها أبلغ وصف ، وشبهوا وضعه بوضع الأندلس في تلك الفترة ، وقال أحدهم في ذلك : « انخرمت الامامة ، وتفرقت الجماعة ، وانهدمت الدولة المروانية ، وصار أمر الناس بجزيرة الأندلس شيئا ، ولما كانت الطاعة بالأندلس واحدة ، واماتهم واحدة ، تشتت الناس بالغرب ، كفعلنهم في الأندلس ، وانترى بعضهم على بعض » (1) .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 41 - 42 - ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 254

## الخاتمة

ونستخلص من هذا البحث ، أن العلاقة السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، قد مررت بعدة مراحل مختلفة :

المرحلة الأولى : وهي عصر الولاية ، فقد كانت الصلة فيه قوية ، بين المغرب والأندلس ، اذ عبرت خلاله ، كثير من القبائل المغربية العربية ، ووضعت بذلك أسساً جديدة ، لوحدة سياسية واجتماعية وادارية ، مربطة ارتباطاً وثيقاً ببلاد المغرب ، وأصبحت قرطبة تتبع القيروان إدارياً وسياسياً .

أما المرحلة الثانية ، وهي عصر الامارة الأموية ، فقد استقل الأمويون بالأندلس ، وصار لدولتهم كيان مستقل عن الخلافة العباسية ، غير أن الوضع السياسي الجديد للإمارة الأموية ، وعدائهما لبني العباس ، جعلها لا تطمئن لبعض الدول المغربية القرية منها ، وبخاصة الأغالبة ، الذين يمثلون النفوذ العاسي في بلاد المغرب ، والأدارسة الذين يمثلون البيت العلوي المعادي للأمويين وبذلك صارت السبل أمامها مسدودة ، مما تعذر عليها الاتصال ببلاد المغرب ، وتوطيد صلالتها بهاتين الدولتين في المغرب الأدنى والأقصى .

أما بالنسبة للدولة الرسمية الخارجية « بتاشرت » (المغرب الأوسط) فنلاحظ أنها كانت هي الأخرى ، على خلاف مذهبي ، وعداء سياسي مع جارتها الشرقية ، وهي دولة الأغالبة ، والناهضة لحركات الخوارج . وكذلك مع جارتها الغربية ، وهي الدولة الإداريسية العلوية في « فاس » .

وقد جمعت هذه الظروف السياسية المتشابهة ، بين تاشرت وقرطبة ، رغم الاختلاف المذهبي بينهما ، فالتحقى الطرفان في حلف ودي ، تدعيمه المصلحة السياسية المشتركة ، ولا سيما بعد أن ظهرت القوى البحرية الأغالية ، في وسط البحر الأبيض المتوسط وغربه ، تهدد الشواطئ الأندلسية ، وتصنيق الخناق على الامامة التاهرية .

ولم يلبث أن انضم إلى هذا الحلف ، كل من بني صالح أصحاب نكور وبني مدرار الصفررين أصحاب سجلماسة ، الذين لم يحلف بينهم وبين التحالف مع قرطبة ، بعد الجغرافي والاختلاف الأديولوجي ، وكذلك انضم إلى هذا الحلف أيضاً ،

البرغواطيون أصحاب نامتنا ، لتطويق الأدارسة من جميع الجهات ، وعزل الأغالبة في القيروان .

والشيء الجدير بملاحظته هو أنه ، على الرغم من استمرار الجو المشحون بالعداء السياسي ، والإختلاف العقائدي ، لفترة طويلة بين عواصم الغرب الإسلامي ، فإنه من حسن الطالع ، لم تتعذر هذه الخصومات ، نطاق الاستفزازات الدبلوماسية ، والمناورات السياسية ، ولم تتحدد المصادر التاريخية عن وقوع اصطدامات عسكرية خطيرة ، فيما بين هذه العواصم ، إذا استثنينا تلك المناوشات ، التي حدثت بين الرستميين والأغالبة .

وأما المرحلة الثالثة ، فهي عهد الخلافة ، التي تغيرت فيها سياسة بنى أمية ، وبخاصة بعد أن ظهرت قوة كبرى في بلاد المغرب ، مناوية للبيت الأموي في الأندلس ، وهي الدولة الفاطمية الشيعية ، التي ترتب على قيامها زيادة التوتر السياسي والعسكري في المنطقة ، بحيث انتقل من مرحلة الصراع السلي ، القائم على الحرب الباردة ، والتسابق في التسلح ، إلى الصراع الإيجابي ، والمجا به العسكرية ، والتدخل المباشر في الشؤون المغربية . فالخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، هو أول خليفة أندلسي عمل على اصطناع أمراء المغرب ، من إداراته ورؤسائه القبائل المغربية ، وتحريضهم على قتال الفواطم مستعملاً في سبيل ترويج ذلك ، كافة الوسائل المادية المغربية .

وقد نجح الناصر في هذه السياسة نجاحاً كبيراً ، إذ انحاشت إلى الدعوة الأموية ، وتشبت ببعاها ، معظم القبائل المغربية الكبيرة ، وبخاصة مكناسة النازلة بالمغرب الأقصى ، وزناته الضاربة في المغرب الأوسط ، والمتاخمة للحدود الفاطمية وغيرهما من القبائل التي تفانلت من أجل بسط النفوذ الأموي وحمايته .

وقد تجسد هذا النجاح في الوفود الكثيرة ، التي كانت ترد قرطبة في كل حين مزودة بالهدايا المغربية الجميلة ، رمزاً للطاعة والولاء ، وتحمل الرسائل والتقارير الفضلة عن أحوال المغرب ، يشرحون فيها ، سياستهم وأعمالهم أولاً بأول ، إزاء جيرانهم الفواطم وتلتمس الإمدادات والمساعدات الاقتصادية والعسكرية ، لمناولة العبيددين ، ولا سيما في أوقات الأزمات والإنقسامات التي كانت تحل بدولتهم . وكان الناصر لا يرفض لهم طلباً . ويرسل لهم المعونات والإمدادات العسكرية والاقتصادية على شكل اساطيل تحمل الجند والرماة ، وترسو ، في الموانئ المغربية ، أو على هيئة

أطباء ، ومهندسين وبنائين ، لبناء القلابع والمحصون ، وترميم ما أفسدته الحروب ، أو في صورة أموال ، ومواد غذائية .. الخ . وبهذه المعونات والجهود المكثفة استطاعت خلافة قرطبة أن تضع حداً لنشاط الفواطم في المغرب ، وحضرت نفوذهم في إفريقية .

وفي الوقت نفسه لم تتردد هذه القبائل المغربية ، في مساعدة الخلافة الأموية في عقر دارها ، فكانت تبعث بأبنائها وفلذات أكبادها إلى الأندلس ، للخدمة في جيوش وأساطيل الدولة الأموية ، فأضحت بذلك سندًا قوياً ، لهذه الخلافة الناشئة ، تصد عنها كل الأخطار الداهمة من إفريقية .

كما أن الناصر للدين الله ، تجاوز نطاق الدعم المادي والعسكري لحلفائه المغاربة والأدارسة ، إلى احتلال بعض التغور البحرية المغربية ، المواجهة للشواطئ الأندلسية ، وجعلها قواعد أموية تحمي ظهره ، وتخرج منها أسطول الأندلسية لحماية حلفائه وانصاره وتعزيز مركزهم وتكون بمثابة خط دفاعي أمامي ، في وجه النشاط السياسي والعسكري للدولة الفاطمية .

وقد حذا الخليفة الحكم المستنصر ، حذو أبيه في سياسة المغاربة ، التي تقوم على ضرورة المحافظة ، على النفوذ الأموي في الشمال الإفريقي ، ومصانعة أمراء المغرب ورؤساء قبائله ، والتدخل المسلح المباشر ، إذا اقتضى الأمر لذلك ، رغم انتقال مقر الدولة الفاطمية إلى مصر ، وابتعادها عن الأندلس .

كما اضطر الحكم المستنصر بالله إلى تغيير سياسة التستر وراء المغاربة في ضرب الفواطم ، وتدخل في بلاد المغرب تدخلًا عسكريًا مباشرًا ، وتغلغل في أراضيه بأساطيله البحرية وجيشه البرية ، لإخماد ثورة الأدارسة وإخضاعهم وقد استطاع الحكم أن يحيط كل المحاولات التي استهدفت تقويض النفوذ الأموي وسلطانهم من المغرب .

واستمر الحال على هذا المنوال ، في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي بذل جهوداً مضنية ، من أجل تطبيق سياسة المغاربة الحازمة ، التي تكللت بالنجاح ، فقد تمكّن هو الآخر من القضاء ، على الثورات الإدريسية والمغاربة وكان هو رجل التوسيع الأموي ، وأشدّهم فاعلية في هذا المصمار ، هي ظل حكمه بلغت الدولة الأموية في الغرب الإسلامي قمة مجدها ، واتساعها وامتدت الدعوة الأموية إلى مناطق جديدة

في المغرب ، بحيث أصبحت تنتشر من السوس الأقصى وسجلماسة جنوبا ، إلى إقليم الزاب ووادي شلف شرقا .

وظل النفوذ الأموي في الشمال الافريقي قائما ، إلى أن حدثت الفتنة الأندلسية في نهاية القرن الرابع الهجري ، وسقطت الدولة العاميرية وذهب هيبة الخلافة ، وضعفت السلطة المركزية في قرطبة ، عند ذلك فقد الأمويون تأثيرهم على الأقاليم والكور الأندلسية والديار المغربية ، ودخلوا مرحلة من اصعب مراحلهم وهي مرحلة الضعف والانهيار ، إذا تدخل الحموديون الأدارسة والمغاربة في الأندلس واستولوا على الخلافة فيها فاندثر بذلك السلطان الأموي من المغرب ثم زال نهائيا بزوال رسم الخلافة في قرطبة سنة 422 هـ / 1031 م .

## الضمائيم رقم (1)

كتاب محمد بن خزر أمير زناته إلى الناصر لدين الله يتضمن بيعته وأحقيته بالخلافة  
أرسل إليه في أواخر سنة 317 هـ / 929 م ، جاء فيها ما يلي :

« والله يا أمير المؤمنين ، ما أعلم على وجه الأرض أحدا ، أعرف بما أوجب الله  
لكل مني ، لأنني ما قمت بدعوك ، إلا تقربا إلى الله تعالى ، وتوصلا إلى قتال كفار  
المشارقة ، فقد يعلم الله تعالى أنني لم أتعرض المشارقة أهلكم الله على يدك ما تعرضوني ،  
كما أتي كففت زمانا عنهم ، قبل استحكام البصيرة فيك ، وكفوا عنني ورضوا بذلك  
مني ، حتى رأيت أمرهم ، قد عم الناس من شره ، وقد حاولوا أن يسطلوا نور الإسلام ،  
بما كادوا به أهله ، فأسرخت الله في جهادهم وقتلت أدعوا إلى ربى في جوف  
الليل في التوفيق والتسديد ، وأن نخربني وللمسلمين في مناهضتهم ولكشف عنا من غيهم  
وفكرت في امام اعتاق حله ، وأكون على بيته من أمري في الدعاء إليه ، وقد تثبت  
في حال المسودة منبني العباس ، واستدعاني أخي المقيم عندهم بمصر ، وأتنى كتب  
« تكين » التركي صاحبهم بعصر في أول الأمر ، واستجلابي نحوه ، فعصبني الله  
من ذلك ، باتباع الحق ، وأخذ برأي الناصح المرشد ، وأخلفاني إلى ما أوضحت من  
الأمر حتى علمت بأمر أمير المؤمنين أنك أحق الناس بالخلافة إنها بيدك ميراث ،  
لا ينزع عك فيها إلا من دفع الحق وعصى الله ورسوله ، فأطاحت الهوادة وآثرت  
الحق ، وهربت بنيتي إلى أمير المؤمنين بنية صادقة ، وبصيرة نافذة ، وبريت من  
الناس منه ، ودفعت الإمامة إلا وهو ، ورجوت أن ينصرني الله تعالى ، وعلى يديه  
وأن ينصر في أمري وأمر المسلمين ، من أهل إفريقية المضطهددين ، النظر المأمول ،  
حتى يكشف الله تعالى عنهم ، ما هم فيه من البلاد والردة ، وأن يصرف الله عشر  
زناته بهذه الدعوة الحق المنصورة ، حتى يرفعنا على جميع الناس بها ، فتكون أولياء  
دعوك ، وأنصار دولتك ، فإنك يا أمير المؤمنين ، مولى كل بريري على الأرض ،  
إذ بني أمية هداهم الله للإسلام وعساكرهم مني (إلى لدخلتهم) فيه وأخرجتهم من  
الحسوبية ، بإذن ربهم ، فمن كفر منهم هذه النعمة ، فهو كافر بالله ورسوله مولها ثم

(1) ابن حيان : قطعة من كتاب « المقيس » خاصة بعهد عبد الرحمن الناصر لدين الله مخطوطة بمعهد المخطوطات  
جامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم ، 298 .

لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا والله ما حاببناك يا أمير المؤمنين بالاقرار لك ، إذ وجدنا الحق في يدك والاجماع من الناس ، على أنك أولى بالخلافة ، من يتحصل اسمها معك ، كذلك يتمسك كل من تقدم علينا من المشرق من نواحي إفريقيا .

فكلهم يشكر فعلي بأن الحق معي ، وفيه أخذ رأي من نصحي ، وبالحق عرقي وعليه حظي ، حتى « تكين » صاحب مصر فقد رضيه وسره وما ساعده ، فالحمد لله على هذه النعمة ، الذي جعلني من أهلها ووقفني بقبوها » (1) .

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 107 ، 108

## ضميمة رقم (2)

كتاب من الأمير الإدريسي إبراهيم بن محمد الحسني إلى العاهل الأندلسي الناصر للدين الله يعتذر فيه باسم إخوانه ، عن تصديهم ومقاومتهم للأسطول الأندلسي الذي قام باحتلال مدينة سبتة سنة 319 هـ / 931 م جاء فيها :

« وقد أنعم الله بك يا أمير المؤمنين ، في أن تصرف هنك إلى ناحيتنا ، ووكل عزتك بعروقنا ، فلقد كنا نتمنى ذلك ، ونستبكيه منك إلى أن تسم الله عزتك ويسرك بتوفيقه ، إلى فأرجو أن ترتفق فيه على يديك إلى أفضل الخطط ، وأشرف المنازل ، وذلك أن بلد البربر ، الذي نحن به أعز الله أمير المؤمنين سيدنا ، لقوم ملكوا أنفسهم من زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وجرت عادتهم على مجد السلاطين ، ودفع الأئمة والعدو بالولاية ، والتثبت على العمال والملك لأنفسهم ، والاستبداد لآرائهم إلى أن دخل إليهم جدنا ، إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي رضي الله عنه ، هاربا من عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، الملقب بالمنصور ، بعد أن قتل أخيه محمد وإبراهيم إبني عبد الله بن حسن بن حسن ، وشرد أهل بيتهما ، فلما سار جدنا إدريس إليهم واستجذار بهم أجاروه وأوصبوا حقه ، ووضعوا له في بلدهم ( فرحا ) توسط ما بينهم من الأحكام من غير أن يضبطهم السلطان ومضى « بسلا » وقد تناستنا منه وقمنا مقامه ، وسلكنا بسيله ، فالبربر إلى اليوم على عادتهم الأولى معنا ، إن همنا بشدید السلطان عليهم ، هربوا عنا ، وانفروا منا ، واحتذوا الحصون علينا ، فمرة نذهب إلى محاربهم ، وتارة نبدل إلى مداراتهم ، ولا نطمئن مع الأيام في ضبطهم ، وكف عادتهم إلى أن كان وقتهم ، بدء الأمر الذي شرع فيه سيدنا أمير المؤمنين ، بالرأي الذي هم به ، وعزم عليه من ملك عدوتنا ، ومرظله علينا بلا شيء أشد ( أنفسنا ) ولا أجمع بالتأمن منه ، فإلى سيدنا نرفع رغباتنا ونرد طلباتنا في أيام عزتك ، وتسديد فعلك وثبيت بصيرتك فيما أهلك الله إليه ، ووفقك الله له فنحن أعز الله أمير المؤمنين سيدنا ، مما لا رغب بأنفسنا عنك ولا نحب ، وعن ستوك فأمرنا بما لأحبيت وناهين بتأمن أردت فنحن جند لك على أعدائك ، ومسارعون إلى ما يسرك ، فلا تشتك في طاعتنا ، ولا ترتب بمحبتنا وولايتنا ، فبأجل الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، وكل يمين أوجبه الله في الكتاب ، مما لا كفاره له إلا بالوقاء به ، وكل ما عنتلك على المساكين صدقة ،

كل يحاشى في ذلك عقارا ، وكان باعا علينا عهود الله المؤكدة ، ومواثيقه المغلظة ، وعليها المشيء كل واحد منا يواري حجة ، وكل ملوك فلكه حر ، لوجه الله العظيم ، وجميع ايماننا هذه على الطواعية معقودة على الواحد منا ، والجماعة لا انقضنا لك بيعة ، ولا سعينا معك بغض وكيد ، ولا مكر ولا خديعة ولا حيلة ، ومعاذ الله ، ولكننا ذهبنا إلى تطبيب نفسك ورهفة قلبك ، وإثلاج صدرك ، والذي اعترفنا به لك غير مستنكرا علينا ، لأننا لم ندخل البلد ، عن افتتاح افتتحناه ، ولا عن ميراث طلبناه ، مع الذي تقدم من فعل جدنا المحسن بن علي رضي الله عنه ، في التسلیم لسلفك ، وما مضت عليه جدودنا من البيعة ، لأجدادك رحمهم الله أجمعين .

وبعد أعز الله أمير المؤمنين ، فإنه قدم جندك علينا بسبعة ، بغتة لا نعلم معنى الأمر فيه ، وكل المذهب إليه ، فخف البربر الذين يلونها اليهم ، واستبقوا إلى محاربهم ، فلما تكافأت الحرب بينهم ، واستنصرنا عليهم ، واستنهضنا للقيام معهم برجالنا ، وزعموا أنه إنما قدم إلى ما هنالك عامل الجزيرة الخضراء ، فيمن خف معه متطاولا ، إلى ذلك من ذاته ، دون اذنك ولا مذهبك ، فتوقفنا عنهم جميعا ، في أن يقدم علينا من عندك كتاب أورسول ، إلى أن طال الأمر علينا ، فهضنا بأنفسنا لاستبانة الخبر ، فنادانا القوم من أعلى السور ، بأنهم جندك وأنك أنت الذي بعثتهم ، وسألونا أن نكتب إليك لتعريفنا حقيقة الأمر وجلية الخبر ، فصرنا عند ذلك عساكرنا عنهم ، وأمرنا البربر بمسالمتهم ، إلى أن يرد كتابك علينا ، مما تطلبه منا ورغبة عندنا وأمرنا بأمرك يا سيدنا نطعه ، فإنما نحن قوادك وعيشك ، وأنصارك على من ناوئك وأولى الناس بتأييدهك وحماية سلطانك ، فارم بنا حيث شئت ، وناهض بنا من أردت ، واندربنا لما قصدت ، تبل نصحا وكفاية ، ومحبب بيصرة وصاغية ، نرجو بها قضاء حملك ، ونيل الخطوة لديك ، وأتبنا الشرف الذي تبقى لنا ولا عقابنا بعدنا إن شاء الله تعالى » (1) .

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم ، 115 ، 116

### ضميمة رقم (3)

رسالة وجهها الزعيم الزناني محمد بن خزر ، إلى الخليفة الناصر للدين الله سنة 320 هـ / 932 م ، يخبره فيها بتغيير مقر إقامته إلى الساحل ، حتى يقترب من الشواطئ الأندلسية ، ليسهل عليه تلقي الإمدادات والمساعدات العسكرية والاقتصادية العاجلة ، وتتضمن أيضاً أعماله الحربية ضد الفواطم ، وأنصارهم ، وانحصارهم أخيه فلفل إلى طاعة المهدى الفاطمي ، جاء فيها ما يلى :

« فإن كتابي أبلى الله أمير المؤمنين ، من بلد الساحل من مدينة « سيفا » (1) المشهورة بمدينة العلوين ، وهي مدينة حصينة أولية متوسطة للمراسي ، التي تقابل مراسي الأندلس ، وهي منتظمة بها وقرية منها بغربي « تاهرت » ، دار الفاسقين وقرية منها ، بينها وبينها ثلاثة أيام بينها وبين المراسي أقل من يوم ، وإنما ذلك بعد انتقالى من بلد القوة بالأهل والولد ، والأصحاب والحسن ، والعبيد والموالى وأهل ولايتنا وصنوف رعيتنا ، وضروب أهل طاعتنا ، والخاصة وال العامة لدينا ، انتقلنا إليها وجماعة من قبلنا ، ولم يجدهم له بعدها أحداً من مذكور ، أنصارنا وجماعة فرسانا ووجوه عشيرتنا ، فهم معنا وبين أيدينا ، لم ينحل لنا نظام ، ولا دخلتنا فرق ، بل جموعاً مستعدون بدعوك ، ومعتصمون بطاعتكم ، ناصحون لكم ، محبون لأيامك ودولتك المباركة التي من، تمسك بها ، كان لها الأمان والسلامة ، في دنياه وآخره ، ومن صد عنها ، وابتغى سبيل غيرها ، نزل به الذل والصغار ، وقاربها العجزي والهوان ، والذي أردت علمه ، أبقاك الله من خبر خروجنا عن البلد ، الذي كنا نحله ، وسبب انتقالنا عنه ، فإنه لم يخرجنا عنه خصاصة ، ولا عجبتنا مدة ، ولا تخوف ولا خزية ، ولا تغير حال ولا شدة ، وإنما خرجنا عنه بفضل الله ، أحبينا الدنو منك ، والتهم لكم ، لما نحن عليه من حسن الطوية لكم ، وصدق النية فيك ، ومحض المودة لكم ، وجميع من تعلق بك وانتسب إليك ، وذلك أنا كنا عن أفقك قبل اليوم ، نازحين وعن موصلتك شاحطين ، لا سواك والتبايء بيننا على شحط الدار ، بعد الشقة ، مما لا يقتصر يدى الهمة بينما ، على شحط الدار ، وبحر الشقة مما لا يقتصر يدى الهمة ، حز الرمي بهمته ولا يردد العزيمة عن انفاذ عزيمته ، ولا بد لقدر الله تعالى من نفاذها ، ولعزائم

(1) لم أقف على إسم لهذه المدينة .

قضيته من تمام ، وذلك أنا فطرنا أعزك الله بطاعته ، في أمرنا ، إذ لم نكن مواصلتك . والتعلق بأسبابك ، إلا بالدنسنك والمحاورة ، ذلك والبعد عن بعده فأجمعنا الانتقال بالكيله إلى أطراف اعمالنا ، وحواشي كورنا من نحو المراسي ، المنتظمة . بجزيره الأندلس التي وصفنا لك خبرها ، فلما وردنا البلد بالأهل والولد ، أخذنا في جمع العدد لإقامة الولد ، بتثقيف الفوج من أهل المعصيه ، الذين كانوا لليهودي مئتين لأمره مراهين ، فحشدنا جميع القبائل التي بإذاننا وكل من اعتض بطاعتني ، ومسك بأسبابنا فأخذنا رهائنهم بالمبایعه لك ، والافتتاح باسمك في الخطبه ، في جميع أهل الساحل اليك ، وأقبل الناس إلينا من كل جهة فرعون مزعوبين خائفين ، على أنفسهم طالبين تسکن دمائهم وحقن دمائهم ، مستجبيين لدعوتكم ، والجبن في طاعتكم معترفين بتقدیمنا قدیما عليهم وأمرتنا فيهم ، ولا يتنا قدیما ، على جميع لسان البربرية ، حيث وأین كانوا من نسل زناته خاصة ، وغيرهم عامة أولابائنا من قدیم الزمان ، ولأعقابنا من بعد حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك ببركة أمير المؤمنين ، ودولة أبياته الأبرار ، والخلافه الطيبين . رضي الله عنهم أجمعين ، ونصر في القيامة وجوههم ، فهم الذين لم تزل القلوب عليهم متألفة ، والجماعة بهم راضية ، فأننا الآن يا سيدی جاد مجد مستمر مواظب في تقويم أود أهل المعصيه وتثقيف العوج ، من جميع أهل العدوه المدبر منهم والمقبل ، وحمل المطبع على العاصي ، حتى يفتح الله على أمير المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها ، وسهاها وأوعارها . وباريها وبحارها بنا ، وعلى أيدينا ، وتتصل طاعته إن شاء الله ، إلى أقصى العراق ، ويرث خلافة آباءه الطيبين الأبرار الأكرمين إن شاء الله ، وبه نستعين ، على ما يتولى وأياته نستحفظ ، ونستلقي لا إله إلا هو رب العزيز العظيم ، وهو نحن يا سيدنا أعزك الله عازمون ، والعزم لله على التهوض إلى عدوه السوء « تاهرت » وما هنالك لاغتيالها ومحاصرة الفاسقين بها ، والتغير عليهم ، وقطع المرافق عنهم ، وحل عرى اليهودي منها ، وابعاد وجهه عنها ، وهي كما بلغك من وعورتها وصعوبتها وشوح أجبلها ، وأشب شعارها ، والبرابر من قلة النصر ، ومحاصرة المرافق ، ومساورة المعاقل ، ومكابدة الحصون ، والجبل عليها ، بخیث تعلم من العجز عن ذلك ، والقصور عن رومه ، ولا يقوم هذا الشأن إلا العرب ؛ أو ذوي الحنكة المحتضرمين أصحاب الأسلحة الشائكة والنشاب والعدة ، أهل الاقتدار على تشید البناء ، وما يصلح لنکایة الأعداء ، فإن سيدی أمیر المؤمنین ، أن يقوى عبده الساعي في دولته ، بأمنه من ذلك كله ، بالذی لنا فيه صلاحا ،

ولسعينا بمحاجا ، مما يكون له أوفق ، ومنا أوفق ، من العدة وأصناف الأسلحة والنشاب والآلية والرماة ، وبعض من يحكم سياسة محاصرة الحصون ، وتكلل حال العساكر الكبار والثقل ، فإن عندنا الكماة ذوي عدة وعدد ، وبأنه وجد من صنوف العشائر وضروب العساكر ، الحمامة الكفافة الأبطال الكماة ، قد تهراهم لتقلص أطراف اليهودي من « تاهرت » وفصم عراه منها ، وابعاد رجسه عنها ، ثم يكون الصمد بعد ذلك ما ورها ، من مداين اليهودي وأمساره ومعاقله ، وصباحيه ، وقصوره وبراره ، وكورة وقصى بلاده ، حتى يقطع الله أمره ، ويصرم مدته بحوله وقوته ، والذي أرده علمه أغرب الله من خبر أخي فلفل ، هداه الله في حسده لنا ، وبغيه علينا ، وسوء سيرته وقفل ضميره وسريرته ، الذي ألبسه الله رداءها عما استتب من وقته ، وذلك أنه رحل عنا من غير إذنانا ولا مطالعة ، ولا مشاوره لنا ، وزعم عند عزمه على الرحيل إنه يلتمس خصب المرعى بمنابع الماشية ، فأبعد النجعة ، ولم يرابط في السباب والقفار ، والأودية متذكرا للحواضر والسبل المسلوك ، حتى ورد أطراف أعمال اليهودي المبدل للدين ، الخارج عن ملة المسلمين ، فترعرع اليه هو وولده ، وشرذمة معه من تبعه وشافعه في أمره وصحبه ، في غوايته ، فلما وردوا على اليهودي ، تلقاهم بالسرور والعبور ، ومنهم بالكثير ، وزخرف لهم قوله بالغورو ، فصار منهم كأسراب يخلفه من رجاه ، ويغر من يراه ، تحتسه الظمان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده ، فوفاه حسابه الآية ، فارت هنا عنده أهاليهم وأولادهم ، بعد أن اختلف الله ظنهم فيه ، وخيب رجاءهم ، وصدروا عنه على خروجهم إلى نحو بلد الزاب ، إلى القبائل بتلك الأطراف من بني مغراوة خاصة ، ليسعوا لهم ويطيعوا أمرهم ، فنهم من رحلوا علينا هاربين بأنفسهم وأموالهم ، ومنهم من لم يستغل بهم ، ولم يحصل بأمرهم ، وذلك لادبار ولد اليهودي ( اسماعيل ) عنا ونزول نعم الله به على أيدينا ، ولم ينشب أن ورد كتاب اليهودي ( عبيد الله المهدى ) علينا ، يذكر فيه نزوع الغاوي فلفل أخي اليه ، ورغبته فيما لديه واعترافه بالحق ، ورجوعه عن الباطل ، وحسن قبوله أياه ، وكرم منزلته عنده ، وأعطاه أياه كل ما سأله منه ، وأمله لديه ، ويعظم على امثال فعله ، ويندبني إلى الرجوع إليه ، ويرغبني في الولوج في طاعته ، والتمسك في سنته ، وينبني على ذلك الكبير ، ويعدنني بالجزيل ، ويقول بأنه لا يحاول مني ذهبا ولا فضة ، ولا يكلفني نائبة غير الافتتاح باسمه ، والخطبة في المنابر عليه ، وصرف السكة بذكرة ، وارسال احد ولدي إليه ، أو بعض إخوتي ليشيع

فِي النَّاسِ أُنِيْ قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، وَصَرَّتْ فِي طَاعَتِهِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ أَحْفَلْ بِكِتَابِهِ ،  
وَأَمْرَتْ بِجُواهِبِهِ ، لَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ الْبَنِيةِ مَزَارُنَا ، وَالْإِسْتِشَارَ بِيَعْتَنَا ، لَمَا قَدْ بَلَوْنَاهُ  
مِنْ أَنْكَهُ وَبَغْيَهُ ، وَعَلَمْنَا مِنْ كُفَّرِهِ وَلِحَدِهِ وَقَلَّةِ وَفَائِهِ ، وَنَقْضَهُ لِعَهْدِهِ ، فَتَحَنَّ أَيْدِكَ  
اللَّهِ لَا نَقْصَرُ فِي كِتَابِهِ ، وَلَا نَنْتَيْ فِي قَطْبِعِهِ وَحْرَبِهِ ، وَادْخَالُ النَّصْرِ عَلَيْهِ ، أَوْ اِنْتِقَاضُ  
أَطْرَافِهِ وَاقْتِنَاصُ أَهْلِ طَاعَتِهِ ، حَتَّى رَكْنُ اللَّهِ صَبَّتِهِ وَيَقْطَعُ دَابِرَهُ بِحُولِهِ وَقُوَّتِهِ ،  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » (١) .

---

(١) ابن حبان : المقتبس ورقة رقم 120 ، 121 ، 122

#### ضميمة رقم (4)

رسالة من الناصر لدين الله ، إلى حليفه وصفيه محمد بن خزر زعيم زفانة يطالعه فيها عن عزمه لاسترداد ملك أجداده في المشرق وأمره بالتأهب واستئثار القبائل لذلك ، جاء فيها ما يلي :

« كان الناصر لدين الله ، لا يكاد يخل كتبه إلى هؤلاء الأمراء ، المؤلفين له من أملاك البرابرة بأرض العدوة ، من ذكر طلبه لسلط المشرق وقيامه في ارجاع ما سلب أباوه منه ، وتحمله في الجواز إلى ما هنالك (للمقارن) عنه وذكر ظاهر الروايات له ، واجماع الآثار على أنه المرتجل له ، والتحليل لهؤلاء الملوك بأنهم أنصاره عليه ، ومقدمته في طلبه ومعامزية فخره ، ومتزلة ذكره بقربهم ذلك ، ومثله ولضريهم على عداوة لعدائه منبني عبد الله ملوك الشيعة ، الذين على ديار افريقية وتخليلهم على حرب أصحابهم ، والتخفيف لأعمالهم في تلك ما يبغى ، ويغبهم مع ذلك بهدايا وصلاته ، وخلعه والطافه ، يركن بصائرهم في اعتقاد مواليه ، والتزام طاعته ، فيتفق في هذا الباب الأموال الحشيمة ، ويحشم له العاشر الثقلية ، مما تناول به محمد بن خزر ، عميد أولئك المتألقين من الأمراء بالعدوة في هذا المعنى ، فصل ضمنه جواب كتاب له نسخته :

« وإن أمير المؤمنين لما تفرغ بالله ، وانقضت بالأندلس أشغاله ، واكتملت له في أعماله أماله ، ولم يبق عليه فيها بقية يعانيها ، ولا مجال يستعمل رجاله فيها ، صرف عزيمته ، وأمال همته ، إلى ما بين يديه من أسباب المشرق ، وطلب ما لم يزل لأوله حقاً وله ميراثاً ، مع ما ينويه ويرجو أن يجزي الله أكرومته على يديه ، من أحباء الدين ، بنظره وأماته البديع تقويم منهاجه وحماية بيت الله الحرام ، المتكتكة حرمته ، المعظمة المسلوب ركته ، المغلوب أهله ، المطلة مناسكة ومشاعره ، وأن يجعل الله لأمير المؤمنين حاصراً له ، يطلب الجاني عليه بجيابته فيه ، مجرد من يخلق السنن ما درس ، ويظهر منها ما انطمس ، وعلى الله يتوكّل أمير المؤمنين في جميع ما نواه ، وبه يرجو إدراك ما رجاه ، إن شاء الله ، وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد ، بالرجال والأجناد ، ويجند الأمة وانتقاء الرماة وتضعيف العدد ، وتكثير الغدة وتجديد الآلات ، وتمكيل الأدوات والنظر في الجان ، الحشود بالجند لمقاتلة معلوم ، ووقت معروض ، وأن يستكثر من جمع المراكب إلى ما قد قام منها ، ويتسع في

عددها ، بتجمیل الأساطیل المؤیدة في وقت إجارتھا ، وعند مكان البحر ، لها السیر طائفة منها نحو سبعة ، وأخری إلى جهة وهران ، فن تخیره من وجوه قواده ، واعلام رجاله وصميم حشمه وأبطاله ، أهل البأس والصبر وحسن البلاء ، وقوة الجلد ، الثارین أنفسهم في مرضاعة أمیر المؤمنین ، والطالبین بحقه والمستنصرین في نکایة عدوه ، ذوي الشاه المخلصة ، والبصائر الصادقة والبسالة القائمة ، كل بهول آخرهم قرن يناوله ولا يثنى مفہوم ، جیش يقابلہ كاللیوٹ في اقبالها والبتاین التهامها ، قد مرستهم العروب ومرسوها ، وساستهم الخطوب وساسوها ، فهي أسمیم ، وهم بنوها ، فاستعد أسعد الله ، وتأبی وشمروتليب ، وکن على انتظار ما يوافیك من أمیر المؤمنین ، لتكون صدر القواد كما أنت صدر أولی الوداد ، ومتقدما للرجال كما أنت في صدر العال ، فإن أمیر المؤمنین يرجو الله عنہ وعلیه توکله ، أن يكون قد قرب الوقت ، الذي قد رجوت العوزیه ، والإدراك له وبلغ الأمل منه ، إن شاء الله عزوجل «(1)».

---

(1) ابن حیان : المقبس ، ورقة رقم 122 ، 123

## ضميمة رقم (5)

وبعث الخليفة عبد الرحمن الناصر للدين الله ، برسالة مماثلة إلى صفيه المغربي الزعيم المكناسي ، موسى بن أبي العافية ، في نفس السنة أي سنة (320 هـ / 931 م) ، بأمره هو الآخر بالتأهب ، لاستئصال شأفة الفواطم من أفريقية ، وقطع دابر العباسين في المشرق ، وتخليص البيت من عبث القرامطة ، جاء فيها ما يلي :

« وذلك مما شد أمير المؤمنين عزما ، وشغل قلبه عليه غضا وغما ، حديث الحادث الجلل والخطب المضل ، النازل في البيت الله الحرام وما كان وما صار إليه من الاغفال له ، والاضاعة لدواره ، حتى غشיהם أهل الكفر في محل الأمن ، فقتلواهم أربع قتل بغباء ، وهتك البيت الحرام واستلب ما فيه ، وحدث فيه ما لم يعرف في الأولين ، ولا يزال في الآخرين ، وهو الأمر الفادح الكارث ، الذي لا يحل لأمير المؤمنين ترك الغضب منه ، والسعى في الانتصار له والتقيام في الذب عليه ، والتقرب إلى الله بحماية البيت العتيق ، وتعظيمه وتهذيد من الله ، والله على الانتصار منهم معين لغيرنا إن شاء الله .

وقد صررت عن أمير المؤمنين بمخالص الوعد ، وصادق الطاعة ، معدودا في عدة الذين يعتمد عليهم ، وأنصاره الذين يتدارك في المهمات على نهضتهم ، فأنت بأخص المنازل عنده في الاستعداد بك ، والرجاء لحمد مقامك ، وحسن نظرك وتدبرك فيما يحررك أمير المؤمنين له ، وينهضك نحوه ويجعلك قائده ، في جميع الغرب قائما باسمه ناهضا بدعوته ، معينا على احياء الدين ، وبامانة الفاسقين وتغيير آثار الصالين ، وتقويم زيف المفسدين ، لا يرغب أمير المؤمنين من قبلك ، ولا من قبل غيرك ، من أولياء الطاعة وأنصار الدولة ، ما لا يحتوي ولا مرغوبا يقتني ، ولا مدان يصطفى ، بل رغبة أمير المؤمنين فيما صرف همه إليه ، ومد طرفه نحوه ، وشغل قلبه به ، من طلب حقه وارتجاع ميراثه ، والسعى لملك آبائه الخلفاء ، وهو أفريقية لما دانها والحرم وما انتصل به ، ومصر والشام وما خلفها ، فيריד الله به الدولة ، ويكشف الجولة ، ويحيي الآثار السالفة الفضل ، ويعيد الدين على يديه جديدا غضا ، والحق لما حقا ، ويجعل كل ذي بدعة طريدا. مقضي ينهض بأمير المؤمنين إلى ذلك نفس توافة ، إلى ما هو لها حق واجب ، وفرض لا رب مع ما يسوقها إلى ذلك من الآثار المشهورة ، والروايات المذكورة ، التي قد ظهر كثيرا منها ، وعلى الله تسميم باقiable إن شاء الله ،

فقد أخذ أمير المؤمنين لذلك ، بأشد العزم ، وأثبت الخطر برا وبحرا عاماً على مواجهة الملحدين ، ومنازلة الفاسقين حتى ينتقم الله من الظالمين ، ويأخذ بثأره من القوم مجرمين إن شاء الله . فانهض أيديك الله بعزم أمرك ، ونواقد رأيك ، وشدة يأسك . وصيال رجالك ، وتقدم متوسعاً فما بين يديك ، ولا يقنعت ما أنت ... (1) ، فليس يقنع به أمير المؤمنين للأجل يستغل لك الكثير ، وسعى في جانبك الخطير بكل ما توسيع فيه ، وفتح الله عليك به كان ولولدك ، ولعقبك اقطاعاً من أمير المؤمنين ، وتوسعاً عليك ومكافأة لحبيبك ، لا تنبت لك ولا لأحد من ولدك وعقبك عند أمير المؤمنين حال ، إلا بأحسن منها وأشرف وأفضل وأعلى وأنبل ، تلك بصيرة أمير المؤمنين في أوليائه الداخلين في طاعته ، القائمين بإمامته المجاهدين لعدوه ، الموطدين لسلطانه ، واستألف الناس على طلعة أمير المؤمنين وجامعهم عليها ، ودعاهم إليها ورغبهم فيها ، فإن طاعته مقرونة برضى الله تعالى ، إذ هو القائم بالحق الناصر للدين الله ، المحتمل على هدي الخلفاء الراشدين النافي كل بدعة ، الماحي للضلاله ، المجل لكل شبهة ، باتباعه هدي وطاعته رضي الله عنه ، لا يصدق عنه ولا يحيد عنه إلا من فارق الحق ، وخالف طريقه وآثر الباطل ودخل طريقه » (2) .

---

(1) بياض

(2) ابن حيان : المقبس ورقة رقم 124 ، 125

## ضميمة رقم (6)

رسالة من موسى بن أبي العافية شيخ مكناة ، إلى الناصر لدين الله ، يخبره بحملة القائد الشيعي ميسور الخصي ، إلى المغرب الأقصى ، وتصديه لهذه الحملة وقتله العديد من المشارقة وأعوانهم ، وكذلك يخبره بمساعدة الأدارسة لميسور ومساندته وكان ذلك سنة 322 هـ / 933 م ، جاء فيها ما يلي :

« وأما ما أراد سيدى أمير المؤمنين ، إبقاء الله انهاء اليه مما نحن فيه مع المشارقة ، أهلکهم الله ، فإن اللعين أبا القاسم طاغيهم بعث إلينا غلامه ميسور الخصي ، وغفریته ابن أبي شحمة الكتامي ( عامل تاهرت ) وغيرها من قواده في كنف من شیعته داعينا عن حولنا ، من القبائل إلى الدخول في طاعته ، وأعطوه فجالوا في البلاد ، وثبتوا دعاتهم فوق الناس ، ولاذ البرابرة منهم بأوعارهم ومعاقلهم ، فلما ينسوا منهم كتابوا أهل مدينة « فاس » والطفوا بهم ، ودعوه إلى الدخول في طاعتهم ، وأعطوه العهود المغلظة والإيمان المؤكدة على أنهم ، وتقديمهم فاغتر بهم أميرهم « محمد ثعلبة » صاحب مدينة الأندلسين ، وأحمد بن بكر صاحب مدينة الفيروين ، وقدما علتهم مع وجوه من رجالهما ، فلما صاروا بين يدي الخصي ، غلر بهم فخدعهم فأخذهم . وأخذ جميع من كان معهم ، من دواب وأسلحة ، فلما رأى أهل فاس ما فعله من ذلك توافروا عنه ، وامتنعوا من ادخاله ، فنكب عنهم ، وطار علينا صاما ، حتى نزل منا على مسافة ستة أميال ، فأقام في محلته أربعة أيام يكتابنا فلا نصفي إليه ولا نحييه ، فشى نحونا هو وأولئك القواد في عدد عديد ، وقوة قوية ، حتى ضاق بهم بعضا ، وقسموا عسكراهم ، فأتونا من ثلاثة طرق من جهة القبلة والغرب والشرق ( فرفضت ) (1) الحرب بالمجاائق ضحوة النهار فاتصلت إلى بعد العصر ، واتجهنا إلى الأوار ، وكنا قد كمنا لهم كمينين ، فلما لصقوا بنا ، وقد ظمعوا علينا ، خرج الكمين الواحد ، فأثار فيهم ، وصبروا به ، ثم رده الكمين الثالث فغاب صبرهم ، وولوا مدبرين ، ومنحنا الله اكتافهم ، فعمل السلاح عمله فيهم ، وأخذ ما أخذه منهم فقتلنا منهم في تلك الردة ، مائة واثنين وعشرين قتيلا ، وأخذنا عامة دوابهم ، وما أدركه العقر منها ، ورجعوا إلى متاخهم بغيفتهم لم ينالوا خيرا ، وكان ذلك يوم

(1) مكذا جاءت في النص ، ولعلها ظلت .

الخميس لاثني عشر ليلة مضت من شوال منها (أي سنة 322 هـ / 933 مـ) ، ثم عاودنا يوم الجمعة حربهم وأخذنا جميع عدتهم ، ومن كان يختلف في الأخبية منهم ، فرأينا عساكر عظيمة لا تسقيها المياه ، فثارونا بالحرب من غدو إلى وقت العصر ، فاستظهرنا عليهم وردعناهم ردعتين عظيمتين وقتلت خلقاً منهم ، وانصرفوا عشاء إلى محلتهم خاسرين مغيبين ، فانصرفوا بعد ذلك عنا ، ولم يحاربونا إلى أن انقلبوا على أدبارهم والحمد لله ، ونحن أبقا الله أمير المؤمنين سيدنا ، في قوة شديدة وعدة عديدة ، وجمع جامع ما تختلف عنا ، أحد من رجال المغرب وأشرافه تمسكاً بولايته ، واستنصاراً في طاعته ، وكان الأدعية من قريش الأدارسة ، من أولاد محمد وبني عمهم وأولاد عمر المعروفين ببني « ميالة ». قد مشوا إلى مدينة « أصيلاً » ، أيام امتناعنا ، بعسكر المشارقة يكيسوها وينتهزونها فرصة ، فلم يعنهم الله فإنهم لم يعثروا إلى هذه الغاية وقد كتبنا إلى « ابن حزب الله » صاحب « سبتة » يخرج القواعد في المراكب ليحالقو هؤلاء الأدارسة إلى « بنخسas » وما حولها من ديارهم ويعنموا بها فرد علينا جواباً يذكر ، أن الأدارسة يعدون للسلطان مظهرون اعتقاد الطاعة ، وأنه بدهم إلا بعد مأمرة فعدرناء ، وعلمنا أين ذهب هؤلاء الأدعية وهذا كله أعز الله أمير المؤمنين منهم ، دوافع وسكون وبالله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، أن إبراهيم بن إدريس كبيرهم وشريفهم بعسكرهم لعند الخصي ميسور ، ما زال ولا برح إلى هذه الغاية وأن « محمد بن حزب الله » المخدوع كثير الطمأنينة ، لم يحسن تحكم معاملة البرابرية ، في يكن من أمير المؤمنين إليه تبصره ، والله يكشف له عن الصال وبغية المكاره » (1).

---

(1) ابن حيان : المقبس ورقة رقم ، 137 ، 138 .

## ضميمة رقم (7)

كتاب من موسى بن أبي العافية ، إلى الناصر لدين الله كعادته ، مطالعاً بأخبار المغاربة الفاطميين ، الذين يعانون من أزمة سياسية حادة ، وهروب الكثير من قواعدهم وفتياهم إلى المغرب الأقصى ، والانضمام إلى حلفاء الناصر لدين الله ، وكذلك يتلمس منه تحصين مدينة طنجة وشكها بالرجال والعتاد وذلك سنة 323 هـ / 934 م جاء فيها ما يلي :

« وما أحبَّ أمير المؤمنين سيدِي معرفته ، من أخبار المغاربة ( فعمهم ) (1) الله فإن جيشه الملتَف بالخصي ميسور يسر الله حتفه ، عاود حربنا في هذه الصائفة ، بجذب وعزم كذب فيه ظنهم ، وأضعف جندهم ، وصرفهم على أعقابهم ، وبلغتهم ما فعله أهل « تاهرت » ، بأبي مالك بن يغمراسن بن أبي شحمة عاملهم ( على تاهرت ) وما أظهروه من الخلاف عن طاغيتهم أبي القاسم قسمه الله ، ومن حولهم من قبائل البربر ، فجأروا وسقط في أيديهم ، وزاد في خوفهم ما فيه طاغيتهم ، أبو القاسم مع اخوته بالمهدية من الخلاف ، فأفلس الأخابث وتساقط كثير منهم ومن شيعتهم علينا ( متبرين ) (2) منهم ، وهرب طوائف من عسكرهم مستأمنين علينا ، حتى صار الطريق سالكه علينا من عندهم ، بالمارين من فتيائهم وأولي الآباء منهم ، كمكاشة بن ناصر المكناسي أمير الغرب ، ومن قدم بعده من رجال مكناسة ، ولواته وهوارة وزنانة ، وأهل جبل بوجانبني عم داود بن مصالحة ، وزواغة وأهل شلف إلى من يعرف منهم في الأسواق بديار المغرب بفاس ، والبصرة ، والمسيلة وبأسواق البربر ، والطائفة التي جازت إلى الأندلس ، وبقي المقطوع ميسور المخذول قطع الله أوصاله ، مع فرقه مع يغمراسن أبي شحمة ، وإلى الله عليه الغمرات ، في جزيرة منقطعة مع شرذمتهم ، من الطوائف التي وردت معهما من المهديّة ، لا ظهير لهم ، ولا معين بحمد الله يؤيدهم ما بقي عندهم الأراهط ، نشبو عندهم من أوربة وقوم يقال لهم « الفاسة » ، وللحافة وبنوجريد بيت من غماره لا غير ، وصارت علينا قبائل أهل المغرب بأجمعهم ، من كل مكان حول فاسن ، من زواغة ولماية ، ومن درعة ومكناة

(1) هكذا جاءت في النص ولعلها قصبهم

(2) ولعلها فارين .

أهل الجبل ، وجيرانهم نفزة وأهل الطواعن من بني مرزحون وبني مرساع وبني حماعة ، وبني برنا <sup>(1)</sup> من برقازة وبني محمد ومديوهة أهل مدهن وجراوة أهل ضريس ، وزناته من بني سسان ، وحملار وبني دهنة ، وبجاصة وبني مسلان ، ومن كان على ملوية وطاع من قبائل بني راسين ، وبني يفرن وبني برناس ، وبني وريمس مطماطة أهل ملوية ، إلى حوز جراوة ابن أبي العيش ، إلى ما أحاط بنا نحن من قبائل البرير ، من مكناسة وأوربة وهوارة وضريسة ونفزة وكرباظة وصاربونة وقادصونة ولواته وسوقانة ، وبني ميسرة أهل فندلاوة وقبائل غيرها ، ولا يسعها كتابنا كلهم داعين بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين مولانا ، فتحن في عدد عديد ، وجمع عتيد ، وقوة قوية والحمد لله . وقد ذكرت لأمير المؤمنين أمر مدينة طنجة ، والفائدة من ضبطها وكبر القوة التي توالى اخراجها إلى « سبتة » ، إليها وإلى أصيلا أختها ، لأن سبتة قد كفيت مؤونة من يقصدها فلا يصل إليها عدو ، لأن البحر قد أحاط بها والوعر حوالها ، قد تكتنفها فالأموال ينفق عليها ، بغير فائدة ، ويأخذها من لا يستحقها ، وأننا عن أمير المؤمنين الكالية في هذه العدوة فلا يدللي من انهاء ما له فيه النصيحة إليه ، ولم أخاطبه إلا بما فيه تزيد طاعته وانتشار دعوته ، حتى يصل بالشرق وميراث سلفه إن شاء الله . ويزاول أمر هؤلاء الأدعية إلى الحسينين الأدارسة أولاد محمد وعمر قاتلهم الله ، فإنهم عدة المشارقة في غربنا وهم الذين يرددونهم إلى هذه الغاية بيلدنا ، ويتوالون هداياهم ويصلون أيديهم بأيديهم ، فلو نزلت القوة بطنجة وجردت لها العزيمة لسقط ما بأيدي هؤلاء الأدارسة وغيرهم ، ولشغلوا بأنفسهم عن المشارقة ، وأمير المؤمنين أعلى عينا من أن يبصر بهذه الأمور ، ولكن النصيحة له تدعوه إلى امتحاض الرأي وعلى الله توفيقه <sup>(2)</sup> .

(1) هكذا جاءت في الأصل

(2) ابن حبان : المقتبس ورقه رقم 145 ، 146 .

## ضميمة رقم (8)

رسالة من إبراهيم وأبي العيش ، إبنا إدريس الحسينين ، إلى الناصر لدين الله ، يخبراته فيها عن هزيمة موسى بن أبي العافية أمام الجيش الفاطمي ، ولجوئه إلى الصحراء ، ملتمسان المساعدات والإمدادات العسكرية لمقاومة حملة ميسور ، ومجددان له البيعة والطاعة ، ونفيما ما نمى بهم من مساعدة الفواطم . وذلك سنة 323 هـ / 934 م ، جاء فيها ما يلي :

« كتبناه إلى سيدنا أمير المؤمنين ، مما نحن عليه من مواليه ولا محاضن وسلامة الضمائر ، من كل شبهة أو مزق في الإخلاص له ، ونحمد نعمته معرفة بحق أمير المؤمنين ، وانتقاداً لامامته واعتلاقاً بحبه ، بما أظهر الله من دولته وأثار من امامته ، على حين مدتها مغربنا ، أطال الله بقاءه ، فهذه الشيعة الرافضة الفادحة في الشريعة المحدقة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم اقتداء منهم على الله تعالى وعلى نبيه (ص) وعلى أهل بيته (الحسينين) وابتلى الله عباده ، بهم ليعلم من يطبعه منهم وأملأ لهم ، يزدادوا إثماً ، فاستعجل شرهم ، وآن إلى ما جرت مقادير الله به ، من ظهورهم على موسى بن أبي العافية ، ولي أمير المؤمنين ، وقلعهم له قوادهم (الله) هؤلاء أو طويلاً ، واستطالة على المسلمين بما يهأ لهم ، وما كان من انكشافه عنهم ، ونجاته إلى الرمال والصحاري فراراً منهم ، فعظم البلاء عنده ، وجل الخطب والله تعالى عواقب الأمور ، ومنه مبدأها لا معقب لحكمه في شيء منها ، وبلغنا أنه نمى إلى سيدى أمير المؤمنين عنا ، أنا توجهنا إلى الفاسق ميسور لا يسر الله أمره ، على أسوأ الوجوه ، ولم يكن ذلك أكرم الله سيدنا أمير المؤمنين إلا عن تقىة منه ، ومع ومن له ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله (ص) ، فقد دار صفوان بن أمية الجمحي وغيره من المشركين والمنافقين ، حتى أظهر الله دينه وأغلى ذكر نبيه (ص) ، فلا يرتب أمير المؤمنين بطيويتنا ، وليجرد عزمه في معونتنا ، فإنه مني فصل رأيه ، أبدى الله ياخراج عسكره ، يناهض بنا هذا اللعين ، الذي قد عاث في أرضنا وأي بالعظام التي لا يحل لأمير المؤمنين تركه يبادرنا إلى قائد « ابن حزب الله (صاحب سبته) بالرهائن ، التي تكون وثيقة على طاعتنا وأسلمنا اليه مع ذلك رهائن كل من ضوى علينا من البربر ، حتى يقتنع بالوثيقة ، ويبلغ الغاية فإذا اجتمعنا مع الجيش المخرج علينا ، رجونا ألا يلبث لنا عدونا إن شاء الله عزوجل » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 147 ، 148



## **قائمة بأسماء المصادر والمراجع**

**أولاً : المصادر العربية المخطوطة**

**ثانياً : المصادر العربية المطبوعة**

**ثالثاً : المراجع العربية الحديثة والمعربة**

**رابعاً : المراجع الأجنبية الحديثة**



## أولاً : المصادر العربية المخطوطة

ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت سنة 469 هـ / 1076 م).

- قطعة من كتاب المقبس في أخبار رجال الأندلس ، مصور ميكروفيلم « بمتحف المخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم 208 ».

القاضي النعمان : أبو حنيفة بن محمد المغربي (ت سنة 363 هـ / 973 م).

- كتاب المجالس والمسايرات نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم 26060.

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت سنة 733 هـ / 1332 م).

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 22 مكتبة كلية الآداب بجامعة الأسكندرية ، تحت رقم 18668.

## ثانياً : المصادر العربية المطبوعة

ابن أبي دينار : أبو عبد الله الرعيني (ت سنة 1110 هـ / 1699 م).

- المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، طبعة تونس سنة 1286 هـ / 1869 م.

ابن الأثير : علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزيري (ت سنة 630 هـ / 1232 م).

- الكامل في التاريخ ، الأجزاء : 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، نشر عبد الوهاب النجار ، القاهرة سنة 1302 م.

ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضايعي ، (ت سنة 635 هـ / 1238 م).

- المحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس (جزءان) القاهرة 1963 م.

ابن أبي زرع : أبو العباس أحمد بن أبي زرع (ت في النصف الأول من القرن السابع هـ / 14 م).

- الأنیس المطرب برسالة القرطاس في أخبار ملوك المغرب وقاریخ مدينة فاس ، طبعة فاس الحجرية سنة 1885 م.

ابن بلکین : الأمير عبد الله بن زيري الصنهاجي ملك غرناطة (ت سنة 483 هـ / 1090 م).

- مذكرات الأمير عبد الله الزيري المسماة التبيين . نشره وحققه ليفي بروفنسال ، القاهرة سنة 1955 .

ابن بسام : أبو الحسن علي الشتوني (ت سنة 543 هـ / 1147 م).  
- الأخيرة في محسن أهل الجزيرة ، الجزء الأول ، القسم الأول ، القاهرة  
1949 م . والجزء الأول ، القسم الثاني ، القاهرة 1942 م . والجزء الرابع  
القسم الأول ، القاهرة 1945 م .

ابن ثغرى بردي : أبو الحسن يوسف بن ثغرى بردي (ت سنة 874 هـ / 1469 م).  
- الترجمة الراهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الرابع نشر دار الكتب المصرية  
سنة 1966 م .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت سنة 456 هـ / 1063 م).  
- جمهرة أنساب العرب ، نشره لبني برونسال ، دار المعارف بمصر ، القاهرة  
1948 م .

- نقط العروس في أخباربني أمية بالأندلس ، نشره الدكتور شوقى ضيف ،  
مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1951 م .

ابن حيان : - المقتبس في أخبار رجال الأندلس القطعة الأولى تحقيق الاب ملشور، باريس  
سنة 1937 م . والقطعة الثانية تحقيق الدكتور عبد الرحمن حجي ، بيروت  
سنة 1965 م ، والقطعة الثالثة ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، المجلس  
الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة 1390 هـ / 1971 م . وطبعة بيروت  
سنة 1973 م .

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصبي (ت سنة 380 هـ / 990 م).  
- صورة الأرض ، بيروت ، 1962 .

ابن حماد : أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت سنة 628 هـ / 1230 م).  
- أخبار ملوك بني عيد وسيرهم ، نشره وترجمه : M. Vender Heyden  
الجزء سنة 1927 م .

ابن حماقان : أبو نصر الفتح بن محمد القيسى الاشبيل ، (ت سنة 535 هـ / 1134 م).  
- مطبع الأنفس وسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، طبعة القسطنطينية  
سنة 1302 هـ / 1885 م .

ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت سنة 776 هـ / 1374 م).  
- أعمال الإعلام فين يويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يغير ذلك  
من شجون الكلام ، القسم الثاني الخاص بالأندلس ، نشره لبني برونسال ،

طبعة الرباط سنة 1934 م ، وطبعة بيروت سنة 1956 م . والقسم الثالث الخاص بالمغرب ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد الكتاني ، الدار البيضاء سنة 1964 م .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت سنة 808 هـ / 1405 م) .  
– كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، الأجزاء الرابع والسادس ، والسابع ، طبعة بولاق سنة 1284 هـ / 1870 م ، طبعة بيروت سنة 1968 م .

ابن سعيد المغربي : أبوالحسن علي بن موسى (ت سنة 5685 هـ / 1286 م) .  
– المغرب في حل المغارب ، الجزء الأول تحقيق الدكتور شوفي ضيف ، القاهرة 1964 م .

ابن عذاري : أبوالعباس أحمد بن عذاري (كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م) .  
– البيان المغرب في أخبار المغرب ، ثلاثة أجزاء نشره ليفي بروفنسال وكولان ، دار الثقافة ، بيروت سنة 1967 م .

ابن عبد الحكم : أبوالقاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت سنة 257 هـ / 871 م) .  
– فتوح افريقية والأندلس ، تحقيق وتعليق عبد الله أبليس الطباع ، بيروت 1964 م .

ابن الفرضي : أبوالوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت سنة 403 هـ / 1012 م) .  
– تاريخ علماء الأندلس (جزءان) نشره وحققه السيد عزت العطار الحسني ، القاهرة سنة 1954 م ، وطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر القاهرة سنة 1966 م .

ابن القوطية : أبوبكر محمد بن القوطية (ت سنة 367 هـ / 977 م) .  
– تاريخ افتتاح الأندلس ، مطبعة منصور عبد العتال الكتبى بمصر بدون تاريخ.

ابن الكرديوس :  
– كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، القسم الخاص بالأندلس ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1971 م .

ابن هاني الأندلسي المغربي : (ت سنة 362 هـ / 972 م) .  
– تبيان المعاني وشرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي ، تحقيق زاهر علي ، مطبعة دار المعارف بمصر 1352 هـ .

ابن يوسف الحكيم : (أبوالحسن علي) .  
– الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة تحقيق الدكتور حسين مؤنس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد العدد 21 المجلد السادس مدريد 1958 م .

**الإدريسي** : أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت سنة 548 هـ / 1154 م) .  
- المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ». نشره وترجمة إلى اللغة الفرنسية المستشرقان دوزي ودي غوريه طبعة لندن 1866 م .

**البكري** : عبد الله بن عبد العزيز المروي (ت سنة 487 هـ / 1094 م) .  
- المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب نشره البارون دي سلان بالجزائر سنة 1911 م .

**البلافري** : أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادي (ت . سنة 279 هـ / 892 م) .  
- فتوح البلدان ، طبعة القاهرة سنة 1317 هـ .

**الجزنائي** : أبو الحسن علي .  
- زهرة الآس في مدينة فاس ، نشره الفريد بيل بالجزائر سنة 1922 م .

**الحميدى** : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت . سنة 488 هـ / 1095 م) .  
- جنوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس : الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة 1966 م .

**الحميري** : عبد المنعم السبتي الحميري (ت . في أواخر القرن التاسع الهجري / 15 م) .  
- صفة جزيرة الأندلس من كتاب « الروض المعطار في خبر الأقطار ». نشره ليفي بروفنسال القاهرة 1937 م .

**الدبياغ** : عبد الرحمن الأنصاري .  
- معالم الإيمان في معرفة أهل القiroان ثلاثة أجزاء طبعة تونس 1320 هـ / 1902 م

**الدرجي** : أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجي (ت . حوالي سنة 670 هـ / 1271 م) .  
- طبقات المشايخ بالمغرب ، الجزء الأول والثاني تحقيق إبراهيم طلای ، قسطنطينية سنة 1974 م .

**الرقيق القيرواني** : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت . في منتصف القرن الخامس الهجري / 11 م) .  
- تاريخ افريقيا والمغرب تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، تونس 1968 م .

**السيوطى**... جلال الدين المتوفى سنة 911 هـ / 1905 م .  
- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين بأمر الأئمة ، نشره محمد محى الدين عبد الحميد الطبعة الأولى ، القاهرة سنة 1371 هـ / 1952 م .

**السلاوي** : الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي (المتوفى سنة 1315 هـ / 1898 م) .  
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الجزء الأول طبعة القاهرة 1312 هـ / 1894 م .

**الشماخي** : - كتاب السير ، نسخة بخط مغربي بمكتبة الدكتور إبراهيم فخار بقسنطينة

**الفسي** : أبو جعفر أحمد بن يحيى القرطبي ( المتوفى سنة 599 هـ / 1203 م ) .

- بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة

1966 م .

**الطبرى** : أبو جعفر محمد بن جرير ( ت . سنة 310 هـ / 922 م ) .

- تاريخ الرسل والملوك ، الأجزاء 4 ، 7 ، 8 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،

طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة 1964 م .

**العلري** : أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى ( ت . سنة 478 هـ / 988 م ) .

- ترصيع الأخبار وتنوع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى المالك

نشر عبد العزيز الأهوانى مطبعة الدراسات الإسلامية بمدريد 1965 م .

**القلقشندى** : أبو العباس أحمد بن علي ( المتوفى سنة 821 هـ / 1418 م ) .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء الجزء الخامس طبعة القاهرة 1323 هـ /

1915 م .

**المقرى** : شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى ( ت . سنة 1041 هـ / 1632 م ) .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ( 10 ) أجزاء طبعة القاهرة سنة 1949 م .

- أزهار الرياض في أخبار عياض ثلاثة أجزاء حققه الأستاذة : مصطفى وإبراهيم

الأباري وعبد الحفيظ شلبي القاهرة 1939 م .

**المقربى** : أبو العباس تقي الدين أحمدين علي ( ت . سنة 845 هـ / 1441 م ) .

- اتعاظ الحنفأ بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا تحقيق الدكتور جمال الدين

الشياخ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة سنة 1387 هـ / 1967 م .

**المقدىسي** : شمس الدين أبو عبد الله محمد ( ت . سنة 388 هـ / 997 م ) .

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبعة دى غويه ليدن 1906 م .

**المالكى** : أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله ( ت . في القرن الخامس الهجري / 11 م ) .

- رياض النقوس في طبقات علماء القبروان وافريقيه وزهادهم ونساكهم وسيرهم

وأخبارهم وفضائلهم . تحقيق الدكتور حسين مؤنس القاهرة 1951 م .

**الراكشى** : محى الدين عبد الواحد بن علي ( ت . في النصف الثاني من القرن 7 هـ / 3 م ) .

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد السعيد العريان القاهرة

1963 م .

**مؤلف مجهول :**

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها . نشره وترجمه إلى اللغة الإسبانية لافوتي الكتّرة مدريد 1867 م .

**مؤلف مجهول :**

- الحال المoshiة في ذكر الأخبار المراكشية طبعة تونس سنة 1329 هـ / 1911 م .

**مؤلف مجهول :** عاش في القرن 6 هـ / 12 م .

- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد الاسكندرية 1958 م .

**مؤلف مجهول :**

- فتح الأندلس نشره د . ن . خواكين جنتالث الجزائر 1889 م .

**مؤلف مجهول :** كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م .

- نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسئي بكتاب « مفاحير البربر » نشره ليني بروفنسال بالرباط ( سنة 1352 هـ / 1934 م )

**مؤلف مجهول :** عاش في القرن 6 هـ / 12 م .

- العيون والحدائق في أخبار الحقائق الجزء الرابع القسم الأول والجزء الرابع -  
القسم الثاني تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ببغداد سنة 1972 م .

**ياقوت :** شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ( ت . سنة 626 هـ / 1229 م ) .

- معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكان ثمانية أجزاء القاهرة 1233 هـ .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة والمصرية

**إبراهيم أحمد العدوبي :**

- بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1970 م .

**أحمد السعيد سليمان :**

- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة الجزء الأول والثاني دار المعارف بمصر القاهرة 1972 م .

**إحسان عباس :**

- العرب في صقلية ( دراسة في التاريخ والأدب ) دار المعارف بمصر 1959 م .

**أماري ميشيل :**

- المكتبة العربية الصقلية طبعة ليسك 1887 م .

**أرشيالد لويس :**

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ومراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

**إبراهيم فرات :**

- مصادر تاريخ المغرب القديم مجلة البيئة العدد الخامس سبتمبر الرباط 1962 م .

**إبراهيم فخار :**

- بنو بزرل المسيلة في البرازيل مجلة الثقافة عدد ( 20 ) أبريل مايو الجزائر 1974 م .

**أحمد إبراهيم الشعراوي :**

- الأمويون أمراء الأندلس الأول دار النهضة العربية القاهرة 1969 م .

**أنخل جنثالث بالثريا :**

- تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس - مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1955 م .

**الباروفي : أبوالربع سليمان التفوسى (ت . سنة 1359 هـ / 1940 م) .**

- الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباخية .

**حسن أحمد محمود :**

- قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1957 م .

**حسن إبراهيم حسن :**

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي الجزء : 1 ، 2 ، 3 ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1959 م .

- الدولة الفاطمية ( في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ) مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1958 م .

**حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف :**

- عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1366 هـ / 1947 م .

- المعز الدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1367 هـ / 1947 م .

**حسين مؤنس :**

- أثر ظهور الإسلام في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر الأبيض المتوسط المجلة التاريخية المصرية المجلد الرابع العدد الأول مايو القاهرة 1951 م .

- ثورات البربر في إفريقيا والأندلس بين سنتي 102 هـ - 136 هـ / 721 م -
- مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد المجلد (10) الجزء (1) مايو القاهرة 1948 م.
- غارات النورمانين على الأندلس بين سنتي 229 - 245 هـ / 844 - 859 م.
- المجلة التاريخية المصرية المجلد (2) العدد الأول القاهرة 1949 م.
- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجري صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد المجلدان (7) ، و (8) مدريد 1959 م - 1960 م.
- رحلة الأندلس : القاهرة سنة 1962 م.
- كتاب فتح العرب للمغرب القاهرة سنة 1948 م.
- كتاب فجر الأندلس ، القاهرة سنة 1959 م.

**خالد الصوفي :**

- تاريخ العرب في إسبانيا ( عصر المنصور دار الكتاب العربي بيروت 1966 م .

**دوزي ونهارت :**

- تاريخ مسلمي إسبانيا الجزء (1) ترجمة حسن حبشي ومراجعة جمال محرز وأحمد مختار العبادي دار المعارف بمصر القاهرة 1963 م .
- دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول .

**دوروثي لودر :** إسبانيا شعيبها وأرضها ترجمة طارق فوده مراجعة وتقديم د . عز الدين فريد القاهرة 1965 م .

**زامباور :**

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي الجزء الأول القاهرة 1951 م .

**سلفادور غوميث نوسفاليس :**

- الرستميون كحلقة الوصل بين الجزائر والأندلس ، الملتقى الحادي عشر للتفكير الإسلامي بورجلان يناير 1977 م .

**سعد زغلول عبد الحميد :**

- تاريخ المغرب العربي دار المعارف بمصر القاهرة 1965 م .

**سيمون حايك :**

- الناصر لدين الله أول خليفة في الأندلس ، بغداد 1962 م .

**شكيب أرسلان :** ( ت . سنة 1366 هـ / 1946 م ) .

- الحلول السنديمة في الأخبار والآثار الأندلسية الجزء الأول والثاني بيروت بدون تاريخ .

**صلاح خالص :**

- اشباعية في القرن الخامس ( دراسة أدبية وتاريخية ) دار الثقافة بيروت 1965 م .

**العابدي : أحمد مختار العابدي .**

- الصقالبة في إسبانيا لحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية -

فصلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريـد 1373 هـ / 1953 م .

- سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، فصلة من صحيفة المعهد المصري الإسلامية بمدريـد سنة 1957 م .

- نظام الخلافة في المغرب الإسلامي في العصور الوسطى فصلة من كتاب فلاسفة الإسلام في المغرب العربي .

- حياة ابن الخطيب المغربية مجلة الينـة العدد الأول مايـر الربـاط 1962 .

- الصفحات الأولى من تاريخ المرابطـين مجلـة كلـيـة الآـدـاب جـامـعـة الاسـكـنـدرـيـة العـدـد ( 21 ) الاسـكـنـدرـيـة 1967 م .

- مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في المغرب مجلة هـسـيرـيـس

Hisperies 3e et 4e timestres 1959.

- صور لحياة العرب والجهاد في المغرب والأندلس مجلة الينـة العـدـد ( 9 ) يـانـاـير الـربـاط 1963 م .

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس الطبعة الأولى الاسـكـنـدرـيـة 1968 م .

- في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسـسة الثقـافة الجـامـعـية بدون تاريخ .

- دولة المـالـيـكـ الـأـلـيـ فيـ مصرـ وـ الشـامـ ، دارـ النـهـضـةـ العـرـبـيـةـ بـيـرـوـتـ 1969 م .

- من التراث العربي الإـسـپـانـيـ مجلـة عـالـمـ الـفـكـرـ المـجـلـدـ الثـامـنـ العـدـدـ الـأـلـأـ مـايـوـيـونـيـهـ 1977 م .

**العابدي وعبد العزيز سالم :**

- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار المعرفـةـ لـبنـانـ بـيـرـوـتـ 1969 م .

- تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشـامـ مـطـبـعـةـ جـامـعـةـ بـيـرـوـتـ العـرـبـيـةـ 1972 م .

**عبد العزيز سالم :**

- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، دار المـعـارـفـ لـبنـانـ بـيـرـوـتـ سـنةـ 1962 م .

- المغرب الكبير العـصـرـ إـسـلامـيـ ( درـاسـةـ تـارـيـخـيـةـ وـعـمـرـانـيـةـ وـأـثـرـيـةـ ) الدـارـ القـومـيـةـ للـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ سـنةـ 1966 م .

- المرية قاعدة الأسطول الأندلسي ، دار المعارف لبنان بيروت سنة 1969 م .
- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ( دراسة تاريخية و عمرانية وأثرية في العصور الوسطى ) بيروت الجزء الأول والثاني بيروت 1971 - 1972 م .
- التاريخ والمؤرخون العرب ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر الاسكندرية سنة 1967 م .

**العبادي عبد الحميد :**

- المجمل في تاريخ الأندلس ، القاهرة 1958 م .

**عبد العزيز المجدوب :**

- الصراع المذهبي بأفريقيا إلى قيام الدولة الزيرية تونس 1975 م .

**عبد الله يوسف الغنيم :**

- مصادر البكري ومنهجه الجغرافي ، الكويت 1974 م .

**كارل بروكلمان :**

- تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة أمين فارس ، والبعبuki بيروت 1954 م .

**ليفي بروفنسال :**

- أدب الأندلس وتاريخها سلسلة محاضرات عامة ألقاها عامي 1948 / 47 م ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة وراجعها الأستاذ المرحوم عبد الحميد العبادي المطبعة الأميرية بالقاهرة 1951 م .

- حضارة العرب في الأندلس ترجمة دوقان قرقوط بيروت بدون تاريخ .

- الإسلام في المغرب والأندلس ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلبي القاهرة بدون تاريخ .

**لين بول :**

- العرب في إسبانيا ترجمة علي الجارم القاهرة 1947 م .

**محمد بن تاویت التطوانی :**

- دولة الرستميين أصحاب تاهرت صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد المجلد ( 5 ) مدريد 1377 هـ / 1957 م .

**محمد محمد مرسي الشيخ :**

- شرمان باعث النهضة الأوروبية ومجدد عهد الأمبراطورية في الغرب مقال منشور الاسكندرية 1975 م .

**محمد اسماعيل :**

- قضايا في التاريخ الإسلامي منهج وتطبيق دار العودة بيروت 1974 م .

- الخوارج في المغرب الإسلامي دار العودة بيروت 1976 م .

**محمد عبد الله عنان :**

ـ دولة الإسلام في الأندلس ، القاهرة 1958 م .

ـ دولة الطوائف القاهرة 1960 م .

**محمد جمال الدين سرور :**

ـ سياسة الفاطميين الخارجية - دار الفكر العربي 1967 م .

**محمد البلاوي :**

ـ بلاط بنى حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هاني الأندلس ، مجلة الأصالة

السنة ( 4 ) العدد ( 24 ) مارس أبريل مطبعة البعث قسنطينة 1975 م .

**مبارك الميللي :**

ـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 2 الجزائر سنة 1350 هـ .

**موسى لقبال :**

ـ المعز الدين الله الفاطمي وجيل جديد من كتابة من خلال وثيقة فاطمية معاصرة .

ـ مجلة الأصالة عدد 29 / 30 يناير فبراير 1976 م .

**مراجع عقبة الغنائي :**

ـ علاقات الامارة الصنهاجية بغيرها وأثرها في ليبيا ، بنى غازي بدون تاريخ .

**محمود علي مكي :**

ـ التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، صحيفه المعهد

المصري للدراسات الإسلامية بمدريد فصلة من المجلد ( 2 ) العدد ( 1 - 2 )

مدريد 1954 م .

ـ الرحلات بين المشرق والأندلس ، مجلة البينة العدد الثاني يونيو الرباط سنة 1962 .

**محمد علي السنوسي :**

ـ الدرر السنوية في أخبار السلالة الإدريسية ، ط الرابعة دار المعارف بمصر 1966 م .

**محمد الفاسي :**

ـ الاعلام الجغرافية الأندلسية السنة الأولى العدد الثالث يوليه 1962 م .

**ماريا خيسوس فيفيرا :**

ـ محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة ، الملقي الحادى عشر للفكر الإسلامي

ورجلان يناير سنة 1977 م .

**محمد الشابي :**

ـ دولة صاحب الحمار ونفوذه ، فصلة من كتاب المؤتمر الرابع للآثار في البلاد

العربية مايو سنة 1963 م .

محمد الطيب النجار :

- المولى في العصر الأموي القاهرة 1368/1949 م .

بوليوس فلهوزن :

- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة القاهرة 1958 م .

نور الدين عبد القادر :

- صفحات في تاريخ مدينة الجزائر إلى انتهاء العهد التركي قسنطينة 1965 م .

رابعا : المراجع الأجنبية الحديثة

ANDRÉ Negre . *La fin de l'Etat rustumide*, revue d'histoire et civilisation du maghreb VI VII Alger Juillet 1969.

ALFRED BEL . *La religion musulmane en Berberie*. Esquisse d'histoire et de sociologie religieuse tome I Paris 1939.

CANDE : *History of the dominion of the arabs in Spain* Vol. I London.

CARDONNE : *Histoire de l'Afrique et de l'Espagne sous la domination des Arabes*, tome I Paris.

CHIKH BAKRI : *Le kharigisme berbere. Quelques aspects du royaume rustumide*, annales de l'institut d'études orientales XV d'Alger 1957.

DESPois J.R : *Geographie de l'Afrique du nord-ouest*. Paris 1967.

DOZY (R) : *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age*.tome 1-2 Leyde 1881.

DOZY (R) : *Histoire des musulmans d'Espagne* 2 vls ed. Levi provençal Leyden 1932.

DOZY (R) . *Supplement aux dictionnaires arabes* 2 tome Beyrouth 1968.

GOLVIN (L) : *Le Maghreb central à l'époque des Zirides* (recherches d'archéologie et d'histoire) Paris 1957.

GABRIELI (F) : *Omayyades d'Espagne et Abbassides «studia Islamica» XXXI* Madrid 1970.

GAUTIER E.F : *Le passe de l'Afrique du nord les siècles obscurs*. Paris 1927.

HENRI FOURNEL : *Les berberes, études sur la conquête de l'Afrique par les Arabes d'après les textes Arabes imprimés* tome 2 Paris.

HENRI FOURNEL : *Etudes sur la conquête de l'Afrique par les Arabes et recherches sur les tribus berberes qui ont occupé le Maghreb central* Paris 1858.

HENRI TERRASSE : *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français* 2 tomes Casablanca 1948.

HASSAN IBRAHIM H : *Relations between the Fatimids in north Africa and Egypt and the Umayyads in Spain during the 4th century A.H. (10th century A.D)* bulletin of the Faculty of Arts Fouad I University Vol X part. II December 1948.

JULIEN. CH. A : *Histoire de l'Afrique du nord* (depuis la conquête arabe Jusqu'à 1930 Paris 1952

LEVI PROVENÇAL : *l'Espagne Rmousulmane au Xème siècle institution et vie sociale*. Paris 1932.

— *Islam d'occident, Etudes d'histoire médiévale* Paris 1948.

— *Histoire de l'Espagne musulmane* 3 vls. Paris 1950

— *La politica Africana de Abd al Rahman III al Andalus* vls. XI fasc. 2 1946.

LEVI P. et GARCIA (G) : *Una crónica anónima de Abd al Rahman III al Nasir*. Madrid 1950.

Luis SECO de LUCENA : *los Hamudies señores de Málaga y Algeciras* Grenada 1953.

LEWUCKI (T) : *Traits d'histoire du commerce transsaharien marchands et missionnaires Ibadites en Soudan occidental et central au cours des VIIIe-XIIème siècles* (entrografia polska) ville 1964.

— « *Al Ibadiyya* » encyclopedie de l'islam, nouvelle édition leiden – Paris 1971

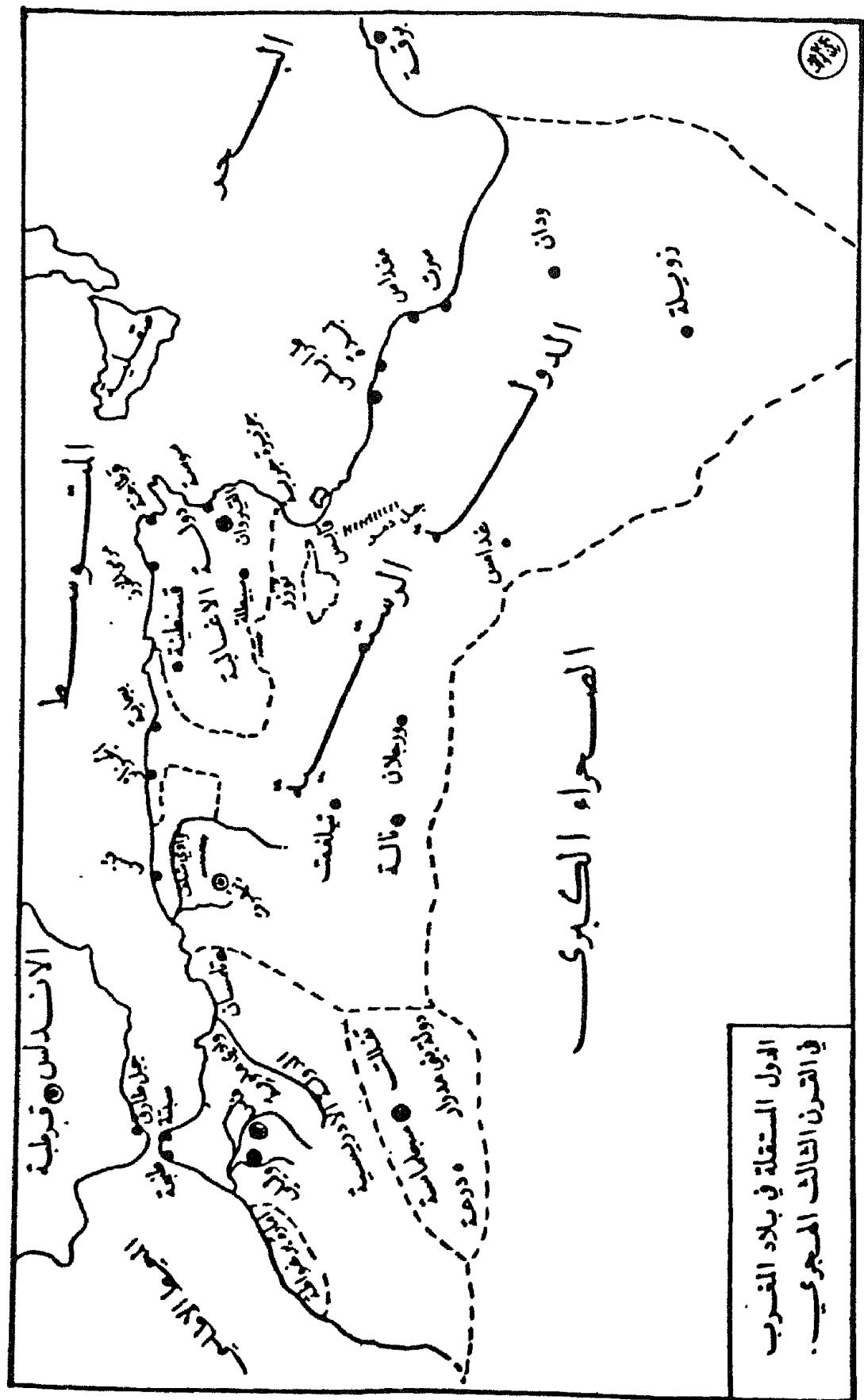
MARCAIS (G) : *La Berberie musulmane et l'Orient au Moyen-Age* Paris 1922.

MASUERAY : *Chronique d'abou Zakaria*, trad frn. Alger 1879.

MOTYLINSKI : *Chronique d'Ibn Saghir sur les Imams rostumides de Tahert* Alger 1905, Paris 1908.

SCOTT. S p : *History of the moorish Empire in Europe* Vol I London 1904.





تأليف: مصطفى المخواروج في الغرب الأسلامي - محمود أسامي







# الفهرس

## صفحة

مقدمة .....	7
أ - أهمية الموضوع .....	7
ب- عرض وتحليل لأهم مصادر البحث .....	18

## الباب الأول

### سياسة الدولة الأموية في الأندلس نحو المغرب في عهد الإمارة

#### الفصل الأول

##### المغرب والأندلس قبيل قيام الدولة الأموية في قرطبة

طابع عصر الولاية في المغرب والأندلس .....	39
سياسة الدولة الأموية في دمشق نحو المغرب .....	42
مقالات الثورة الغربية وأسبابها .....	44
طالعة الشاميين ومعركة بقدورة .....	49
انتقال الثورة إلى الأندلس .....	51
عبور بلج وأصحابه إلى الأندلس .....	54
صراع بين القيسية واليمنية .....	58

#### الفصل الثاني

##### علاقة الأندلس بدوليات المغرب في عصر الإمارة الأموية.

قيام الإمارة الأموية في الأندلس .....	65
---------------------------------------	----

محاولات بني العباس لبسط نفوذهم على المغرب والأندلس .....	69
محاولة العباسين الأولى لإعادة الأندلس إلى دار الخلافة .....	73
المحاولة الثانية .....	79
علاقة الأمويين بالأدارسة العلوين في فاس .....	88
علاقة بني أمية بالرستميين في تاهرت .....	96
علاقة الأمويين ببني صالح أصحاب نكور .....	110
علاقة الأمويين بالمدارريين أصحاب سجلماسة .....	111
علاقة الأمويين بالبرغواطيين أصحاب تامسنا .....	112

## الباب الثاني

### سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفتين عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر

#### الفصل الأول

##### سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الناصر لدين الله

الصراع بين عبد الرحمن الناصر والفواطم في بلاد المغرب .....	127
إعلان نفسه خليفة للمسلمين .....	137
اصطناع الناصر لأمراء المغرب ورؤساء القبائل .....	139
احتلال ثغر سبتة سنة 319 هـ / 931 م .....	147
محاولة الناصر الاستيلاء على جزيرة ارشقون سنة 320 هـ / 932 م .....	152
الاستيلاء على مدينة أصيلا سنة 322 هـ / 934 م .....	154
الاستيلاء على مدينة طنجة سنة 323 هـ / 935 م .....	154
تدعم الناصر لثورة أبي يزيد الخارجي .....	169
تحالف الناصر مع أعداء الفواطم من ملوك المغرب والشرق .....	179

#### الفصل الثاني

##### سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله

سياسة الحكم المستنصر بالله المغربية .....	184
انتقال مقايد الأمور إلى صنهاجة في إفريقيا .....	188
ثورة الحسن بن جنون الإدريسي على الحكم .....	197

خروج القائد غالب بن عبد الرحمن لدعم القوات الأندلسية في بلاد المغرب ...	202
الوفود والسفارات المغربية إلى قرطبة .....	207
استسلام الحسن بن جنون الإدريسي .....	209
استقطاب الحكم المستنصر بالله للمغاربة لدعم قواته .....	211

### **الباب الثالث**

#### **سياسة الأمويين نحو دول المغرب منذ وفاة الحكم المستنصر حتى سقوط الخلافة الأموية**

##### **الفصل الأول**

###### **سياسة الأمويين نحو دول المغرب في غصر هشام المؤيد بالله**

ظهور شخصية محمد بن أبي عامر .....	219
استبداد محمد بن أبي عامر بالسلطة والتخلص من منافسيه .....	221
اعتماد المنصور على المغاربة في بناء قواته .....	226
سياسة المنصور المغربية .....	228
عودة الحسن بن جنون إلى بلاد المغرب وثورته على المنصور .....	230
اتساع دائرة النفوذ الأموي في بلاد المغرب .....	232
ثورة زيري بن عطية المغراوي على المنصور .....	238
عبور القوات الأندلسية إلى العدوة المغربية لإخضاع زيري بن عطية .....	240
هزيمة الزعيم المغراوي في معركة وادي «منى» .....	241
المعز بن زيري يصالح العامريين .....	244

##### **الفصل الثاني**

###### **سياسة الدولة الأموية نحو دول المغرب في فترة الانتقال ما بين هشام المؤيد بالله وسقوط الخلافة الأموية في قرطبة**

سقوط العامريين .....	249
الحرب الأهلية .....	253
استيلاء الحموديين على الخلافة بقرطبة .....	263
الخاتمة .....	273
الضمائم .....	277

## صفحة

ضميمة رقم (1) رسالة من محمد بن خزر زعيم زناتة إلى الناصر لدين الله ...	277
ضميمة رقم (2) رسالة من الأمير الإدريسي إبراهيم بن محمد الناصر لدين الله	279
ضميمة رقم (3) رسالة من محمد بن خزر إلى الناصر لدين الله ..... ....	281
ضميمة رقم (4) رسالة من الناصر إلى محمد بن خزر .....	285
ضميمة رقم (5) رسالة من الناصر إلى موسى بن أبي العافية زعيم مكناسة ...	287
ضميمة رقم (6) رسالة من موسى بن أبي العافية إلى الناصر لدين الله .....	289
ضميمة رقم (7) رسالة من موسى بن أبي العافية إلى الناصر لدين الله .....	291
ضميمة رقم (8) رسالة من إبراهيم وأبي العيش الإدريسيين إلى الناصر لدين الله	293
<b>المصادر والمراجع .....</b>	<b>297</b>
أولاً : المصادر العربية المخطوطة .....	297
ثانياً : المصادر العربية المطبوعة .....	297
ثالثاً : المراجع العربية الحديثة والمعربة .....	302
رابعاً : المراجع الأجنبية الحديثة .....	308



